

الفوائدُ العَدَدِيَّةُ

من

أَقْوَالِ ابْنِ قَيِّمٍ الْجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ

(٦٩١ - ٧٥١ هـ)

جَمْعُ وَإِعْدَادُ / أَبِي بَشَّارٍ

بَسِيرِ بْنِ حَسَنِ بْنِ قَائِرِ الْأَيُّوبِيِّ

غُفِرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ



حقوق الطبع لكل مسلم ، بشرط عدم التغيير في الكتاب

الطبعة الثانية

٢ / رمضان / ١٤٤٥ هـ

الفوائد العددية

من

أقوال ابن قيم الجوزية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشيخ الفاضل

أبي عبد الله فيصل الحاشدي

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد:

فقد وقفتُ على ما اختاره أخونا الشيخ / أبو بشار بشير الأيوبي، من كلام ابن قيم الجوزية رحمه الله؛ فوجدته اختار جواهر كلامه ونوادر حكمه، فأحسن الاختيار، وحسن الاختيار ليس بالشيء السهل بل إنه طلبه تتعثر بين يديها الآمال، وتقطع دونها أعناق الرجال، وقد قالوا: « اختيار الكلام أصعب من تأليفه »، ولعمري لقد دلنا اختياره على حسن ذوقه، ونفاذ بصيرته، فلا جرم فقد قيل: « اختيار المرء قطعة من عقله، تدل على تخلقه وفضله »، وقيل: « ظاهر عقول الرجال في اختيارها »، وقيل: « لكل شيء صناعة، وصناعة العقل حسن الاختيار ».

فدونك جواهر من غائص ماهر، فما كل من غاص في بحر هذا الإمام جاء بمثله، ولا كل ما يلمع ذهب.

فَاسْمَعْ، فَمَا كُلُّ الْكَلَامِ بِطَيِّبٍ * * وَلِكُلِّ قَوْلٍ فِي السَّمَاعِ مَذَاقٌ

جرى القلم بما تقدم.

وكتبه / فيصل الحاشدي

اليمن - إب - مدينة القاعدة

١٤٤٥/٢/٢٥ هـ

مقدمة الشيخ الفاضل

أبي عاصم عبد الله بن محمد الدبعي

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد:

فهذه مجموعة: « **الفوائد العددية من أقوال ابن قيم الجوزية** »، لجامعها الشيخ / بشير بن حسن الأيوبي حفظه الله، في قالب واحد؛ لتسهيل المذاكرة وتحصل الفائدة، وتعم في إعلام الناس بها في المساجد والجامع.

فنسأل الله أن ينفع بها وجامعها كما نفع بأصلها، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله.

كتبه /

أبو عاصم عبد الله بن محمد الدبعي

الأحد / ٢٨ / ربيع الآخر / ١٤٤٥ هـ

مُتَكَلِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن من علماء السلف المتقدمين الذين لهم باع في التصنيف في مختلف الفنون: الإمام العلامة أبا عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية^(١) رَحِمَهُ اللهُ، والذي امتازت كتبه ومصنفاته بحلاوة الأسلوب، وجمال العبارة، وعذوبة المنطق، وحسن البيان، وكثرة استشهاده بالأمثلة والأشعار والبلاغات ونحو ذلك، مما يجعل لكلامه قبولاً في النفوس، ووقعاً في القلوب، وهذا قول واقعي يعرفه كل من قرأ في كتبه رحمة الله عليه.

يقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: وله من حسن التصرف، مع العذوبة الزائدة، وحسن السياق، ما لا يقدر عليه غالب المصنِّفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان، وتحبه القلوب. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ١٤٤).

(١) تنبيه: في ضبط اسم الشهرة لابن القيم، إذا اقتصرنا على ابن القيم، حليناه بالألف واللام، وإذا أضفنا إليه الجوزية، لم نحله بهما فنقول، ابن قيم الجوزية فقط؛ لأنه يكتسب التعريف من الإضافة، والجوزية: اسم للمدرسة التي كان يديرها أبوه ويشرف عليها. والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وَكَانَ جَرِيءَ الْجَنَانِ، وَاسِعَ الْعِلْمِ، عَارِفًا بِالْخِلَافِ،

ومذاهب السلف. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٣٨ / ٥).

ومع هذا فقد كان رحمته الله: مُلَازِمًا لِلِاسْتِغَالِ لَيْلًا وَنَهَارًا، كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالتَّلَاوَةِ، حَسَنَ الْخُلُقِ، كَثِيرَ التَّوَدُّدِ، لَا يَحْسُدُ وَلَا يَحْقِدُ، وَلَا يُعْرِفُ فِي أَهْلِ زَمَانِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَكْثَرَ عِبَادَةً مِنْهُ، وَكَانَ يُطِيلُ الصَّلَاةَ جِدًّا، وَيَمُدُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، كَمَا قَالَ ذَلِكَ عَنْهُ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَعْرَفُهُمْ بِهِ، وَأَصْحَبَهُمْ لَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله. انظر: البداية والنهاية (٢٧٠ / ١٤).

وقال الحافظ ابن رجب رحمته الله: كَانَ ذَا عِبَادَةٍ وَتَهَجُّدٍ وَطُولِ صَلَاةٍ إِلَى الْغَايَةِ الْقَصْوَى، وَتَأَلَّهُ، وَلَهَجَ بِالذِّكْرِ، وَشَغَفَ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِنَابَةِ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْانْكَسَارِ لَهُ، وَالْإِطْرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى عَتَبَةِ عِبُودِيَّتِهِ. لَمْ أَشَاهِدْ مِثْلَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَا رَأَيْتُ أَوْسَعَ مِنْهُ عِلْمًا، وَلَا أَعْرَفَ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ مِنْهُ، وَلَيْسَ هُوَ بِالْمَعْصُومِ، وَلَكِنْ لَمْ أَرِ فِي مَعْنَاهُ مِثْلَهُ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢٨٨ / ٨).

ومما تتميز به مصنفاته رحمته الله أيضًا: حصره لأسباب الشيء في أعداد معينة، وجعله في أقسام، أو فوائد، أو مراتب، أو أنواع، ونحو ذلك، مما يجعله يرسخ في الذهن، ويسهل تذكره واسترجاعه.

هذا وقد يسر الله لي بمنه وكرمه، أن قمت بقراءة ووجد كثير من كتب هذا الإمام رحمته الله، في عدة سنين مع مجموعة من الإخوة الأفاضل، ومن تيسيره لي سبحانه وتعالى في خلال تلك القراءة، أن كنت ألخص من كل كتاب ما يمر بي مما يُستطاب من تلك الفوائد والدرر؛ حتى اجتمع لي خير كثير وفوائد جمّة، في أبواب متفرقة، ولا سيما في باب الفوائد العديدة، فقد

تيسر لي منها عدد كبير، فقامت بترتيبها وتبويبها، وجعلت كل قسم منها على حده، الثنائي مع الثنائي، والثلاثي مع الثلاثي... إلخ، ثم جعلتها في رسائل مستقلة، وتم نشر ست رسائل منها - والله الحمد والمنة -، ثم بدا لي بعد ذلك أن أجعل هذه الرسائل المنشورة في كتاب واحد؛ ليسهل بذلك الوصول إلى الفائدة، ويحصل به النفع - إن شاء الله سبحانه وتعالى -، وقد أسميته: «**الفوائد العديدة من أقوال ابن قيم الجوزية**» رحمة الله عليه.

وبالجملة: فهذا هو جهد المقل أضعه بين يدي إخواني علّ الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا وإياهم بذلك كما نفع بأصلها، وأختم بما ذكره هذا الإمام **رحمته الله** في عدة من كتبه بقوله: فيا أيها القاريء له والناظر فيه، هذه بضاعة صاحبها المزجاة مسوقة إليك، وهذا فهمه وعقله معروض عليك، لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه. ولك ثمرته، وعليه عائدته. فإن عدم منك حمداً وشكراً، فلا يعدم منك مغفرة وعذراً، وإن أبيت إلا الملام فبابه مفتوح، وقد:

استأثر الله بالثناء وبالحمد * * * **وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا**
والله المسئول أن يجعله لوجهه خالصاً، وينفع به مؤلفه وقارئه وكتابه في الدنيا والآخرة،
إنه سميع الدعاء، وأهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل. انظر: طريق الهجرتين (ص: ٧). مدارج السالكين (٣/ ٤٨٢)

حادي الأرواح (ص: ٨) شفاء العليل (ص: ٦).

أبو بشار

بشير بن حسن بن قائد الأيوبي

٢١/ربيع الآخر/١٤٤٥هـ

الفوائد الثمانية

التوحيد الذي دعت إليه الرسل نوعان

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وَأَمَّا التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ اللَّهِ، وَنَزَلَتْ بِهِ كُتُبُهُ: فَوَرَاءَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَهُوَ نَوْعَانِ:

تَوْحِيدٌ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْإِتْبَاتِ، وَتَوْحِيدٌ فِي الْمَطْلَبِ وَالْقَصْدِ.

فَالأَوَّلُ: هُوَ حَقِيقَةُ ذَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَعُلُوُّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَتَكَلُّمِهِ بِكُتُبِهِ، وَتَكْلِيمِهِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِتْبَاتِ عُمُومِ قَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ، وَحُكْمِهِ، وَقَدْ أَفْصَحَ الْقُرْآنُ عَنْ هَذَا النَّوعِ جِدَّ الْإِفْصَاحِ.

كَمَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْحَدِيدِ، وَسُورَةِ طهَ، وَآخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَأَوَّلِ سُورَةِ تَنْزِيلِ السَّجْدَةِ، وَأَوَّلِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَسُورَةِ الْإِخْلَاصِ بِكَمَالِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

النَّوعُ الثَّانِي: مِثْلُ مَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ ﴿قُلْ يَتَّيْنَاهَا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١﴾ [الكافرون: ١]

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] الْآيَةَ، وَأَوَّلِ سُورَةِ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ، وَآخِرِهَا، وَأَوَّلِ سُورَةِ يُوسُفَ وَوَسْطِهَا وَآخِرِهَا، وَأَوَّلِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَآخِرِهَا، وَجُمْلَةِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَغَالِبِ سُورِ الْقُرْآنِ، بَلْ كُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِنَوْعِي التَّوْحِيدِ.

بَلْ نَقُولُ قَوْلًا كُلِّيًّا: إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ: إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللَّهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ، وَإِمَّا

دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلَعَ كُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ
الطَّلَبِيُّ، وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَالْإِزَامُ بِطَاعَتِهِ فِي نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، فَهِيَ حُقُوقُ التَّوْحِيدِ وَمُكَمَّلَاتُهُ،
وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي
الْآخِرَةِ، فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ،
وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقُوبِ مِنَ الْعَذَابِ، فَهُوَ خَبَرٌ عَمَّنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ.

فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ. مدارج السالكين

بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣ / ٤١٧).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: التَّوْحِيدُ نَوْعَانِ:

نَوْعٌ فِي الْعِلْمِ وَالْإِعْتِقَادِ.

وَنَوْعٌ فِي الْإِرَادَةِ وَالْقَصْدِ.

وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ: التَّوْحِيدَ الْعِلْمِيَّ، وَالثَّانِي: التَّوْحِيدَ الْقَصْدِيَّ الْإِرَادِيَّ، لِتَعْلُقِ الْأَوَّلُ
بِالْأَخْبَارِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَالثَّانِي بِالْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ.

وَهَذَا الثَّانِي أَيْضًا نَوْعَانِ: تَوْحِيدٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدٌ فِي الْإِلَهِيَّةِ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٤٨).

كفر الجحود نوعان

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: كُفْرُ الْجَحُودِ نَوْعَانِ: كُفْرٌ مُطْلَقٌ عَامٌّ، وَكُفْرٌ مُقَيَّدٌ خَاصٌّ.

فَالْمُطْلَقُ: أَنْ يَجْحَدَ جُمْلَةً مِمَّا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَإِرْسَالَهُ الرَّسُولَ.

وَالْخَاصُّ الْمُقَيَّدُ أَنْ يَجْحَدَ فَرَضًا مِنْ فُرُوضِ الْإِسْلَامِ، أَوْ تَحْرِيمَ مُحَرَّمٍ مِنْ مُحَرَّمَاتِهِ، أَوْ صِفَةً وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ خَبْرًا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ، عَمْدًا، أَوْ تَقْدِيمًا لِقَوْلٍ مَنْ خَالَفَهُ عَلَيْهِ لِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ.

وَأَمَّا جَحْدُ ذَلِكَ جَهْلًا، أَوْ تَأْوِيلًا يُعَذِّرُ فِيهِ صَاحِبُهُ فَلَا يُكْفِّرُ صَاحِبُهُ بِهِ، كَحَدِيثِ الَّذِي جَحَدَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَحْرِقُوهُ وَيَذَرُوهُ فِي الرِّيحِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَرَحِمَهُ لَجَهْلِهِ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ، وَلَمْ يَجْحَدْ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى إِعَادَتِهِ عِنَادًا أَوْ تَكْذِيبًا. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٤٧).

الشرك نوعان

قال رحمه الله: وَأَمَّا الشُّرْكُ، فَهُوَ نَوْعَانِ: **أَكْبَرُ**، وَ**أَصْغَرُ**.

فَالْأَكْبَرُ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ، وَهُوَ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا، يُحِبُّهُ كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَهُوَ الشُّرْكُ الَّذِي تَضَمَّنَ تَسْوِيَةَ إِلَهَةِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلِهَذَا قَالُوا لِإِلَهَتِهِمْ فِي النَّارِ: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١٧) ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩٨) [الشعراء: ٩٧ - ٩٨] مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّهُ وَمَلِكُهُ، وَأَنَّ إِلَهَتَهُمْ لَا تَخْلُقُ وَلَا تُرْزَقُ، وَلَا تُحْيِي وَلَا تُمِيتُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ التَّسْوِيَةُ فِي الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْعِبَادَةِ كَمَا هُوَ حَالُ أَكْثَرِ مُشْرِكِي الْعَالَمِ.

وَأَمَّا الشُّرْكُ الْأَصْغَرُ فَكَيْسِيرُ الرِّيَاءِ، وَالتَّصَنُّعُ لِلْخَلْقِ، وَالْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، كَمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١)

وَقَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَهَذَا مِنَ اللَّهِ وَمِنْكَ، وَإِنَّا بِاللَّهِ وَبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ، وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكَ، وَلَوْ لَا أَنْتَ لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا شِرْكًَا أَكْبَرَ، بِحَسَبِ قَائِلِهِ وَمَقْصِدِهِ، وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَمَا شِئْتُ: أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١) وَهَذَا اللَّفْظُ أَخَفُّ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَافِ. مدارج السالكين (١/ ٣٤٨-٣٥٢).

نجاسة الشرك نوعان

قال رحمه الله: فأما نجاسة الشرك فهي نوعان:

نجاسة مغلظة، ونجاسة مخففة، فالمغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عز وجل،

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

والمخففة: الشرك الأصغر، كيسيير الرياء، والتصنع للمخلوق، والحلف به وخوفه

ورجائه . إغاثة اللفهان من مصابيد الشيطان (١/ ٥٩).

زُرْعُ النِّفَاقِ يَنْبُتُ عَلَى سَاقِيَتَيْنِ

قال رحمه الله: زُرْعُ النِّفَاقِ يَنْبُتُ عَلَى سَاقِيَتَيْنِ:

سَاقِيَةُ الْكَذِبِ، وَسَاقِيَةُ الرِّيَاءِ، وَمَخْرَجُهُمَا مِنْ عَيْنَيْنِ: عَيْنِ ضِعْفِ الْبَصِيرَةِ، وَعَيْنِ ضِعْفِ الْعَزِيمَةِ، فَإِذَا تَمَّتْ هَذِهِ الْأَرْكَانُ الْأَرْبَعُ اسْتَحْكَمَ نَبَاتُ النِّفَاقِ وَبُيَانُهُ، وَلَكِنَّهُ بِمَدَارِجِ السُّيُولِ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ، فَإِذَا شَاهَدُوا سَيْلَ الْحَقَائِقِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرِ، وَكُشِفَ الْمُسْتُورُ، وَبُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، تَبَيَّنَ حَيْثُذِلِمَنْ كَانَتْ

بِضَاعَتِهِ النِّفَاقَ أَنَّ حَوَاصِلَهُ الَّتِي حَصَلَهَا كَانَتْ كَالسَّرَابِ: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا

جَاءَهُ، لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتُهُ حِسَابَهُ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]. مدارج

السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٦٥).

المنافقون صنفان

قال رسول الله: الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ ضَرَبَ لَهُمُ هَذَانِ الْمَثَلَانِ بِمُسْتَوْقِدِ النَّارِ وَبِالصَّيِّبِ،

نُوعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْ أَبْصَرَ ثُمَّ عَمِيَ، وَعَلِمَ ثُمَّ جَهِلَ، وَأَقَرَّ ثُمَّ أَنْكَرَ، وَأَمَنَ ثُمَّ كَفَرَ، فَهَؤُلَاءِ رُءُوسُ أَهْلِ النِّفَاقِ وَسَادَاتُهُمْ وَأَيْمَتُهُمْ، وَمَثَلُهُمْ مَثَلُ مَنْ اسْتَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ حَصَلَ بَعْدَهَا عَلَى الظُّلْمَةِ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: ضُعَفَاءُ الْبَصَائِرِ الَّذِينَ أَعْشَى بَصَائِرُهُمْ ضَوْءُ الْبَرْقِ فَكَادَ أَنْ يَخْطِفَهَا لِضَعْفِهَا وَقُوَّتِهِ، وَأَصَمَّ آذَانُهُمْ صَوْتُ الرَّعْدِ فَهُمْ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ وَلَا يَقْرُبُونَ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ؛ بَلْ يَهْرُبُونَ مِنْهُ وَيَكُونُ حَالُهُمْ حَالُ مَنْ يَسْمَعُ الرَّعْدَ الشَّدِيدَ، فَمِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْهُ يَجْعَلُ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ.

وَهَذِهِ حَالُ كَثِيرٍ مِنْ خَفَافِيشِ الْبَصَائِرِ فِي كَثِيرٍ مِنْ نُصُوصِ الْوَحْيِ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ مُخَالَفَةٌ لِمَا تَلَقَّاهُ عَنْ أَسْلَافِهِ وَذَوِي مَذْهَبِهِ، وَمَنْ يُحْسِنُ بِهِ الظَّنَّ وَرَأَاهَا مُخَالَفَةً لِمَا عِنْدَهُ عَنْهُمْ هَرَبَ مِنَ النُّصُوصِ وَكَرِهَ مَنْ يُسْمِعُهُ إِيَّاهَا، وَلَوْ أَمَكَّنَهُ لَسَدَ أُذُنَيْهِ عِنْدَ سَمَاعِهَا وَيَقُولُ: دَعْنَا مِنْ هَذِهِ وَلَوْ قَدَّرَ لَعَاقِبَ مَنْ يَتْلُوهَا وَيَحْفَظُهَا وَيَنْشُرُهَا وَيَعْلَمُهَا.

فَإِذَا ظَهَرَ لَهُ مِنْهَا مَا يُوَافِقُ مَا عِنْدَهُ مَشَى فِيهَا وَانْطَلَقَ فَإِذَا جَاءَتْ بِخِلَافِ مَا عِنْدَهُ أَظْلَمَتْ عَلَيْهِ فَقَامَ حَائِرًا لَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ، ثُمَّ يَعِزُّمْ لَهُ التَّقْلِيدُ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِرُؤَسَائِهِ وَسَادَتِهِ عَلَى اتِّبَاعِ مَا قَالُوهُ دُونَهَا، وَيَقُولُ مُسْكِينُ الْحَالِ: هُمْ أَخْبَرُ بِهَا مِنِّي وَأَعْرِفُ.

فَيَا لَلْهِ الْعَجَبُ! أَوْلَيْسَ أَهْلُهَا وَالذَّاثُونَ عَنْهَا وَالْمُتَصِرُونَ لَهَا وَالْمُعَظَّمُونَ لَهَا وَالْمُخَالَفُونَ لِأَجْلِهَا آرَاءَ الرِّجَالِ، الْمُقَدِّمُونَ لَهَا عَلَى مَا خَالَفَهَا، أَعْرِفَ بِهَا أَيْضًا مِنْكَ وَمِمَّنِ اتَّبَعْتَهُ فَلِمَ كَانَ مَنْ خَالَفَهَا وَعَزَلَهَا عَنِ الْيَقِينِ وَزَعَمَ أَنَّ الْهُدَى وَالْعِلْمَ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا وَأَنَّهَا أَدِلَّةٌ لَفُظِيَّةٌ لَا تُفِيدُ شَيْئًا مِنَ الْيَقِينِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحْتَجَّ بِهَا عَلَى مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ وَيُسَمِّيَهَا الظَّوَاهِرَ النَّقْلِيَّةَ، وَيُسَمِّي مَا خَالَفَهَا الْقَوَاطِعَ الْعَقْلِيَّةَ، فَلِمَ كَانَ هَؤُلَاءِ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلُهَا وَكَانَ أَنْصَارُهَا وَالذَّاثُونَ عَنْهَا وَالْحَافِظُونَ لَهَا هُمْ أَعْدَاؤُهَا وَمُحَارِبُوهَا؟ !

وَلَكِنْ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي أَهْلِ الْبَاطِلِ أَنَّهُمْ يُعَادُونَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ وَيَنْسُبُونَهُمْ إِلَى مُعَادَاتِهِ وَمُحَارَبَتِهِ، كَالرَّافِضَةِ الَّذِينَ عَادُوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ بَلْ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَنَسَبُوا أَتْبَاعَهُ وَأَهْلَ سُنَّتِهِ إِلَى مُعَادَاةِ أَهْلِ بَيْتِهِ: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هَؤُلَاءِ إِلَّا الْمُنْفِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٤: الأنفال]، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ صِنْفَانِ: أَيْمَةٌ وَسَادَةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَقَدْ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ، وَاتَّبَاعُ لَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ، فَأُولَئِكَ زَنَادِقَةٌ مُسْتَبْصِرُونَ، وَهَؤُلَاءِ زَنَادِقَةٌ مُقَلِّدُونَ. اجتماع الجيوش الإسلامية (٢ / ٧٤).

لأهل البدع طريقان في رد السنن

قال رحمه الله: ثُمَّ ذَكَرَ أَحْمَدُ الْإِحْتِجَاجَ عَلَى إِبْطَالِ قَوْلِ مَنْ عَارَضَ السُّنَنَ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَرَدَّهَا بِذَلِكَ، وَهَذَا فِعْلُ الَّذِينَ يَسْتَمْسِكُونَ بِالْمُتَشَابِهِ فِي رَدِّ الْمُحْكَمِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا لَفْظًا مُتَشَابِهًا غَيْرَ الْمُحْكَمِ يَرُدُّونَهُ بِهِ اسْتَخْرَجُوا مِنَ الْمُحْكَمِ وَصَفًا مُتَشَابِهًا وَرَدُّوهُ بِهِ، فَلَهُمْ طَرِيقَانِ فِي رَدِّ السُّنَنِ.

أحدهما: رَدُّهَا بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنَ السُّنَنِ.

الثاني: جَعَلَهُمُ الْمُحْكَمُ مُتَشَابِهًا لِيُعْطَلُوا دَلَالَتُهُ، وَأَمَّا طَرِيقَةُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، فَعَكْسُ هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ الْمُحْكَمِ مَا يُفَسِّرُ لَهُمُ الْمُتَشَابِهَ وَيُبَيِّنُهُ لَهُمْ، فَتَتَّفِقُ دَلَالَتُهُ مَعَ دَلَالَةِ الْمُحْكَمِ، وَتُوَافِقُ النُّصُوصُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَإِنَّهَا كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا تَنَاقُضَ، وَإِنَّمَا الْاِخْتِلَافُ وَالتَّنَاقُضُ فِيمَا كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ. [إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٠٩)].

الفسوق في كتاب الله نوعان

قال رحمه الله: وَأَمَّا الْفُسُوقُ: فَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ نَوْعَانِ: **مُفْرَدٌ مُطْلَقٌ، وَمَقْرُونٌ بِالْعِصْيَانِ.** وَالْمُفْرَدُ نَوْعَانِ أَيْضًا: فُسُوقٌ كُفْرٌ، يُخْرِجُ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَفُسُوقٌ لَا يُخْرِجُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَالْمَقْرُونُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنْ وَرَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]. وَالْمُفْرَدُ الَّذِي هُوَ فُسُوقٌ كُفْرٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦ - ٢٧] الْآيَةُ،

وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ٩٩﴾ [البقرة: ٩٩] وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] الْآيَةِ، فَهَذَا كُلُّهُ فَسُوقُ كُفْرٍ.

وَأَمَّا الْفُسُوقُ الَّذِي لَا يُخْرِجُ عَنِ الْإِسْلَامِ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] الْآيَةِ، وَقَوْلِهِ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ [الحجرات: ٦] الْآيَةِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٦٧).

العبودية نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: الْعُبُودِيَّةُ نَوْعَانِ: عَامَّةٌ، وَخَاصَّةٌ.

فَالْعُبُودِيَّةُ الْعَامَّةُ: عُبُودِيَّةُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّهِمْ لِلَّهِ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، فَهَذِهِ عُبُودِيَّةُ الْقَهْرِ وَالْمُلْكِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ٩٣﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٣] فَهَذَا يَدْخُلُ فِيهِ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ [الفرقان: ١٧]، فَسَمَّاهُمْ عِبَادَهُ مَعَ ضَلَالِهِمْ، لَكِنْ تَسْمِيَةً مُقَيَّدَةً بِالْإِشَارَةِ، وَأَمَّا الْمُطْلَقَةُ فَلَمْ تَجِئْ إِلَّا لِأَهْلِ النَّوعِ الثَّانِي، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦) ﴿[الزمر: ٤٦] وَقَالَ: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١] وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٨] فَهَذَا يَتَنَاوَلُ الْعُبُودِيَّةَ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ.

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: فَعُبُودِيَّةُ الطَّاعَةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَاتِّبَاعِ الْأَوَامِرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٦٨) ﴿[الزخرف: ٦٨] وَقَالَ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨] وَقَالَ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) ﴿[الفرقان: ٦٣] وَقَالَ تَعَالَى عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿وَلَا غَوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) ﴿[الحجر: ٣٩ - ٤٠] فَقَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٤٢) ﴿[الحجر: ٤٢]. فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِبِيدُ رُبُوبِيَّتِهِ، وَأَهْلُ طَاعَتِهِ وَوِلَايَتِهِ هُمْ عِبِيدُ إِلَهِيَّتِهِ.

وَلَا يَجِيءُ فِي الْقُرْآنِ إِضَافَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ مُطْلَقًا إِلَّا لِهَؤُلَاءِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك

نستنعي (١/ ١٢٥).

دفع القدر بالقدر نوعان

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وَدَفْعُ الْقَدَرِ بِالْقَدَرِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: دَفْعُ الْقَدَرِ الَّذِي قَدْ انْعَقَدَتْ بِأَسْبَابِهِ - وَلَكَمَا يَقَعُ - بِأَسْبَابٍ أُخْرَى مِنَ الْقَدَرِ تُقَابِلُهُ، فَيَمْتَنِعُ وَقُوعُهُ، كَدَفْعِ الْعَدُوِّ بِقِتَالِهِ، وَدَفْعِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَنَحْوِهِ.

الثاني: دَفْعُ الْقَدَرِ الَّذِي قَدْ وَقَعَ وَاسْتَقَرَّ بِقَدَرٍ آخَرَ يَرْفَعُهُ وَيُزِيلُهُ، كَدَفْعِ قَدَرِ الْمَرَضِ بِقَدَرِ التَّدَاوِي، وَدَفْعِ قَدَرِ الذَّنْبِ بِقَدَرِ التَّوْبَةِ، وَدَفْعِ قَدَرِ الْإِسَاءَةِ بِقَدَرِ الْإِحْسَانِ.

فَهَذَا شَأْنُ الْعَارِفِينَ وَشَأْنُ الْأَقْدَارِ، لَا الْإِسْتِسْلَامَ لَهَا، وَتَرْكُ الْحَرَكَةِ وَالْحِيلَةِ، فَإِنَّهُ عَجَزٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَلُومُ عَلَى الْعَجَزِ، فَإِذَا غَلَبَ الْعَبْدُ، وَصَاقَتْ بِهِ الْحِيلُ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مَجَالٌ، فَهَذَاكَ الْإِسْتِسْلَامَ لِلْقَدَرِ، وَالْإِنْطِرَاحَ كَالْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٢١٨).

الاستغفار نوعان

قال رحمه الله: وَأَمَّا الْإِسْتِغْفَارُ فَهُوَ نَوْعَانِ: **مُفْرَدٌ**، وَ**مَقْرُونٌ** بِالتَّوْبَةِ.

فَالْمُفْرَدُ: كَقَوْلِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١﴾ [نوح: ١٠ - ١١] وَكَقَوْلِ صَالِحٍ لِقَوْمِهِ: ﴿لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٦﴾ [النمل: ٤٦] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩] وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣] وَالْمَقْرُونُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۝٣﴾ [هود: ٣] وَقَوْلِ هُودٍ لِقَوْمِهِ: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝٥٢﴾ [هود: ٥٢] وَقَوْلِ صَالِحٍ لِقَوْمِهِ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝٦١﴾ [هود: ٦١] وَقَوْلِ شُعَيْبٍ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [هود: ٩٠].

فَالِاسْتِغْفَارُ الْمُفْرَدُ كَالْتَّوْبَةِ، بَلْ هُوَ التَّوْبَةُ بِعَيْنِهَا، مَعَ تَضَمُّنِهِ طَلَبَ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ مَحْوُ الذَّنْبِ، وَإِزَالَةُ أَثَرِهِ، وَوَقَايَةُ شَرِّهِ، لَا كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهَا السِّرُّ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتُرُّ عَلَى مَنْ يَغْفِرُ لَهُ وَمَنْ لَا يَغْفِرُ لَهُ، وَلَكِنَّ السِّرَّ لَازِمٌ مُسَمَّاهَا أَوْ جُزْؤُهُ، فَدَلَّالَتُهَا عَلَيْهِ إِمَّا بِالتَّضَمُّنِ وَإِمَّا بِاللُّزُومِ.

فَالِاسْتِغْفَارُ يَتَضَمَّنُ التَّوْبَةَ، وَالتَّوْبَةُ تَتَضَمَّنُ الْإِسْتِغْفَارَ، وَكُلُّ مِنْهُمَا يَدْخُلُ فِي مُسَمًى الْآخِرِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ.

وَأَمَّا عِنْدَ اقْتِرَانِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بِالْأُخْرَى، فَالِاسْتِغْفَارُ: طَلَبُ وَقَايَةِ شَرِّ مَا مَضَى، وَالتَّوْبَةُ: الرَّجُوعُ وَطَلَبُ وَقَايَةِ شَرِّ مَا يَخَافُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ.

فَهَاهُنَا ذَنْبَانِ: ذَنْبٌ قَدْ مَضَى، فَالِاسْتِغْفَارُ مِنْهُ: طَلَبُ وَقَايَةِ شَرِّهِ، وَذَنْبٌ يُخَافُ وَقُوعُهُ، فَالتَّوْبَةُ: الْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يَفْعَلَهُ، وَالرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ يَتَنَاوَلُ النُّوعَيْنِ رُجُوعٌ إِلَيْهِ لِيَقِيَهُ شَرِّ مَا مَضَى، وَرُجُوعٌ إِلَيْهِ لِيَقِيَهُ شَرِّ مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَذْنِبَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ رَكِبَ طَرِيقًا تُؤَدِّيهِ إِلَى هَلَاكِهِ، وَلَا تَوْصِلُهُ إِلَى الْمَقْصُودِ، فَهُوَ مَأْمُورٌ أَنْ يُؤَلِّيَهَا ظَهْرَهُ، وَيَرْجِعَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا نَجَاتُهُ، وَالَّتِي تُوَصِّلُهُ إِلَى مَقْصُودِهِ، وَفِيهَا فَلَاحَةُ.

فَهَاهُنَا أَمْرَانِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا: مُفَارَقَةُ شَيْءٍ، وَالرَّجُوعُ إِلَى غَيْرِهِ، فَخُصَّتِ التَّوْبَةُ بِالرَّجُوعِ، وَالِاسْتِغْفَارُ بِالمُفَارَقَةِ، وَعِنْدَ إِفْرَادِ أَحَدِهِمَا يَتَنَاوَلُ الْأَمْرَيْنِ، وَلِهَذَا جَاءَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْأَمْرُ بِهِمَا مُرْتَبًّا بِقَوْلِهِ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣] فَإِنَّهُ الرَّجُوعُ إِلَى طَرِيقِ

الْحَقِّ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَاطِلِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣١٤).

المحرمات نوعان

قال **رَحِمَهُ اللهُ**: الْمُحَرَّمَاتِ نَوْعَانِ:

مُحَرَّمٌ لِدَاتِهِ لَا يُبَاحُ بِحَالٍ، وَمُحَرَّمٌ تَحْرِيمًا عَارِضًا فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الْمُحَرَّمِ لِدَاتِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ فَقَالَ: ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣] ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، فَقَالَ: ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الأعراف: ٣٣]، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، فَقَالَ: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فَهَذَا أَعْظَمُ الْمُحَرَّمَاتِ عِنْدَ اللهِ وَأَشَدُّهَا إِثْمًا، فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْكَذِبَ عَلَى اللهِ، وَنِسْبَتَهُ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَتَغْيِيرَ دِينِهِ وَتَبْدِيلَهُ، وَنَفْيَ مَا أَثْبَتَهُ وَإِثْبَاتَ مَا نَفَاهُ، وَتَحْقِيقَ مَا أَبْطَلَهُ وَإِبْطَالَ مَا حَقَّقَهُ، وَعَدَاوَةَ مَنْ وَالَاهُ وَمُوَالَاةَ مَنْ عَادَاهُ، وَحُبَّ مَا أَبْغَضَهُ وَبُغْضَ مَا أَحَبَّهُ، وَوَصْفَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

فَلَيْسَ فِي أَجْنَاسِ الْمُحَرَّمَاتِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْهُ، وَلَا أَشَدُّ إِثْمًا، وَهُوَ أَصْلُ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَعَلَيْهِ أُسِّسَتِ الْبِدْعُ وَالضَّلَالَاتُ، فَكُلُّ بِدْعَةٍ مُضِلَّةٍ فِي الدِّينِ أَساسُهَا الْقَوْلُ عَلَى اللهِ بِلَا عِلْمٍ.

وَلِهَذَا اشْتَدَّ نَكِيرُ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ لَهَا، وَصَاحُوا بِأَهْلِهَا مِنْ أَفْطَارِ الْأَرْضِ، وَحَذَرُوا فِتْنَتَهُمْ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، وَبَالِغُوا فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يُبَالِغُوا مِثْلَهُ فِي انْكَارِ الْفَوَاحِشِ، وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، إِذْ مَضَرَّةُ الْبِدْعِ وَهَدْمُهَا لِلدِّينِ وَمُنَافَاتُهَا لَهُ أَشَدُّ، وَقَدْ أَنْكَرَ تَعَالَى عَلَى مَنْ نَسَبَ إِلَى دِينِهِ تَحْلِيلَ شَيْءٍ أَوْ تَحْرِيمَهُ مِنْ عِنْدِهِ، بِلَا بُرْهَانٍ مِنَ اللهِ، فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ

أَلَيْسَتْكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّئَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴿ [النحل: ١١٦] الْآيَةُ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٣٧٨).

العِظَةُ نَوْعَانِ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْعِظَةُ نَوْعَانِ: عِظَةٌ بِالْمَسْمُوعِ، وَعِظَةٌ بِالْمَشْهُودِ.

فَالْعِظَةُ بِالْمَسْمُوعِ الْإِنْتِفَاعُ بِمَا يَسْمَعُهُ مِنَ الْهُدَى وَالرُّشْدِ، وَالنَّصَائِحِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ الرُّسُلِ وَمَا أُوحِيَ إِلَيْهِمْ، وَكَذَلِكَ الْإِنْتِفَاعُ بِالْعِظَةِ مِنْ كُلِّ نَاصِحٍ وَمُرْشِدٍ فِي مَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

وَالْعِظَةُ بِالْمَشْهُودِ الْإِنْتِفَاعُ بِمَا يَرَاهُ وَيَشْهَدُهُ فِي الْعَالَمِ مِنْ مَوَاقِعِ الْعِبَرِ، وَأَحْكَامِ الْقَدَرِ، وَمَجَارِيهِ، وَمَا يُشَاهِدُهُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِ رُسُلِهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك

نستعين (١ / ٤٤٣).

الاعتِصَامُ نَوْعَانِ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنَزَلَةُ الْإِعْتِصَامِ، وَهُوَ نَوْعَانِ: اِعْتِصَامٌ بِاللَّهِ، وَاعْتِصَامٌ بِحَبْلِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وَقَالَ: ﴿

وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وَالْإِعْتِصَامُ افْتِعَالٌ مِنَ الْعِصْمَةِ، وَهُوَ التَّمَسُّكُ بِمَا يَعِصُمُكَ، وَيَمْنَعُكَ مِنَ الْمَحْذُورِ وَالْمَخُوفِ، فَالْعِصْمَةُ: الْحِمِيَّةُ، وَالْإِعْتِصَامُ: الْإِحْتِمَاءُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ الْقِلَاعُ: الْعَوَاصِمَ، لِمَنْعِهَا وَحِمَايَتِهَا.

وَمَدَارُ السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ عَلَى الْإِعْتِصَامِ بِاللَّهِ، وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِاتَيْنِ الْعِصْمَتَيْنِ.

فَأَمَّا الْإِعْتَصَامُ بِحَبْلِهِ فَإِنَّهُ يَعِصُمُ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَالْإِعْتَصَامُ بِهِ يَعِصُمُ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَإِنَّ السَّائِرَ إِلَى اللَّهِ كَالسَّائِرِ عَلَى طَرِيقٍ نَحْوَ مَقْصِدِهِ، فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى هِدَايَةِ الطَّرِيقِ، وَالسَّلَامَةِ فِيهَا، فَلَا يَصِلُ إِلَى مَقْصِدِهِ إِلَّا بَعْدَ حُصُولِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ لَهُ، فَالدَّلِيلُ كَفِيلٌ بِعِصْمَتِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى الطَّرِيقِ، وَالْعُدَّةُ وَالْقُوَّةُ وَالسَّلَاحُ الَّتِي بِهَا تَحْصُلُ لَهُ السَّلَامَةُ مِنْ قُطَاعِ الطَّرِيقِ وَأَفَاتِهَا.

فَالْإِعْتَصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ يُوجِبُ لَهُ الْهِدَايَةَ وَاتِّبَاعَ الدَّلِيلِ، وَالْإِعْتَصَامُ بِاللَّهِ، يُوجِبُ لَهُ الْقُوَّةَ وَالْعُدَّةَ وَالسَّلَاحَ، وَالْمَادَّةُ الَّتِي يَسْتَلْتُمُ بِهَا فِي طَرِيقِهِ. مدارج السالكين (١/ ٤٥٧).

الاعتصام بالله نوعان

قال رحمه الله: فَالْإِعْتَصَامُ بِهِ نَوْعَانِ:

اعْتَصَامٌ تَوَكَّلٌ وَاسْتِعَانَةٌ وَتَفْوِيزٌ وَلَجٌّ وَعِيَاذٌ، وَإِسْلَامُ النَّفْسِ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لَهُ سُبْحَانَهُ.

وَالثَّانِي: اعْتَصَامٌ بِوَحْيِهِ، وَهُوَ تَحْكِيمُهُ دُونَ آرَاءِ الرِّجَالِ وَمَقَايِسِهِمْ، وَمَعْقُولَاتِهِمْ، وَأَذْوَاقِهِمْ وَكُشُوفَاتِهِمْ وَمَوَاجِدِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ مُنْسَلٌّ مِنْ هَذَا الْإِعْتَصَامِ، فَالَّذِينَ كُلُّهُمْ فِي الْإِعْتَصَامِ بِهِ وَبِحَبْلِهِ، عِلْمًا وَعَمَلًا، وَإِخْلَاصًا وَاسْتِعَانَةً، وَمُتَابَعَةً، وَاسْتِمْرَارًا عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٣٠٣).

الذي يخلص العبد من رضاه بعمله أمان

قال رحمه الله: فكل خير في العبد فهو مجرد فضل الله ومنته، وإحسانه ونعمته. وهو المحمود عليه. فرؤية العبد لأعماله في الحقيقة، كرؤيته لصفاته الخلقية: من سمعه وبصره، وإدراكه وقوته، بل من صحته، وسلامة أعضائه، ونحو ذلك. فالكل مجرد عطاء الله ونعمته وفضله.

فالذي يخلص العبد من هذه الآفة: **معرفة ربه، ومعرفة نفسه.**

والذي يخلصه من طلب العوض على العمل: علمه بأنه عبد محض. والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عوضاً ولا أجر؛ إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته. فما يناله من سيده من الأجر والثواب تفضل منه، وإحسان إليه، وإنعام عليه، لا معارضة؛ إذ الأجر إنما يستحقها الحر، أو عبد الغير. فأما عبد نفسه فلا.

والذي يخلصه من رضاه بعمله وسكونه إليه أمان:

أحدهما: مطالعة عيوبه وآفاته، وتقصيره فيه، وما فيه من حظ النفس، ونصيب الشيطان، فقل عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قل، وللنفس فيه حظ. سئل النبي ﷺ عن التفات الرجل في صلاته؟ فقال: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ»^(١).

فإذا كان هذا التفات طرفه أو لحظه؛ فكيف التفات قلبه إلى ما سوى الله؟ هذا أعظم نصيب الشيطان من العبودية.

(١) رواه البخاري برقم (٧٥١) عن عائشة رضي الله عنها.

وأما حظ النفس من العمل فلا يعرفه إلا أهل البصائر الصادقون.

الثاني: علمه بما يستحقه الرب جل جلاله من حقوق العبودية، وآدابها الظاهرة والباطنة، وشروطها، وأن العبد أضعف وأعجز وأقل من أن يوفيهها حقاً، وأن يرضى بها لربه.

فالعارف لا يرضى بشيء من عمله لربه، ولا يرضى نفسه لله طرفة عين. ويستحيي من مقابلة الله بعمله.

وقال بعضهم: آفة العبد رضاه عن نفسه، ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها، ومن لم يهتم نفسه على دوام الأوقات فهو مغرور. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٩٤)

الجهل نوعان

قال رسول الله ﷺ: الْجَهْلُ نَوْعَانِ: عَدَمُ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ النَّافِعِ، وَعَدَمُ الْعَمَلِ بِمُوجِبِهِ وَمُقْتَضَاهُ، فَكِلَاهُمَا جَهْلٌ لُغَةً وَعُرْفًا وَشَرْعًا وَحَقِيقَةً، قَالَ مُوسَى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] لَمَّا قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿أَتَنْخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] أَيْ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَقَالَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] أَيْ مِنْ مُرْتَكِبِي مَا حَرَّمَتَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧] قَالَ قَتَادَةُ: « أَجْمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ كُلَّ مَا عَصِيَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ جَهَالَةٌ ». مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٤٦٧).

التسليم نوعان

قال رحمه الله: مَنْزِلَةُ التَّسْلِيمِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: **تَسْلِيمٌ** لِحُكْمِهِ الدِّينِيِّ الْأَمْرِيِّ. وَ**تَسْلِيمٌ** لِحُكْمِهِ الْكَوْنِيِّ الْقَدَرِيِّ.

فَأَمَّا الْأَوَّلُ: فَهُوَ تَسْلِيمُ الْمُؤْمِنِينَ الْعَارِفِينَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا **سَلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥]، فَهَذِهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ: التَّحْكِيمُ، وَسِعَةُ الصَّدْرِ بِانْتِفَاءِ الْحَرَجِ، وَالتَّسْلِيمُ.

وَأَمَّا التَّسْلِيمُ لِلْحُكْمِ الْكَوْنِيِّ: فَمَنْزِلَةُ أَقْدَامٍ، وَمَصْلَةُ أَفْهَامٍ. حَيْرَ الْأَنَامِ، وَأَوْقَعَ الْخِصَامِ. وَهِيَ مَسْأَلَةُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ. وَبَيَّنَّا أَنَّ التَّسْلِيمَ لِلْقَضَاءِ يُحْمَدُ إِذَا لَمْ يُؤْمَرْ الْعَبْدُ بِمُنَازَعَتِهِ وَدَفْعِهِ. وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ، كَالْمَصَائِبِ الَّتِي لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى دَفْعِهَا.

وَأَمَّا الْأَحْكَامُ الَّتِي أُمِرَ بِدَفْعِهَا: فَلَا يَجُوزُ لَهُ التَّسْلِيمُ إِلَيْهَا، بَلِ الْعُبُودِيَّةُ: مُدَافَعَتُهَا بِأَحْكَامٍ أُخَرَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٤٥).

اختيار الرب تعالى لعبده نوعان

قال رحمه الله: فَاخْتِيارُ الرَّبِّ تَعَالَى لِعَبْدِهِ نَوْعَانِ.

أَحَدُهُمَا: اخْتِيارُ دِينِيٍّ شَرْعِيٍّ. فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ لَا يَخْتَارَ فِي هَذَا النَّوعِ غَيْرَ مَا اخْتَارَهُ لَهُ سَيِّدُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦] فَاخْتِيَارُ الْعَبْدِ خِلَافَ ذَلِكَ مُنَافٍ لِإِيْمَانِهِ وَتَسْلِيمِهِ، وَرِضَاهُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا.

النوع الثاني: اخْتِيَارُ كَوْنِي قَدْرِي، لَا يَسْخَطُهُ الرَّبُّ، كَالْمَصَائِبِ الَّتِي يَبْتَلِي اللَّهُ بِهَا عَبْدَهُ. فَهَذَا لَا يَضُرُّهُ فِرَارُهُ مِنْهَا إِلَى الْقَدَرِ الَّذِي يَرْفَعُهَا عَنْهُ، وَيَدْفَعُهَا وَيَكْشِفُهَا. وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مُنَازَعَةٌ لِلرُّبُوبِيَّةِ. وَإِنْ كَانَ فِيهِ مُنَازَعَةٌ لِلْقَدَرِ بِالْقَدَرِ.

فَهَذَا يَكُونُ تَارَةً وَاجِبًا، وَتَارَةً يَكُونُ مُسْتَحَبًّا، وَتَارَةً يَكُونُ مُبَاحًا مُسْتَوِي الطَّرْفَيْنِ، وَتَارَةً يَكُونُ مَكْرُوهًا، وَتَارَةً يَكُونُ حَرَامًا.

وَأَمَّا الْقَدَرُ الَّذِي لَا يُحِبُّهُ وَلَا يَرْضَاهُ - مِثْلَ قَدَرِ الْمَعَائِبِ وَالذُّنُوبِ - فَالْعَبْدُ مَأْمُورٌ بِسَخَطِهَا. وَمَنْهِيٌّ عَنِ الرِّضَا بِهَا.

وَهَذَا هُوَ التَّفْصِيلُ الْوَاجِبُ فِي الرِّضَا بِالْقَضَاءِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢)

(١٨٥).

المعية نوعان

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمَعِيَّةُ نَوْعَانِ:

عَامَّةٌ. وَهِيَ: مَعِيَّةُ الْعِلْمِ وَالْإِحَاطَةِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد:

٤] وَقَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى

مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧].

وخاصّة: وهي معيّة القُرب، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨] وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣]

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فَهَذِهِ مَعِيَّةُ قُرْبٍ. تَتَضَمَّنُ الْمُوَالَاةَ، وَالنَّصَرَ، وَالْحِفْظَ. وَكِلَا الْمَعْنَيْنِ مُصَاحَبَةٌ مِنْهُ لِلْعَبْدِ. لَكِنَّ هَذِهِ مُصَاحَبَةٌ أَطْلَاعٍ وَإِحَاطَةٍ. وَهَذِهِ مُصَاحَبَةٌ مُوَالَاةٍ وَنَصْرٍ وَإِعَانَةٍ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٥٤).

الغلو نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: الغُلُوُّ نَوْعَانِ:

نَوْعٌ يُخْرِجُهُ عَنْ كَوْنِهِ مُطِيعًا. كَمَنْ زَادَ فِي الصَّلَاةِ رَكْعَةً، أَوْ صَامَ الدَّهْرَ مَعَ أَيَّامِ النَّهْيِ، أَوْ رَمَى الْجِمَرَاتِ بِالصَّخَرَاتِ الْكِبَارِ الَّتِي يُرْمَى بِهَا فِي الْمَنْجَنِقِ، أَوْ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ عَشْرًا، أَوْ نَحَوَ ذَلِكَ عَمْدًا.

وَعُلُوٌّ يُخَافُ مِنْهُ الْإِنْقِطَاعُ وَالْإِسْتِحْسَارُ. كَقِيَامِ اللَّيْلِ كُلِّهِ. وَسَرْدِ الصِّيَامِ الدَّهْرَ أَجْمَعَ. بِدُونِ صَوْمِ أَيَّامِ النَّهْيِ. وَالْجَوْرِ عَلَى النَّفُوسِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْأَوْرَادِ، الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»^(١). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك

نستعين (٢/ ٤٦٥).

الغيرة نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْغَيْرَةُ نَوْعَانِ:

غَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْءِ. وَغَيْرَةٌ عَلَى الشَّيْءِ.

«١» رواه البخاري برقم (٣٩). عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَالْغَيْرَةُ مِنَ الشَّيْءِ: هِيَ كَرَاهَةُ مُزَاحَمَتِهِ وَمُشَارَكَتِهِ لَكَ فِي مَحْبُوبِكَ.
وَالْغَيْرَةُ عَلَى الشَّيْءِ: هِيَ شِدَّةُ حِرْصِكَ عَلَى الْمَحْبُوبِ أَنْ يَفُوزَ بِهِ غَيْرُكَ دُونَكَ أَوْ
يُشَارِكَكَ فِي الْفُوزِ بِهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤٥).

الافتخار نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: فَالْإِفْتِخَارُ نَوْعَانِ: مَذْمُومٌ، وَمَحْمُودٌ.

فَالْمَذْمُومُ: إِظْهَارُ مَرْتَبَتِهِ عَلَى أُنْبَاءِ جِنْسِهِ تَرْفَعًا عَلَيْهِمْ، وَهَذَا غَيْرُ مُرَادٍ.
وَالْمَحْمُودُ: إِظْهَارُ الْأَحْوَالِ السَّيِّئَةِ، وَالْمَقَامَاتِ الشَّرِيفَةِ، بَوْحًا بِهَا، أَيْ تَصْرِيحًا
وَإِعْلَانًا، لَا عَلَى وَجْهِ الْفَخْرِ، بَلْ عَلَى وَجْهِ تَعْظِيمِ النِّعْمَةِ، وَالْفَرَحِ بِهَا، وَذِكْرِهَا، وَنَشْرِهَا،
وَالْتَحَدُّثِ بِهَا، وَالتَّرْغِيبِ فِيهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ فِي إِظْهَارِهَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ
شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ»^(١) رواه مسلم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٣٩١).

القلب يعرض له حالتان

قال رَحِمَهُ اللهُ: فَالْقَلْبُ يَعْضُ لهُ حَالَتَانِ:

حَالَةٌ حَزْنٍ وَأَسْفٍ عَلَى مَفْقُودٍ، وَحَالَةٌ فَرَحٍ وَرِضَى بِمَوْجُودٍ، وَلَهُ بِمُقْتَضَى هَاتَيْنِ
الْحَالَتَيْنِ عُبُودِيَّتَانِ.
وَلَهُ بِمُقْتَضَى الْحَالَةِ الْأُولَى عُبُودِيَّةُ الرِّضَاءِ، وَهِيَ لِلْسَّابِقِينَ، وَالصَّبْرِ وَهِيَ لِأَصْحَابِ
الْيَمِينِ.

^(١) رواه مسلم برقم (٢٢٧٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَلَهُ بِمُقْتَضَى الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ عُبودِيَّةُ الشُّكْرِ، وَالشَّاكِرُونَ فِيهَا أَيْضًا نَوَّعَانِ: سَابِقُونَ، وَأَصْحَابُ يَمِينٍ، فَاقْتَطَعَتْهُ النَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ عَنْ هَاتَيْنِ الْعُبودِيَّتَيْنِ، بِصَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ، هُمَا لِلشَّيْطَانِ لَا لِلرَّحْمَنِ: صَوْتِ النَّدْبِ وَالنِّيَاحَةِ عِنْدَ الْحُزَنِ وَفَوَاتِ الْمَحْبُوبِ، وَصَوْتِ اللَّهْوِ وَالْمِزْمَارِ وَالْغِنَاءِ عِنْدَ الْفَرَحِ وَحُصُولِ الْمَطْلُوبِ، فَعَوَّضَهُ الشَّيْطَانُ بِهِذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ عَنْ تَيْنِكَ الْعُبودِيَّتَيْنِ.

وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بَعَيْنِهِ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ، فَاجِرَيْنِ: صَوْتِ وَيْلٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ، وَصَوْتِ مِزْمَارٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ»^(١). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٩٤).

المحب له حالتان

قال رحمه الله: الْمُحِبُّ لَهُ حَالَتَانِ:

حَالَةُ اسْتِغْرَاقٍ فِي مَحَبَّةٍ مَحْبُوبَةٍ، كَاسْتِغْرَاقِ صَاحِبِ الشُّكْرِ فِي سُكْرِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ اسْتِغْرَاقِهِ فِي شُهُودِ جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، فَلَا يَبْقَى فِيهِ مُتَسَعٍّ لِسِوَاهُ، وَلَا فَضْلَ لِغَيْرِهِ، فَإِذَا رَأَاهُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ: ظَنَّهُ سُكْرًا، فَهَذَا اسْتِغْرَاقٌ فِي مَحْبُوبِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِهِ.

الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ: حَالَةُ صَحْوٍ، يَفِيقُ فِيهَا عَلَى عُبودِيَّتِهِ وَالْقِيَامِ بِمَرْضَاتِهِ، كَالْمُسَارَعَةِ إِلَى مَحَابِّهِ، فَهُوَ فِي هَذَا الْحَالِ بِهِ؛ أَيُّ: مُتَصَرِّفٌ فِي أَوَامِرِهِ وَمَحَابِّهِ بِهِ، لَيْسَ غَائِبًا عَنْهُ بِأَوَامِرِهِ، وَلَا غَائِبًا بِهِ عَنْ أَوَامِرِهِ، فَلَا يَشْغَلُهُ وَاجِبٌ أَوْ أَمْرٌ وَحُقُوقُهُ عَنْ وَاجِبِ مَحَبَّتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالرِّضَا بِهِ، وَلَا يَشْغَلُهُ وَاجِبٌ حُبِّهِ عَنْ أَوَامِرِهِ، بَلْ هُوَ مُقْتَدٍ بِإِمَامِ الْحَنَفَاءِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي أَعْلَى مَقَامَاتِ الْمَحَبَّةِ وَهِيَ الْخُلَّةُ وَلَمْ يَشْغَلْهُ ذَلِكَ

(١) رواه الترمذي برقم (١٠٠٥)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني.

عَنِ الْقِيَامِ بِخِصَالِ الْفِطْرَةِ مِنَ الْخِتَانِ، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَرِ، فَضْلاً عَمَّا هُوَ فَوْقَ ذَلِكَ، فَوْقَ الْمَقَامَيْنِ حَقَّهُمَا، وَلِهَذَا أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧)

﴿النجم: ٣٧﴾. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٩٨).

النظر إلى العورات قسماً

قال رحمه الله: وَمِنَ النَّظَرِ الْحَرَامِ: النَّظَرُ إِلَى الْعَوْرَاتِ، وَهِيَ قِسْمَانِ: عَوْرَةٌ وَرَاءَ الثِّيَابِ، وَعَوْرَةٌ وَرَاءَ الْأَبْوَابِ.

وَلَوْ نَظَرَ فِي الْعَوْرَةِ الَّتِي وَرَاءَ الْأَبْوَابِ فَرَمَاهُ صَاحِبُ الْعَوْرَةِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَذَهَبَتْ هَدْرًا بِنَصِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ "الْمُتَفَقِّ عَلَى صِحَّتِهِ. وَهَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاظِرِ سَبَبٌ يُبَاحُ النَّظَرُ لِأَجْلِهِ، كَعَوْرَةِ لَهُ هُنَاكَ يَنْظُرُهَا، أَوْ رِيَّةٍ هُوَ مَأْمُورٌ أَوْ مَأْذُونٌ لَهُ فِي الْإِطْلَاعِ عَلَيْهَا. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٣٨).

الحقوق نوعان

قال رحمه الله: وَالْحُقُوقُ نَوْعَانِ: حَقُّ اللَّهِ، وَحَقُّ الْإِنْسَانِ.

فَحَقُّ اللَّهِ لَا مَدْخَلَ لِلصُّلَحِ فِيهِ كَالْحُدُودِ وَالزَّكَاةِ وَالْكَفَّارَاتِ وَنَحْوِهَا، وَإِنَّمَا الصُّلَحُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ فِي إِقَامَتِهَا، لَا فِي إِهْمَالِهَا، وَلِهَذَا لَا يُقْبَلُ بِالْحُدُودِ، وَإِذَا بَلَغَتْ السُّلْطَانُ «فَلَعَنَ اللَّهُ الشَّافِعَ وَالْمُشَفِّعَ»^(١).

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رضي الله عنه: «لَوْ أَنَّ امْرَأً أَطْلَعَ عَلَيْكَ بَعِيرَ إِذْنٍ فَحَدَّثَتْهُ بِعَصَاةٍ فَفَقَأَتْ عَيْنَهُ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ» رواه البخاري برقم (٦٩٠٢)، ومسلم برقم (٢١٥٨).

(٢) الأثر عن الزبير بن العوام رضي الله عنه «إِذَا بَلَغَ السُّلْطَانُ فَلَعَنَ اللَّهُ الشَّافِعَ وَالْمُشَفِّعَ» أخرجه مالك في الموطأ، قال ابن حجر في الفتح: وهو منقطع مع وقفه. وأخرجه الطبراني في الأوسط والصغير، قال الهيثمي: وفيه أبو غزيرة محمد بن موسى الأنصاري ضعفه أبو حاتم وغيره، ووثقه الحاكم، وعبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف. قال الحافظ ابن حجر: وهو عند ابن أبي شيبة بسند حسن عن الزبير موقوفاً، وسند آخر حسن عن

وَأَمَّا حُقُوقُ الْأَدَمِيِّينَ فَهِيَ الَّتِي تَقْبَلُ الصُّلْحَ وَالْإِسْقَاطَ وَالْمُعَاوَضَةَ عَلَيْهَا، وَالصُّلْحُ الْعَادِلُ هُوَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ﷺ كَمَا قَالَ: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ [الحجرات: ٩] وَالصُّلْحُ الْجَائِزُ هُوَ الظُّلْمُ بِعَيْنِهِ. [إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٨٥)].

المعرضون عن الهدى والحق نوعان

قال رحمه الله: ذَكَرَ سُبْحَانَهُ لِلْكَافِرِينَ مَثَلَيْنِ:

مَثَلًا بِالسَّرَابِ، وَمَثَلًا بِالظُّلُمَاتِ الْمُتَرَاكِمَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُعْرِضِينَ عَنِ الْهُدَى وَالْحَقِّ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ فَيَتَّبِعُ لَهُ عِنْدَ انْكِشَافِ الْحَقَائِقِ خِلَافَ مَا كَانَ يَظُنُّهُ، وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْجَهْلِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عَلَى هُدًى وَعِلْمٍ، فَإِذَا انْكَشَفَتِ الْحَقَائِقُ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى شَيْءٍ، وَأَنَّ عَقَائِدَهُمْ وَأَعْمَالَهُمُ الَّتِي تَرَبَّتْ عَلَيْهَا كَانَتْ كَسَرَابٍ بَقِيْعَةٍ يُرَى فِي عَيْنِ النَّازِرِ مَاءٌ وَلَا حَقِيقَةٌ لَهُ، وَهَكَذَا الْأَعْمَالُ الَّتِي لِغَيْرِ اللَّهِ وَعَلَى غَيْرِ أَمْرِهِ، يَحْسِبُهَا الْعَامِلُ نَافِعَةً لَهُ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، وَهَذِهِ هِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا: ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٢٣) [الفرقان: ٢٣].

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: أَصْحَابُ مَثَلِ الظُّلُمَاتِ الْمُتَرَاكِمَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَالْهُدَى، وَآثَرُوا عَلَيْهِ ظُلُمَاتِ الْبَاطِلِ وَالضَّلَالِ، فَتَرَاكَمَتْ عَلَيْهِمْ ظُلْمَةُ الطَّبَعِ وَظُلْمَةُ النَّفْسِ وَظُلْمَةُ الْجَهْلِ حَيْثُ لَمْ يَعْمَلُوا بِعِلْمِهِمْ فَصَارُوا جَاهِلِينَ، وَظُلْمَةُ اتِّبَاعِ الْغَيِّ وَالْهَوَى،

= علي نحوه كذلك. وأخرجه الدارقطني من حديث الزبير موصولاً مرفوعاً بلفظ: «اشفعوا ما لم يصل إلى الوالي، فإذا وصل الوالي فعفا، فلا عفا الله عنه». قال الحافظ: والموقوف هو المعتمد. انظر: تنوير الحوالك (٣/ ٤٩) وفتح الباري (١٢/ ٨٧).

فَحَالَهُمْ كَحَالِ مَنْ كَانَ فِي بَحْرِ لُجِّي لَا سَاحِلَ لَهُ وَقَدْ غَشِيَهُ مَوْجٌ وَمِنْ فَوْقِ ذَلِكَ الْمَوْجِ مَوْجٌ، وَمِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ مُظْلِمٌ، فَهُوَ فِي ظُلْمَةِ الْبَحْرِ وَظُلْمَةِ الْمَوْجِ وَظُلْمَةِ السَّحَابِ، وَهَذَا نَظِيرُ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ الَّتِي لَمْ يُخْرِجْهُ اللَّهُ مِنْهَا إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٢٠).

النعم نوعان

قال رحمه الله: النعم نوعان: مُستَمِرَّةٌ، ومُتَجَدِّدَةٌ.

فَالْمُسْتَمِرَّةُ شُكْرُهَا بِالْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ، وَالْمُتَجَدِّدَةُ شُكْرُهَا لَهَا سُجُودُ الشُّكْرِ؛ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَيْهَا، وَخُضُوعًا لَهُ وَذَلًّا، فِي مُقَابَلَةِ فَرَحَةِ النِّعَمِ وَانْبِسَاطِ النَّفْسِ لَهَا، وَذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ أَدْوَائِهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يُحِبُّ الْفَرَحِينَ وَلَا الْأَشْرِينَ؛ فَكَانَ دَوَاءُ هَذَا الدَّاءِ الْخُضُوعَ وَالذَّلَّ وَالْإِنكِسَارَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكَانَ فِي سُجُودِ الشُّكْرِ مِنْ تَحْصِيلِ هَذَا الْمَقْصُودِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٩٦).

الكيد والمخادعة نوعان

قال رحمه الله: الكيد والمخادعة، نوعان:

قبيح: وَهُوَ إِصَالُ ذَلِكَ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ.

وَحَسَن: وَهُوَ إِصَالُهُ إِلَى مُسْتَحِقِّهِ عُقُوبَةً لَهُ؛ فَالْأَوَّلُ مَذْمُومٌ، وَالثَّانِي مَمْدُوحٌ، وَالرَّبُّ تَعَالَى إِنَّمَا يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ عَدْلًا مِنْهُ وَحِكْمَةً، وَهُوَ تَعَالَى يَأْخُذُ الظَّالِمَ وَالْفَاجِرَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ لَا كَمَا يَفْعَلُ الظَّالِمَةُ بَعَادِهِ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١٧١).

كيد الله تعالى على ضريين

قال رسول الله ﷺ: كَيْدُ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَخْرُجُ عَنْ نَوْعَيْنِ:

أَحَدُهُمَا وَهُوَ الْأَغْلَبُ: أَنْ يَفْعَلَ تَعَالَى فِعْلًا خَارِجًا عَنْ قُدْرَةِ الْعَبْدِ الَّذِي كَادَ لَهُ؛ فَيَكُونُ الْكَيْدُ قَدْرًا زَائِدًا مَحْضًا لَيْسَ هُوَ مِنْ بَابٍ لَا يَسُوعُ، كَمَا كَادَ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ بِإِنْتِقَامِهِ مِنْهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ قِصَّةُ يُوسُفَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا أَمَكَّنَهُ أَنْ يَفْعَلَ أَنْ أَلْقَى الصُّوَاعَ، فِي رَحْلِ أَخِيهِ، وَأَنْ أَذِنَ مُؤَدِّنُ بَسْرِ قَتْلِهِمْ، فَلَمَّا أَنْكَرُوا قَالَ: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ؟ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٤) ﴿[يوسف: ٧٤] أَيَّ جَزَاءِ السَّارِقِ أَوْ جَزَاءِ السَّرَقِ: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾﴾ [يوسف: ٧٥] أَيَّ جَزَاؤُهُ نَفْسَ السَّارِقِ، يَسْتَعْبِدُهُ الْمَسْرُوقُ مِنْهُ إِمَّا مُطْلَقًا وَإِمَّا إِلَى مُدَّةٍ، وَهَذِهِ كَانَتْ شَرِيعَةُ آلِ يَعْقُوبَ.

النَّوعُ الثَّانِي مِنْ كَيْدِهِ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ: هُوَ أَنْ يُلْهِمَهُ تَعَالَى أَمْرًا مُبَاحًا أَوْ مُسْتَحَبًّا أَوْ وَاجِبًا يُوصِّلُهُ بِهِ إِلَى الْمَقْصُودِ الْحَسَنِ؛ فَيَكُونُ عَلَى هَذَا إِلْهَامُهُ لِيُوسُفَ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ هُوَ مِنْ كَيْدِهِ تَعَالَى أَيْضًا، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَتِكَ مِنْ شَاءٍ﴾ [يوسف: ٧٦] فَإِنَّ فِيهَا تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ الدَّقِيقَ الْمُوصِّلَ إِلَى الْمَقْصُودِ الشَّرْعِيِّ صِفَةُ مَدْحٍ، كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي يَخْصِمُ بِهِ الْمُبْطِلَ صِفَةُ مَدْحٍ؛ وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ مِنَ الْكَيْدِ مَا هُوَ مَشْرُوعٌ، لَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْكَيْدُ الَّذِي تُسْتَحَلُّ بِهِ الْمُحَرَّمَاتُ أَوْ تُسْقَطُ بِهِ الْوَاجِبَاتُ؛ فَإِنَّ هَذَا كَيْدٌ لِلَّهِ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَكِيدُ الْكَائِدَ، وَمُحَالٌ أَنْ يَشْرَعَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُكَادَ دِينُهُ، وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا الْكَيْدَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِفِعْلٍ يُقْصَدُ بِهِ غَيْرَ مَقْصُودِهِ الشَّرْعِيِّ، وَمُحَالٌ أَنْ يَشْرَعَ اللَّهُ لِعَبْدِهِ أَنْ يَقْصِدَ بِفِعْلِهِ مَا لَمْ يَشْرَعْ اللَّهُ ذَلِكَ الْفِعْلَ لَهُ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١٧٢).

حل السحر عن المسحور نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: حَلُّ السَّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، نَوْعَانِ:

حَلُّ سِحْرِ بِسَحْرِ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ السَّحَرَ مِنْ عَمَلِهِ، فَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ.

وَالثَّانِي: النَّشْرُ بِالرُّقِيَّةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَاللَّدَعَوَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ، بَلْ

مُسْتَحَبٌّ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤ / ٣٠١).

السُّكْرُ نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالسُّكْرُ نوعان:

سُكْرُ طَرَبٍ، وَسُكْرُ غَضَبٍ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا أَشَدَّ، وَقَدْ يَكُونُ الْآخِرُ أَشَدَّ، فَإِذَا اشْتَدَّ بِهِ الْغَضَبُ حَتَّى صَارَ كَالسَّكَرَانِ، كَانَ أَوْلَى بِعَدَمِ وَقُوعِ الطَّلَاقِ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ يَعْذِرُ مَا لَا يَعْذِرُ السَّكَرَانَ، وَيَبْلُغُ بِهِ الْغَضَبُ أَشَدَّ مَا يَبْلُغُ بِهِ السَّكَرَانُ، كَمَا يَشَاهِدُ مِنْ حَالِ السَّكَرَانِ الْغَضِبَانَ. إغاثة اللفغان في حكم طلاق الغضبان (ص: ٤٦).

فائدة: قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «مَتَى رَأَيْتَ صَاحِبَكَ قَدْ غَضِبَ وَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَصْلَحُ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْقِدَ عَلَى مَا يَقُولُهُ خِنْصِرًا «أَيَّ لَا تَعْتَدَّ بِهِ وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ»، وَلَا أَنْ تَوَازِيَهُ بِهِ، فَإِنْ حَالَهُ حَالُ السَّكَرَانِ لَا يَدْرِي مَا يَجْرِي، بَلْ اصْبِرْ وَلَوْ فِتْرَةً، وَلَا تَعَوَّلْ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ غَلَبَهُ، وَالطَّبْعُ قَدْ هَاجَ، وَالْعَقْلُ قَدْ اسْتَتَرَ، وَمَتَى أَخَذْتَ فِي نَفْسِكَ عَلَيْهِ، أَوْ أَجَبْتَهُ بِمَقْتَضَى فَعْلِهِ، كُنْتَ كَعَاقِلٍ وَاجِهٍ مَجْنُونًا، أَوْ مَفِيقٍ عَاتَبَ مَغْمًى عَلَيْهِ، فَالذَّنْبُ لَكَ، بَلْ انْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ، وَتَلَمَّحْ تَصْرِيفَ الْقَدَرِ لَهُ، وَتَفَرَّجْ فِي لَعَبِ الطَّبْعِ

به. واعلم أنه إذا انتبه ندم على ما جرى، وعَرَفَ لك فضل الصَّبْرِ، وأقلُّ الأقسام أن تُسَلِّمه فيما يفعل في غضبه إلى ما يستريح به « [صيد الخاطر ٢٩٦].

مرض القلب نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: مرض القلب نوعان:

نوع لا يتألم به صاحبه في الحال، وهو النوع المتقدم، كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات. وهذا النوع هو أعظم النوعين ألماً، ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فالألم حاضر فيه حاصل له، وهو متوار عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما. وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم، فهم أطباء هذا المرض.

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال، كالهم والغم والحزن والغيط، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية، كإزالة أسبابه، أو بالمداواة بما يصاد تلك الأسباب، ويدفع موجبها مع قيامها، وهذا كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن ويشقى بما يشقى به البدن فكذلك البدن يتألم كثيراً بما يتألم به القلب، ويشقيه ما يشقيه. **إغائة اللفغان من مصائد الشيطان (١)**

(١٨).

محاسبة النفس نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: ومحاسبة النفس نوعان: **نوع قبل العمل، ونوع بعده.**

فأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

قال الحسن رحم الله: رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله مضي، وإن كان لغيره تأخر.

وشرح هذا بعضهم فقال: إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهم به العبد، وقف أولاً ونظر: هل ذلك العمل مقدور له أو غير مقدور ولا مستطاع؟ فإن لم يكن مقدوراً لم يقدم عليه، وإن كان مقدوراً وقف وقفة أخرى ونظر: هل فعله خير له من تركه، أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان الثاني تركه ولم يقدم عليه، وإن كان الأول وقف وقفة ثالثة ونظر: هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل وثوابه أو إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق؟ فإن كان الثاني لم يقدم، وإن أفضى به إلى مطلوبه، لثلاث اعتاد النفس الشرك. ويخف عليها العمل لغير الله، فبقدر ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالى، حتى يصير أثقل شيء عليها، وإن كان الأول وقف وقفة أخرى ونظر هل هو معان عليه، وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجاً إلى ذلك أم لا؟ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه، كما أمسك النبي ﷺ عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة وأنصار، وإن وجده معاناً عليه فليقدم عليه فإنه منصور، ولا يفوت النجاح إلا من فوت خصلة من هذه الخصال، وإلا فمع اجتماعها لا يفوته النجاح.

فهذه أربعة مقامات يحتاج إلى محاسبة نفسه عليها قبل الفعل، فما كل ما يريد العبد فعله يكون مقدوراً له، ولا كل ما يكون مقدوراً له يكون فعله خيراً له من تركه، ولا كل ما يكون فعله خيراً له من تركه يفعل الله، ولا كل ما يفعله الله يكون معاناً عليه، فإذا حاسب نفسه على ذلك تبين له ما يقدم عليه، وما يحجم عنه.

النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل، وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى، فلم توقعها على الوجه الذى ينبغي.

وحق الله تعالى فى الطاعة ستة أمور قد تقدمت، وهى: الإخلاص فى العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول فيه، وشهود مشهد الإحسان فيه، وشهود منة الله عليه فيه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.

فيحاسب نفسه: هل وفى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها فى هذه الطاعة؟.

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيرا له من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح، أو معتاد: لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحا، أو أراد به الدنيا وعاجلها، فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به. **إغاثة** اللهفان من مصايد الشيطان (١ / ٨١).

النعيم المسئول عنه نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: والنعيم المسئول عنه نوعان:

نوع: أخذ من حله وصرف فى حقه، فيسأل عن شكره.

ونوع: أخذ بغير حله وصرف فى غير حقه، فيسأل عن مستخرجه ومصرفه.

فإذا كان العبد مسئولا ومحاسبا على كل شىء، حتى على سمعه وبصره وقلبه، كما

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١ / ٨٤).**

الحيل نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: الحيل نوعان:

نوع: يتوصل به إلى فعل ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى عنه والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغي، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه.

ونوع: يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالماً، والظالم مظلوماً، والحق باطلاً والباطل حقاً، فهذا النوع الذي اتفق السلف على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض. إغائة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٣٣٩).

الفتنة نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: والفتنة نوعان:

فتنة الشبهات، وهى أعظم الفتنتين، **وفتنة الشهوات،** وقد يجتمعان للعبد. وقد ينفرد بإحدهما.

فتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت فى ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَبْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾

[النجم: ٢٣].

وقد أخبر الله سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله، فقال: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهى فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم. فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التى اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال.

ولا ينجى من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول، وتحكيمه فى دقّ الدين وجلّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام. وما يشبهه الله من الصفات والأفعال، والأسماء، وما ينفيه عنه، كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها، ومقادير نُصَبُ الزكاة ومستحقّيها، ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة، وصوم رمضان، فلا يجعله رسولا فى شيء دون شيء من أمور الدين، بل هو رسول فى كل شيء تحتاج إليه الأمة فى العلم والعمل، لا يتلقى إلا عنه، ولا يؤخذ إلا منه، فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال، فإذا عقد قلبه على ذلك وأعرض عما سواه، ووزنه بما جاء به الرسول ﷺ، فإن وافقه قبله، لا لكون ذلك القائل قاله، بل لموافقته للرسالة، وإن خالفه رده، ولو قاله من قاله، فهذا الذى ينجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه.

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفى على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى فى البصيرة، وفساد فى الإرادة.

وأما النوع الثانى من الفتنة. ففتنة الشهوات.

وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين فى قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٩]، أى تمتعوا بنصيبتهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدر، ثم قال وخضتم كالذى خاضوا فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات.

فأشار سبحانه فى هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان، من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل، لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح.

فالأول: هو المبدع وما والاها، والثانى: فسق الأعمال.

فالأول: فساد من جهة الشبهات، والثانى من جهة الشهوات.

ولهذا كان السلف يقولون: « احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه،

وصاحب دنيا أعمته دنياه ». إغائة اللفهان من مصايد الشيطان (٢ / ١٦٥).

أصل كل شر أمران

قال رحمه الله: أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ الْبِدْعُ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى:

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَمَعَ بَيْنَ الْإِسْتِمْتَاعِ بِالْخَلْقِ وَبَيْنَ الْخَوْضِ بِالْبَاطِلِ؛ لِأَنَّ فَسَادَ الدِّينِ إِمَّا أَنْ يَقَعَ بِالْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ وَالتَّكَلُّمِ بِهِ وَهُوَ الْخَوْضُ، أَوْ يَقَعَ فِي الْعَمَلِ بِخِلَافِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَهُوَ الْإِسْتِمْتَاعُ بِالْخَلْقِ.

فَالْأَوَّلُ الْبِدْعُ، وَالثَّانِي اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَهَذَانِ هُمَا أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ وَفِتْنَةٍ وَبَلَاءٍ، وَبِهِمَا كُذِّبَتْ الرُّسُلُ، وَعَصِيَ الرَّبُّ، وَدُخِلَتْ النَّارُ، وَحَلَّتِ الْعُقُوبَاتُ، فَالْأَوَّلُ مِنْ جِهَةِ الشُّبُهَاتِ، وَالثَّانِي مِنْ جِهَةِ الشَّهَوَاتِ، وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ يَقُولُونَ: احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ صِنْفَيْنِ: صَاحِبُ هَوَى فِتْنَتُهُ هَوَاهُ، وَصَاحِبُ دُنْيَا أَعْجَبَتْهُ دُنْيَاهُ.

وَكَانُوا يَقُولُونَ: احْذَرُوا فِتْنَةَ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ؛ فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ، فَهَذَا يُشْبِهُ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِخِلَافِهِ، وَهَذَا يُشْبِهُ الضَّالِّينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٠٦).

خلو الله لعبده وذنبه لمعنيين

قال رحمه الله: فَإِنْ أَعَزَّ وَجَلَ إِنْمَا خَلَى الْعَبْدَ وَالذَّنْبَ لِأَجْلِ مَعْنَيْنِ:

أحدهما: أَنْ يَعْرِفَ عِزَّتَهُ فِي قِضَائِهِ، وَبِرِهِ فِي سِتْرِهِ، وَحِلْمِهِ فِي إِمْهَالِ رَاكِبِهِ، وَكِرَمِهِ فِي قَبُولِ الْعِذْرِ مِنْهُ، وَفَضْلِهِ فِي مَغْفِرَتِهِ.

الثاني: أَنْ يُقِيمَ عَلَى عِبْدِهِ حُجَّةَ عَدْلِهِ، فَيَعَاقِبَهُ عَلَى ذَنْبِهِ بِحُجَّتِهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد

أصل الذنوب نوعان

قال رحمه الله: وَلَمَّا كَانَتِ الذُّنُوبُ مُتَّفَاوِتَةً فِي دَرَجَاتِهَا وَمَفَاسِدِهَا تَفَاوَتَتْ عُقُوبَاتُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِحَسَبِ تَفَاوُتِهَا.

وَنَحْنُ نَذْكُرُ فِيهَا بِعَوْنِ اللَّهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ فَضْلاً وَجِزاً جَامِعاً، فنقول:

أَصْلُهَا نَوْعَانِ: **تَرَكُّ مَأْمُورٍ، وَفِعْلُ مَحْظُورٍ**، وهما الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه بهما أبوي الجن والإنس.

وَكِلَاهُمَا يَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ مَحِلِّهِ إِلَى ظَاهِرٍ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَبَاطِنٍ فِي الْقُلُوبِ. وَبِاعْتِبَارِ مُتَعَلِّقِهِ إِلَى حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ خَلْقِهِ.

وَإِنْ كَانَ كُلُّ حَقٍّ لِيَخْلُقَهُ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِحَقِّهِ، لَكِنْ سُمِّيَ حَقًّا لِلْخَلْقِ لِأَنَّهُ يَجِبُ بِمُطَالَبَتِهِمْ وَيَسْقُطُ بِإِسْقَاطِهِمْ. **الداء والدواء (ص: ١٢٣).**

عقوبات الذنوب نوعان

قال رحمه الله: وَعُقُوبَاتُ الذُّنُوبِ نَوْعَانِ: **شَّرْعِيَّةٌ، وَقَدَرِيَّةٌ.**

فَإِذَا أُقِيمَتِ الشَّرْعِيَّةُ رُفِعَتِ الْعُقُوبَةُ الْقَدَرِيَّةُ وَخَفَّفَتْهَا، وَلَا يَكَادُ الرَّبُّ تَعَالَى يَجْمَعُ عَلَى الْعَبْدِ بَيْنَ الْعُقُوبَتَيْنِ إِلَّا إِذَا لَمْ يَفِ أَحَدُهُمَا بِرَفْعِ مُوجِبِ الذَّنْبِ، وَلَمْ يَكْفِ فِي زَوَالِ دَائِهِ.

وَإِذَا عُطِلَتِ الْعُقُوبَاتُ الشَّرْعِيَّةُ اسْتَحَالَتْ قَدَرِيَّةٌ، وَرُبَّمَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ الشَّرْعِيَّةِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ دُونَهَا، وَلَكِنَّهَا تَعْمُ، وَالشَّرْعِيَّةُ تَخْصُ، فَإِنَّ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُعَاقِبُ شَرْعاً إِلَّا مَنْ بَاشَرَ الْجِنَايَةَ أَوْ تَسَبَّبَ إِلَيْهَا.

وَأَمَّا الْعُقُوبَةُ الْقَدَرِيَّةُ فَإِنَّهَا تَقَعُ عَامَّةً وَخَاصَّةً، فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا خَفِيَتْ لَمْ تَضُرَّ إِلَّا صَاحِبَهَا، وَإِذَا أُعْلِنَتْ ضَرَّتِ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ، وَإِذَا رَأَى النَّاسُ الْمُنْكَرَ فَتَرَكُوا إِنْكَارَهُ أَوْ شَكَّ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ. الداء والدواء (ص: ١١١).

وقاية السيئات نوعان

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾

﴿[سورة غافر: ٩]. وَقَايَةُ السَّيِّئَاتِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: وَقَايَةُ فِعْلِهَا بِالتَّوْفِيقِ فَلَا تَصُدُّرُ مِنْهُ.

وَالثَّانِي: وَقَايَةُ جَزَائِهَا بِالْمَغْفِرَةِ، فَلَا يُعَاقَبُ عَلَيْهَا، فَتَضَمَّنَتْ الْآيَةُ سُؤَالَ الْأَمْرَيْنِ، وَالظَّرْفُ تَقْيِيدٌ لِلْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ لَا لِلْجُمْلَةِ الطَّلَبِيَّةِ. الداء والدواء (ص: ١١٥).

لِي النصوص نوعان

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: اللَّيُّ مِثَالُ الْفَتْلِ وَهُوَ التَّحْرِيفُ، وَهُوَ نَوْعَانِ: **لِيٌّ فِي اللَّفْظِ، وَلِيٌّ فِي الْمَعْنَى.**

فاللي في اللفظ: أَنْ يَلْفِظَ بِهَا عَلَى وَجْهِ لَا يَسْتَلْزِمُ الْحَقَّ، إِمَّا بِزِيَادَةِ لَفْظَةٍ أَوْ نَقْصَانِهَا أَوْ إِبْدَالِهَا بِغَيْرِهَا، وَلِيٌّ فِي كَيْفِيَّةِ أَدَائِهَا وَإِيْهَامِ السَّامِعِ لَفْظًا وَإِرَادَةِ غَيْرِهِ، كَمَا كَانَ الْيَهُودُ يَلُوبُونَ أَلَسْنَتَهُمْ بِالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِ فَهَذَا أَحَدُ نَوْعِي اللَّيِّ.

والنوع الثاني منه: لِيٌّ الْمَعْنَى وَهُوَ تَحْرِيفُهُ وَتَأْوِيلُ اللَّفْظِ عَلَى خِلَافِ مَرَادِ الْمُتَكَلِّمِ، وَبِجَهَالَةِ مَا لَمْ يَرِدْهُ، أَوْ يَسْقُطُ مِنْهُ لِبَعْضِ الْمَرَادِ بِهِ، وَنَحْوُ هَذَا مِنْ لِيِّ الْمَعَانِي، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِنْ تَلَوُّهُ أَوْ تَعْرِضُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]. الرسالة التبوكية (ص: ٣٥).

حبوط الأعمال نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: الحبوط نوعان: عام، وخاص.

فالعام: حبوط الحسنات كلها بالردة والسيئات كلها بالتوبة.

والخاص: حبوط السيئات والحسنات بضعها ببعض، وهذا حبوط مقيد جزئي. الصلاة

وأحكام تاركها (ص: ٦٦).

الإنسان في النظر والمناظرة على قسمين

قال رَحِمَهُ اللهُ: والإنسان له حالتان إما أن يكون ناظرا وإما أن يكون مناظرا، والناظر له

حالتان:

أحدهما: يحمد فيها، **والثانية:** يذم فيها، والمناظر له حالتان، أيضا، قال تعالى: ﴿

قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفٍ ثُمَّ تَذْكُرُونَ مَا بِيَدِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ

﴿سبأ: ٤٦﴾.

فأشار بقيامهم إثنين إثنين إلى المناظرة، وفردى إلى النظر والتفكير.

وكل منهما ينقسم إلى محمود ومذموم، فالنظر المحمود النظر في الطريق الصحيح

ليتوصل به إلى معرفة الحق، والنظر المذموم نوعان:

أحدهما: النظر في الطريق الباطل وإن قصد به التوصل إلى الحق فإن الطريق الباطل لا

يفضي إلى الحق.

والثاني: النظر والفكر الذي يقصد به رد قول خصمه مطلقا حقا كان أو باطلا، فهو ينظر

نظرا يرد به قول من يبغضه ويعاديه بأي وجه كان.

فأما المناظرة، فتقسم إلى محمودة ومذمومة، والمحمودة نوعان، والمذمومة نوعان، وبيان ذلك أن المناظر، إما أن يكون عالما بالحق، وإما أن يكون طالبا له، وإما أن لا يكون عالما به ولا طالبا له، وهذا الثالث هو المذموم، وأما الأولان فمن كان عالما بالحق؛ فمناظرته التي تحمد أن يبين لغيره الحجة التي تهديه إن كان مسترشدا طالبا للحق، أو تقطعه أو تكسره إن كان معاندا غير طالب للحق ولا متبع له، أو توقفه وتبعثه على النظر في أدلة الحق، إن كان يظن أنه على الحق وقصده الحق. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة (١٢٧٥ / ٤).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: فللمناظرة المبطل فائدتان:

أحدهما: أن يرد عن باطله ويرجع إلى الحق.

الثانية: أن ينكف شره وعداوته، ويتبين للناس أن الذي معه باطل.

وهذه الوجوه كلها لا يمكن أن تنال بأحسن من حجج القرآن ومناظرته للطوائف فإنه كفيل بذلك على أتم الوجوه لمن تأمله وتدبره ورزق فهما فيه وحججه مع أنها في أعلى مراتب الحجج وهي طريقة أخرى غير طريقة المتكلمين وأرباب الجدل والمعقولات فهي أقرب شيء تناولا وأوضح دلالة وأقوى برهانا وأبعد من كل شبهة وتشكيك. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة (١٢٧٦ / ٤).

السؤال نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: السؤال نوعان:

إما سؤال جاهل بالحكمة في طلب معرفتها.

وإما سؤال قاذح في الحكمة بما يطلها وينقضها. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة (١٥٥٩ / ٤).

طب الأبدان نوعان

قال رحمه الله: طِبُّ الْأَبْدَانِ نَوْعَانِ:

نَوْعٌ قَدْ فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحَيَوَانَ نَاطِقَهُ وَبَهِيمَهُ، فَهَذَا لَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى مُعَالَجَةٍ طَبِيبٍ، كَطَبِّ الْجُوعِ، وَالْعَطَشِ وَالْبَرْدِ، وَالتَّعَبِ بِأَضْدَادِهَا وَمَا يُزِيلُهَا.

وَالثَّانِي: مَا يَحْتَاجُ إِلَى فِكْرٍ وَتَأَمُّلٍ، كَدَفْعِ الْأَمْرَاضِ الْمُتَشَابِهَةِ الْحَادِثَةِ فِي الْمِزَاجِ، بِحَيْثُ يَخْرُجُ بِهَا عَنِ الْإِعْتِدَالِ، إِمَّا إِلَى حَرَارَةٍ، أَوْ بُرُودَةٍ، أَوْ يُبُوسَةٍ، أَوْ رُطُوبَةٍ، أَوْ مَا يَتَرَكَّبُ مِنْ اثْنَيْنِ مِنْهَا، وَهِيَ نَوْعَانِ: إِمَّا مَادِيَّةٌ، وَإِمَّا كَيْفِيَّةٌ، أَعْنِي إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِانْصِبَابِ مَادَّةٍ، أَوْ بِحُدُوثِ كَيْفِيَّةٍ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ أَمْرَاضَ الْكَيْفِيَّةِ تَكُونُ بَعْدَ زَوَالِ الْمَوَادِّ الَّتِي أَوْجَبَتْهَا، فَتَزُولُ مَوَادُّهَا، وَيَبْقَى أَثَرُهَا كَيْفِيَّةً فِي الْمِزَاجِ. **الطب النبوي (ص: ٨).**

الدواء كله في شيئين

قال رحمه الله: الدَّوَاءُ كُلُّهُ شَيْئَانِ: **حِمِيَّةٌ وَحِفْظٌ صِحَّةٌ.**

فَإِذَا وَقَعَ التَّخْلِيطُ، احْتِيجَ إِلَى الْإِسْتِفْرَافِ الْمُوَافِقِ، وَكَذَلِكَ مَدَارُ الطَّبِّ كُلُّهُ عَلَى هَذِهِ الْقَوَاعِدِ الثَّلَاثَةِ.

وَالْحِمِيَّةُ: حِمِيَّتَانِ: حِمِيَّةٌ عَمَّا يَجْلِبُ الْمَرَضُ، وَحِمِيَّةٌ عَمَّا يَزِيدُهُ، فَيَقِفُ عَلَى حَالِهِ، فَالْأَوَّلُ: حِمِيَّةُ الْأَصِحَّاءِ وَالثَّانِيَّةُ: حِمِيَّةُ الْمَرْضَى، فَإِنَّ الْمَرِيضَ إِذَا احْتَمَى، وَقَفَ مَرَضُهُ عَنِ التَّزَايُدِ، وَأَخَذَتِ الْقُوَى فِي دَفْعِهِ.

وَالْأَصْلُ فِي الْحِمِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ

الْفَاطِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦]، فَحَمَى

الْمَرِيضَ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ، لِأَنَّهُ يَضُرُّهُ. **الطب النبوي (ص: ٧٧).**

للنوم فائدتان

قال رَحِمَهُ اللهُ: لِلنَّوْمِ فَائِدَتَانِ جَلِيلَتَانِ.

إِحْدَاهُمَا: سُكُونُ الْجَوَارِحِ وَرَاحَتُهَا مِمَّا يَعْْرِضُ لَهَا مِنَ التَّعَبِ، فَيُرِيحُ الْحَوَاسَّ مِنْ نَصَبِ الْيَقَظَةِ، وَيُزِيلُ الْإِعْيَاءَ وَالْكَالَالَ.

وَالثَّانِيَةُ: هَضْمُ الْغِذَاءِ، وَنُضْجُ الْأَخْلَاطِ لِأَنَّ الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيَّةَ فِي وَقْتِ النَّوْمِ تَغُورُ إِلَى بَاطِنِ الْبَدَنِ، فَتُعِينُ عَلَى ذَلِكَ، وَلِهَذَا يَبْرُدُ ظَاهِرُهُ وَيَحْتَاجُ النَّائِمُ إِلَى فَضْلِ دِتَارٍ. **الطب النبوي** (ص: ١٧٩).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: فِي النَّوْمِ فَائِدَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: انْعِكَاسُ الْحَرَارَةِ إِلَى الْبَطْنِ فَيَنْهَضُمُ الطَّعَامُ.

الثَّانِيَةُ: اسْتِرَاحَةُ الْأَعْضَاءِ الَّتِي قَدْ كَلَّتْ بِالْأَعْمَالِ. **بدائع الفوائد (٤ / ٢٠٩).**

الجماع الضار نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: الْجِمَاعُ الضَّارُّ: نَوْعَانِ: ضَارٌّ شَرْعًا، وَضَارٌّ طَبْعًا.

فَالضَّارُّ شَرْعًا: الْمُحَرَّمُ، وَهُوَ مَرَاتِبُ بَعْضِهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ. وَالتَّحْرِيمُ الْعَارِضُ مِنْهُ أَخَفُّ مِنَ اللَّازِمِ، كَتَحْرِيمِ الْإِحْرَامِ، وَالصِّيَامِ، وَالِإِعْتِكَافِ، وَتَحْرِيمِ الْمُظَاهَرِ مِنْهَا قَبْلَ التَّكْفِيرِ، وَتَحْرِيمِ وَطْءِ الْحَائِضِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلِهَذَا لَا حَدٌّ فِي هَذَا الْجِمَاعِ.

وَأَمَّا اللَّازِمُ: فَتَوَعَّانِ. نَوْعٌ لَا سَبِيلَ إِلَى حِلِّهِ الْبَتَّةَ، كَذَوَاتِ الْمَحَارِمِ، فَهَذَا مِنْ أَضَرِّ الْجِمَاعِ، وَهُوَ يُوجِبُ الْقَتْلَ حَدًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ وَغَيْرِهِ، وَفِيهِ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ ثَابِتٌ.

وَالثَّانِي: مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ حَلَالًا، كَالْأَجْنَبِيَّةِ، فَإِنْ كَانَتْ ذَاتَ زَوْجٍ، فَفِي وَطْئِهَا حَقَّانٍ. حَقٌّ لِلَّهِ، وَحَقٌّ لِلزَّوْجِ. فَإِنْ كَانَتْ مُكْرَهَةً، فَفِيهِ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ، وَإِنْ كَانَ لَهَا أَهْلٌ وَأَقَارِبُ يَلْحَقُهُمُ الْعَارُ بِذَلِكَ صَارَ فِيهِ أَرْبَعَةُ حُقُوقٍ، فَإِنْ كَانَتْ ذَاتَ مَحْرَمٍ مِنْهُ، صَارَ فِيهِ خَمْسَةُ حُقُوقٍ. فَمَضْرُوءَةٌ هَذَا النَّوعِ بِحَسَبِ دَرَجَاتِهِ فِي التَّحْرِيمِ.

وَأَمَّا الضَّارُّ طَبْعًا، فَنَوْعَانِ أَيْضًا: نَوْعٌ ضَارٌّ بِكَيْفِيَّتِهِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَنَوْعٌ ضَارٌّ بِكَمِّيَّتِهِ كَالْإِكْثَارِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُسْقِطُ الْقُوَّةَ، وَيَضُرُّ بِالْعَصَبِ، وَيُحْدِثُ الرَّعْشَةَ، وَالْفَالَجَ، وَالتَّشْنُجَ، وَيُضْعِفُ الْبَصَرَ وَسَائِرَ الْقَوَى، وَيُطْفِئُ الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيَّةَ، وَيُوسِّعُ الْمَجَارِيَ، وَيَجْعَلُهَا مُسْتَعِدَّةً لِلْفَضَالَاتِ الْمُؤْذِيَةِ. (الطب النبوي (ص: ١٩٨).

الطلاق على ضربين

قال رَحِمَهُ اللهُ: قال ابن مغيث: الطلاق ينقسم على ضربين:

طلاق السنة، وطلاق البدعة.

فطلاق السنة: هو الواقع على الوجه الذي ندب الشرع إليه.

وطلاق البدعة: نقيضه، وهو أن يطلقها في حيض أو نفاس، أو ثلاثاً في كلمة واحدة،

فإن فعل لزمه الطلاق. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (١ / ٣٢٨).

المطلقة نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: الْمُطَلَّقةُ نَوْعَانِ:

مَدْخُولٌ بِهَا، وَغَيْرُ مَدْخُولٍ بِهَا، وَكِلَاهُمَا لَا يَجُوزُ تَطْلِيقُهَا ثَلَاثًا مَجْمُوعَةً، وَيَجُوزُ

تَطْلِيقُ غَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا طَاهِرًا وَحَائِضًا.

وَأَمَّا الْمَدْخُولُ بِهَا، فَإِنْ كَانَتْ حَائِضًا أَوْ نَفْسَاءَ، حُرِّمَ طَلَاقُهَا، وَإِنْ كَانَتْ طَاهِرًا، فَإِنْ كَانَتْ مُسْتَبَيِّنَةً الْحَمْلِ، جَازَ طَلَاقُهَا بَعْدَ الْوُطْءِ وَقَبْلَهُ، وَإِنْ كَانَتْ حَامِلًا لَمْ يَجْزُ طَلَاقُهَا بَعْدَ الْوُطْءِ فِي طَهْرِ الْإِصَابَةِ، وَيَجُوزُ قَبْلَهُ.

هَذَا الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الطَّلَاقِ، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى وَقُوعِ الطَّلَاقِ الَّذِي أَدْنَى اللَّهُ فِيهِ، وَأَبَاحَهُ إِذَا كَانَ مِنْ مُكَلَّفٍ مُخْتَارٍ، عَالِمٍ بِمَذْلُولِ اللَّفْظِ، قَاصِدٍ لَهُ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٥ / ٢٠١).

الولاية على الطفل نوعان

قال رحمه الله: الْوِلَايَةُ عَلَى الطِّفْلِ نَوْعَانِ:

نَوْعٌ يُقَدَّمُ فِيهِ الْأَبُ عَلَى الْأُمِّ وَمَنْ فِي جِهَتِهَا، وَهِيَ وَلَايَةُ الْمَالِ وَالنِّكَاحِ.
وَنَوْعٌ يُقَدَّمُ فِيهِ الْأُمُّ عَلَى الْأَبِ، وَهِيَ وَلَايَةُ الْحَضَانَةِ وَالرِّضَاعِ، وَقُدِّمَ كُلٌّ مِنَ الْأَبَوَيْنِ
 فِيمَا جُعِلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ لِتِمَامِ مَصْلَحَةِ الْوَلَدِ، وَتَوَقَّفَ مَصْلَحَتُهُ عَلَى مَنْ يَلِي ذَلِكَ مِنْ أَبَوَيْهِ، وَتَحَصَّلَ بِهِ كِفَايَتُهُ.

وَلَمَّا كَانَ النِّسَاءُ أَعْرَفَ بِالتَّرْبِيَةِ، وَأَقْدَرَ عَلَيْهَا، وَأَصْبَرَ وَأَزَافَ وَأَفْرَغَ لَهَا؛ لِذَلِكَ قُدِّمَتِ الْأُمُّ فِيهَا عَلَى الْأَبِ.

وَلَمَّا كَانَ الرَّجَالُ أَقْوَمَ بِتَحْصِيلِ مَصْلَحَةِ الْوَلَدِ وَالِاخْتِيَاطِ لَهُ فِي الْبُضْعِ، قُدِّمَ الْأَبُ فِيهَا عَلَى الْأُمِّ، فَتَقْدِيمُ الْأُمِّ فِي الْحَضَانَةِ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ وَالِاخْتِيَاطِ لِلْأَطْفَالِ، وَالنَّظَرِ لَهُمْ، وَتَقْدِيمُ الْأَبِ فِي وَلَايَةِ الْمَالِ وَالتَّزْوِيجِ كَذَلِكَ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٥ / ٣٩٢).

السياسة نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: السِّيَاسَةُ نَوْعَانِ:

سِيَاسَةٌ ظَالِمَةٌ، فَالشَّرِيعَةُ تُحَرِّمُهَا.

وَسِيَاسَةٌ عَادِلَةٌ، تُخْرِجُ الْحَقَّ مِنَ الظَّالِمِ الْفَاجِرِ، فَهِيَ مِنَ الشَّرِيعَةِ، عَلِمَهَا مَنْ عَلِمَهَا، وَجَهِلَهَا مَنْ جَهِلَهَا. الطرق الحكمية (ص: ٤).

نوعان من الفقه لا بد للحاكم معرفتهما

قال رَحِمَهُ اللهُ: فَهَاهُنَا نَوْعَانِ مِنَ الْفِقْهِ، لَا بُدَّ لِلْحَاكِمِ مِنْهُمَا:

فِقْهٌ فِي أَحْكَامِ الْحَوَادِثِ الْكُلِّيَّةِ.

وَفِقْهٌ فِي نَفْسِ الْوَاقِعِ وَأَحْوَالِ النَّاسِ، يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ، وَالْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ.

ثُمَّ يُطَابِقُ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا فَيُعْطِي الْوَاقِعَ حُكْمَهُ مِنَ الْوَاجِبِ، وَلَا يَجْعَلُ الْوَاجِبَ مُخَالَفًا لِلْوَاقِعِ. الطرق الحكمية (ص: ٤).

التوكل على الله نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: التَّوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: تَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِي جَلْبِ حَوَائِجِ الْعَبْدِ وَحِظْوَةِ الدُّنْيَا أَوْ دَفْعِ مَكْرُوهَاةِ وَمَصَائِبِ الدُّنْيَا.

وَالثَّانِي: التَّوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي حُصُولِ مَا يُحِبُّهُ هُوَ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالْجِهَادِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَبَيْنَ النَّوْعَيْنِ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ.

فَمَتَى تَوَكَّلَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ فِي النَّوعِ الثَّانِي حَقَّ تَوَكُّلِهِ كَفَاهُ النَّوعُ الْأَوَّلُ تَمَامَ الْكِفَايَةِ، وَمَتَى تَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِي النَّوعِ الْأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي كَفَاهُ أَيْضًا لَكِنْ لَا يَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ فِيمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

فَأَعْظَمُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ التَّوَكُّلُ فِي الْهَدَايَةِ وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ وَمَتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَجِهَادِ أَهْلِ الْبَاطِلِ فَهَذَا تَوَكُّلُ الرَّسُلِ وَخَاصَّةُ أَتْبَاعِهِمْ. (الفوائد (ص: ٨٦).

معرفة الله سبحانه وتعالى نوعان

قال رحمه الله: معرفة الله سبحانه نوعان:

معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس البر والفاجر والمطيع والعاصي.

والثاني معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه، وهذه هي المعرفة الخالصة الجارية على لسان القوم وتفاوتهم فيها لا يحصى إلا الذي عرفهم بنفسه وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم، وكل أشار إلى هذه المعرفة بحسب مقامه وما كشف له منها، وقد قال أعرف الخلق به: « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »^(١) وأخبر أنه سبحانه يفتح عليه يوم القيامة من محامده بما لا يحسنه الآن.

ولهذه المعرفة بابان واسعان:

باب التفكير والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورَسُولِهِ.

« ١ » قطعة من حديث أخرجه مسلم برقم (٤٨٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

وَالْبَابُ الثَّانِي: التَّفَكُّرُ فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُودَةِ وَتَأَمُّلُ حِكْمَتِهِ فِيهَا وَقُدْرَتِهِ وَلَطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ وَقِيَامِهِ بِالْقِسْطِ عَلَى خَلْقِهِ.

وَجَمَاعَ ذَلِكَ الْفِقْهُ فِي مَعَانِي أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَجَلَالِهَا وَكَمَالِهَا وَتَفَرُّدِهِ بِذَلِكَ وَتَعَلُّقِهَا بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرَ فَيَكُونُ فِقْهًا فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ فِقْهًا فِي قَضَائِهِ وَقُدْرَهُ فِقْهًا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فِقْهًا فِي الْحَكْمِ الدِّينِيِّ الشَّرْعِيِّ وَالْحَكْمِ الْكُونِيِّ الْقَدْرِيِّ، وَ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ

يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]. [الفوائد (ص: ١٧٠)].

السَّخَاءُ نَوْعَانِ

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: السَّخَاءُ نَوْعَانِ:

فَأَشْرَفُهُمَا سَخَاؤُكَ عَمَّا بِيَدِ غَيْرِكَ، وَالثَّانِي: سَخَاؤُكَ بِبَذْلِ مَا فِي يَدِكَ.

فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْ أَسْخَى النَّاسِ وَهُوَ لَا يُعْطِيهِمْ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ سَخَا عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِهِمْ: السَّخَاءُ أَنْ تَكُونَ بِمَالِكَ مُتَبَرِّعًا، وَعَنْ مَالِ غَيْرِكَ مُتَوَرِّعًا.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ يَقُولُ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَتَدْرِي لِمَ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا؟ قَالَ: لَا. قَالَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الْعَطَاءَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْإِخْذِ.

وَهَذِهِ صِفَةُ مَنْ صَفَاتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، فَإِنَّهُ يُعْطِي وَلَا يَأْخُذُ وَيُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، وَهُوَ

أَجُودُ الْأَجُودِينَ وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ مَنْ اتَّصَفَ بِمُقْتَضِيَّاتِ صِفَاتِهِ، فَإِنَّهُ

كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرِيمَ مِنْ عِبَادِهِ، وَعَالِمٌ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ، وَقَادِرٌ يُحِبُّ الشُّجْعَانَ، وَجَمِيلٌ يُحِبُّ

الْجَمَالَ. الْوَابِلُ الصَّبِيبُ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ (ص: ٣٤).

اللغو نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَاللَّغْوُ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَحْلِفَ عَلَى الشَّيْءِ يَظُنُّهُ كَمَا حَلَفَ عَلَيْهِ، فَيَتَّبِعُ بِخِلَافِهِ.

وَالثَّانِي: أَنْ تَجْرِيَ الْيَمِينُ عَلَى لِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِلْحَلْفِ كَلَّا وَاللَّهُ، وَبَلَى وَاللَّهُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ، وَكِلَاهُمَا رَفَعَ اللَّهُ الْمُؤَاخَذَةَ بِهِ؛ لِعَدَمِ قَصْدِ الْحَالِفِ إِلَى عَقْدِ الْيَمِينِ وَحَقِيقَتِهَا، وَهَذَا تَشْرِيعٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ، أَلَّا يُرْتَبُوا الْأَحْكَامَ عَلَى الْأَلْفَاظِ الَّتِي لَمْ يَقْصِدِ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا حَقَائِقَهَا وَمَعَانِيَهَا، وَهَذَا غَيْرُ الْهَازِلِ حَقِيقَةً وَحُكْمًا. زاد المعاد في هدي خير العباد (٥ / ١٨٨).

ظلم النفس نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: ظَلَمَ النَّفْسَ نَوْعَانِ:

نوع لا يبقى معه شيء من الإيمان، والولاية، والصدقية، والاصطفاء، وهو ظلمها بالشرك والكفر.

ونوع يبقى معه حظه من الإيمان، والاصطفاء، والولاية، وهو ظلمها بالمعاصي، وهو درجات متفاوتة في القدر والوصف.

فهذا التفصيل يكشف قناع المسألة ويزيل أشكالها بحمد الله. طريق الهجرتين وباب السعادتین (ص):

(٢٠٠).

الشكوى نوعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: الشَّكْوَى نَوْعَانِ:

شكوى بلسان القال.

وشكوى بلسان الحال، ولعلها أعظمها ولهذا أمر النبي ﷺ من أنعم عليه أن يظهر نعمة الله عليه.

واعظم من ذلك، من يشتكي ربه وهو بخير، فهذا أمقت الخلق عند ربه. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٧٢).

وقال رحمه الله: مراتب - الشكوى - ثلاثة: أحسها أن تشكو الله إلى خلقه، وأعلاها: أن تشكو نفسك إليه، وأوسطها: أن تشكو خلقه إليه. الفوائد (ص: ٨٧). انظر رسالة الثلاثيات باب: الشكوى على ثلاث مراتب.

الأنين على قسمين

قال رحمه الله: الأنين على قسمين:

أنين شكوى، فيكره.

وأنين استراحة وتفريح، فلا يكره. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٧٢).

المحسوب قسمان

قال رحمه الله: المحسوب قسمان:

محسوب لنفسه، و**محسوب لغيره**، والمحسوب لغيره، لا بد أن ينتهي إلى المحسوب لنفسه، دفعا للتسلسل المحال، وكل ما سوى المحسوب الحق فهو محسوب لغيره. وليس شيء يحب لذاته إلا الله وحده، وكل ما سواه مما يحب فإنما محبته تبع لمحبة الرب تبارك وتعالى، كمحبة ملائكته وأنبيائه وأوليائه، فإنها تبع لمحبة سبحانه، وهي من لوازم محبته، فإن محبة المحبوب توجب محبة ما يحبه، وهذا موضع يجب الاعتناء به، فإنه محل فرقان بين المحبة النافعة لغيره، والتي لا تنفع بل قد تضر. الداء والدواء (ص: ١٩٣).

الجهل قسمان

قال رحمه الله: الجهل قسمان:

بسيط: وهو عبارة عن عدم المعرفة مع عدم تلبس بضد.

ومركب: وهو جهل أرباب الاعتقادات الباطلة.

والقسم الأول هو الذي يطلب صاحبه العلم، أما صاحب الجهل المركب فلا يطلبه.

بدائع الفوائد (٤ / ٢٠٩).

علماء الأمة على ضربين

قال رحمه الله: فَضَّلْ عُلَمَاءَ الْأُمَّةِ عَلَى ضَرْبَيْنِ:

وَلَمَّا كَانَتْ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَالتَّبْلِيغُ عَنْ رَسُولِهِ شِعَارُ حِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ، وَاتِّبَاعِهِ مِنْ الْعَالَمِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

وَمَا جَاءَ بِهِ وَتَبْلِيغُ مَعَانِيهِ كَانَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أُمَّتِهِ مُنْخَصِرِينَ فِي قِسْمَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: حُفَاطُ الْحَدِيثِ، وَجَهَابِدَتُهُ، وَالْقَادَةُ الَّذِينَ هُمْ أئِمَّةُ الْأَنَامِ وَزَوَامِلُ الْإِسْلَامِ، الَّذِينَ حَفِظُوا عَلَى الْأُئِمَّةِ مَعَاقِدَ الدِّينِ وَمَعَاقِلَهُ، وَحَمَوْا مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّكْدِيرِ مَوَارِدَهُ وَمَنَاهِلَهُ، حَتَّى وَرَدَ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى تِلْكَ الْمَنَاهِلُ صَافِيَةً مِنَ الْأَدْنَسِ لَمْ

تُسَبِّهَا الْأَرَاءُ تَغْيِيرًا، وَوَرَدُوا فِيهَا ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]

وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي خُطْبَتِهِ الْمَشْهُورَةِ فِي كِتَابِهِ فِي الرَّدِّ

عَلَى الزَّانِدَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ فِتْرَةً مِنَ الرُّسُلِ بَقَايَا مِنْ

أَهْلِ الْعِلْمِ يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَضْرِبُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى، وَيُخَيِّونَ بِكِتَابِ اللَّهِ

تَعَالَى الْمَوْتَى، وَيُبْصِرُونَ بُنُورَ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ وَمَا أَقْبَحَ أَثَرِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ، الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَّةَ الْبِدْعَةِ، وَأَطْلَقُوا عَنَانَ الْفِتْنَةِ، فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، مُخَالَفُونَ لِلْكِتَابِ، مُجْمِعُونَ عَلَى مُفَارَقَةِ الْكِتَابِ، يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ وَفِي اللَّهِ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيَخْدَعُونَ جُهَالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ؛ فَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمُضِلِّينَ».

القِسْمُ الثَّانِي: فَقَهَاءُ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ دَارَتْ الْفُتْيَا عَلَى أَقْوَالِهِمْ بَيْنَ الْأَنَامِ، الَّذِينَ خُصُّوا بِاسْتِنبَاطِ الْأَحْكَامِ، وَعَنَوْا بِضَبْطِ قَوَاعِدِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؛ فَهُمْ فِي الْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، بِهِمْ يَهْتَدِي الْحَيْرَانُ فِي الظُّلُمَاءِ، وَحَاجَةُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَطَاعَتُهُمْ أَفْرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ الْأُمَمَاتِ وَالْأَبَاءِ بِنَصِّ الْكِتَابِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

وَالْتَحَقِيقُ أَنَّ الْأَمْرَاءَ إِنَّمَا يُطَاعُونَ إِذَا أَمَرُوا بِمُقْتَضَى الْعِلْمِ؛ فَطَاعَتُهُمْ تَبِعَ لِبَطَاعَةِ الْعُلَمَاءِ؛ فَإِنَّ الطَّاعَةَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْمَعْرُوفِ وَمَا أَوْجَبَهُ الْعِلْمُ، فَكَمَا أَنَّ طَاعَةَ الْعُلَمَاءِ تَبِعَ لِبَطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَطَاعَةُ الْأَمْرَاءِ تَبِعَ لِبَطَاعَةِ الْعُلَمَاءِ، وَلَمَّا كَانَ قِيَامُ الْإِسْلَامِ بِطَائِفَتِي الْعُلَمَاءِ وَالْأَمْرَاءِ، وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لَهُمْ تَبَعًا، كَانَ صَلَاحُ الْعَالَمِ بِصَلَاحِ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ، وَفَسَادُهُ بِفَسَادِهِمَا، كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ: صِنْفَانِ مِنْ

النَّاسِ إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْمُلُوكُ، وَالْعُلَمَاءُ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٧).

تشبيه العالم بالقمر دون الشمس لفائدتين

قال رحمه الله: فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ وَقَعَ تَشْبِيهُ الْعَالَمِ بِالْقَمَرِ دُونَ الشَّمْسِ وَهِيَ أَعْظَمُ نُورًا قِيلَ فِيهِ فَائِدَتَانِ:

أحدهما: أَنْ نُورَ الْقَمَرِ لَمَّا كَانَ مُسْتَفَادًا مِنْ غَيْرِهِ كَانَ تَشْبِيهُ الْعَالَمِ الَّذِي نُورُهُ مُسْتَفَادٌ مِنْ شَمْسِ الرِّسَالَةِ بِالْقَمَرِ أَوْلَى مِنْ تَشْبِيهِهِ بِالشَّمْسِ.

الثانية: أَنَّ الشَّمْسَ لَا يَخْتَلِفُ حَالُهَا فِي نُورِهَا وَلَا يُلْحَقُهَا مُحَاقٌ وَلَا تَفَاوُتٌ فِي الْإِضَاءَةِ، وَأَمَّا الْقَمَرُ فَإِنَّهُ يَقِلُّ نُورُهُ وَيَكْثُرُ وَيَمْتَلِيءُ وَيَنْقُصُ، كَمَا أَنَّ الْعُلَمَاءَ فِي الْعِلْمِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِنْ كَثْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ، فَيُفْضَلُ كُلُّ مَنْهُمْ فِي عِلْمِهِ بِحَسَبِ كَثْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ وَظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ، كَمَا يَكُونُ الْقَمَرُ كَذَلِكَ، فَعَالَمٌ كَالْبَدْرِ لَيْلَةً تَمُهُ، وَآخَرُ دُونَهُ ثَلَاثَةٌ وَثَانِيَةٌ وَثَالِثَةٌ وَمَا بَعْدَهَا إِلَى آخِرِ مَرَاتِبِهِ، وَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٦٥).

السعادة والشقاوة ترجع إلى أمرين

قال رحمه الله: قَسَمَ الشُّعَدَاءُ قَسَمَيْنِ، وَجَعَلَ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ بِمُوجِبِهِ سَبَبَ سَعَادَتِهِمَا.

وَقَسَمَ الْأَشْقِيَاءُ قَسَمَيْنِ، وَجَعَلَ الْجَهْلُ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ سَبَبَ شَقَاوَتِهِمَا، فَعَادَتِ السَّعَادَةُ بِجَمَلَتِهَا إِلَى الْعِلْمِ وَمُوجِبِهِ وَالشَّقَاوَةُ بِجَمَلَتِهَا إِلَى الْجَهْلِ وَثَمَرَتِهِ. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٨٠).

كمال الإنسان بأمرين

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ إِخْرَاجَ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَعْضَاهُمْ أَفْضَلَ مِنْهَا وَهُوَ مَا أَعْطَاهُمْ مِنْ عَهْدِهِ الَّذِي جَعَلَهُ سَبَبًا مَوْصِلًا لَهُمْ إِلَيْهِ وَطَرِيقًا وَاضِحًا بَيْنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ مِنْ تَمَسُّكِ بِهِ فَازَ وَاهْتَدَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ شَقِيَ وَغَوِيَ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْعَهْدُ الْكَرِيمَ وَالصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ وَالنَّبَأُ الْعَظِيمَ لَا يُوصِلُ إِلَيْهِ أَبَدًا إِلَّا مِنْ بَابِ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ.

فَالْإِرَادَةُ بَابُ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَالْعِلْمُ مِفْتَاحُ ذَلِكَ الْبَابِ الْمَتَوَقَّفِ فَتَحَهُ عَلَيْهِ، وَكَمَالَ كُلِّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا يَتِمُّ بِهَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ هِمَّةُ تَرْقِيهِ وَعِلْمُ يَبْصُرِهِ وَيَهْدِيهِ.

فَإِنْ مَرَّاتِبُ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ إِنَّمَا تَفُوتُ الْعَبْدَ مِنْ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ أَوْ مِنْ أَحَدَاهُمَا إِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ بِهَا فَلَا يَتَحَرَّكُ فِي طَلِبِهَا أَوْ يَكُونُ عَالِمًا بِهَا وَلَا تَنْهَضُ هِمَّتُهُ إِلَيْهَا فَلَا يَزَالُ فِي حُضِيضِ طَبْعِهِ مَحْبُوسًا وَقَلْبُهُ عَنْ كَمَالِهِ الَّذِي خَلَقَ لَهُ مَصْدُودًا مِنْكُوسًا قَدْ أَصَابَ نَفْسَهُ مَعَ الْأَنْعَامِ رَاعِيًا مَعَ الْهَمَلِ وَاسْتَطَابَ لِقِيَعَاتِ الرَّاحَةِ وَالْبَطَالَةِ وَاسْتَلَانَ فَرَّاشَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، لَا كَمَنْ رَفَعَ لَهُ عِلْمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٤٦).**

النفس يراد منها شيئان

قال رَحِمَهُ اللهُ: عِنْدَ حَدِيثٍ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَ: الصَّبْرُ، وَالسَّمَاخَةُ

«١».

وَهَذَا مِنْ أَجْمَعَ الْكَلَامِ وَأَعْظَمِهِ بُرْهَانًا، وَأَوْعَبِهِ لِمَقَامَاتِ الْإِيمَانِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

النَّفْس يُرَادُ مِنْهَا شَيْئَانِ:

بَذْلُ مَا أُمِرْتُ بِهِ، وَإِعْطَاؤُهُ. فَالْحَامِلُ عَلَيْهِ: السَّمَاحَةُ.

وَتَرْكُ مَا نُهِيتَ عَنْهُ، وَالْبُعْدُ مِنْهُ. فَالْحَامِلُ عَلَيْهِ: الصَّبْرُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين

(٢/ ١٥٩).

طريقان يوصلان إلى الإستقامة

قال رحمه الله: قاعدة في ذكر طريق يوصل إلى الإستقامة في الأحوال والأقوال والأعمال

وهي شيئان:

أحدهما: حراسة الخواطر وحفظها والحذر من إهمالها والاسترسال معها، فإن أصل الفساد كله من قبلها يجيء؛ لأنها هي بذر الشيطان والنفس في أرض القلب، فإذا تمكن بذرها تعاهدا الشيطان بسقيه مرة بعد أخرى، حتى تصير إرادات ثم يسقيها بسقيه حتى تكون عزائم، ثم لا يزال بها حتى تثمر الأعمال، ولا ريب أن دفع الخواطر أيسر من دفع الإرادات والعزائم، فيجد العبد نفسه عاجزاً أو كالعاجز عن دفعها بعد أن صارت إرادة جازمة، وهو المفرط إذا لم يدفعها وهي خاطر ضعيف، كمن تهاون بشرارة من نار وقعت في حطب يابس، فلما تمكنت منه عجز عن إطفائها.

الفصل الثاني: صدق التأهب للقاء الله من أنفع ما للعبد وأبلغه في حصول استقامته،

فإن من استعد للقاء الله انقطع قلبه عن الدنيا وما فيها ومطالبها، وخدمت من نفسه نيران الشهوات وأخبت قلبه إلى ربه تعالى وعكفت همته على الله وعلى محبته وإيثار مرضاته، واستحدثت همة أخرى وعلومًا آخر وولد ولادة أخرى تكون نسبة قلبه فيها إلى الدار الآخرة كنسبة جسمه إلى هذه الدار بعد أن كان في بطن أمه فيولد قلبه ولادة حقيقية كما

ولد جسمه حقيقة، وكما كان بطن أمه حجاباً لجسمه عن هذه الدار فهكذا نفسه وهواه حجاب لقلبه عن الدار الآخرة، فخروج قلبه عن نفسه بارزاً إلى الدار الآخرة كخروج جسمه عن بطن أمه بارزاً إلى هذه الدار.

والمقصود أن صدق التأهب للقاء الله هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة والأحوال الإيمانية ومقامات السالكين إلى الله ومنازل السائرين إليه، من اليقظة والتوبة والإنابة والمحبة والرجاء والخشية والتفويض والتسليم وسائر أعمال القلوب والجوارح، فمفتاح ذلك كله صدق التأهب والاستعداد للقاء الله، والمفتاح بيد الفتح العليم لا إله غيره ولا رب سواه. طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٧٤).

للإيثار علامتان

قال رحمه الله: فصل والإيثار المتعلق بالخالق أجل من هذا وأفضل وهو إيثار رضاه على رضى غيره وإيثار حبه على حب غيره وإيثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه وإيثار الذل له والخضوع والاستكانة والضراعة والتملق على بذل ذلك لغيره وكذلك إيثار الطلب من هو السؤال وإنزال الفاقات به على تعلق ذلك بغيره فالأول أثر بعض العبيد على نفسه فيما هو محبوب له وهذا أثر الله على غيره ونفسه من أعظم الأغيار فأثر الله عليها فترك محبوبها لمحبوب الله وعلامة هذا الإيثار شيئان:

أحدهما: فعل ما يحب الله إذا كانت النفس تكرهه وتهرب منه.

الثاني: ترك ما يكرهه إذا كانت النفس تحبه وتهواه، فبهذين الأمرين يصح مقام الإيثار، ومؤنة هذا الإيثار شديدة؛ لغلبة الأغيار وقوة داعي العادة والطبع، فالمحنة فيه عظيمة

والمؤنة فيه شديدة، والنفس عنه ضعيفة، ولا يتم فلاح العبد وسعادته إلا به. طريق الهجرتين
وباب السعادتين (ص: ٤٤٨).

الناس قسمان

قال رَحِمَهُ اللهُ: الناس قسمان: عليّة، وسفلة.

فالعليّة: من عرف الطريق إلى ربه وسلكها قاصداً الوصول إليه، وهذا هو الكريم على ربه.

والسفلة: من لم يعرف الطريق إلى ربه ولم يتعرفها، فهذا هو اللئيم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]. طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٧٧).

جماع أهل الزكاة صنفان

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ تَوَلَّى قَسَمَ الصَّدَقَةِ بِنَفْسِهِ وَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ، يَجْمَعُهَا صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ.

أَحَدُهُمَا: مَنْ يَأْخُذُ لِحَاجَةٍ فَيَأْخُذُ بِحَسَبِ شِدَّةِ الْحَاجَةِ وَضَعْفِهَا وَكَثْرَتِهَا وَقِلَّتِهَا، وَهُمْ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، وَفِي الرَّقَابِ، وَابْنِ السَّبِيلِ.

وَالثَّانِي: مَنْ يَأْخُذُ لِمَنْفَعَتِهِ وَهُمْ الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا، وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ، وَالْغَارِمُونَ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَالْعَزَاةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْآخِذُ مُحْتَاجًا، وَلَا فِيهِ مَنْفَعَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَا سَهْمَ لَهُ فِي الزَّكَاةِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٢ / ٨).

الرشوة ضربان

قال رَحِمَهُ اللهُ: الرشوة حرام وهي ضربان:

رشوة ليميل إلى أحدهما بغير حق، فهذه حرام عن فعل حرام على الآخذ والمعطي وهما آثمان.

ورشوة يعطاها ليحكم بالحق واستيفاء حق المعطي من دين ونحوه، فهي حرام على الحاكم دون المعطي؛ لأنها للاستنقاذ فهي كجعل الآبق وأجرة الوكلاء في الخصومة. وأما الهدية فضربان: هدية كانت قبل الولاية فلا تحرم استدامتها، وهدية لم تكن إلا بعد الولاية وهي ضربان: مكروهة وهي الهدية إليه ممن لا حكومة له، وهدية ممن قد اتجهت له حكومة، فهي حرام على الحاكم والمهدي. بدائع الفوائد (٣/ ١٤٦).

الإلتفات إلى الأسباب ضربان

قال رَحِمَهُ اللهُ: الإلتفات إلى الأسباب ضربان.

أحدهما: شرك، **والآخر:** عبودية وتوحيد، فالشرك: أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَيْهَا وَيَطْمَنَّ إِلَيْهَا، وَيَعْتَقِدَ أَنَّهَا بِذَاتِهَا مُحْصَلَةٌ لِلْمَقْصُودِ، فَهُوَ مُعْرِضٌ عَنِ السَّبَبِ لَهَا، وَيَجْعَلُ نَظْرَهُ وَالتَّفَاتُ مَقْصُورًا عَلَيْهَا.

وَأَمَّا إِنْ التَّفَتَ إِلَيْهَا التَّفَاتَ امْتِثَالٍ وَقِيَامٍ بِهَا وَأَدَاءٍ لِحَقِّ الْعُبُودِيَّةِ فِيهَا، وَإِنْزَالِهَا مَنَازِلَهَا: فَهَذَا الْإِلْتِفَاتُ عُبُودِيَّةٌ وَتَوْحِيدٌ، إِذْ لَمْ يَشْغَلْهُ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْمُسَبَّبِ. وَأَمَّا مَحْوُهَا أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا: فَقَدْ حُفِيَ فِي الْعَقْلِ وَالْحِسِّ وَالْفِطْرَةِ، فَإِنْ أَعْرَضَ عَنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ: كَانَ ذَلِكَ قَدْ حَا فِي الشَّرْعِ، وَإِبْطَالًا لَهُ.

وَحَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ: الْقِيَامُ بِالْأَسْبَابِ، وَالْإِعْتِمَادُ بِالْقَلْبِ عَلَى الْمُسَبِّبِ، وَاعْتِقَادُ أَنَّهَا بِيَدِهِ، فَإِنْ شَاءَ مَنَعَهَا اقْتِضَاءَهَا، وَإِنْ شَاءَ جَعَلَهَا مُقْتَضِيَةً لِضِدِّ أَحْكَامِهَا، وَإِنْ شَاءَ أَقَامَ لَهَا مَوَاقِعَ وَصَوَارِفَ تَعَارِضَ اقْتِضَاءِهَا وَتَدْفَعُهُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤٦٢).

الجمال على قسمين

قال رحمه الله: إعلم أن الجمال ينقسم قسمين: **ظاهر، وباطن.**

فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم، والعقل، والجود، والعفة، والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده، وموضع محبته، كما في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١) وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال، فتكسوا صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتست روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يعطى مهابة وحلاوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه ومن خالطه أحبه، وهذا أمر مشهود بالعيان فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وإن كان أسود أو غير جميل، ولا سيما إذا رزق حظاً من صلاة الليل، فإنها تنور الوجه وتحسنه.

وقد كان بعض النساء تكثر صلاة الليل فقليل لها في ذلك فقالت: إنها تحسن الوجه وأنا أحب أن يحسن وجهي.

(١) رواه مسلم برقم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر؛ أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبه والميل إليه.

وأما الجمال الظاهر، فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض وهي من زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١] قالوا هو الصوت الحسن والصورة الحسنة والقلوب كالمطبوعة على محبته كما هي مفطورة على استحسانه. وكما أن الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده فالجمال الظاهر نعمة منه أيضا على عبده يوجب شكرا فإن شكره بتقواه وصيانه إزداد جمالا على جماله وإن استعمل جماله في معاصيه سبحانه قلبه له شيئا ظاهرا في الدنيا قبل الآخرة؛ فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحا وشينا وينفر عنه من رآه، فكل من لم يتق الله عز وجل في حسنه وجماله انقلب قبحا وشينا يشينه به بين الناس. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٢١).

المقدور يكتنفه أمران

قال رحمه الله: ولما كان الرضى النافع المحصل للمقصود هو الرضى بعد وقوع القضاء لا قبله، فإن ذلك عزم على الرضى، فإذا وقع القضاء انفسخ ذلك العزم، سأل الرضى بعده، فإن المقدور يكتنفه أمران:

الاستخارة قبل وقوعه، والرضى بعد وقوعه. فمن سعادة العبد أن يجمع بينهما. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٢٢).

وقال رحمه الله: وكان شيخنا رحمه الله يقول: المقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله، والرضا بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل. ورضي بالمقضي له بعد الفعل فقد قام بالعبودية. أو معنى هذا. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (١/ ٢٨).

أمران بهما تتم سعادة العبد وفلاحه

قال رحمه الله: أمران بهما تتم سعادته وفلاحه.

أحدهما: أن يعرف تفاصيل أسباب الشر والخير، ويكون له بصيرة في ذلك بما يشاهده في العالم، وما جربه في نفسه وغيره، وما سمعه من أخبار الأمم قديماً وحديثاً. ومن أنفع ما في ذلك تدبر القرآن فإنه كفيّل بذلك على أكمل الوجوه، وفيه أسباب الخير والشر جميعاً مفصلة مبينة، ثم السنة، فإنها شقيقة القرآن، وهي الوحي الثاني، ومن صرف إليهما عنايته اكتفى بهما من غيرهما، وهما يريانك الخير والشر وأسبابهما، حتى كأنك تعاین ذلك عياناً.

وبعد ذلك إذا تأملت أخبار الأمم، وآيام الله في أهل طاعته وأهل معصيته، طابق ذلك ما علمته من القرآن والسنة، ورأيت به تفاصيل ما أخبر الله به، ووعد به، وعلمت من آياته في الآفاق ما يدلّك على أن القرآن حق، وأن الرسول حق، وأن الله ينجز وعده لا محالة، فالتاريخ تفصيل لجزيئات ما عرفنا الله ورَسُولُهُ من الأسباب الكلية للخير والشر.

الأمر الثاني: أن يحذر مغالطة نفسه على هذه الأسباب، وهذا من أهم الأمور فإن العبد يعرف أن المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له في دنياه وآخرته ولا بد، ولكن تغالطه نفسه بالتكالي على عفو الله ومغفرته تارة، وبالتسويف بالتوبة والاستغفار باللسان تارة، وبفعل المندوبات تارة، وبالعلم تارة، وبالاحتجاج بالقدر تارة، وبالاحتجاج بالأشباه والنظراء تارة، وبالإقتداء بالكابر تارة أخرى. **الداء والدواء (ص: ٢١).**

ركب الله سبحانه في الإنسان نفسين

قال رحمه الله: رَكَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْإِنْسَانِ نَفْسَيْنِ:

نَفْسًا أَمَّارَةً وَنَفْسًا مُطْمَئِنَّةً، وَهُمَا مُتَعَادِيَتَانِ، فَكُلُّ مَا خَفَّ عَلَى هَذِهِ ثَقُلَ عَلَى هَذِهِ، وَكُلُّ مَا اُلْتَدَّتْ بِهِ هَذِهِ تَأَلَّمَتْ بِهِ الْأُخْرَى، فَلَيْسَ عَلَى النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ أَشَقُّ مِنَ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَإِثَارِ رِضَاهُ عَلَى هَوَاهَا، وَلَيْسَ لَهَا أَنْفَعُ مِنْهُ، وَلَيْسَ عَلَى النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ أَشَقُّ مِنَ الْعَمَلِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ دَاعِي الْهَوَى.

وَلَيْسَ عَلَيْهَا شَيْءٌ أَضَرُّ مِنْهُ، وَالْمَلَكُ مَعَ هَذِهِ عَنْ يَمَنِةِ الْقَلْبِ، وَالشَّيْطَانُ مَعَ تِلْكَ عَنْ يَسْرَةِ الْقَلْبِ، وَالْحُرُوبُ مُسْتَمِرَّةٌ لَا تَضَعُ أَوْرَارَهَا إِلَّا أَنْ يُسْتَوْفَى أَجْلُهَا مِنَ الدُّنْيَا، وَالْبَاطِلُ كُلُّهُ يَتَحَيَّزُ مَعَ الشَّيْطَانِ وَالْأَمَّارَةِ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ يَتَحَيَّزُ مَعَ الْمَلِكِ وَالْمُطْمَئِنَّةِ، وَالْحَرْبُ دَوْلٌ وَسَجَالٌ، وَالنَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ، وَمَنْ صَبَرَ وَصَابَرَ وَرَابَطَ وَاتَّقَى اللَّهَ فَلَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى حُكْمًا لَا يُبَدَّلُ أَبَدًا: أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَى، وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ. **الداء والدواء (ص: ١٥٧).**

ما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان

قال رحمه الله: فحقيقة التعظيم للأمر والنهي، أن لا يعارضا بترخص جاف، ولا يعرضا

لتشديد غال، فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عز وجل بسالكه، وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان:

إما تقصير وتفريط، **وإما إفراط** وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيستامه، فإن وجد فيه فتورا وتوانيا وترخيصا أخذه من هذه الخطة،

فبطه وأقعدته وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة.

وإن وجد عنده حذراً وجِداً، وتشميراً ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد، وسول له أن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين وأن لا ترقد إذا رقدوا ولا تفطر إذا أفطروا وأن لا تغتر إذا فطروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعة، وإذا توضأ للصلاة فاغسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجازرة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه.

ومقصود من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم: هذا بأن لا يقربه ولا يدلوه منه ، وهذا بأن يجاوزه ويتعده.

وقد فتن بهذا أكثر الخلق ولا ينجي من ذلك إلا علم راسخ وإيمان وقوة على محاربتة، ولزوم الوسط، والله المستعان. الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٢٤).

الهدى والفلاح لمن اتبع القرآن، والضلال والشقاء لمن أعرض عنه

قال رسول الله ﷺ: إن الله سبحانه ضمن الهدى والفلاح لمن اتبع القرآن، والضلال والشقاء لمن أعرض عنه، فكيف بمن عارضه بمعقول أو رأي أو حقيقة باطلة أو سياسة ظالمة، أو قياس إبليسي، أو خيال فلسفي، ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۚ

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۚ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۚ ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۚ ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ

حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَأَيُّنَا فَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ طه:

١٢٣ - ١٢٦]، فضمن سبحانه لمن اتبع هداه وهو كلامه، الهدى في الدنيا والآخرة، والسعادة في الدنيا والآخرة، فهاهنا أمران:

طريقة، وغاية، فالطريقة الهدى، والغاية السعادة والفلاح، فمن لم يسلك هذه الطريقة

لم يصل إلى هذه الغاية. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ١١٢٨).

مواضع السجدة في القرآن نوعان

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: مَوَاضِعُ السَّجَدَاتِ فِي الْقُرْآنِ نَوْعَانِ: إِبْخَارٌ، وَأَمْرٌ.

فَالْإِبْخَارُ: خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ سُجُودٍ مَخْلُوقَاتِهِ لَهُ عُمُومًا أَوْ خُصُوصًا، فَسُنَّ لِلتَّلَاقِي وَالسَّمَاعِ وَجُوبًا أَوْ اسْتِحْبَابًا أَنْ يَتَشَبَّهُ بِهِمْ عِنْدَ تِلَاوَةِ آيَةِ السَّجْدَةِ أَوْ سَمَاعِهَا، وَآيَاتُ الْأَوَامِرِ بِطَرِيقِ الْأُولَى.

وَهَذَا لَا فَرْقَ فِيهِ بَيْنَ أَمْرٍ وَأَمْرٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ ﴿١٢٦﴾ طه:

[النجم: ٦٢]: مُقْتَضِيًا لِلسُّجُودِ دُونَ الْأَمْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا

وَأَسْجُدُوا﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧] فَالسَّاجِدُ إِمَّا مُتَشَبِّهٌ بِمَنْ أُخْبِرَ عَنْهُ، أَوْ مُمْتَثِلٌ لِمَا أَمَرَ بِهِ، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ يُسَنُّ لَهُ السُّجُودُ فِي آخِرِ الْحَجِّ كَمَا يُسَنُّ لَهُ السُّجُودُ فِي أَوَّلِهَا، فَلَمَّا سَوَتْ السُّنَّةُ بَيْنَهُمَا سَوَى الْقِيَاسُ الصَّحِيحُ وَالْإِعْتِبَارُ الْحَقُّ بَيْنَهُمَا.

وَهَذَا السُّجُودُ شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عِبُودِيَّةً عِنْدَ تِلَاوَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَاسْتِمَاعِهَا، وَقُرْبَةً إِلَيْهِ، وَخُضُوعًا لِعَظَمَتِهِ، وَتَذَلُّلًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاقْتِرَانُ الرُّكُوعِ بِبَعْضِ آيَاتِهِ مِمَّا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ، وَيَقْوِيهِ،

لَا يُضَعِّفُهُ وَيُوهِيهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٩٥).

من آثر رضا الله فلا بد له من أمرين

قال رحمه الله: فمن آثر رضا الله فلا بد أن يعاديه رذالة العالم وسقطهم، وعرثاهم وجهالهم، وأهل البدع والفجور منهم، وأهل الرياسات الباطلة، وكل من يخالف هديه.

فما يقدم على معادة هؤلاء إلا طالب الرجوع إلى الله، عامل على سماع خطاب: ﴿

يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ **أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾** [الفجر: ٢٧ - ٢٨] ومن

إسلامه صلب كامل لا تزعزعه الرجال. ولا تقلقله الجبال، ومن عقد عزيمة صبره محكم لا تحله المحن والشدائد والمخاوف.

قلت: وملاك ذلك أمران: **الزهد في الحياة، والثناء.**

فما ضعف من ضعف، وتأخر من تأخر إلا بحبه للحياة والبقاء، وثناء الناس عليه، ونفرته من ذمهم له. فإذا زهد في هذين الشيئين، تأخرت عنه العوارض كلها. وانغمس حينئذ في العساكر.

وملاك هذين الشيئين بشيئين: صحة اليقين. وقوة المحبة.

وملاك هذين بشيئين أيضا: بصدق اللجأ والطلب، والتصدي للأسباب الموصلة إليهما.

فإلى هاهنا تنتهي معرفة الخلق وقدرتهم. والتوفيق بعد بيد من أزمة الأمور كلها بيده:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ **يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ**

وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣١﴾ [الإنسان: ٣٠ - ٣١]. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٢٨٧).

ملاك الخوف من الله، والاستقامة على دينه، أمران

قال رَحِمَهُ اللهُ: والخوف يثمر الورع والاستقامة وقصر الأمل، وقوة الإيمان باللقاء تثمر الزهد، ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: وملاك ذلك كله أمر أن:

أحدهما: أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة، ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلاتها وتدبرها، وفهم ما يراد منه، وما نزل لأجله، وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته، وتنزيلها على داء قلبك، فهذه طريقة مختصرة سهلة قريبة، موصلة إلى الرفيق الأعلى. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٠).

أمران بهما يُجلب النافع، ويُدفع الضار

قال رَحِمَهُ اللهُ: معلوم أن كل حَيٍّ سوى الله سبحانه: من ملك أو إنس أو جن أو حيوان، فهو فقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ولا يتم ذلك له إلا بتصوره للنافع والضار، والمنفعة من جنس النعيم واللذة، والمضرة من جنس الألم والعذاب. فلا بد له من أمرين:

أحدهما: معرفة ما هو المحبوب المطلوب الذي ينتفع به ويلتذ بإدراكه.

والثاني: معرفة المعين الموصل المحصل لذلك المقصود.

وبإزاء ذلك أمران آخران، أحدهما: مكروه بغض ضار، والثاني: معين دافع له عنه، فهذه أربعة أشياء:

أحدها: أمر هو محبوب مطلوب الوجود. الثاني: أمر مكروه مطلوب العدم. الثالث: الوسيلة إلى حصول المطلوب المحبوب. الرابع: الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد، بل ولكل حيوان لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها.

فإذا تقرر ذلك، فالله تعالى هو الذى يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب، الذى يراد وجهه، ويبتغى قربه، ويطلب رضاه، وهو المعين على حصول ذلك. وعبودية ما سواه والالتفات إليه، والتعلق به: هو المكروه الضار، والله هو المعين على دفعه، فهو سبحانه الجامع لهذه الأمور الأربعة دون ما سواه. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢٦).**

عقوبتان لمن رد الحق، وتهاون بالأمر إذا حضر

قال رحمه الله: فائدة: حذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء:

أحدهما: رد الحق لمخالفته هواك، فإنك تعاقب بتقليب القلب ورد ما يرد عليك من الحق رأساً ولا تقبله إلا إذا برز في قالب هواك قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، فعاقبهم على رد الحق أول مرة بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك.

والثاني: التهاون بالأمر إذا حضر وقته، فإنك إن تهاونت به ثبطك الله وأقعذك عن مرضيه وأوامره عقوبة لك قال تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِخُرُوجٍ فَقُلْ لَّنْ نَّخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنُفْقِنَلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣]. فمن سلم من هاتين الآفتين والبليتين العظيمتين فليهنه السلامة. **بدائع الفوائد (٣/ ١٨١).**

الناس في أمر الله على قسمين

قال رحمه الله: قال الله: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ

اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيرٌ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

فَقَسَمَ الْأَمْرَ إِلَى أَمْرَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا.

إِمَّا الْإِسْتِجَابَةَ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ.

وَأِمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى، فَكُلُّ مَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَهُوَ مِنَ الْهَوَى. إعلام الموقعين عن رب

العالمين (١/ ٣٧).

الناس عند إرسال الرسل إليهم على أمرين

قال ﷺ: فالناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين:

إِمَّا أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: آمَنْتُ، أَوْ لَا يُؤْمِنُ، بَلْ يَسْتَمِرُّ عَلَى السَّيِّئَاتِ وَالْكَفْرِ، وَلَا بَدَّ مِنْ

امتحان هذا وهذا.

فَأَمَّا مَنْ قَالَ: آمَنْتُ فَلَا بَدَّ أَنْ يَمْتَحَنَهُ الرَّبُّ وَيَتَّبِلِيهِ، لِيَتَّبِنَ: هَلْ هُوَ صَادِقٌ فِي قَوْلِهِ، آمَنْتُ، أَوْ كَاذِبٌ؟ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا رَجَعَ عَلَى عَقْبِيهِ، وَفَرَّ مِنَ الْإِمْتِحَانِ، كَمَا يَفِرُّ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا ثَبَتَ عَلَى قَوْلِهِ، وَلَمْ يَزِدْهُ الْإِبْتِلَاءُ وَالْإِمْتِحَانُ إِلَّا إِيمَانًا عَلَى إِيمَانِهِ.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۖ

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۚ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ، فَإِنَّهُ يَمْتَحَنُ فِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ، وَيُفْتَنُ بِهِ، وَهِيَ أَعْظَمُ الْمُحْتَنِينَ، هَذَا إِنْ سَلِمَ مِنْ إِمْتِحَانِهِ بِعَذَابِ الدُّنْيَا وَمَصَائِبِهَا، وَعَقُوبَتِهَا الَّتِي أَوْقَعَهَا اللَّهُ بِمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ رِسْلَهُ وَعَصَاهُمْ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْمُحَنَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي الْبَرَزَخِ، وَفِي الْقِيَامَةِ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَلَكِنْ الْمُؤْمِنُ أَخْفَ مُحَنَةً وَأَسْهَلَ بَلِيَّةً.

فَإِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْهُ بِالْإِيمَانِ، وَيَحْمِلُ عَنْهُ بِهِ وَيَرْزُقُهُ مِنَ الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَالرَّضَى وَالتَّسْلِيمِ مَا يَهْوَنُ بِهِ عَلَيْهِ مُحَنَتُهُ.

وأما الكافر والمنافق والفاجر، فتشدد محنته وبليته وتدوم، فمحنة المؤمن خفيفة منقطعة، ومحنة الكافر والمنافق والفاجر شديدة متصلة.

فلا بد من حصول الألم والمحنة لكل نفس آمنت أو كفرت، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء، ثم تكون له عاقبة الدنيا والآخرة، والكافر والمنافق والفاجر، تحصل له اللذة والنعيم ابتداء، ثم يصير إلى الألم، فلا يطمع أحد أن يخلص من المحبة والألم البتة. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (٢/ ١٩٢).

للعبد حالتان

قال رحمه الله: ولما قال في سورة والتين: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال: ﴿إِلَّا

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾

فقسم الناس إلى هذين القسمين فقط: ولما كان الإنسان له قوتان قوة العلم وقوة العمل وله حالتان حالة يأتmer فيها بأمر غيره وحالة يأمر فيها غيره، استثنى سبحانه من كمل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح، وإنقاد لأمر غيره له بذلك، وأمر غيره به من الانسان الذي هو في خسر.

فإن العبد له حالتان: **حالة** كمال في نفسه، **وحالة** تكميل لغيره، وكماله وتكميله موقوف على أمرين، علم بالحق وصبر عليه.

فتضمنت الآية جميع مراتب الكمال الانساني من العلم النافع والعمل الصالح والإحسان إلى نفسه بذلك وإلى أخيه به، وانقياده وقبوله لمن يأمره بذلك. التبيان في أقسام

أمران من فقدهما لم ينتفع بنفسه

قال رحمه الله: إِنَّ النَّفْسَ لَا تَتْرُكُ مَحْبُوبًا إِلَّا لِمَحْبُوبٍ أَعْلَى مِنْهُ، أَوْ خَشْيَةٍ مَكْرُوهٍ حُصُولُهُ أَضَرُّ عَلَيْهِ مِنْ فَوَاتِ هَذَا الْمَحْبُوبِ، وَهَذَا يَحْتَاجُ صَاحِبَهُ إِلَى أَمْرَيْنِ إِنْ فَقَدَهُمَا أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِنَفْسِهِ.

أَحَدُهُمَا: بَصِيرَةٌ صَحِيحَةٌ يُفَرِّقُ بِهَا بَيْنَ دَرَجَاتِ الْمَحْبُوبِ وَالْمَكْرُوهِ، فَيُؤَثِّرُ أَعْلَى الْمَحْبُوبِينَ عَلَى أَدْنَاهُمَا، وَيَحْتَمِلُ أَدْنَى الْمَكْرُوهِينَ لِيَخْلُصَ مِنْ أَعْلَاهُمَا، وَهَذَا خَاصَّةُ الْعَقْلِ، وَلَا يُعَدُّ عَاقِلًا مَنْ كَانَ بِضِدِّ ذَلِكَ، بَلْ قَدْ تَكُونُ الْبَهَائِمُ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ.

الثَّانِي: قُوَّةٌ عَزِيمٌ وَصَبْرٌ يَتِمَكَّنُ بِهِ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ وَالتَّوَكُّلِ، فَكَثِيرًا مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ قَدْرَ التَّفَاوُتِ، وَلَكِنْ يَأْبَى لَهُ ضَعْفُ نَفْسِهِ وَهَمَّتِهِ وَعَزِيمَتِهِ عَلَى أَشْيَاءَ لَا تَنْفَعُ مِنْ خَسَّتِهِ وَحِرْصِهِ وَوَضَاعَةِ نَفْسِهِ وَخَسَّةِ هِمَّتِهِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَنْتَفِعُ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِمَامَةَ الدِّينِ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، فَقَالَ تَعَالَى، وَبِقَوْلِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ مِنْهُمْ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِأَيْدِنَا يُوقِنُونَ﴾

[سُورَةُ السَّجْدَةِ: ٢٤].

وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، وَضِدُّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ فِي نَفْسِهِ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ، فَالْأَوَّلُ يَمْشِي فِي نُورِهِ وَيَمْشِي النَّاسُ فِي نُورِهِ، وَالثَّانِي قَدْ طَفِيَ نُورُهُ، فَهُوَ يَمْشِي فِي الظُّلُمَاتِ وَمَنْ تَبِعَهُ فِي ظُلْمَتِهِ، وَالثَّلَاثُ يَمْشِي فِي نُورِهِ وَخَدَهُ. **الداء والدواء (ص: ١٨١).**

العشق مركب من أمرين

قال رحمه الله: وَالْعِشْقُ مُرَكَّبٌ مِنْ أَمْرَيْنِ:

اسْتِحْسَانٍ لِلْمَعْشُوقِ.

وَطَمَعٍ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ.

فَمَتَى انْتَفَى أَحَدُهُمَا انْتَفَى الْعِشْقُ، وَقَدْ أَعْيَتْ عِلَّةُ الْعِشْقِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ وَتَكَلَّمَ فِيهَا بَعْضُهُمْ بِكَلَامٍ يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهِ إِلَى الصَّوَابِ. **الطب النبوي (ص: ٢٠٢).**

ساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما

قال رحمه الله: عِنْدَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ **رضي الله عنه**، عَنِ النَّبِيِّ **صلَّى الله عليه وآله وسلم** قَالَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ».

فَسَابُ الدَّهْرِ دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَحَدِهِمَا.

إِمَّا سَبَّهُ لِلَّهِ، أَوْ الشَّرْكَ بِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ الدَّهْرَ فَاعِلٌ مَعَ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَإِنْ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ، وَهُوَ يَسُبُّ مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ. **زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٢٤).**

في إضلاله سبحانه وتعالى لمن يستحق حكمتان

قال رحمه الله: وَفِي إِضْلَالِهِ مَنْ أَضَلَّهُ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: تَفَرُّدُهُ بِالْخَلْقِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ.

وَالثَّانِي: وَقُوعُ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ، لَا بِالِاتِّفَاقِ، وَلَا بِمَحْضِ الْمَشِيئَةِ الْمَجْرَدَةِ عَنْ وَضْعِ الْأَشْيَاءِ مَوَاضِعَهَا، وَتَنْزِيلِهَا مَنَازِلَهَا، بَلْ بِحِكْمَةٍ اقْتَضَتْ هُدَى مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَزْكُو عَلَى الْهُدَى، وَيَقْبَلُهُ وَيَشْكُرُهُ عَلَيْهِ، وَيُثْمِرُ عِنْدَهُ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ،

أَصْلًا وَمِيرَاثًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

مَنْ بَيْنَنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وَهُمُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ قَدْرَ نِعْمَتِهِ بِالْهُدَى، وَيَشْكُرُونَهُ عَلَيْهَا، وَيُحِبُّونَهُ وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى أَنْ جَعَلَهُمْ مِنْ أَهْلِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَا عَدَلَ عَنْ مُوجِبِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي هِدَايَةِ مَنْ هَدَى، وَإِضْلَالِ مَنْ أَضَلَّ، وَلَمْ يَطْرُدْ عَنْ بَابِهِ وَلَمْ يُبْعِدْ عَنْ جَنَابِهِ مَنْ يَلِيقُ بِهِ التَّقَرُّبُ وَالْهُدَى وَالْإِكْرَامُ، بَلْ طَرَدَ مَنْ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ، وَحَكَمْتُهُ وَحَمْدُهُ تَأْبَى تَقَرُّبَهُ وَإِكْرَامَهُ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٤٧).

قصر الأمل بناؤه على أمرين

قال رحمه الله: وَقَصِّرُ الْأَمَلَ بِنَاؤُهُ عَلَى أَمْرَيْنِ:

تَيْقِنُ زَوَالِ الدُّنْيَا وَمُفَارَقَتِهَا.

وَتَيْقِنُ لِقَاءِ الْآخِرَةِ وَبَقَائِهَا وَدَوَامِهَا، ثُمَّ يُقَاسُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَيُؤْثَرُ أَوْلَاهُمَا بِالْإِيثَارِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٤٩).

التبطل يجمع أمرين

قال رحمه الله: التَّبْتُلُ يَجْمَعُ أَمْرَيْنِ اتِّصَالًا، وَانْفِصَالًا. لَا يَصِحُّ إِلَّا بِهِمَا.

فَالْإِنْفِصَالُ: انْقِطَاعُ قَلْبِهِ عَنْ حُطُوطِ النَّفْسِ الْمُزَاحِمَةِ لِمُرَادِ الرَّبِّ مِنْهُ. وَعَنِ التَّفَاتِ

قَلْبِهِ إِلَى مَا سِوَى اللَّهِ، خَوْفًا مِنْهُ، أَوْ رَغْبَةً فِيهِ، أَوْ مُبَالَاةً بِهِ، أَوْ فِكْرًا فِيهِ، بِحَيْثُ يُشْغَلُ قَلْبُهُ عَنْ اللَّهِ.

وَالِاتِّصَالُ: لَا يَصِحُّ إِلَّا بَعْدَ هَذَا الْإِنْفِصَالِ. وَهُوَ اتِّصَالُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ، وَإِقْبَالُهُ عَلَيْهِ، وَإِقَامَةُ وَجْهِهِ لَهُ، حُبًّا وَخَوْفًا وَرَجَاءً، وَإِنَابَةً وَتَوَكُّلاً. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢) / (٣٢).

لا بد للسائر إلى ربه سبحانه وتعالى من أمرين

قال رحمه الله: فَإِنَّ السَّالِكَ إِلَى رَبِّهِ لَا تَزَالُ هِمَّتُهُ عَاكِفَةً عَلَى أَمْرَيْنِ:

اسْتِفْرَاحُ الْقَلْبِ فِي صَدَقِ الْحُبِّ.

وَبَذَلُ الْجُهْدِ فِي امْتِثَالِ الْأَمْرِ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْدُوَ عَلَى سِرِّهِ شَوَاهِدُ مَعْرِفَتِهِ،

وَأَثَارُ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣) / (٢٥٢).

في اللسان آفتان عظيمتان

قال رحمه الله: عَنْ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ، ثُمَّ يَقُولُ: قُومُوا عَلَى ثَغْرِ اللِّسَانِ، فَإِنَّهُ الثَّغْرُ الْأَعْظَمُ،

وَهُوَ قُبَالَةُ الْمَلِكِ، فَاجْرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ، وَامْنَعُوهُ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ

شَيْءٌ مِمَّا يَنْفَعُهُ: مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِغْفَارِهِ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، وَنَصِيحَةِ عِبَادِهِ، وَالتَّكَلُّمِ

بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَيَكُونُ لَكُمْ فِي هَذَا الثَّغْرِ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ، لَا تُبَالُونَ بِأَيِّهِمَا ظَفَرْتُمْ:

أَحَدُهُمَا: التَّكَلُّمُ بِالْبَاطِلِ، فَإِنَّمَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبَاطِلِ أَخٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ، وَمِنْ أَكْبَرِ جُنْدِكُمْ

وَأَعْوَانِكُمْ.

الثَّانِي: السُّكُوتُ عَنِ الْحَقِّ، فَإِنَّ السَّائِكَتَ عَنِ الْحَقِّ أَخٌ لَكُمْ أَخْرَسُ، كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ أَخٌ

نَاطِقٌ، وَرُبَّمَا كَانَ الْأَخُ الثَّانِي أَنْفَعَ أَخَوَيْكُمْ لَكُمْ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ النَّاصِحِ: الْمُتَكَلِّمُ

بِالْبَاطِلِ شَيْطَانٌ نَاطِقٌ، وَالسَّائِكَتُ عَنِ الْحَقِّ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ؟

فَالرِّبَاطُ الرِّبَاطُ عَلَى هَذَا الثَّغْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقِّ أَوْ يُمَسِّكَ عَنْ بَاطِلٍ، وَزَيْنُوا لَهُ التَّكَلَّمَ بِالْبَاطِلِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَخَوْفُهُ مِنَ التَّكَلَّمَ بِالْحَقِّ بِكُلِّ طَرِيقٍ.

وَاعْلَمُوا يَا بَنِيَّ أَنَّ ثَغَرَ اللِّسَانِ هُوَ الَّذِي أَهْلَكَ مِنْهُ بَنِي آدَمَ، وَأَكْبَهُمْ مِنْهُ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي النَّارِ، فَكَمْ لِي مِنْ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ وَجَرِيحٍ أَخَذَتْهُ مِنْ هَذَا الثَّغْرِ؟ (الداء والدواء (ص: ٩٩).

للنبي ﷺ حوضان

قال رَحِمَهُ اللهُ: فَلهُ حَوْضَانِ عَظِيمَانِ:

حَوْضٌ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ سُنَّتُهُ وَمَا جَاءَ بِهِ.

وَحَوْضٌ فِي الْآخِرَةِ، فَالشَّارِبُونَ مِنْ هَذَا الْحَوْضِ فِي الدُّنْيَا هُمُ الشَّارِبُونَ مِنْ حَوْضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَشَارِبٌ وَمَحْرُومٌ، وَمُسْتَقِيلٌ وَمُسْتَكْثَرٌ.

وَالَّذِينَ يَذُودُهُمْ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ عَنْ حَوْضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَذُودُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاتَّبَاعَهُمْ عَنْ سُنَّتِهِ وَيُؤْثِرُونَ عَلَيْهَا غَيْرَهَا فَمَنْ ظَمَأَ مِنْ سُنَّتِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهَا شَرْبٌ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ ظَمَأً وَأَحَرُّ كِبْدًا. اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٨٥).

التواضع المحمود على نوعين

قال رَحِمَهُ اللهُ: التواضع المَحْمُود على نَوْعَيْنِ:

النَّوعُ الْأَوَّلُ: تواضع العَبْدِ عِنْدَ أَمْرِ اللَّهِ امْتِثَالًا، وَعِنْدَ نَهْيِهِ اجْتِنَابًا، فَإِنَّ النَّفْسَ لَطَلِبُ الرَّاحَةِ تَتَلَكَّأُ فِي أَمْرِهِ؛ فَيَبْدُو مِنْهَا نَوْعَ إِبَاءٍ وَشِرَادٍ؛ هَرَبًا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، وَتَثَبَتْ عِنْدَ نَهْيِهِ طَلِبًا لِلظَّفَرِ بِمَا مَنَعَ مِنْهُ، فَإِذَا وَضَعَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ؛ فَقَدْ تَوَاضَعَ لِلْعُبُودِيَّةِ.

وَالنَّوعُ الثَّانِي: تواضعه لِعَظَمَةِ الرَّبِّ وَجَلَالِهِ وَخُضُوعِهِ لِعِزَّتِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ، فَكَلِمَا شَمَخَتْ نَفْسُهُ ذَكَرَ عَظَمَةَ الرَّبِّ تَعَالَى، وَتَفَرَّدَهُ بِذَلِكَ وَغَضَبَهُ الشَّدِيدَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ ذَلِكَ،

فتواضعت إِلَيْهِ نَفْسُهُ وانكسر لِعَظَمَةِ اللَّهِ قَلْبُهُ وَاطْمَأَنَّ لِهَيْبَتِهِ وَأَخْبَتَ لِسُلْطَانِهِ، فَهَذَا غَايَةُ التَّوَاضُعِ، وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ الْأَوَّلَ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، وَالتَّوَاضُعُ حَقِيقَةٌ مِنْ رِزْقِ الْأَمْرِينِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. الروح (ص: ٢٣٤).

المضاف إلى الله سبحانه وتعالى نوعان

قال رحمه الله: الْمُضَافُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ نَوْعَانِ:

صفات لَا تَقُومُ بِأَنْفُسِهَا كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ فَهَذِهِ إِضَافَةٌ صِفَةٍ إِلَى الْمَوْصُوفِ بِهَا، فَعَلِمَهُ وَكَلَامَهُ وَإِرَادَتَهُ وَقُدْرَتَهُ وَحَيَاتِهِ وَصِفَاتٌ لَهُ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ وَكَذَلِكَ وَجْهَهُ وَيَدُهُ سُبْحَانَهُ.

والثاني: إِضَافَةُ أَعْيَانٍ مُتَفَصِّلَةٍ عَنْهُ، كَالْبَيْتِ وَالنَّاقَةِ وَالْعَبْدِ وَالرَّسُولِ وَالرُّوحِ فَهَذِهِ إِضَافَةُ مَخْلُوقٍ إِلَى خَالِقِهِ وَمَصْنُوعٍ إِلَى صَانِعِهِ، لَكِنَّهَا إِضَافَةٌ تَقْتَضِي تَخْصِيصًا وَتَشْرِيفًا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمُضَافُ عَنْ غَيْرِهِ كَبَيْتِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ أَلْبُيُوتٌ كُلُّهَا مُلْكًا لَهُ، وَكَذَلِكَ نَاقَةُ اللَّهِ، وَالنُّوقُ كُلُّهَا مُلْكُهُ وَخَلْقُهُ، لَكِنْ هَذِهِ إِضَافَةٌ إِلَى إِلَهِيَّةِ تَقْتَضِي مُحَبَّتَهُ لَهَا وَتَكْرِيمَهُ وَتَشْرِيفَهُ، بِخِلَافِ الْإِضَافَةِ الْعَامَّةِ إِلَى رَبُوبِيَّةِ حَيْثُ تَقْتَضِي خَلْقَهُ وَإِيجَادَهُ.

فَالْإِضَافَةُ الْعَامَّةُ تَقْتَضِي الْإِيجَادَ، وَالْخَاصَّةُ تَقْتَضِي الْإِخْتِيَارَ، وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مِمَّا خَلَقَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ [القصص: ٦٨] وَإِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْإِضَافَةِ الْخَاصَّةِ لَا مِنَ الْعَامَّةِ وَلَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَاتِ فَتَأْمَلْ هَذَا الْمَوْضِعَ فَإِنَّهُ يَخْلُصُكَ مِنْ صَلَالَاتٍ كَثِيرَةٍ وَقَعَ فِيهَا مِنْ شَاءِ اللَّهِ مِنَ النَّاسِ. الروح (ص: ١٥٤).

للروح في هذا العالم نشأتان

قال رَحِمَهُ اللهُ: فَلِلرُّوحِ فِي هَذَا الْعَالَمِ نَشَأَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: النَّشَأَةُ الطَّبِيعِيَّةُ الْمُشْتَرَكَةُ.

وَالثَّانِيَّةُ: نَشَأَةُ قَلْبِيَّةٍ رُوحَانِيَّةٍ، يُوَلَّدُ بِهَا قَلْبُهُ، وَيَنْفَصِلُ عَنْ مَشِيمَةِ طَبْعِهِ، كَمَا وُلِدَ بَدَنُهُ وَانْفَصَلَ عَنْ مَشِيمَةِ الْبَطْنِ.

وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِهَذَا فَلْيَضْرِبْ عَنْ هَذَا صَفْحًا، وَلْيَسْتَغِلْ بغيره. مدارج السالكين بين منازل إياك

نعبد وإياك نستعين (٣/ ١٣٤).

للعبد بين يدي الله موقضان

قال رَحِمَهُ اللهُ: لِلْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ مَوْقِفَانِ:

موقف بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصَّلَاةِ.

وموقف بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ لِقَائِهِ.

فَمَنْ قَامَ بِحَقِّ الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ؛ هَوْنٌ عَلَيْهِ الْمَوْقِفُ الْآخِرُ، وَمَنْ اسْتَهَانَ بِهَذَا الْمَوْقِفِ وَلَمْ يُوَفِّهِ حَقَّهُ؛ شَدَدٌ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَوْقِفُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (٢٦) إِنَّكَ هَتُولَاءِ يُحِبُّونَ

الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَفِيلًا ﴿٢٧﴾ [الإنسان: ٢٦ - ٢٧]. الفوائد لابن القيم (ص: ٢٠٠).

الفتن التي تعرض على القلوب على قسمين

قال رَحِمَهُ اللهُ: والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن

الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل

فالأولى: توجب فساد القصد والإرادة، **والثانية:** توجب فساد العلم والاعتقاد. إغاثة اللهفان من

مصابيد الشيطان (١/ ١٢).

الضلال له سببان

قال رحمه الله: فَإِنَّ الضَّلَالَ لَهُ سَبَبَانِ:

إِمَّا غَفْلَةً عَنِ الْحَقِّ.

وَأِمَّا تَقْلِيدُ أَهْلِ الضَّلَالِ.

أحكام أهل الذمة (٢/ ٩٥٠).

لبكاء الصبي عند ولادته سببان

قال رحمه الله: فإن قيل فما السبب في بكاء الصبي حالة خروجه إلى هذه الدار قيل ههنا

سببان:

سبب باطن أخبر به الصادق المصدوق لا يعرفه الأطباء، **وسبب ظاهر.**

فأما السبب الباطن: فإن الله سبحانه اقتضت حكمته أن وكل بكل واحد من ولد آدم شيطاناً، فشیطان المولود قد خنس ينتظر خروجه ليقارنه ويتوكل به، فإذا انفصل استقبله الشيطان وطعنه في خاصرته تحرقاً عليه وتغيظاً واستقبالاً له بالعداوة التي كانت بين الأبوين قديماً؛ فيبكي المولود من تلك الطعنة.

ولو آمن زنادقة الأطباء والطبائعين بالله ورسوله ﷺ لم يجدوا عندهم ما يبطل ذلك ولا يرده وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «صِيحُ الْمَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ، نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١).

وفي الصحيحين من حديثه أيضاً رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنُ مَرْيَمَ وَآمَةُ»^(٢).

والسبب الظاهر الذي لا تخبر الرسل بأمثاله لخصه عند الناس ومعرفتهم له من غيرهم؛ هو مفارقتة المألوف والعادة التي كان فيها إلى أمر غريب، فإنه ينتقل من جسم حار إلى هواء بارد، ومكان لم يألّفه؛ فيستوحش من مفارقتة وطنه ومألّفه.

وعند أرباب الإشارات: أن بكاءه إرهاب بين يدي ما يلاقيه من الشدائد والآلام والمخاوف وأنشد في ذلك:

ويكي بها المولود حتى كأنه * بكل الذي يلقاه فيها يهدد
وإلا فما يبكيه فيها وإنها * لأوسع مما كان فيه وأرغد

البيان في أقسام القرآن (ص: ٣٥٩).

وجهان، لتكفير صيام عاشوراء سنة وعرفة سنتين

قال رحمه الله: إن قيل: لم كان عاشوراء يكفر سنة، ويوم عرفة يكفر سنتين؟

قيل: فيه وجهان:

أحدهما: أن يوم عرفة في شهر حرام وقبلة شهر حرام وبعده شهر حرام، بخلاف عاشوراء.

الثاني: أن صوم يوم عرفة من خصائص شرعنا، بخلاف عاشوراء، فضوعف ببركات

المصطفى، والله أعلم. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٤ / ١٦٦٧).

تنبيه: يغتر بعض المغرورين بالاعتماد على مثل صوم يوم عاشوراء أو يوم عرفة، حتى يقول بعضهم: صوم يوم عاشوراء يكفر ذنوب العام كلها ويبقى صوم عرفة زيادة في الأجر.

قال ابن القيم **رحمته الله**: لَمْ يَدْرِ هَذَا الْمُعْتَرِّ، أَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَهِيَ إِنَّمَا تُكَفِّرُ مَا بَيْنَهُمَا إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرُ. فَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، لَا يَقْوَى عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ، إِلَّا مَعَ انْضِمَامِ تَرْكِ الْكَبَائِرِ إِلَيْهَا، فَيَقْوَى مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ. **الداء والدواء « ص ٢٥ ».**



الفوائد الثلاثة

أركان السير إلى الله ثلاثة

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الإخلاص عدم انقسام المطلوب. والصدق عدم انقسام الطلب.

فحقيقة **الإخلاص**: توحيد المطلوب. وحقيقة **الصدق**: توحيد الطلب والإرادة. ولا يثمران إلا **بالاستسلام** المحض للمتابعة.

فهذه الأركان الثلاثة: هي أركان السير، وأصول الطريق التي من لم يبين عليها سلوكه وسيره فهو مقطوع. وإن ظن أنه سائر، فسيره إما إلى عكس جهة مقصوده، وإما سير المقعد والمقيد، وإما سير صاحب الدابة الجموح. كلما مشت خطوة إلى قدام رجعت عشرة إلى الخلف.

فإن عدم الإخلاص والمتابعة: انعكس سيره إلى خلف. وإن لم يبذل جهده ويوحد طلبه: سار سير المقيد.

وإن اجتمعت له الثلاثة: فذلك الذي لا يجارى في مضمار سيره. وَ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ

يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١]. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين

من أحب شيئا غير الله عذب به ثلاث مرات

قال رحمه الله: فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ عَذَّبَ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ:

فَهُوَ يُعَذَّبُ بِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ حَتَّى يَحْصَلَ.

فَإِذَا حَصَلَ عَذَابُ بِهِ حَالِ حُصُولِهِ بِالْخَوْفِ مِنْ سَلْبِهِ وَفَوَاتِهِ، وَالتَّغْيِصِ وَالتَّكْيِيدِ عَلَيْهِ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الْمَعَارِضَاتِ.

فَإِذَا سَلِبُهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

وَأَمَّا فِي الْبَرْزَخِ: فَعَذَابُ يُقَارِنُهُ أَلَمُ الْفِرَاقِ الَّذِي لَا يَرْجُو عَوْدَةً وَأَلَمُ فَوَاتِ مَا فَاتَهُ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ بِاشْتِغَالِهِ بِضِدِّهِ، وَأَلَمُ الْحِجَابِ عَنِ اللَّهِ، وَأَلَمُ الْحَسْرَةِ الَّتِي تَقْطَعُ الْأَكْبَادَ، فَالْهَمُّ وَالْغَمُّ وَالْحُزْنُ تَعْمَلُ فِي نُفُوسِهِمْ نَظِيرَ مَا يَعْمَلُ الْهَوَاُ وَالْدِّيدَانُ فِي أَبْدَانِهِمْ، بَلْ عَمَلُهَا فِي النُّفُوسِ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ، حَتَّى يُرَدَّهَا اللَّهُ إِلَى أَجْسَادِهَا، فَحِينَئِذٍ يَتَّقِلُ الْعَذَابُ إِلَى نَوْعٍ هُوَ أَذْهَى وَأَمَرُّ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ نَعِيمٍ مَنْ يَرْقُصُ قَلْبُهُ طَرَبًا وَفَرَحًا وَأُنْسًا بِرَبِّهِ، وَاشْتِيَاقًا إِلَيْهِ، وَارْتِيَا حًا بِحُبِّهِ، وَطُمَأْنِينَةً بِذِكْرِهِ؟. **الداء والدواء (ص: ٧٧).**

محب الدنيا لا ينفك من ثلاث

قال رحمه الله: وهذا أيضا من أنواع العذاب، وهو اشتغال القلب والبدن بتحمل أنكاد

الدنيا ومحاربة أهلها إياه، ومقاساة معاداتهم، كما قال بعض السلف: من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب. ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث:

هم لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقضي، وذلك أن محبتها لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَا بُتْغَى لَهَا ثَالِثًا»^(١). إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١ / ٣٧).

العقوبات الشرعية ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: الْعُقُوبَةُ الشَّرْعِيَّةُ شَرَعَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ مَفْسَدَةِ الذَّنْبِ وَتَقَاضِي الطَّعْنِ لَهَا، وَجَعَلَهَا سُبْحَانَهُ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ: الْقَتْلُ، وَالْقَطْعُ، وَالْجَلْدُ، وَجَعَلَ الْقَتْلَ بِإِزَاءِ الْكُفْرِ وَمَا يَلِيهِ وَيَقْرُبُ مِنْهُ، وَهُوَ الزَّنا وَاللَّوْاطُ، فَإِنَّ هَذَا يُفْسِدُ الْأَدْيَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الْأَنْسَابَ وَنَوْعَ الْإِنْسَانِ.

وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ الْقَطْعَ بِإِزَاءِ فَسَادِ الْأَمْوَالِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ الْإِحْتِرَازُ مِنْهُ، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ الْأَمْوَالَ فِي الْإِحْتِفَاءِ، وَيَنْقُبُ الدُّورَ، وَيَتَسَوَّرُ مِنْ غَيْرِ الْأَبْوَابِ، فَهُوَ كَالسَّنَوْرِ وَالْحَيَّةِ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُ، فَلَمْ تَرْتَفِعْ مَفْسَدَةُ سَرِقَتِهِ إِلَى الْقَتْلِ، وَلَا تَنْدَفِعُ بِالْجَلْدِ، فَأَحْسَنُ مَا دُفِعَتْ بِهِ مَفْسَدَتُهُ إِبَانَةُ الْعُضْوِ الَّذِي يَتَسَلَّطُ بِهِ عَلَى الْجَنَائَةِ. وَجُعِلَ الْجَلْدُ بِإِزَاءِ إِفْسَادِ الْعُقُولِ وَتَمْزِيقِ الْأَعْرَاضِ بِالْقَذْفِ.

فَدَارَتْ عُقُوبَاتُهُ سُبْحَانَهُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَى هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ، كَمَا دَارَتْ الْكَفَّارَاتُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: الْعَتَقِ، وَهُوَ أَعْلَاهَا، وَالْإِطْعَامِ، وَالصِّيَامِ. الداء والدواء (ص: ١١١).

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٣٩)، ومسلم برقم (١١٦). عن أنس رضي الله عنه.

الذنوب وما يترتب عليها ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذُّنُوبَ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ:

قِسْمًا فِيهِ الْحَدُّ، فَهَذَا لَمْ يَشْرَعْ فِيهِ كَفَّارَةٌ اكْتِفَاءً بِالْحَدِّ.

وَقِسْمًا لَمْ يَرْتَبْ عَلَيْهِ حَدًّا، فَشَرَعَ فِيهِ الْكَفَّارَةُ، كَالْوُطْءِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَالْوُطْءِ فِي

الْإِحْرَامِ، وَالظَّهَارِ، وَقَتْلِ الْخَطَا، وَالْحِنْثِ فِي الْيَمِينِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقِسْمًا لَمْ يَرْتَبْ عَلَيْهِ حَدًّا وَلَا كَفَّارَةً، وَهُوَ نَوَعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا كَانَ الْوَازِعُ عَنْهُ طَبِيعِيًّا، كَأَكْلِ الْعَذِرَةِ، وَشُرْبِ الْبَوْلِ وَالْدَّمِ.

وَالثَّانِي: مَا كَانَتْ مَفْسَدَتُهُ أَذْنَى مِنْ مَفْسَدَةِ مَا رُتِبَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، كَالنَّظَرِ وَالْقُبْلَةِ وَاللَّمْسِ

وَالْمُحَادَثَةِ، وَسَرِقَةِ فِلَسٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. الداء والدواء (ص: ١١٣).

وقال رحمه الله: الْمَعَاصِي ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: نَوْعٌ فِيهِ الْحَدُّ وَلَا كَفَّارَةٌ فِيهِ، وَنَوْعٌ فِيهِ الْكَفَّارَةُ وَلَا

حَدٌّ فِيهِ، وَنَوْعٌ لَا حَدَّ فِيهِ وَلَا كَفَّارَةَ؛ فَالْأَوَّلُ - كَالسَّرِقَةِ وَالشُّرْبِ وَالزُّنَا وَالْقَذْفِ، وَالثَّانِي:

- كَالْوُطْءِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ وَالْوُطْءِ فِي الْإِحْرَامِ، وَالثَّالِثُ - كَوُطْءِ الْأُمَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَهُ

وَبَيْنَ غَيْرِهِ وَقُبْلَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ وَالْخُلُوةِ بِهَا وَدُخُولِ الْحَمَّامِ بِغَيْرِ مِئْزَرٍ وَأَكْلِ الْمَيْتَةِ وَالْدَّمِ وَلَحْمِ

الْخَنْزِيرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٧٦).

ثلاثة أنهار لأهل الذنوب يتطهرون بها في الدنيا

قال رحمه الله: لِأَهْلِ الذُّنُوبِ ثَلَاثَةُ أَنْهَارٍ عِظَامٍ يَتَطَهَّرُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِنْ لَمْ تَفِ

بِطَهْرِهِمْ طَهَّرُوا فِي نَهْرِ الْجَحِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

نَهْرُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ.

وَنَهْرُ الْحَسَنَاتِ الْمُسْتَعْرِقَةِ لِلْأَوْزَارِ الْمُحِيطَةِ بِهَا.

وَنَهَرُ الْمَصَائِبِ الْعَظِيمَةِ الْمُكْفَرَةِ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا أَدْخَلَهُ أَحَدَ هَذِهِ الْأَنْهَارِ الثَّلَاثَةِ، فَوَرَدَ الْقِيَامَةَ طَيِّبًا طَاهِرًا، فَلَمْ يَخْتَجِ إِلَى التَّطَهِيرِ الرَّابِعِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣١٩).

الخوف من العقوبة ينشأ من ثلاثة أمور

قال رحمه الله: فإن العبد إما أن يكون مستقيماً، أو مائلاً عن الاستقامة، فإن كان مائلاً عن الاستقامة، فخوفه من العقوبة على ميله، ولا يصح الإيمان إلا بهذا الخوف، وهو ينشأ من ثلاثة أمور:

أحدها: معرفته بالجناية وقبحها.

والثاني: تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها.

والثالث: أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب. فبهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف، وبحسب قوتها وضعفها تكون قوة الخوف وضعفه.

فإن الحامل على الذنب: إما أن يكون عدم علمه بقبحه، وإما عدم علمه بسوء عاقبته، وإما أن يجتمع له الأمران لكن يحمله عليه اتكاله على التوبة، وهو الغالب من ذنوب أهل الإيمان، فإذا علم قبح الذنب وعلم سوء مغبته وخاف أن لا يفتح له باب التوبة بل يمنعها ويحال بينه وبينها اشتد خوفه. هذا قبل الذنب، فإذا عمله كان خوفه أشد. **طريق** الهجرتين وباب السعادتین (ص: ٢٨٣).

الكفارات على ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: وَشَرَعَ الْكَفَّارَاتِ فِي ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: مَا كَانَ مُبَاحَ الْأَصْلِ، ثُمَّ عَرَضَ تَحْرِيمُهُ فَبَاشَرَهُ فِي الْحَالَةِ الَّتِي عَرَضَ فِيهَا التَّحْرِيمُ، كَالْوَطْءِ فِي الْإِحْرَامِ وَالصَّيَامِ، وَطَرَدُهُ: الْوَطْءُ فِي الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ، بِخِلَافِ الْوَطْءِ فِي الدُّبْرِ، وَلِهَذَا كَانَ إِلْحَاقُ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ لَهُ بِالْوَطْءِ فِي الْحَيْضِ لَا يَصَحُّ، فَإِنَّهُ لَا يُبَاحُ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ التَّلَوُّطِ، وَشُرْبِ الْمُسْكِرِ.

النَّوعُ الثَّانِي: مَا عُقِدَ لِلَّهِ مِنْ نَذْرٍ أَوْ بِاللَّهِ مِنْ يَمِينٍ، أَوْ حَرَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ أَرَادَ حِلَّهُ، فَشَرَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حِلَّهُ بِالْكَفَّارَةِ وَسَمَّاها نِحْلَةً، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْكَفَّارَةُ مَا حِجَّةٌ لِهَتْكَ حُرْمَةِ الْإِسْمِ بِالْحِنْثِ، كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ الْحِنْثَ قَدْ يَكُونُ وَاجِبًا، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا، وَقَدْ يَكُونُ مُبَاحًا، وَإِنَّمَا الْكَفَّارَةُ حِلٌّ لِمَا عَقَدَهُ.

النَّوعُ الثَّالِثُ: مَا تَكُونُ فِيهِ جَابِرَةً لِمَا فَاتَ، كَكَفَّارَةِ قَتْلِ الْخَطَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِثْمٌ، وَكَفَّارَةِ قَتْلِ الصَّيْدِ خَطَاً، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْجَوَابِرِ، وَالنَّوعُ الْأَوَّلُ مِنْ بَابِ الزَّوَاجِرِ، وَالنَّوعُ الْوَسْطُ مِنْ بَابِ التَّحِلَّةِ لِمَا مِنْهُ الْعَقْدُ.

لَا يَجْتَمِعُ الْحَدُّ وَالتَّعْزِيرُ فِي مَعْصِيَةٍ، بَلْ إِنْ كَانَ فِيهَا حَدٌّ اكْتَفِيَ بِهِ وَإِلَّا اكْتَفِيَ بِالتَّعْزِيرِ، وَلَا يَجْتَمِعُ الْحَدُّ وَالْكَفَّارَةُ فِي مَعْصِيَةٍ، بَلْ كُلُّ مَعْصِيَةٍ فِيهَا حَدٌّ فَلَا كَفَّارَةَ فِيهَا، وَمَا فِيهِ كَفَّارَةٌ فَلَا حَدَّ فِيهِ، وَهَلْ يَجْتَمِعُ التَّعْزِيرُ وَالْكَفَّارَةُ فِي الْمَعْصِيَةِ الَّتِي لَا حَدَّ فِيهَا؟

فِيهِ وَجْهَانِ: وَهَذَا كَالْوَطْءِ فِي الْإِحْرَامِ وَالصَّيَامِ، وَوَطْءِ الْحَائِضِ، وَإِذَا أَوْجَبْنَا فِيهِ الْكَفَّارَةَ، فَقِيلَ: يَجِبُ فِيهِ التَّعْزِيرُ لِمَا انْتَهَكَ مِنَ الْحُرْمَةِ بِرُكُوبِ الْجِنَايَةِ، وَقِيلَ: لَا تَعْزِيرَ فِي ذَلِكَ، اكْتِفَاءً بِالْكَفَّارَةِ لِأَنَّهَا جَابِرَةٌ وَمَا حِجَّةٌ. **الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ (ص: ١١٣).**

التعطيل على ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: وَأَصْلُ الشِّرْكِ وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا، هُوَ التَّعْطِيلُ، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ: **تَعْطِيلُ الْمَصْنُوعِ عَنْ صَانِعِهِ وَخَالِقِهِ.**

وَتَعْطِيلُ الصَّانِعِ سُبْحَانَهُ عَنْ كَمَالِهِ الْمُقَدَّسِ، بِتَعْطِيلِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

وَتَعْطِيلُ مُعَامَلَتِهِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ.

وَمِنْ هَذَا شِرْكُ طَائِفَةِ أَهْلِ وَحْدَةِ الوجودِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: مَا شَيْءٌ خَالِقٌ وَمَخْلُوقٌ وَلَا هَاهُنَا شَيْئَانِ، بَلِ الْحَقُّ الْمُنَزَّ هُوَ عَيْنُ الْخَلْقِ الْمُشَبَّهِ. وَمِنْهُ شِرْكُ الْمَلَاحِدَةِ الْقَائِلِينَ بِقَدَمِ الْعَالَمِ وَأَبْدِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا أَصْلًا، بَلْ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَالْحَوَادِثُ بِأَسْرِهَا مُسْتِنْدَةً عِنْدَهُمْ إِلَى أَسْبَابٍ وَوَسَائِطٍ اقْتَضَتْ إِيجَادَهَا، وَيُسَمُّونَهَا بِالْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ.

وَمِنْ هَذَا شِرْكُ مَنْ عَطَّلَ أَسْمَاءَ الرَّبِّ تَعَالَى وَأَوْصَافَهُ وَأَفْعَالَهُ مِنْ غَلَاةِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْقَرَامِطَةِ، فَلَمْ يُشَبِّهُوا لَهُ اسْمًا وَلَا صِفَةً، بَلْ جَعَلُوا الْمَخْلُوقَ أَكْمَلَ مِنْهُ، إِذْ كَمَالَ الذَّاتِ بِأَسْمَائِهَا وَصِفَاتِهَا. **الداء والدواء (ص: ١٣٠).**

ثلاثة أصول، تقطع شجرة الشرك من القلب

قال رحمه الله: ثَلَاثَةُ أَصُولٍ، تَقْطَعُ شَجَرَةَ الشِّرْكِ مِنْ قَلْبٍ مَنْ وَعَاهَا وَعَقَلَهَا:

لَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ.

وَلَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا تَوْحِيدَهُ، وَاتِّبَاعَ رَسُولِهِ، فَاللهُ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ شِرْكَ

الْعَادِلِينَ بِهِ غَيْرُهُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٥٠).

ثلاثة أمور أوقع عباد القبور في الإفتتان بها

قال رحمه الله: فإن قيل: فما الذى أوقع عباد القبور في الإفتتان بها، مع العلم بأن ساكنيها أموات، لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً؟ قيل: أوقعهم في ذلك أمور:

منها: الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله ﷺ، بل جميع الرسل من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك، فقل نصيبهم جداً من ذلك. ودعاهم الشيطان إلى الفتنة، ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته، فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل، وعصموا بقدر ما معهم من العلم.

ومنها: أحاديث مكذوبة مختلقة، وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله ﷺ تناقض دينه، وما جاء به كحديث: «إذا أعيتمكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» وحديث: «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه» وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام، وضعها المشركون وراجت على أشباههم من الجهال الضلال.

ومنها: حكايات حكيت لهم عن تلك القبور: أن فلانا استغاث بالقبير الفلاني في شدة فخلص منها. وفلاناً دعاه به في حاجة فقضيت له. وفلاناً نزل به ضر فاسترجى صاحب ذلك القبر فكشف ضره.

والشيطان له تلطف في الدعوة فيدعوهم أولاً: إلى الدعاء، فيدعو العبد عنده بحرقه وانكسار وذلة، فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه، لا لأجل القبر، فإنه لو دعاه كذلك في الحانة والخمارة والحمام والسوق أجابه، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً في إجابة تلك الدعوة والله سبحانه يجيب دعوة المضطر، ولو كان كافراً.

فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه، ولا محباً له، ولا راضياً بفعله، فإنه يجيب البر والفاجر، والمؤمن والكافر، وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدي فيه، أو يشترط في دعائه، أو يكون مما لا يجوز أن يسأل، فيحصل له ذلك أو بعضه. فيظن أن عمله صالح مرضي لله، ويكون بمنزلة من أملي له وأمد بالمال والبنين، وهو يظن أن الله تعالى يسارع له في الخيرات. وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ

أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

.... والمقصود: أن الشيطان بلطف كيده يحسن الدعاء عند القبر، وأنه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات الأسحار. فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى، من الدعاء عنده إلى الدعاء به، والإقسام على الله به، وهذا أعظم من الذي قبله، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه، أو يسأل بأحد من خلقه، وقد أنكر أئمة الإسلام ذلك.

فإذا قرر الشيطان عنده أن الإقسام على الله به، والدعاء به أبلغ في تعظيمة واحترامه، وأنجع في قضاء حاجته، نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله. ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى إلى أن يتخذه وثناً يعكف عليه ويوقد عليه القنديل، ويعلق عليه الستور، ويبني عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطواف به وتقبيله واستلامه والحج إليه والذبح عنده. ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذة عيداً ومنسكاً وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢١٤).

زيارة الموحدين للقبور مقصودها ثلاثة أشياء

قال رحمه الله: زيارة الموحدين: فمقصودها ثلاثة أشياء:

أحدها: تذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ. وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «زُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»^(١).

الثاني: الإحسان إلي الميت، وأن لا يطول عهده به، فيهجره، ويتناساه، كما إذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه، فإذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك، فالميت أولى؛ لأنه قد صار في دار قد هجر أهلها إخوانهم وأهلهم ومعارفهم، فإذا زاره وأهدى إليه هدية: من دعائه، أو صدقة، أو أهدى قربة، إزداد بذلك سروره وفرحه، كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له. ولهذا شرع النبي ﷺ للزائرين أن يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والرحمة، وسؤال العافية فقط. ولم يشرع أن يدعوهم، ولا يدعوهم بهم، ولا يصلي عندهم.

الثالث: إحسان الزائر إلي نفسه باتباع السنة، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ، فيحسن إلي نفسه وإلي المزور.

وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عباد الأصنام. إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (١/ ٢١٨).

«١» رواه مسلم برقم (١٠٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وللترمذي (١٠٥٤): «فإنها تذكر الآخرة».

لو كان مع الله إله آخر، لترتب عليه أحد ثلاثة أمور

قال رحمه الله: وقال تعالى: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ

إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [المؤمنون ٩١]،

فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلي عابده النفع ويدفع عنه الضرر، فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل وحيثئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره وتفرده بالالهية دونه فعل وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضا بممالكهم، إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة:

إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد، وملك واحد، يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم عليه ولا يمتنعون من حكمه عليهم، فيكون وحده هو الإله الحق، وهم العبيد المربوبون المقهورون.

وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره، كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد لا رب له غيره، فذاك تمانع في الفعل والإيجاد، وهذا تمانع في

العبادة والإلهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان يستحيل أن يكون له إلهان معبودان. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة (٢/ ٤٦٣).

الأصول التي اتفقت عليها جميع الرسل ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: الأصول الثلاثة التي اتفق عليها جميع الملل وجاءت بها جميع الرسل

وهي:

الإيمان بالله.

واليوم الآخر.

والأعمال الصالحة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢)

[البقرة ٦٢]. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة (٣/ ١٠٩٦).

مراتب إحصاء أسماء الله تعالى ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة وهذا هو قطب

السعادة، ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾

[الأعراف: ١٨٠]. وهو مرتبتان:

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة.

فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، وكذلك لا يُسأل إلا بها . فائدة جلیلة في قواعد

الأسماء الحسنی (ص: ٣٠).

النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء

قال رحمه الله: النَّصْحُ فِي التَّوْبَةِ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ:

الأوّل: تَعْمِيمُ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَاسْتِغْرَافُهَا بِهَا بِحَيْثُ لَا تَدْعُ ذَنْبًا إِلَّا تَنَاولَتْهُ.

والثاني: إِجْمَاعُ الْعَزْمِ وَالصَّدَقِ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَيْهَا، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى عِنْدَهُ تَرَدُّدٌ، وَلَا تَلَوُّمٌ وَلَا انْتِظَارٌ، بَلْ يَجْمَعُ عَلَيْهَا كُلَّ إِرَادَتِهِ وَعَزِيمَتِهِ مُبَادِرًا بِهَا.

الثالث: تَخْلِيصُهَا مِنَ الشَّوَابِ وَالْعِلَلِ الْقَادِحَةِ فِي إِخْلَاصِهَا، وَوُقُوعُهَا لِمَحْضِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ، وَالرَّغْبَةِ فِيهَا لَدَيْهِ، وَالرَّهْبَةِ مِمَّا عِنْدَهُ، لَا كَمَنْ يَتُوبُ لِحِفْظِ جَاهِهِ وَحُرْمَتِهِ، وَمَنْصِبِهِ وَرِيَاسَتِهِ، وَلِحِفْظِ حَالِهِ، أَوْ لِحِفْظِ قُوَّتِهِ وَمَالِهِ، أَوْ اسْتِدْعَاءِ حَمْدِ النَّاسِ، أَوْ الْهَرَبِ مِنْ ذَمِّهِمْ، أَوْ لئَلَّا يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ السُّفَهَاءُ، أَوْ لِقَضَاءِ نَهْمَتِهِ مِنَ الدُّنْيَا، أَوْ لِإِفْلَاسِهِ وَعَجْزِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي صِحَّتِهَا وَخُلُوصِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَالْأَوَّلُ يَتَعَلَّقُ بِمَا يَتُوبُ مِنْهُ، وَالثَّالِثُ يَتَعَلَّقُ بِمَنْ يَتُوبُ إِلَيْهِ، وَالْأَوْسَطُ يَتَعَلَّقُ بِذَاتِ التَّائِبِ وَنَفْسِهِ، فَنُصْحُ التَّوْبَةِ الصَّدَقُ فِيهَا، وَالْإِخْلَاصُ، وَتَعْمِيمُ الذُّنُوبِ بِهَا، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ التَّوْبَةَ تَسْتَلْزِمُ الْإِسْتِغْفَارَ وَتَتَضَمَّنُهُ، وَتَمَحُو جَمِيعَ الذُّنُوبِ، وَهِيَ أَكْمَلُ مَا يَكُونُ مِنَ التَّوْبَةِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد

وإياك نستعين (١/ ٣١٧).

مراتب اليقين ثلاثة

قال رحمه الله: ذكر الله سبحانه في كتابه مراتب اليقين وهي ثلاثة حق اليقين، وعلم

اليقين، وعين اليقين، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ

﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ [التكاثر: ٥ - ٧] فهذه ثلاث مراتب لليقين.

أولها: علمه وهو التصديق التام به بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة تقدح في تصديقه كعلم اليقين بالجنة مثلاً وتيقنهم أنها دار المتقين ومقر المؤمنين فهذه مرتبة العلم كيقينهم أن الرسل أخبروا بها عن الله وتيقنهم صدق المخبر.

المرتبة الثانية: عين اليقين وهي مرتبة الرؤية والمشاهدة كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ وبين هذه المرتبة والتي قبلها فرق ما بين العلم والمشاهدة فاليقين للسمع وعين اليقين للبصر وفي المسند للإمام أحمد مرفوعاً ليس الخبر كالمعاين وهذه المرتبة هي التي سألتها إبراهيم الخليل ربه أن يريه كيف يحيي الموت ليحصل له مع علم اليقين عين اليقين فكان سؤاله زيادة لنفسه وطمأنينة لقلبه فيسكن القلب عند المعاينة ويطمئن لقطع المسافة التي بين الخبر والعيان.

المرتبة الثالثة: مرتبة حق اليقين وهي مباشرة الشيء بالإحساس به كما إذا أدخلوا الجنة

وتمتعوا بما فيها فهم في الدنيا في مرتبة علم اليقين وفي الموقف حين نزلف ونقرب منهم حتى يعاينوها في مرتبة عين اليقين وإذا دخلوها وباشروا نعيمها في مرتبة حق اليقين. **البيان في**

أقسام القرآن (ص: ١٩١). وانظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٠٦).

لذات الدنيا ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: وَلَذَاتُ الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٌ:

فَأَعْظَمُهَا وَأَكْمَلُهَا: مَا أَوْصَلَ لَذَّةَ الْآخِرَةِ، وَيُثَابُ الْإِنْسَانُ عَلَى هَذِهِ اللَّذَّةِ أَتَمَّ ثَوَابٍ، وَلِهَذَا كَانَ الْمُؤْمِنُ يُثَابُ عَلَى مَا يَقْصِدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، مِنْ أَكْلِهِ، وَشُرْبِهِ، وَلِبَاسِهِ، وَنِكَاحِهِ، وَشِفَاءِ غَيْظِهِ بِقَهْرِ عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّهِ، فَكَيْفَ بِلَذَّةِ إِيْمَانِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ، وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، وَشَوْقِهِ إِلَى لِقَائِهِ، وَطَمَعِهِ فِي رُؤْيَا وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ؟

النَّوعُ الثَّانِي: لَذَّةٌ تَمْنَعُ لَذَّةَ الْآخِرَةِ، وَتُعَقِّبُ آلَا مَا أَعْظَمَ مِنْهَا، كَلَذَّةِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ، وَيَسْتَمْتِعُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، كَمَا يَقُولُونَ فِي الْآخِرَةِ إِذَا لَقُوا رَبَّهُمْ: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ١٢٨ - ١٢٩].

وَلَذَّةٌ أَصْحَابِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ فِي الْأَرْضِ وَالْعُلُوِّ بِغَيْرِ الْحَقِّ. وَهَذِهِ اللَّذَاتُ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هِيَ اسْتِدْرَاجٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ لِيُذَيِّقَهُمْ بِهَا أَعْظَمَ الْأَلَامِ، وَيَحْرِمَهُمْ بِهَا أَكْمَلَ اللَّذَاتِ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَدَّمَ لِعَيْرِهِ طَعَامًا لَذِيذًا مَسْمُومًا؛ يَسْتَدْرِجُهُ بِهِ إِلَى هَلَاقِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٣٣﴾﴾ [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ١٣٢ - ١٣٣].

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي تَفْسِيرِهَا: كُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْبًا أَحْدَثْنَا لَهُمْ نِعْمَةً: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ٤٤ - ٤٥﴾. وَقَالَ تَعَالَى لِأَصْحَابِ هَذِهِ اللَّذَّةِ: ﴿يَخْسَبُونَ أَنَّمَا يُنذِرُكُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ٥٥﴾ سُارِعُ لَهْمٍ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: ٥٥ - ٥٦].
 وَقَالَ فِي حَقِّهِمْ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ٥٥﴾﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٥٥]. وَهَذِهِ اللَّذَّةُ تَقْلِبُ آخِرًا
 آلَا مَا مِنْ أَعْظَمِ الْآلَامِ، كَمَا قِيلَ:

مَا رُبُّ كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ لِأَهْلِهَا * عَذَابًا فَصَارَتْ فِي الْمَعَادِ عَذَابًا
النَّوعُ الثَّلَاثُ: لَذَّةٌ لَا تُعْقِبُ لَذَّةً فِي دَارِ الْقَرَارِ وَلَا أَلَمًا، وَلَا تَمْنَعُ أَصْلَ لَذَّةِ دَارِ الْقَرَارِ،
 وَإِنْ مَنَعَتْ كَمَالَهَا، وَهَذِهِ اللَّذَّةُ الْمُبَاحَةُ الَّتِي لَا يُسْتَعَانُ بِهَا عَلَى لَذَّةِ الْآخِرَةِ، فَهَذِهِ زَمَانُهَا
 يَسِيرٌ، لَيْسَ لِمَتَمُّعِ النَّفْسِ بِهَا قَدْرٌ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَشْتَغِلَ عَمَّا هُوَ خَيْرٌ وَأَنْفَعُ مِنْهَا.
 فَمَا أَعَانَ عَلَى اللَّذَّةِ الْمَطْلُوبَةِ لِذَاتِهَا فَهُوَ حَقٌّ، وَمَا لَمْ يَعِنْ عَلَيْهَا فَهُوَ بَاطِلٌ. **الداء والدواء**
 (ص: ٢٣٤).

عشق النساء على ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: فَعِشْقُ النِّسَاءِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ:

قِسْمٌ هُوَ قُرْبَةٌ وَطَاعَةٌ، وَهُوَ عِشْقُ امْرَأَتِهِ وَجَارِيَّتِهِ، وَهَذَا الْعِشْقُ نَافِعٌ؛ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى
 الْمَقَاصِدِ الَّتِي شَرَعَ اللَّهُ لَهَا النِّكَاحَ، وَكَفَّ لِلْبَصَرِ وَالْقَلْبِ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، وَلِهَذَا
 يُحْمَدُ هَذَا الْعَاشِقُ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ النَّاسِ.

وَعِشْقٌ: هُوَ مَقْتُ عِنْدَ اللَّهِ وَبُعْدٌ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَهُوَ أَضَرُّ شَيْءٍ عَلَى الْعَبْدِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ،
 وَهُوَ عِشْقُ الْمُرْدَانِ، فَمَا ابْتُلِيَ بِهِ إِلَّا مَنْ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ، وَطُرِدَ عَنْ بَابِهِ، وَأُبْعِدَ قَلْبُهُ
 عَنْهُ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْحُجُبِ الْقَاطِعَةِ عَنِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا سَقَطَ الْعَبْدُ مِنْ

عَيْنِ اللَّهِ، ابْتَلَاهُ بِمَحَبَّةِ الْمُردَانِ، وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ هِيَ الَّتِي جَلَبَتْ عَلَى قَوْمٍ لُوطٍ مَا جَلَبَتْ،
فَمَا أَتُوا إِلَّا مِنْ هَذَا الْعِشْقِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَعَنَّاكَ إِنَّمْ لَفَى سَكْرَتِهِمْ يَعْصَهُونَ﴾ [سُورَةُ

الْحَجَرِ: ٧٢].

وَدَوَاءُ هَذَا الدَّاءِ: الْإِسْتِعَانَةُ بِمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ، وَصِدْقِ اللَّجَأِ إِلَيْهِ، وَالِاشْتِغَالُ بِذِكْرِهِ،
وَالْتَّعْوِضُ بِحُبِّهِ وَقُرْبِهِ، وَالتَّفَكُّرُ فِي الْأَلَمِ الَّذِي يُعْقِبُهُ هَذَا الْعِشْقُ، وَاللَّذَّةُ الَّتِي تَفُوتُهُ بِهِ،
فَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ فَوَاتُ أَعْظَمِ مَحْجُوبٍ، وَحُصُولُ أَعْظَمِ مَكْرُوهٍ، فَإِذَا أَقْدَمْتَ نَفْسَهُ عَلَى هَذَا
وَأَثَرَتُهُ، فَلْيُكَبِّرْ عَلَى نَفْسِهِ تَكْبِيرَ الْجِنَازَةِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْبَلَاءَ قَدْ أَحَاطَ بِهِ.

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ: الْعِشْقُ الْمُبَاحُ، وَهُوَ الْوَاقِعُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، كَعِشْقِ مَنْ وَصَفَتْ لَهُ امْرَأَةٌ
جَمِيلَةً، أَوْ رَأَاهَا فَجَاءَهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، فَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهَا، وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ ذَلِكَ الْعِشْقُ مَعْصِيَةً،
فَهَذَا لَا يُمْلِكُ وَلَا يُعَاقِبُ، وَالْأَنْفَعُ لَهُ مُدَافَعَتُهُ، وَالِاشْتِغَالُ بِمَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْهُ، وَيَجِبُ
الْكُتْمُ وَالْعِفَّةُ وَالصَّبْرُ فِيهِ عَلَى الْبُلُوَى، فَيُثَبِّتُهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَعْوِضُهُ عَلَى صَبْرِهِ لِلَّهِ
وَعَفْوَتِهِ، وَتَرْكِهِ طَاعَةَ هَوَاهُ، وَإِثَارَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَهُ. **الداء والدواء (ص: ٢٤٠).**

الناس في العشق على ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: وَالنَّاسُ فِي الْعِشْقِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ:

مِنْهُمْ: مَنْ يَعِشْقُ الْجَمَالَ الْمُطْلَقَ، وَقَلْبُهُ يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادٍ، لَهُ فِي كُلِّ صُورَةٍ جَمِيلَةٍ
مُرَادٌ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعِشْقُ الْجَمَالَ الْمُقَيَّدَ، سَوَاءً طَمِعَ فِي وَصَالِهِ أَوْ لَا.

وَمِنْهُمْ: مَنْ لَا يَعِشْقُ إِلَّا مَنْ يَطْمَعُ فِي وَصَالِهِ.

وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ تَفَاوُتٌ فِي الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ.

فَعَاشِقُ الْجَمَالِ الْمُطْلَقِ، يَهِيْمُ قَلْبُهُ فِي كُلِّ وَادٍ، وَلَهُ فِي كُلِّ صُورَةٍ جَمِيلَةٍ مُرَادٌ:

فَهَذَا عِشْقُهُ أَوْسَعُ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ ثَابِتٍ كَثِيرُ التَّنَقُّلِ:

يَهِيْمُ بِهِذَا ثُمَّ يَعَشَقُ غَيْرَهُ * * وَيَسْلَاهُمُ مِنْ وَقْتِهِ حِينَ يُصْبِحُ

وَعَاشِقُ الْجَمَالِ الْمُقَيَّدِ اثْبَتَ عَلَى مَعْشُوقِهِ، وَأَدْوَمَ مَحَبَّةً لَهُ، وَمَحَبَّتُهُ أَقْوَى مِنْ مَحَبَّةِ الْأَوَّلِ، لِاجْتِمَاعِهِمَا فِي وَاحِدٍ، وَلَكِنْ يُضَعِفُهُمَا عَدَمُ الطَّمَعِ فِي الْوِصَالِ، وَعَاشِقُ الْجَمَالِ الَّذِي يُطْمَعُ فِي وَصَالِهِ أَعْقَلَ الْعُشَّاقِ وَأَعْرِفُهُمْ، وَحُبُّهُ أَقْوَى لِأَنَّ الطَّمَعَ يَمُدُّهُ وَيَقْوِيهِ. الداء والدواء (ص: ٢٤١).

أقسام عدة النساء في الشرع، ثلاثة

قال رسول الله ﷺ: وَمِمَّا يَبْنِي حُكْمَةَ الشَّرِيعَةِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الشَّارِعَ قَسَمَ النِّسَاءَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: الْمُفَارَقَةُ قَبْلَ الدُّخُولِ؛ فَلَا عِدَّةَ عَلَيْهَا وَلَا رَجْعَةَ لِرِزْوَجِهَا فِيهَا.

الثَّانِي: الْمُفَارَقَةُ بَعْدَ الدُّخُولِ إِذَا كَانَ لِرِزْوَجِهَا عَلَيْهَا رَجْعَةٌ، فَجَعَلَ عِدَّتَهَا ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ سُبْحَانَهُ الْعِدَّةَ بِثَلَاثَةِ قُرُوءٍ إِلَّا فِي هَذَا الْقِسْمِ، كَمَا هُوَ مُصَرَّحٌ بِهِ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَرْبِصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ

فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وَكَذَا فِي سُورَةِ الطَّلَاقِ، لَمَّا ذَكَرَ الْإِعْتِدَادَ بِالْأَشْهُرِ الثَّلَاثَةِ فِي حَقِّ مَنْ إِذَا بَلَغَتْ أَجَلَهَا خَيْرَ رِزْوَجِهَا بَيْنَ إِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ مُفَارَقَتِهَا بِإِحْسَانٍ، وَهِيَ الرَّجْعِيَّةُ قَطْعًا، فَلَمْ يَذْكُرْ الْأَقْرَاءَ أَوْ بَدَلَهَا فِي حَقِّ بَائِنِ الْبَتَّةِ.

القِسْمُ الثَّالِثُ: مَنْ بَانَ عَنْ زَوْجِهَا وَانْقَطَعَ حَقُّهُ عَنْهَا بِسَبْيٍ أَوْ هِجْرَةٍ أَوْ خُلْعٍ؛ فَجَعَلَ عِدَّتَهَا حَيْضَةً لِلِاسْتِبْرَاءِ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا ثَلَاثًا؛ إِذْ لَا رَجْعَةَ لِلزَّوْجِ، وَهَذَا فِي عَايَةِ الظُّهُورِ وَالْمُنَاسَبَةِ؛ وَأَمَّا الزَّانِيَةُ وَالْمَوْطُوءَةُ، بِشُبْهَةٍ فَمَوْجِبُ الدَّلِيلِ أَنَّهَا تُسْتَبْرَأُ بِحَيْضَةٍ فَقَطْ، وَنَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ فِي الزَّانِيَةِ، وَاخْتَارَهُ شَيْخُنَا فِي الْمَوْطُوءَةِ بِشُبْهَةٍ، وَهُوَ الرَّاجِحُ، وَقَيَّاسُهُمَا عَلَى الْمُطْلَقَةِ الرَّجْعِيَّةِ مِنْ أْبَعَدِ الْقِيَاسِ وَأَفْسَدِهِ. **إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٥٤).**

الناس ثلاثة

قال رحمه الله: وَالنَّاسُ ثَلَاثَةٌ رَجُلٌ وَنِصْفُ رَجُلٍ وَلَا شَيْءَ:

فالرجل من اجتمع له أصالة الرأي والشجاعة فهذا الرجل الكامل كما قال أحمد بن الحسين المتنبّي:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ * * هُوَ أَوَّلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةً * * بَلَغْتَ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
ونصف الرجل، وهو من انفرد بأحد الوصفين دون الآخر.

والذي هو لا شيء من عري من الوصفين جميعاً. **الفروسية (ص: ٥٠٤).**

وقال رحمه الله: وصحة الرأي لقاح الشجاعة فإذا اجتمعا كان النصر والظفر وإن قعدا فالخذلان والخيبة وإن وجد الرأي بلا شجاعة فالجبن والعجز وإن حصلت الشجاعة بلا رأي فالتهور والعطب والصبر لقاح البصيرة فإذا اجتمعا فالخير في اجتماعهما قال الحسن إذا شئت أن ترى بصيرا لا صبر له رأيت له وإذا شئت أن ترى صابرا لا بصيرة له رأيت فإذا رأيت صابرا بصيرا فذاك. **الفوائد (ص: ٢٠٠).**

فائدة: قال الخليل بن أحمد رحمته الله: الرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ:

- رَجُلٌ يَذِرِي وَيَذِرِي أَنَّهُ يَذِرِي فَذَلِكَ عَالِمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَسَلُّوهُ.
- وَرَجُلٌ لَا يَذِرِي وَيَذِرِي أَنَّهُ لَا يَذِرِي فَذَلِكَ جَاهِلٌ فَعَلِّمُوهُ.
- وَرَجُلٌ يَذِرِي وَلَا يَذِرِي أَنَّهُ يَذِرِي فَذَلِكَ عَاقِلٌ فَتَّبِعُوهُ.
- وَرَجُلٌ لَا يَذِرِي وَلَا يَذِرِي أَنَّهُ لَا يَذِرِي فَذَلِكَ مَائِقٌ - أَحْمَقٌ - فَاحْذَرُوهُ. [جامع بيان

العلم ٢/ ٨٢٠].

دخول الناس النار من ثلاثة أبواب

قال رحمته الله: دخل النَّاسُ النَّارَ من ثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ:

بَابُ شُبْهَةِ أَوْرَثَتْ شَكَا فِي دِينِ اللَّهِ.

وَبَابُ شَهْوَةِ أَوْرَثَتْ تَقْدِيمَ الْهَوَى عَلَى طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ.

وَبَابُ غَضَبٍ أَوْرَثَ الْعَدَوَانَ عَلَى خَلْقِهِ . الفوائد (ص: ٥٨).

الناس في تحويل القبلة إلى ثلاثة أصناف

قال رحمته الله: قال أبو القاسم: وكرر الباري تعالى الأمر بالتوجه إلى بيته الحرام في ثلاث

آيات؛ لأن المنكرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس.

اليهود؛ لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم.

وأهل الرب والنفاق اشتد إنكارهم له؛ لأنه كان أول نسخ نزل.

وكفار قریش قالوا ندم محمد على فراق ديننا فسيرجع إليه كما رجع إلى قبلتنا، وكانوا

قبل ذلك محتجون عليه فيقولون يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل وقد

فارق قبله إبراهيم وإسماعيل وآثر عليها قبله اليهود فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى

الكعبة: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠] على الاستثناء المنقطع أي: لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون.

وقال: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] أي من الذين شكوا وامتروا، ومعنى الحق من ربك أي: الذي أمرتك به من التوجه إلى البيت الحرام هو الحق الذي كان عليه الأنبياء قبلك فلا تتمر في ذلك فقال: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وقال: ﴿وَأِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] أي يكتُمون ما علموا أن الكعبة هي قبلة الأنبياء. بدائع الفوائد (٤/ ١٧٠).

يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف

قال رسول الله ﷺ: قال حذيفة وعبد الله بن مسعود وغيرهما من الصحابة **رضي الله عنهم** أجمعين: يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف:

فمن رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة.

ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار.

ومن استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف.

وهذه الموازنة تكون بعد القصاص، واستيفاء المظلومين حقوقهم من حسناته، فإذا بقي

شيء منها وزن هو وسيئاته. طريق المجرتين وباب السعادتین (ص: ٣٨٠).

الناس في أقدار الله ثلاثة مراتب

قال رحمه الله: فإذا وردت عليهم أقداره التي تصيبهم بغير اختيارهم قابلوها بمقتضاها من العبودية، وهم فيها على مراتب ثلاثة:

إحداها: الرضا عنه فيها والمزيد من حبه والشوق إليه، وهذا نشأ من مشاهدتهم للطفه فيها وبره وإحسانه العاجل والآجل، ومن مشاهدتهم حكمته فيها ونصبها سبباً لمصالحهم، وشوقهم بها إلى حبه ورضوانه، ولهم من ذلك مشاهد أخر لا تسعها العبارة وهي فتح من الله على العبد لا يبلغه علمه ولا عمله.

المرتبة الثانية: شكره عليها كشكره على النعم وهذا فوق الرضا عنه بها ومنه ينتقل إلى هذه المرتبة، فهذه مرتبتان لأهل هذا الشأن.

والثالثة: للمقتصدين وهي مرتبة الصبر التي إذا نزل منها نزل إلى نقصان الإيمان وفواته من التسخط والتشكى، واستبطاء الفرج، واليأس من الروح والجزع الذي لا يفيد إلا فوات الأجر وتضاعف المصيبة. طريق المجرتين وباب السعادتين (ص: ٢١٨).

مراتب الناس في المقدور على ثلاثة

قال رحمه الله: فَإِنَّ مَرَاتِبَ النَّاسِ فِي الْمَقْدُورِ ثَلَاثَةٌ:

الرِّضَا، وَهُوَ أَعْلَاهَا.

وَالسُّخْطُ، وَهُوَ أَسْفَلُهَا.

وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ بِدُونِ الرِّضَا بِهِ، وَهُوَ أَوْسَطُهَا.

فَأُولَى لِّلْمُقَرَّبِينَ السَّابِقِينَ، وَالثَّالِثَةُ لِّلْمُقْتَصِدِينَ، وَالثَّانِيَةُ لِّلظَّالِمِينَ، وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ يَصْبِرُ عَلَى الْمَقْدُورِ فَلَا يَسْخَطُ، وَهُوَ غَيْرُ رَاضٍ بِهِ، فَالرَّضَا أَمْرٌ آخَرُ. مدارج السالكين بين منازل إياك

نعبد وإياك نستعين (١/ ١٣١).

الناس في الآيات المتلوة والمشهودة على ثلاثة

قال رسول الله: وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُودَةِ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ [ق: ٣٦ - ٣٧].

وَالنَّاسُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ قَلْبُهُ مَيِّتٌ، فَذَلِكَ الَّذِي لَا قَلْبَ لَهُ، فَهَذَا لَيْسَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ذِكْرَى فِي حَقِّهِ.

الثاني: رَجُلٌ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ مُسْتَعِدٌّ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَمِعٍ لِلآيَاتِ الْمَتْلُوءَةِ الَّتِي يُخْبِرُ بِهَا اللَّهُ عَنِ الْآيَاتِ الْمَشْهُودَةِ؛ إِمَّا لِعَدَمِ وُرُودِهَا، أَوْ لَوْصُولِهَا إِلَيْهِ، وَلَكِنَّ قَلْبَهُ مَشْغُولٌ عَنْهَا بِغَيْرِهَا، فَهُوَ غَائِبٌ الْقَلْبِ، لَيْسَ حَاضِرًا، فَهَذَا أَيْضًا لَا تَحْصُلُ لَهُ الذِّكْرَى مَعَ اسْتِعْدَادِهِ وَوُجُودِ قَلْبِهِ.

الثالث: رَجُلٌ حَيٌّ الْقَلْبِ مُسْتَعِدٌّ، تَلَيْتَ عَلَيْهِ الْآيَاتُ، فَأَصْغَى بِسَمْعِهِ، وَأَلْقَى السَّمْعَ وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ، وَلَمْ يَشْغَلْهُ بِغَيْرِ فَهَمٍ مَا يَسْمَعُهُ، فَهُوَ شَاهِدُ الْقَلْبِ، مُلِقِ السَّمْعِ، فَهَذَا الْقِسْمُ هُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ الْمَتْلُوءَةِ وَالْمَشْهُودَةِ.

فَأَوَّلُ: بِمَنْزِلَةِ الْأَعْمَى الَّذِي لَا يُبْصِرُ.

وَالثَّانِي: بِمَنْزِلَةِ الْبَصِيرِ الطَّامِحِ بِبَصَرِهِ إِلَى غَيْرِ جِهَةِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، فَكِلَاهُمَا لَا يَرَاهُ.

وَالثَّالِثُ: بِمَنْزِلَةِ الْبَصِيرِ الَّذِي قَدْ حَدَقَّ إِلَى جِهَةِ الْمَنْظُورِ، وَأَتْبَعَهُ بَصَرُهُ، وَقَابَلَهُ عَلَى تَوْسُطٍ مِنَ الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَرَاهُ.

فُسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ كَلَامَهُ شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١)

(٤٤١).

ثلاثة أنواع من المدح متضمنة في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾

قال **رحمته الله**: عند قوله تعالى: ﴿فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾ (٦١) يتضمن ثلاثة أنواع من المدح:

أحدها: خدمة ضيفه بنفسه فإنه لم يرسل به وإنما جاء به بنفسه.

الثاني: أنه جاءهم بحيوان تام لم ياتهم ببعضه. ليتخيروا من أطيب لحمه ما شاءوا.

الثالث: أنه سمين ليس بهمزول، وهذا من نفائس الأموال، ولد البقر السمين فإنهم

يعجبون به، فمن كرمه هان عليه ذبحه وإحضاره. وقوله: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ يتضمن المدح

وآداباً أخرى وهو إحضار الطعام إلى بين يدي الضيف، بخلاف من يهين الطعام في موضع

ثم يقيم ضيفه فيورده عليه. الرسالة النبوية (ص: ٦٧).

قواعد طب الأبدان الثلاثة

قال **رحمته الله**: قَوَاعِدُ طِبِّ الْأَبْدَانِ ثَلَاثَةٌ:

حِفْظُ الصَّحَّةِ، وَالْحِمْيَةُ عَنِ الْمُؤْذِي، وَاسْتِفْرَافُ الْمَوَادِّ الْفَاسِدَةِ، فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ

الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ.

فَقَالَ فِي آيَةِ الصَّوْمِ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

[البقرة: ١٨٤]، فَأَبَاحَ الْفِطْرَ لِلْمَرِيضِ لِعُذْرِ الْمَرَضِ، وَلِلْمُسَافِرِ طَلَبًا لِحِفْظِ صِحَّتِهِ وَقُوَّتِهِ

لِتَلَّا يَذْهَبَهَا الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ لِاجْتِمَاعِ شِدَّةِ الْحَرَكَةِ، وَمَا يُوجِبُهُ مِنَ التَّحْلِيلِ، وَعَدَمِ الْغِذَاءِ

الَّذِي يُخْلِفُ مَا تَحَلَّلَ فَتَخُورُ الْقُوَّةُ، وَتَضَعُفُ، فَأَبَاحَ لِلْمُسَافِرِ الْفِطْرَ حِفْظًا لِصِحَّتِهِ وَقُوَّتِهِ عَمَّا يُضْعِفُهَا.

وَقَالَ فِي آيَةِ الْحَجِّ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ

سُكٍّ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فَأَبَاحَ لِلْمَرِيضِ، وَمَنْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ، مِنْ قَمَلٍ، أَوْ غَيْرِهِمَا، أَنْ يَخْلِقَ رَأْسَهُ فِي الْإِحْرَامِ اسْتِفْرَاغًا لِمَادَّةِ الْأَبْخَرَةِ الرَّدِيئَةِ الَّتِي أَوْجَبَتْ لَهُ الْأَذَى فِي رَأْسِهِ بِاِحْتِقَانِهَا تَحْتَ الشَّعْرِ، فَإِذَا حَلَقَ رَأْسَهُ تَفَتَّحَتِ الْمَسَامُ، فَخَرَجَتْ تِلْكَ الْأَبْخَرَةُ مِنْهَا، فَهَذَا الْاسْتِفْرَاغُ يُقَاسُ عَلَيْهِ كُلُّ اسْتِفْرَاغٍ يُؤْذِي انْحِبَاسَهُ.

وَأَمَّا الْحِمْيَةُ: فَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ الْوُضُوءِ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ

مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦]، فَأَبَاحَ لِلْمَرِيضِ الْعُدُولَ عَنِ الْمَاءِ إِلَى التُّرَابِ حِمْيَةً لَهُ أَنْ يُصِيبَ جَسَدَهُ مَا يُؤْذِيهِ، وَهَذَا تَنْبِيهُ عَلَى الْحِمْيَةِ عَنْ كُلِّ مُؤْذٍ لَهُ مِنْ دَاخِلٍ أَوْ خَارِجٍ فَقَدْ أَرَشَدَ - سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ إِلَى أَصُولِ الطَّبِّ وَمَجَامِعِ قَوَاعِيدِهِ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ هَذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، وَبَيِّنُ أَنْ هَدْيَهُ فِيهِ أَكْمَلُ هَدْيٍ. الطب النبوي (ص: ٦). وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٥٨).

مراتب الغذاء ثلاثة

قال **رحمته الله**: وَمَرَاتِبُ الْغِذَاءِ ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُهَا: مَرْتَبَةُ الْحَاجَةِ. وَالثَّانِيَةُ: مَرْتَبَةُ الْكِفَايَةِ. وَالثَّالِثَةُ: مَرْتَبَةُ الْفَضْلَةِ.

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ **ﷺ**: أَنَّهُ يَكْفِيهِ لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنَ صَلْبُهُ^(١)، فَلَا تَسْقُطُ قُوَّتُهُ، وَلَا تَضَعُفُ مَعَهَا، فَإِنْ تَجَاوَزَهَا، فَلْيَأْكُلْ فِي ثُلْثِ بَطْنِهِ، وَيَدَعِ الثُّلُثَ الْآخَرَ لِلْمَاءِ، وَالثَّلَاثَ لِلنَّفْسِ، وَهَذَا مِنْ أَنْفَعِ مَا لِلْبَدَنِ وَالْقَلْبِ، فَإِنَّ الْبَطْنَ إِذَا امْتَلَأَ مِنَ الطَّعَامِ ضَاقَ عَنِ الشَّرَابِ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ الشَّرَابُ ضَاقَ عَنِ النَّفْسِ، وَعَرَضَ لَهُ الْكَرْبُ وَالتَّعَبُ بِحَمْلِهِ بِمَنْزِلَةِ حَامِلِ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ، هَذَا إِلَى مَا يَلْزَمُ ذَلِكَ مِنْ فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطاعات، وَتَحَرُّكُهَا فِي الشَّهَوَاتِ الَّتِي يَسْتَلْزِمُهَا الشُّبْعُ. فَاِمْتِلَأْ الْبَطْنَ مِنَ الطَّعَامِ مُضِرًّا لِلْقَلْبِ وَالْبَدَنِ. هَذَا إِذَا كَانَ دَائِمًا أَوْ أَكْثَرِيًّا. وَأَمَّا إِذَا كَانَ فِي الْأَحْيَانِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ، فَقَدْ شَرِبَ أَبُو هُرَيْرَةَ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ **ﷺ** مِنَ اللَّبَنِ، حَتَّى قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا»^(٢)، وَأَكَلَ الصَّحَابَةُ بِحَضْرَتِهِ مَرَارًا حَتَّى شَبِعُوا.

وَالشُّبْعُ الْمُفْرِطُ يُضْعِفُ الْقُوَى وَالْبَدَنَ، وَإِنْ أَخَصَبَهُ، وَإِنَّمَا يَقْوَى الْبَدَنُ بِحَسَبِ مَا يَقْبَلُ مِنَ الْغِذَاءِ، لَا بِحَسَبِ كَثْرَتِهِ. الطب النبوي (ص: ١٦).

(١) يشير إلى حديث المُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ **رحمته الله**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَقُولُ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنُ صَلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فُتِلْ طَعَامٌ، وَتُلْتُ شَرَابٌ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ» رواه أحمد، وهو في الصحيحة برقم (٢٢٦٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٤٥٢).

علاجه ﷺ للمرض ثلاثة أنواع

قال رسول الله: وَكَانَ عِلاجُهُ لِلْمَرَضِ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: بِالْأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ.

وَالثَّانِي: بِالْأَدْوِيَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَالثَّلَاثُ: بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ. الطب النبوي (ص: ٢٠).

دم الطمث ينقسم ثلاثة أقسام من حيث التصريف

قال رسول الله: دم الطمث ينقسم ثلاثة أقسام:

قسم ينصرف إلى غذاء الجنين.

وقسم يصعد إلى البدن.

وقسم يحبس إلى وقت الوضع فيخرج مع الولد وهو دم النفاس وربما كانت مادة الدم

قوية - وهو كثير فيخرج بعضه لقوته وكثرته. التبيان في أقسام القرآن - الفكر (ص: ٢٢٠).

أحل الله ثلاثة أصناف من النساء

قال رسول الله: وَأَمَّا قِيَاسُكُمْ حَلَّ النِّكَاحِ عَلَى حِلِّ الذَّبِيحَةِ فَمِيقَاسُ فَاسِدٍ، فَإِنَّ الرُّقَّ لَا

تَأْثِيرَ لَهُ فِي الذَّبَائِحِ، وَلَهُ تَأْثِيرٌ فِي النِّكَاحِ.

قَالُوا: وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، فَالْمُرَادُ بِهِ مَا حَلَّ

وَأَذِنَ فِيهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَأْذَنْ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ مِنَ النِّسَاءِ:

الْحَرَائِرُ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ.

وَالْحَرَائِرُ مِنَ الْكِتَابِيَّاتِ.

وَالْإِمَاءُ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ.

فَبَقِيَ الْإِمَاءُ الْكِتَابِيَّاتُ لَمْ يَأْذَنْ فِيهِنَّ، فَبَقِينَ عَلَى أَصْلِ التَّحْرِيمِ. أَحْكَامُ أَهْلِ الذِّمَّةِ (٢/ ٨٠٧).

الملابس ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: وَالْمَلَابِسُ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ:

قِسْمٌ يُسَخِّنُ الْبَدَنَ وَيُدْفِئُهُ.

وَقِسْمٌ يَدْفِئُهُ وَلَا يُسَخِّنُهُ.

وَقِسْمٌ لَا يُسَخِّنُهُ وَلَا يَدْفِئُهُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يُسَخِّنُهُ وَلَا يَدْفِئُهُ، إِذْ مَا يُسَخِّنُهُ فَهُوَ أَوَّلَى بِنَدْفَتِهِ.

فَمَلَابِسُ الْأَوْبَارِ وَالْأَصْوَابِ تَسَخِّنُ وَتَدْفِئُ، وَمَلَابِسُ الْكَتَانِ وَالْحَرِيرِ وَالْقُطْنِ تَدْفِئُ وَلَا تُسَخِّنُ، فَثِيَابُ الْكَتَانِ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ، وَثِيَابُ الصُّوفِ حَارَّةٌ يَابِسَةٌ، وَثِيَابُ الْقُطْنِ مُعْتَدِلَةٌ الْحَرَارَةِ، وَثِيَابُ الْحَرِيرِ أَلْيَنُ مِنَ الْقُطْنِ وَأَقْلُ حَرَارَةً مِنْهُ. (الطب النبوي (ص: ٦٠))

خلق الرأس ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: خَلَقَ الرَّأْسَ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: نُسْكٌ وَقُرْبَةٌ.

وَالثَّانِي: بِدْعَةٌ وَشِرْكٌ.

وَالثَّالِثُ: حَاجَةٌ وَدَوَاءٌ.

فَالْأَوَّلُ: الْخَلْقُ فِي أَحَدِ النَّسَكِينَ، الْحَجِّ أَوْ الْعِمْرَةِ، وَالثَّانِي: خَلْقُ الرَّأْسِ لِغَيْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا يَخْلُقُهَا الْمُرِيدُونَ لِشُيُوخِهِمْ، وَأَمَّا خَلْقُ الْحَاجَةِ وَالرُّخْصَةِ فَهُوَ كَالْخَلْقِ لَوَجَعٍ أَوْ قَمَلٍ أَوْ آذَى فِي رَأْسِهِ مِنْ بُثُورٍ وَنَحْوِهَا فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ. (الطب النبوي (ص: ١١٨)). وانظر:

وقال رحمه الله: وَكَانَ هَدِيَّةً - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَلْقِ الرَّأْسِ تَرْكُهُ كُلَّهُ، أَوْ أَخْذُهُ كُلَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقُ بَعْضَهُ وَيَدْعُ بَعْضَهُ، وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ حَلْقُهُ إِلَّا فِي نُسْكِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٦٧).

نوم النهار ثلاثة

قال رحمه الله: وَقِيلَ: نَوْمُ النَّهَارِ ثَلَاثَةٌ:

خُلُقٌ، وَحُرْقٌ، وَحُمُقٌ.

فَالْخُلُقُ: نَوْمَةُ الْهَاجِرَةِ، وَهِيَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالْحُرْقُ: نَوْمَةُ الضُّحَى، تَشْغُلُ عَنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالْحُمُقُ: نَوْمَةُ الْعَصْرِ. الطب النبوي (ص: ١٨١).

الفروسية تظهر في ثلاثة أشياء

قال رحمه الله: الفروسية تظهر في ثلاثة أشياء:

رُكُوبُ الْخَيْلِ والمسابقة عَلَيْهَا، **وَرَمِي** الشباب، **وَاللَّعِبُ** بِالرُّمَحِ، وَهُوَ بَنُودٌ كَثِيرَةٌ ومبناه التبطيل والنَّقْلُ والتسريح والنثْل والطعن والدُّخُولُ وَالْخُرُوجُ. ومداره على أصليين الطَّعْنُ والتبطيل، فالشجاع الْخَبِيرُ الَّذِي لَا يَطْعَنُ فِي مَوْطِنِ التَّبْطِيلِ وَلَا يَبْطُلُ فِي مَوْضِعِ الطَّعْنِ بَلْ يُعْطِي كُلَّ حَالٍ مَا يَلِيْقُ بِهِ وَيَعْرِفُ حَكْمَ مِلَازِقَةِ الْقُرْنِ وَمِفَارِقَتِهِ وَمَخَارِجَتِهِ وَمُضَاقِقَتِهِ وَهَزْلَهُ وَجَدَهُ وَأَخْذَهُ وَرَدَهُ وَطُلُوعَهُ وَنَزُولَهُ وَكَرَهُ وَفَرَهُ.

وَيُعْطِي كُلَّ حَالٍ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ كَفَوْهَا وَمَا يَلِيْقُ بِهَا وَيَكُونُ عَارِفًا بِالدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ وَمَوَاضِعِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَالْإِقْدَامِ وَالْإِحْجَامِ وَاسْتِعْمَالِ الطَّعْنِ الْكَاذِبِ فِي مَوْضِعِهِ وَالصَّادِقِ فِي مَوْضِعِهِ وَالِاسْتِدَارَةَ عِنْدَ الْمَجَاوِلَةِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَإِعْمَالَ الْفِكْرِ

حَال دُخُول الْقَرْنِ عَلَى قَرْنِهِ فِي الْخُرُوجِ مِنْهُ وَالْدُّخُولِ عَلَيْهِ فَلَا يَشْغَلُهُ أَحَدُهُمَا عَنْ
الْآخَرِ. الفروسية (ص: ١٥٦).

الفرعات ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ: الْفِرْعَاتُ ثَلَاثَةٌ:

فَمَنْ كَانَتْ فِرْعَتُهُ فِي رِجْلَيْهِ فَذَاكَ الَّذِي لَا تَقْلَهُ رِجْلَاهُ.

وَمَنْ كَانَتْ فِرْعَتُهُ فِي رَأْسِهِ فَذَاكَ الَّذِي يَفِرُّ عَنْ أَبَوَيْهِ.

وَمَنْ كَانَتْ فِرْعَتُهُ فِي قَلْبِهِ فَذَاكَ الَّذِي لَا يُقَاتِلُ، وَالْجَبْنَ وَالشَّجَاعَةَ غَرَائِزَ وَأَخْلَاقَ
فَالْجَبَانُ يَفِرُّ عَنْ عَرْسِهِ وَالشَّجَاعُ يُقَاتِلُ عَنْ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ مِنْ أَمِّ نَفْسِهِ * * وَيَحْمِي شُجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُنَاسِبُهُ

الفروسية (ص: ٤٩٨)

أصول الخطايا ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: أَصُولُ الْخَطَايَا كُلُّهَا ثَلَاثَةٌ:

الْكِبَرُ وَهُوَ الَّذِي أَصَارَ إِبْلِيسَ إِلَى مَا أَصَارَهُ.

وَالْحِرْصُ وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ.

وَالْحَسَدُ وَهُوَ الَّذِي جَرَأَ أَحَدًا بَنِي آدَمَ عَلَى أَخِيهِ.

فَمَنْ وَقِيَ شَرَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَقَدْ وَقِيَ الشَّرَّ فَالْكَفَرُ مِنَ الْكِبَرِ وَالْمَعَاصِي مِنَ الْحِرْصِ

وَالْبَغْيُ وَالظُّلْمُ مِنَ الْحَسَدِ. الفوائد (ص: ٥٨)، وانظر: (ص: ٨١).

أصول الشفاء ثلاثة

قال رحمه الله: فَإِنَّ مَبْنَى الشِّفَاءِ وَالْبُرِّ عَلَى دَفْعِ الضِّدِّ بِضِدِّهِ، وَحِفْظِ الشَّيْءِ بِمِثْلِهِ، فَالصَّحَّةُ تُحَفَظُ بِالمِثْلِ، وَالْمَرَضُ يُدْفَعُ بِالضِّدِّ.

أَسْبَابُ رَبَطِهَا بِمُسَبِّبَاتِهَا الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ خَلَقًا وَأَمْرًا، وَلَا يَتِمُّ هَذَا إِلَّا بِقُوَّةٍ مِنَ النَّفْسِ الْفَاعِلَةِ، وَقَبُولٍ مِنَ الطَّبِيعَةِ الْمُتَفَعِّلَةِ، فَلَوْ لَمْ تَنْفَعِلْ نَفْسُ الْمَلْدُوغِ لِقَبُولِ الرُّقِيَّةِ، وَلَمْ تَقُو نَفْسُ الرَّاقِي عَلَى التَّأْثِيرِ، لَمْ يَحْصُلِ الْبُرُّ.

فَهُنَا أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ: **مُوَافَقَةُ** الدَّوَاءِ لِلدَّاءِ، وَ**بَذْلُ** الطَّيِّبِ لَهُ، وَ**قَبُولُ** طَبِيعَةِ الْعَلِيلِ، فَمَتَى تَخَلَّفَ وَاحِدٌ مِنْهَا لَمْ يَحْصُلِ الشِّفَاءُ، وَإِذَا اجْتَمَعَتْ حَصَلَ الشِّفَاءُ وَلَا بُدَّ بِإِذْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٨٠).

الأصول التي انبنى عليها سعادة العبد ثلاثة

قال رحمه الله: الْأُصُولُ الَّتِي انْبَنَى عَلَيْهَا سَعَادَةُ الْعَبْدِ ثَلَاثَةٌ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ضِدٌّ، فَمَنْ فَقَدَ ذَلِكَ الْأَصْلَ حَصَلَ عَلَى ضِدِّهِ:

التَّوْحِيدُ وضده الشرك.

وَالسَّنَّةُ وضدها البدعة.

وَالطَّاعَةُ وضدها المعصية.

ولهذه الثلاثة ضد واحد، وهو خلو القلب من الرغبة في الله وفيما عنده، ومن الرهبة منه ومِمَّا عِنْدَهُ. الفوائد (ص: ١٠٨).

وقال رحمه الله: وَأَمَّا الْعَوَائِقُ، فَهِيَ أَنْوَاعُ الْمَخَالَفَاتِ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا، فَإِنَّهَا تَعَوَّقُ الْقَلْبَ عَنْ سِيرِهِ إِلَى اللَّهِ، وَتَقْطَعُ عَلَيْهِ طَرِيقَهُ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ أُمُور:

شرك، وبدعة، ومعصية، فيزول عائق الشرك بتجريد التوحيد، وعائق البدعة بتحقيق السنة، وعائق المعصية بتصحيح التوبة. الفوائد (ص: ١٥٤).

الشكوى على ثلاث مراتب

قال رحمه الله: الجاهل يشكو الله إلى الناس وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكو إليه فإنه لو عرف ربه لما شكاه ولو عرف الناس لما شكوا إليهم ورأى بعض السلف رجلا يشكو إلى رجل فاقته وضرورته فقال يا هذا والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك وفي ذلك قيل:

إذا شكوت إلى ابن آدم إنما * * تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم
والعارف إنما يشكو إلى الله وحده.

وأعرف العارفين من جعل شكواه إلى الله من نفسه لا من الناس فهو يشكو من موجبات تسليط الناس عليه فهو ناظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وقوله: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فالمراتب ثلاثة: **أخسها** أن تشكو الله إلى خلقه، **وأعلاها:** أن تشكو نفسك إليه، **وأوسطها:** أن تشكو خلقه إليه. الفوائد (ص: ٨٧).

الطرق الموصلة إلى الله تعالى ثلاث

قال رحمه الله: العقول المؤيدة بالتوفيق ترى أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الموافق للعقل والحكمة.

والعقول المضروبة بالخذلان، ترى المعارضة بين العقل والنقل وبين الحكمة.

والشرع أقرب الوسائل إلى الله **مُلازمة السنة.**

والتوقف معها في الظاهر والباطن.

ودوام الافتقار إلى الله وإرادة وجهه وحده، بالأقوال والأفعال، وما وصل أحد إلى الله

إلا من هذه الثلاثة وما انقطع عنه أحد إلا بانقطاعه عنها أو عن أحدها . الفوائد (ص: ١٠٧).

أطلب قلبك في ثلاثة مواطن

قال رحمه الله: قال ابن مسعود **رضي عنه**: أطلب قلبك في ثلاثة مواطن:

عند سماع القرآن.

وفي مجالس الذكر.

وفي أوقات الخلوة.

فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك . الفوائد

(ص: ١٤٨).

العلائق ثلاث

قال رحمه الله: وأما العلائق فهي كل ما تعلق به القلب دون الله ورؤيه ﷺ من **ملاذ**

الدنيا، وشهواتها، ورياستها، وصحبة الناس والتعلق بهم، ولا سبيل له إلى قطع هذه

الأُمُور الثلاثة ورفضها إِلَّا بِقُوَّةِ التَّعَلُّقِ بِالْمَطْلَبِ الْأَعْلَى وَإِلَّا فَقَطَعَهَا عَلَيْهِ بِدُونِ تَعَلُّقِهِ بِمَطْلُوبِهِ مُمْتَنِعٌ.

فَإِنَّ النَّفْسَ لَا تَتْرُكُ مَأْلُوفَهَا وَمَحْبُوبَهَا إِلَّا لِمَحْبُوبٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهَا مِنْهُ وَآثَرُ عِنْدَهَا مِنْهُ وَكَلِمَا قَوِي تَعَلُّقُهُ بِمَطْلُوبِهِ ضَعْفُ تَعَلُّقِهِ بِغَيْرِهِ وَكَذَا بِالْعَكْسِ وَالتَّعَلُّقُ بِالْمَطْلُوبِ هُوَ شِدَّةُ الرَّغْبَةِ فِيهِ وَذَلِكَ عَلَى قَدَرِ مَعْرِفَتِهِ بِهِ وَشَرْفِهِ وَفَضْلِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ. الفوائد (ص: ١٥٤).

دواوين الظلم عند الله ثلاثة

قال رحمه الله: والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة:

ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً، وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، فإن الله تعالى

يستوفيه كله.

وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل، فإن هذا الديوان

أخف الدواوين وأسرعها محواً، فإنه يمحي بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية

والمصائب المكفرة ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يمحي إلا بالتوحيد،

وديوان المظالم لا يمحي إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها.

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهله، فلا

تدخل الجنة نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن

لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح

به. الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١٩).

يُخرج للعبد يوم القيامة ثلاثة دواوين

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَخْرُجُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةُ دَوَاوِينٍ:

دِيْوَانٌ فِيهِ حَسَنَاتُهُ، وَدِيْوَانٌ فِيهِ سَيِّئَاتُهُ، وَدِيْوَانُ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا.

فَيَقُولُ الرَّبُّ تَعَالَى لِنَعْمِهِ خِذِي حَقَّكَ مِنْ حَسَنَاتِ عَبْدِي فَيَقُومُ أَصْغَرُهَا فَتُسْتَنْفَذُ حَسَنَاتُهُ، ثُمَّ يَقُولُ وَعَزَّتْكَ مَا اسْتَوْفَيْتِ حَقِّي بَعْدَ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحِمَ عَبْدَهُ وَهَبَهُ نَعْمَةً عَلَيْهِ وَغَفَرَ لَهُ سَيِّئَاتِهِ وَضَاعَفَ لَهُ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ أَدْلُ شَيْءٍ عَلَى كَمَالِ عِلْمِ الصَّحَابَةِ بِرَبِّهِمْ وَحَقُوقِهِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَنَّهُمْ أَعْلَمُ الْأُمَّةَ بِنَبِيِّهِمْ وَسُنَّتِهِ وَدِينِهِ. فَإِنَّ فِي هَذَا الْأَثَرِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْبَصَائِرِ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَحَقِّهِ.

وَمِنْ هُنَا يَفْهَمُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَحَدِيثَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَغَيْرِهِمَا: «إِنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَابَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ» «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص: ٤٤).

القلوب ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: القلوب ثلاثة:

قلب خال من الإيمان وجميع الخير: فذلك قلب مظلّم قد استراح الشيطان من إلقاء الوسوس إليه؛ لأنه قد اتخذ بيتاً ووطناً وتحكّم فيه بما يريد وتمكّن منه غاية التمكن.

القلب الثاني: قلب قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هنالك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال.

القلب الثالث: قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدره إشراق، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق.

وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء، والسماء متعبد الملائكة ومستقر الوحي وفيها أنوار الطاعات، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو فلا ينال منه شيئاً إلا خطفه.

وقد مثل ذلك بمثال حسن وهو ثلاثة بيوت: بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره.

وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره، وليس جواهر الملك وذخائره. وبيت خال صفر لا شئ فيه.

فجاء اللص يسرق من أحد البيوت فمن أيها يسرق؟ فإن قلت من البيت الخالي كان محالاً لأن البيت الخالي ليس فيه شئ يسرق، ولهذا قيل لابن عباس **رضي الله عنهما**: إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها، فقال: وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب؟ وإن قلت: يسرق

من بيت الملك كان ذلك كالمستحيل الممتنع، فإن عليه من الحرس واليزك وما لا يستطيع اللص الدنو منه، كيف وحارسه الملك بنفسه؟ وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند ما حوله؟ فلم يبق للصوص إلا البيت الثالث فهو الذي يشن عليه الغارات.

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل ولينزله على القلوب فإنها على منواله. الوابل الصيب من الكلم

الطيب (ص: ٢٤).

للقب ثلاث صفات

قال رحمه الله: القلوب ثلاثة:

قلب قاس: وهو اليابس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق ولا تنطبع فيه.

وضده القلب اللين المتناسك وهو السليم من المرض الذي يقبل صورة الحق بليته ويحفظه بتناسكه.

بخلاف المريض الذي لا يحفظ ما ينطبع فيه لميعانه ورخاوته، كالمائع الذي إذا طبعت فيه الشيء قبل صورته بما فيه من اللين، ولكن رخاوته تمنعه من حفظها.

فخير القلوب القلب الصلب الصافي اللين، فهو يرى الحق بصفائه ويقبله بليته ويحفظه

بصلايته. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٠٥).

القلوب في هذه الولادة على ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: والمقصود أن القلوب في هذه الولادة ثلاثة:

قلب لم يولد ولم يأن له بل هو جنين في بطن الشهوات والغى والجهل والضلال.

وقلب قد ولد وخرج إلى فضاء التوحيد والمعرفة وتخلص من مشيمة الطباع وظلمات النفس والهوى، فقرت عينه بالله وقرت عيون به وقلوب، وأنست بقربه الأرواح، وذكرت

رؤيته بالله، فاطمأن بالله، وسكن إليه، وعكف بهمته عليه، وسافرت هممه وعزائمه إلى الرفيق الأعلى، فهذان قلبان متباينان غاية التباين.

وقلب ثالث في البرزخ ينتظر الولادة صباحاً ومساءً، قد أصبح على فضاء التجريد، وآنس من خلال الديار أشعة التوحيد، تأبى غلبات الحب والشوق إلا تقرباً إلى من السعادة كلها بقربه، والحظ كل الحظ في طاعته وحبه، وتأبى غلبات الطباع إلا جذبته وإيقافه وتعويقه فهو بين الداعين تارة وتارة قد قطع عقبات وآفات، وبقي عليه مفاوز وفلوات. طريق المهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٦).

الصلاة من الله بمعنى الرحمة، باطل من ثلاثة أوجه

قال رحمه الله: قولهم والصلاة من الله بمعنى الرحمة، باطل من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الله تعالى غاير بينهما في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧].

الثاني: أن سؤال الرحمة شرع لكل مسلم والصلاة تختص بالنبي ﷺ وهي حق له ولآله ولهذا منع كثير من العلماء من الصلاة على معين غيره ولم يمنع أحد من الترحم على معين.

الثالث: أن رحمة الله عامة وسعت كل شيء وصلاته خاصة بخواص عباده. بدائع الفوائد (١/ ٢٦).

مقامات رد السلام ثلاثة

قال رحمه الله: مقامات رد السلام ثلاثة:

مقام فضل، ومقام عدل، ومقام ظلم، فالفضل أن يرد عليه أحسن من تحيته، والعدل أن ترد عليه نظيرها، والظلم أن تبخسه حقه وتنقصه منها.

فاختير للراد أكمل اللفظين، وهو المعرف بالأداة التي تكون للاستغراق والعموم كثيرا
ليتمكن من الإتيان بمقام الفضل . بدائع الفوائد (٢/ ١٥٥).

العباد ثلاثة أقسام

قال رَحِمَهُ اللهُ: انقسم العباد ثلاثة أقسام:

فمنهم من لاحظ الحصاد فزاد في البذر.

ومنهم من رأى حق المخدوم فقام بأدائه.

ومنهم من خدم حبا وشوقا فتلذذ بالخدمة، وهذه الخدمة لا ثقل لها؛ لان محركها الحب

وغيرها ثقل على البدن. بدائع الفوائد (٣/ ٢١٩).

ثلاثة من الصحابة جمعوا بين كونهم أنصارا ومهاجرين

قال رَحِمَهُ اللهُ: ثلاثة من الصحابة جمعوا بين كونهم أنصارا ومهاجرين ذكرهم ابن

إسحاق في سيرته:

أحدهم: ذكوان بن عبد قيس من بني الخزرج قال ابن إسحاق: "كان خرج إلى رسول

الله ﷺ وكان معه بمكة المكرمة ثم هاجر منها إلى المدينة وكان يقال له مهاجري أنصاري
شهيدا بدرا وقتل بأحد شهيدا".

والعباس بن عباد بن نضلة من بني الخزرج أيضا قال ابن إسحاق: "كان فيمن خرج

إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة المكرمة فأقام معه بها قتل يوم أحد شهيدا.

وعقبة بن وهب خرج إلى رسول الله ﷺ من المدينة المنورة إلى مكة وكان يقال له

مهاجري أنصاري حليف لبني الخزرج. بدائع الفوائد (٤/ ١٩).

ما جاءت به الرسل مع العقل ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: فَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مَعَ الْعَقْلِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ لَا رَابِعَ لَهَا الْبَيِّنَةُ:

قسم شهد به العقل والفطرة.

وقسم يشهد بجملته وَلَا يَهْتَدِي لِتَفْصِيلِهِ.

وقسم لَيْسَ فِي الْعَقْلِ قُوَّةٌ إِذْرَاكَه.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الرَّابِعُ وَهُوَ مَا يَحِيلُهُ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ وَيَشْهَدُ بِبُطْلَانِهِ فَالرُّسُلُ بَرِيئُونَ مِنْهُ وَإِنْ ظَنَ كَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ الْمَدْعِينَ لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ أَنَّ بَعْضَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ يَكُونُ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ، فَهَذَا إِمَّا لَجَهْلِهِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ وَإِمَّا لَجَهْلِهِ بِحُكْمِ الْعَقْلِ أَوْ لَهَا . **تحفة المودود بأحكام المولود (ص):**

(٢٦٤).

الدعاء على ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: وَالدُّعَاءُ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ:

أحدها: أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَهَذَا أَحَدُ التَّأْوِيلَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والثاني: أَنْ تَسْأَلَ بِحَاجَتِكَ وَفَقْرِكَ وَذَلِكَ فَتَقُولُ أَنَا الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْمُسْكِينُ الْبَائِسُ الدَّلِيلُ

الْمُسْتَجِيرُ وَنَحْوُ ذَلِكَ

والثالث: أَنْ تَسْأَلَ حَاجَتَكَ وَلَا تَذْكُرَ وَاحِدًا مِنَ الْأُمُورِ فَلأَوَّلِ أَكْمَلِ مِنَ الثَّانِي وَالثَّانِي

أَكْمَلُ مِنَ الثَّالِثِ فَإِذَا جُمِعَ الدُّعَاءُ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ كَانَ أَكْمَلَ وَهَذِهِ عَامَّةُ أَدْعِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَفِي الدُّعَاءِ الَّذِي عَلَّمَهُ صَدِيقُ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرَ الْأَقْسَامَ الثَّلَاثَةَ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ: «ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا»^(١)، وَهَذَا حَالُ السَّائِلِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، وَهَذَا حَالُ الْمَسْئُولِ ثُمَّ قَالَ: «فَاغْفِرْ لِي»، فَذَكَرَ حَاجَتَهُ، وَخَتَمَ الدُّعَاءَ بِاسْمَيْنِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى تَنَاسُبِ الْمَطْلُوبِ وَتَقْتَضِيهِ، وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي اخْتَرَنَاهُ جَاءَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ . جلاء الأفهام (ص: ١٥٣).

الأريكة لا تكون إلا بثلاثة أشياء

قال رحمه الله: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة، فإذا كان سريرا بغير حجلة لا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة، ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة، فإذا اجتمعا كانت أريكة... وها هنا ثلاثة أشياء:

أحدها: السرير.

والثانية: الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه.

والثالث: الفراش الذي على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله . **حادي**

الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٢١٣).

اعظم كرامة للعبد ثلاثة أشياء

قال رحمه الله: قال بعض أهل العلم لما أهبط الله تبارك وتعالى آدم إلى الأرض أتاه جبريل عليه السلام بثلاثة أشياء: **الدين، والخلق، والعقل**، فقال: إن الله يخبرك بين هذه الثلاثة فقال: يا جبريل ما رأيت أحسن من هؤلاء، ومد يده إلى العقل فضمه إلى نفسه فقال:

«١» رواه البخاري برقم (٧٣٨٧)، ومسلم برقم (٢٧٠٥)، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

للآخرين اصعدا فقالا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان فصارت الثلاثة إلى آدم عليه السلام.

وهذه الثلاثة أعظم كرامة أكرم الله بها عبده وأجل عطية أعطاه إياها وجعل لها ثلاثة أعداء الهوى والشيطان والنفس الأمارة والحرب بينهما دول وسجال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ١١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ولد لكسرى مولود فأحضر بعض المؤدبين ووضع الصبي بين يديه وقال: ما خير ما أوتي هذا المولود قال: عقل يولد معه، قال: فإن لم يكن قال: فأدب حسن يعيش به في الناس قال: فإن لم يكن قال: فصاعقة تحرقه.

صاحب اللب لا طريق للشيطان عليه إلا من ثلاث جهات

قال رحمه الله: كل ذي لب يعلم أنه لا طريق للشيطان عليه إلا من ثلاث جهات:

أحدها: التزيد والإسراف فيزيد على قدر الحاجة فتصير فضلة وهي حظ الشيطان ومدخله إلى القلب وطريق الاختراز من إعطاء النفس تمام مطلوبها من غذاء أو نوم أو لذة أو راحة فمتى أغلقت هذا الباب حصل الأمان من دخول العدو منه.

الثانية: الغفلة فإن الذاكر في حصن الذكر فمتى غفل فتح باب الحصن فوجه العدو فيعسر عليه أو يصعب إخراجه.

الثالثة: تكلف ما لا يعنيه من جميع الأشياء. الفوائد (ص: ١٩١).

مداخل الشيطان من الإنسان ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطان من الرجل في ثلاثة:

في نظره. وقلبه. وذكره.

وهو من المرأة في ثلاثة في بصرها، وقلبها، وعجزها. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٩٥).

أقسام اللذات ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: أقسام اللذات ثلاثة:

لذة جثمانية، ولذة خيالية وهمية، ولذة عقلية روحانية.

فاللذة الجثمانية لذة الأكل والشرب والجماع، وهذه اللذة يشترك فيها مع الإنسان الحيوان البهيم فليس كمال الإنسان بهذه اللذة؛ لمشاركة أنقص الحيوانات له فيها؛ ولأنها لو كانت كمالا لكان أفضل الإنسان وأشرفهم وأكملهم أكثرهم أكلا وشربا وجماعا؛ وأيضا لو كانت كمالا لكان نصيب رسل الله وأنبيائه وأوليائه منها في هذه الدار أكمل من نصيب أعدائه، فلما كان الأمر بالضد تبين أنها ليست في نفسها كمالا، وإنما تكون كمالا إذا تضمنت إعانة على اللذة الدائمة العظمى كما تقدم.

وأما اللذة الوهمية الخيالية، فلذة الرئاسة والتعظيم على الخلق والفخر والاستطالة عليهم، وهذه اللذة وإن كان طلابها أشرف نفوسا من طلاب اللذة الأولى، فإن آلامها وما توجبه من المفساد والمضار أعظم من التذاذ النفس بها، فإن صاحبها منتصب لمعاداة كل من تعاضم وترأس عليه.

وأما اللذة العقلية الروحانية، فهي كلذة المعرفة والعلم والاتصاف بصفات الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر والحلم والمروءة وغيرها، فإن الالتذاذ بذلك من

أعظم اللذات، وهو لذة النفس الفاضلة العلوية الشريفة، فإذا انضمت اللذة بذلك إلى لذة معرفة الله تعالى ومحبته وعبادته وحده لا شريك له والرضا به عوضاً عن كل شيء ولا يتعوض بغيره عنه، فصاحب هذه اللذة في جنة عاجلة نسبتها إلى لذات الدنيا كنسبة لذة الجنة إلى لذة الدنيا، فإنه ليس للقلب والروح ألد ولا أطيب ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله والإقبال عليه وعبادته وحده وقرة العين به والأنس بقربه والشوق إلى لقائه ورؤيته وإن مثقال ذرة من هذه اللذة لا يعدل بأمثال الجبال من لذات الدنيا ولذلك كان مثقال ذرة من إيمان بالله ورسوله ﷺ يخلص من الخلود في دار الآلام، فكيف بالإيمان الذي يمنع دخولها. قال بعض العارفين من قرت عينه بالله قرت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله تقطعت

نفسه على الدنيا حشرات. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ١٦٤).

المحبة ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: فإن المحبة ثلاثة أقسام:

محبة الله، والمحبة له وفيه، والمحبة معه، فالمحبة له وفيه من تمام محبته وموجباتها لا من قواطعها، فإن محبة الحبيب تقتضي محبة ما يحب ومحبة ما يعين على حبه ويوصل إلى رضاه وقربه، وكيف لا يحب المؤمن ما يستعين به على مرضاة ربه ويتوصل به إلى حبه وقربه.

وأما المحبة مع الله فهي المحبة الشريكية وهي كمحبة أهل الأنداد لأندادهم كما قال

تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ

حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وأصل الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك في هذه المحبة. روضة

المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٩٣).

الغيرة التي يحبها الله ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: وملاك الغيرة وأعلامها ثلاثة أنواع:

غيرة العبد لربه أن تنتهك محارمه وتضيع حدوده.

وغيرته على قلبه أن يسكن إلى غيره وأن يأنس بسواه.

وغيرته على حرمة أن يتطلع إليها غيره، فالغيرة التي يحبها الله ورسوله ﷺ دارت على

هذه الأنواع الثلاثة، وما عداها فإما من خدع الشيطان، وإما بلوى من الله؛ كغيرة المرأة

على زوجها أن يتزوج عليها . روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٣١٤).

الرغبة ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: والراغبون ثلاثة أقسام:

راغب في الله، **وراغب** فيما عند الله، **وراغب** عن الله، فالمحب راغب فيه، والعامل

راغب فيما عنده، والراضي بالدنيا من الآخرة راغب عنه.

ومن كانت رغبته في الله كفاه الله كل مهم وتولاه في جميع أموره ودفع عنه مالا يستطيع

دفعه عن نفسه ووقاه وقاية الوليد وصانه من جميع الآفات.

ومن أثر الله على غيره أثره الله على غيره، ومن كان لله كان الله له حيث لا يكون لنفسه،

ومن عرف الله لم يكن شيء أحب إليه منه ولم تبق له رغبة فيما سواه إلا فيما يقربه إليه ويعينه

على سفره إليه . روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٠٦).

الاتكاء على ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: وَكَانَ -أي النبي ﷺ- لَا يَأْكُلُ مُتَكِنًا^(١)، وَالِاتِّكَاءُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: الْإِتِّكَاءُ عَلَى الْجَنْبِ.

وَالثَّانِي: التَّرَبُّعُ^(٢).

وَالثَّلَاثُ: الْإِتِّكَاءُ عَلَى إِحْدَى يَدَيْهِ وَأَكْلُهُ بِالْأُخْرَى، وَالثَّلَاثُ مَذْمُومَةٌ. زاد المعاد في هدي خير

العباد (١/ ١٤٣).

صلاته - رحمه الله - بالليل على ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: وَكَانَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ.

أَحَدُهَا: وَهُوَ أَكْثَرُهَا: صَلَاتُهُ قَائِمًا.

الثَّانِي: أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي قَاعِدًا وَيَرْكَعُ قَاعِدًا.

الثَّلَاثُ: أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ قَاعِدًا، فَإِذَا بَقِيَ يَسِيرٌ مِنْ قِرَاءَتِهِ، قَامَ فَرَكَعَ قَائِمًا، وَالْأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ

صَحَّتْ عَنْهُ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٢١).

(١) يشير إلى حديث أبي جحيفة رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَكُلُ مُتَكِنًا» رواه البخاري برقم (٥٣٩٨).

(٢) **قال الصنعاني رحمه الله:** الْإِتِّكَاءُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْوُكَاءِ، وَالتَّاءُ بَدَلٌ عَنِ الْوَاوِ، وَالْوُكَاءُ هُوَ مَا يُشَدُّ بِهِ الْكَيْسُ أَوْ غَيْرُهُ فَكَأَنَّهُ أَوْكًا مَقْعَدَتُهُ وَشَدَّهَا بِالْفُعُودِ عَلَى الْوِطَاءِ الَّذِي تَحْتَهُ، وَمَعْنَاهُ الْإِسْتِوَاءُ عَلَى وَطَاءٍ مُتَمَكِّنًا، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُتَكِنُ هُنَا هُوَ الْمُتَمَكِّنُ فِي جُلُوسِهِ مِنَ التَّرَبُّعِ وَشِبْهِهِ الْمُعْتَمِدُ عَلَى الْوِطَاءِ تَحْتَهُ قَالَ: وَمَنْ اسْتَوَى قَاعِدًا عَلَى وَطَاءٍ فَهُوَ مُتَكِنٌ، وَالْعَامَّةُ لَا تُعْرِفُ الْمُتَكِنَ إِلَّا مَنْ مَالَ عَلَى أَحَدِ شِقَائِهِ، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ إِذَا أَكَلْتَ لَا أَقْعُدُ مُتَكِنًا كَفِعْلٍ مَنْ يُرِيدُ الْإِسْتِكَانَ مِنَ الْأَكْلِ، وَلَكِنْ أَكَلَ بِلُغَةٍ فَيَكُونُ فُعُودِي مُسْتَوْفِرًا، وَمَنْ حَمَلَ الْإِتِّكَاءَ عَلَى الْمِيلِ عَلَى أَحَدِ الشَّقَائِنِ تَأَوَّلَ ذَلِكَ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الطَّبِّ بِأَنَّ ذَلِكَ فِيهِ ضَرَرٌ فَإِنَّهُ لَا يَنْحَدِرُ فِي مَجَارِي الطَّعَامِ سَهْلًا، وَلَا يُسَيِّغُهُ هَنِيئًا، وَرُبَّمَا تَأَدَّى بِهِ.

وقال العلامة العثيمين رحمه الله عن التربع: والصحيح: أنه ليس من الاتكاء، والاتكاء: أن يعتمد الإنسان على يده اليمنى أو اليسرى. لقاء الباب

المفتوح (١٠١/ ٨). وهي فتوى الإمام الألباني رحمه الله كما في تفريغ سلسلة الهدى والنور الإصدار ٢ (٢٤٦/ ١٦).

للبدن ثلاثة أحوال

قال **رحمته الله**: وَلِلْبَدَنِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ:

حَالٌ طَبِيعِيٌّ، وَحَالٌ خَارِجَةٌ عَنِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَحَالٌ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

فَالأُولَى: بِهَا يَكُونُ الْبَدَنُ صَحِيحًا، وَالثَّانِيَةُ: بِهَا يَكُونُ مَرِيضًا. وَالحَالُ الثَّلَاثَةُ: هِيَ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ، فَإِنَّ الضَّدَّ لَا يَتَقَلُّ إِلَى ضِدِّهِ إِلَّا بِمُتَوَسِّطٍ وَسَبَبٍ خُرُوجِ الْبَدَنِ عَنْ طَبِيعَتِهِ إِمَّا مِنْ دَاخِلِهِ؛ لِأَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْحَارِّ وَالْبَارِدِ وَالرَّطْبِ وَالْيَابِسِ، وَإِمَّا مِنْ خَارِجٍ فَلِأَنَّ مَا يَلْقَاهُ قَدْ يَكُونُ مُوَافِقًا، وَقَدْ يَكُونُ غَيْرَ مُوَافِقٍ، وَالضَّرَرُ الَّذِي يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ سُوءِ الْمَزَاجِ بِخُرُوجِهِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ فَسَادٍ فِي الْعُضْوِ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ ضَعْفٍ فِي الْقُوَى، أَوِ الْأَرْوَاحِ الْحَامِلَةِ لَهَا، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى زِيَادَةِ مَا الْإِعْتِدَالُ فِي عَدَمِ زِيَادَتِهِ، أَوْ نُقْصَانِ مَا الْإِعْتِدَالُ فِي عَدَمِ نُقْصَانِهِ، أَوْ تَفَرُّقٍ مَا الْإِعْتِدَالُ فِي اتِّصَالِهِ، أَوْ اتِّصَالٍ مَا الْإِعْتِدَالُ فِي تَفَرُّقِهِ، أَوْ امْتِدَادٍ مَا الْإِعْتِدَالُ فِي انْقِبَاضِهِ، أَوْ خُرُوجِ ذِي وَضْعٍ وَشَكْلٍ عَنْ وَضْعِهِ وَشَكْلِهِ بِحَيْثُ يُخْرِجُهُ عَنِ اعْتِدَالِهِ.

فَالطَّبِيبُ: هُوَ الَّذِي يُفَرِّقُ مَا يَضُرُّ بِالْإِنْسَانِ جَمْعُهُ، أَوْ يَجْمَعُ فِيهِ مَا يَضُرُّهُ تَفَرُّقُهُ، أَوْ يَنْقُصُ مِنْهُ مَا يَضُرُّهُ زِيَادَتُهُ، أَوْ يَزِيدُ فِيهِ مَا يَضُرُّهُ نُقْصَانُهُ، فَيَجْلِبُ الصِّحَّةَ الْمَفْقُودَةَ، أَوْ يَحْفَظُهَا بِالشَّكْلِ وَالشَّبَهِ، وَيَدْفَعُ الْعِلَّةَ الْمَوْجُودَةَ بِالضَّدِّ وَالنَّقِیْضِ وَيُخْرِجُهَا، أَوْ يَدْفَعُهَا بِمَا يَمْنَعُ مِنْ حُصُولِهَا بِالْحِمِيَّةِ، وَسَتَرَى هَذَا كُلَّهُ فِي هَذِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَافِيًا كَافِيًا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، وَفَضْلِهِ وَمَعُونَتِهِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٨).

ثلاث من آفات سوء التدبير في الطعام

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِّمَّنْ يُسِيءُ التَّدْبِيرَ، وَهُوَ أَنْ يَمْتَلِئَ مِنَ الطَّعَامِ ثُمَّ يَقْذِفُهُ،

فَفِيهِ آفَاتٌ عَدِيدَةٌ، مِنْهَا:

أَنَّهُ يُعَجِّلُ الْهَرَمَ.

وَيُوقِعُ فِي أَمْرَاضٍ رَدِيئَةٍ.

وَيَجْعَلُ الْقِيَّءَ لَهُ عَادَةً. زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ١٢٠).

أقسام الترك ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: فلا يكفي أن يعبد الله ويحبه ويتوكل عليه وينيب إليه ويخافه ويرجوه حتى

يترك عبادة غيره والتوكل عليه والإنابة إليه وخوفه ورجاه ويبغض ذلك.

وهذه كلها أمور وجودية، وهي الحسنات التي يثيب الله عليها، وأما مجرد عدم السيئات

من غير أن يعرف أنها سيئة ولا يكرهها بقلبه ويكف نفسه عنها بل يكون تركها لعدم

خطورها بقلبه ولا يثاب على هذا الترك فهذا تكون السيئات في حقه بمنزلتها في حق

الطفل والنائم، لكن قد يثاب على اعتقاد تحريمها وإن لم يكن له إليها داعية البتة.

فالترك ثلاثة أقسام:

قسم يثاب عليه.

وقسم يعاقب عليه.

وقسم لا يثاب ولا يعاقب عليه.

فالأول: ترك العالم بتحريمها الكاف نفسه عنها لله مع قدرته عليها، والثاني: كترك من

يتركها لغير الله لا لله فهذا يعاقب على تركه لغير الله كما يعاقب على فعله لغير الله؛ فإن ذلك

الترك والامتناع فعل من أفعال القلب فإذا عبد به غير الله استحق العقوبة، والثالث: كترك من لم يخطر على قلبه علما ولا محبة ولا كراهة بل بمنزلة ترك النائم والطفل، فإن قيل كيف يعاقب على ترك المعصية حياء من الخلق وإبقاء على جاهه بينهم وخوفا منهم أن يتسلطوا عليه والله سبحانه لا يذم على ذلك ولا يمنع منه، قيل لا ريب أنه لا يعاقب على ذلك وإنما يعاقب على تقربه إلى الناس بالترك ومرآتهم به وأنه تركها خوفا من الله ومراقبة وهو في الباطن بخلاف ذلك.

فالفرق بين ترك يتقرب به إليهم ومرآتهم به، وترك يكون مصدره الحياء منهم وخوف أذاهم له وسقوطه من أعينهم فهذا لا يعاقب عليه بل قد يثاب عليه إذا كان له فيه غرض يحبه الله من حفظ مقام الدعوة إلى الله وقبولهم منه ونحو ذلك . شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٧٠).

ثلاثة أمور تسهل على العبد الزهد في هذه الدنيا

قال رحمه الله: الذي يصح هذا الزهد ثلاثة أشياء:

أحدها: علم العبد أنها ظل زائل وخيال زائر وأنها كما قال الله تعالى فيها: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَسِيلُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴾ [الحديد: ٢٠] ، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤] ، وسماها سبحانه: ﴿مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠] ونهى عن الاغترار

بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين بها وحذرنا مثل مصارعهم، وذم من رضى بها واطمأن إليها.

وقال النبي ﷺ: «مَالِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا وَالِدُّنْيَا إِنَّمَا أَنَا وَالِدُّنْيَا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا». رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو في الصحيحة للإمام الألباني برقم (٤٣٨).

الثاني: علمه أن وراءها داراً أعظم منها قدراً وأجل خطراً وهى دار البقاء، وأن نسبتها إليها كما قال النبي ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرَجُعٍ» رواه مسلم، فالزاهد فيها بمنزلة رجل فى يده درهم زغل قيل له: اطرحه ولك عوضه مائة ألف دينار مثلاً، فألقاه من يده رجاء ذلك العوض، فالزهد فيها لكمال رغبته فيما هو أعظم منها زهد فيها.

الثالث: معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها، فمتى تيقن ذلك وصار له به علم يقين هان عليه الزهد فيها، فإنه متى تيقن ذلك وثلج له صدره وعلم أن مضمونه منها سيأتيه بقى حرصه وتعبه وكده ضائعاً، والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك. فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها، وتثبت قدمه فى مقامه. والله الموفق لمن يشاء. طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٥٢).

المحبة المشتركة ثلاثة أنواع

قال رسول الله ﷺ: المحبة المشتركة ثلاثة أنواع:

أحدها: محبة طبيعية مشتركة، كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء وغير ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم.

والنوع الثاني: محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل ونحوها، وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم.

والنوع الثالث: محبة أنس وإلف، وهى محبة المشتركين - فى صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر - بعضهم بعضاً وكمحبة الإخوة بعضهم بعضاً.

فهذه الأنواع الثلاثة هى المحبة التى تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركاً فى محبة الله سبحانه.

ولهذا «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْحُلُوءَ وَالْعَسَلَ»، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد، وكان أحب اللحم إليه الذراع، وكان يحب نسائه، وكانت عائشة رضي الله عنها أحبهن إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنه.

وأما المحبة الخاصة التى لا تصلح إلا لله وحده ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله، فهى محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم، وكمال الطاعة وإيثاره على غيره. طريق الهجرتين وباب السعادت (ص: ٢٩٥).

الأخلاق على ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: فإن من أفضل أخلاق الرجل وأشرفها وأعلاها الإيثار، وقد جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه ومحبه، كما جبلها على بغض المستأثر ومقته، لا تبديل لخلق الله.

والأخلاق ثلاثة:

خلق الإيثار: وهو خلق الفضل.

وخلق القسمة والتسوية: وهو خلق العدل.

وخلق الاستئثار والاستبداد: وهو خلق الظلم.

فصاحب الإيثار محبوب مطاع مهيب، وصاحب العدل لا سبيل للنفوس إلى أذاه والتسلط عليه ولكنها لا تنقاد إليه انقيادها لمن يؤثرها، وصاحب الاستئثار النفوس إلى أذاه والتسلط عليه أسرع من السيل في حدوره.

وهل أزال الممالك وقلعها إلا الاستئثار؟ فإن النفوس لا صبر لها عليه. ولهذا أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالسمع والطاعة لولاة الأمر وإن استأثروا عليهم، لما في طاعة المستأثر من المشقة والكره. طريق المهجرين وباب السعادتین (ص: ٣٠٠).

غلظ الكفر الموجب لغلظ العذاب يكون من ثلاثة أوجه

قال رحمه الله: وغلظ الكفر الموجب لغلظ العذاب يكون من ثلاثة أوجه:

أحدها: من حيث العقيدة الكافرة في نفسها، كمن جحد رب العالمين بالكلية وعطل العالم عن الرب الخالق المدبر له، فلم يؤمن بالله وملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا اليوم الآخر. ولهذا لا يقر أرباب هذا الكفر بالجزية عند كثير من العلماء، ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم اتفاقاً لتغلظ كفرهم، وهؤلاء هم المعطلة والدهرية وكثير من الفلاسفة وأهل الوحدة القائلين بأنه لا وجود للرب سبحانه وتعالى غير وجود هذا العالم.

الجهة الثانية: تغلظه بالعناد والضلال عمداً على بصيرة، ككفر من شهد قلبه أن الرسول ﷺ حق لما رآه من آيات صدقه، وكفر عناداً وبغياً، كقوم ثمود، وقوم فرعون واليهود الذين عرفوا الرسول ﷺ كما عرفوا أبناءهم، وكفر أبى جهل وأمية ابن أبى الصلت وأمثال هؤلاء.

الجهة الثالثة: السعى في إطفاء نور الله وصد عباده عن دينه بما تصل إليه قدرتهم، فهؤلاء أشد الكفار عذاباً بحسب تغلظ كفرهم، ومنهم من يجتمع في حقه الجهات الثلاث، ومنهم من يكون فيه جهتان منها أو واحدة، فليس عذاب هؤلاء كعذاب من هو دونهم في الكفر ممن هو ملبوس عليه لجهله، وإن شارك أولئك في كفرهم بالرسول ﷺ فقد زادوا عليه أنواعاً من الكفر. وهل يستوي في النار عذاب أبى طالب وأبى لهب وأبى جهل وعقبة بن أبى معيط وأبى ابن خلف وأضرابهم؟. طريق المهجرتين وباب السعادت (ص: ٤١٠).

باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال

قال رحمه الله: وباعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال:

إحداها: أن يكون القهر والغلبة لداعي الدين فيرد جيش الهوى مغلولاً، وهذا إنما يصل إليه بدوام الصبر، والواصلون إلى هذه الرتبة هم المنصورون في الدنيا والآخرة وهم الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقِمُّوا﴾ [فصلت: ٣٠]، وهم الذين تقول لهم الملائكة عند الموت: ﴿أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣١]، وهم الذين نالوا معية الله مع الصابرين، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وخصهم بهدايته دون من عداهم.

الحالة الثانية: أن تكون القوة والغلبة لداعي الهوى، فيسقط منازعة باعث الدين بالكلية، فيستسلم البائس للشيطان وجنده؛ فيقودونه حيث شاءوا.

وله معهم حالتان:

إحداهما: أن يكون من جندهم وأتباعهم، وهذه حال العاجز الضعيف.

الثانية: أن يصير الشيطان من جنده وهذه حال الفاجر القوي المتسلط والمبتدع الداعية المتبوع كما قال القائل:

وكنْتُ امرءاً مِنْ جُنْدِ إبْلِيسَ فَانْتَهَى * * * بِيِ الْفَسْقِ حَتَّى صَارَ إبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي

فيصير إبليس وجنده من أعوانه وأتباعه، وهؤلاء هم الذين غلبت عليهم شقوتهم واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة وإنما صاروا إلى هذه الحال لما أفلسوا من الصبر وهذه الحالة هي حالة جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشهامة الأعداء.

الحالة الثالثة: أن يكون الحرب سجالات ودولاً بين الجندين، فتارة له وتارة عليه وتكثر نوبات الانتصار وتقل وهذه حال أكثر المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. وتكون الحال يوم القيامة موازنة لهذه الأحوال الثلاث سواء بسواء، فمن الناس من يدخل الجنة ولا يدخل النار، ومنهم من يدخل النار ولا يدخل الجنة، ومنهم من يدخل النار ثم يدخل الجنة.

وهذه الأحوال الثلاث هي أحوال الناس في الصحة والمرض، فمن الناس من تقاوم قوته داءه فتقهره ويكون السلطان للقوة، ومنهم من يقهر داءه قوته ويكون السلطان للداء، ومنهم من الحرب بين داءه وقوته نوباً فهو متردد بين الصحة والمرض. **عدة الصابرين** وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٤).

الكمال الإنساني في ثلاثة أمور

قال رَحِمَهُ اللهُ: وقد علم أن الكمال الإنساني في ثلاثة أمور:

علوم يعرفها.

وأعمال يعمل بها.

وأحوال ترتب له على علومه وأعماله.

وأفضل العلم والعمل والحال العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله والعمل بمرضاته وانجذاب القلب إليه بالحب والخوف والرجاء؛ فهذا أشرف ما في الدنيا وجزاؤه أشرف ما في الآخرة . عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١١٣).

النعم ثلاث

قال رَحِمَهُ اللهُ: النعم ثلاثة:

نِعْمَةٌ حَاصِلَةٌ يَعْلَمُ بِهَا الْعَبْدُ.

ونعمة منتظرة يرجوها.

ونعمة وَهُوَ فِيهَا لَا يَشْعُرُ بِهَا.

فَإِذَا أَرَادَ اللهُ إِتْمَامَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ عَرَفَهُ نِعْمَتُهُ الْحَاضِرَةَ، وَأَعْطَاهُ مِنْ شُكْرِهِ قِيدًا بِهِ حَتَّى لَا تَشُرْدَ، فَإِنَّهَا تَشُرْدُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَتَقْيِدُ بِالشُّكْرِ، وَرَفَقَةٌ لِعَمَلٍ يَسْتَجْلِبُ بِهِ النِّعْمَةَ الْمُنْتَظَرَةَ، وَبَصَرَهُ بِالطَّرِيقِ الَّتِي تَسُدُّهَا وَتَقْطَعُ طَرِيقَهَا وَرَفَقَةٌ لِاجْتِنَابِهَا، وَإِذَا بِهَا قَدْ وَافَتْ إِلَيْهِ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ، وَعَرَفَهُ النِّعْمُ الَّتِي هُوَ فِيهَا فَلَا يَشْعُرُ بِهَا.

ويحكى أن أعرابياً دخل على الرشيد فقال: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثَبَّتَ اللهُ عَلَيْكَ النِّعْمَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا بِإِدَامَةِ شُكْرِهَا، وَحَقَّقَ لَكَ النِّعْمَ الَّتِي تَرْجُوهَا بِحَسَنِ الظَّنِّ بِهِ وَدَوَامِ طَاعَتِهِ، وَعَرَّفَكَ النِّعْمَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا وَلَا تَعْرِفُهَا لِشُكْرِهَا. فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ مِنْهُ وَقَالَ: مَا أَحْسَنَ

تقسيمه . الفوائد (ص: ١٧٢).

رعوس النعم ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: وقال وهب بن منبه: رعوس النعم ثلاثة:

فأولها: نعمة الاسلام التي لا تتم نعمه الا بها.

والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة الا بها.

والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيش الا به . عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٤٢).

الغضب على ثلاثة أقسام

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْغَضَبُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: مَا يُزِيلُ الْعَقْلَ، فَلَا يَشْعُرُ صَاحِبُهُ بِمَا قَالَ، وَهَذَا لَا يَقَعُ طَلَاقُهُ بِلاَ نِزَاعٍ.

وَالثَّانِي: مَا يَكُونُ فِي مَبَادِيهِ بَحِيْثٍ لَا يَمْنَعُ صَاحِبُهُ مِنْ تَصَوُّرِ مَا يَقُولُ وَقَصْدِهِ، فَهَذَا يَقَعُ طَلَاقُهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَسْتَحْكِمَ وَيَشْتَدَّ بِهِ، فَلَا يُزِيلُ عَقْلَهُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَكِنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نِيَّتِهِ بِحَيْثُ يَنْدُمُ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ إِذَا زَالَ، فَهَذَا مُحَلٌّ نَظَرٍ، وَعَدَمُ الْوُقُوعِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قَوِيٌّ مُتَّجِهٌ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٥ / ١٩٥).

للعبث ثلاثة أحوال

قال رَحِمَهُ اللهُ: للعبث ثلاثة أحوال:

حالة لم يكن فيها شيئاً وهى ما قبل أن يوجد.

وحالة أخرى وهى من ساعة موته الى مالا نهايه له فى البقاء السرمدى فلنفسه وجود

بعد خروجها من البدن إما فى الجنة واما فى النار، ثم تعاد الى بدنه فيجازى بعمله ويسكن

احدى الدارين فى خلود دائم، ثم بين هاتين الحالتين وهى ما بعد وجوده وما قبل موته.

حالة متوسطة وهى أيام حياته، فليُنظر الى مقدار زمانها وأنسبه الى الحالتين يعلم أنه أقل من طرفه عين في مقدار عمر الدنيا، ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف تقضت أيامه فيها، في ضر وضيق أو في سعه ورفاهية . **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٢٩).**

الشح والحرص ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: وسمعت شيخ الاسلام يقول: الزهد ترك ما لا ينفعك، والورع ترك ما يضرك.

فالزهد فراغ القلب من الدنيا لافراغ اليدين منها ويقابله الشح والحرص وهو ثلاثة أقسام:

زهد في الحرام.

وزهد في الشبهات والمكروهات.

وزهد في الفضلات.

فالأول فرض، والثاني فضل، والثالث متوسط بينهما بحسب درجة الشبهة، وإن قويت التحق بالأول والإفبالثالث، وقد يكون الثالث واجبا بمعنى أنه لا بد منه، وذلك لمن شمر الى الله والدار الآخرة.

فزهو الفضلة يكون ضرورة، فإن إرادة الدنيا قاذحة في إرادة الآخرة، ولا يصح للعبد مقام الإرادة حتى يفرد طلبه وإرادته ومطلوبه، فلا ينقسم المطلوب ولا الطلب . **عدة الصابرين**

وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٦٤).

أسماء الله سبحانه وتعالى على ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: فجعل أسماءه - سبحانه وتعالى - ثلاثة أقسام:

قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه.

وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده.

وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يُطلع عليه أحدًا من خلقه؛ ولهذا قال **رحمه الله:** « استأثرت

به »^(١) أي: انفردت بعلمه، وليس المرادُ إنفرادُه بالتسمي به؛ لأنَّ هذا الإنفراد ثابتٌ في الأسماء التي أنزل بها كتابه.

ومن هذا قول النبي **رحمه الله:** في حديث الشفاعة: « ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ

الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي »^(٢) وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته.

ومنه. قوله **رحمه الله:** « لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ »^(٣).

وأما قوله **رحمه الله:** « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ

»^(٤) فالكلام جملة واحدة، وقوله **رحمه الله:** « مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » صفة لا خبرٌ مستقلٌّ.

والمعنى له أسماءٌ متعددةٌ من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون

له أسماءٌ غيرها، وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوكٍ قد أعدهم للجهاد فلا ينفي هذا أن

« ١ » يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود **رحمه الله**، أن النبي **رحمه الله** قال: « مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ... » رواه أحمد، وهو في الصحيحة للإمام الألباني برقم (١٩٩).

« ٢ » رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (٣٢٧) عن أبي هريرة **رضي الله عنه**.

« ٣ » رواه مسلم برقم (٢٢٢) عن أبي هريرة **رضي الله عنه**.

« ٤ » رواه البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة **رضي الله عنه**.

يكون له ممالك سواهم معدين لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه. فائدة جلية في قواعد الأسماء الحسنی (ص: ٣٩).

أعلام التسليم ثلاثة

قال رحمه الله: قَالَ ذُو النُّونِ: ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ التَّسْلِيمِ:

مُقَابَلَةُ الْقَضَاءِ بِالرِّضَا.

وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ.

وَالشُّكْرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ.

وَتِلْكَ مِنْ أَعْلَامِ التَّفْوِيزِ: تَعْطِيلُ إِرَادَتِكَ لِمُرَادِهِ، وَالنَّظَرُ إِلَى مَا يَقَعُ مِنْ تَدْيِيرِهِ لَكَ، وَتَرْكُ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى الْحُكْمِ.

وَتِلْكَ مِنْ أَعْلَامِ التَّوْحِيدِ: رُؤْيُهُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ اللَّهِ، وَقَبُولُ كُلِّ شَيْءٍ عَنْهُ، وَإِصَافُهُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: أَصْلُ الْعِبَادَةِ ثَلَاثَةٌ: لَا تَرُدُّ مِنْ أَحْكَامِهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْأَلُ غَيْرَهُ حَاجَةً، وَلَا تَدْخِرُ عَنْهُ شَيْئًا. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢١٦).

المسموعات على ثلاثة أضرب

قال رحمه الله: فَأَمَّا الْمَسْمُوعُ فَعَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ:

أَحَدُهَا: مَسْمُوعٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَأَمَرَ بِهِ عِبَادَهُ، وَأَثْنَى عَلَى أَهْلِهِ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ بِهِ.

الثَّانِي: مَسْمُوعٌ يُبْغِضُهُ وَيَكْرَهُهُ، وَنَهَى عَنْهُ، وَمَدَحَ الْمُعْرِضِينَ عَنْهُ.

الثَّالِثُ: مَسْمُوعٌ مُبَاحٌ مَأْدُونٌ فِيهِ، لَا يُحِبُّهُ وَلَا يُبْغِضُهُ، وَلَا مَدَحَ صَاحِبِهِ وَلَا ذَمَّهُ،

فَحُكْمُهُ حُكْمُ سَائِرِ الْمُبَاحَاتِ مِنَ الْمَنَاطِرِ، وَالْمَشَامِ، وَالْمَطْعُومَاتِ، وَالْمَلْبُوسَاتِ

الْمُبَاحَةِ، فَمَنْ حَرَّمَ هَذَا النَّوعَ الثَّالِثَ فَقَدْ قَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَحَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَمَنْ جَعَلَهُ دِينًا وَقُرْبَةً يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ، فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، وَشَرَعَ دِينًا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ، وَضَاهَاً بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ.

فَأَمَّا النَّوعُ الْأَوَّلُ: فَهُوَ السَّمَاعُ الَّذِي مَدَحَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَأَمَرَ بِهِ وَأَثْنَى عَلَى أَصْحَابِهِ، وَذَمَّ الْمُعْرِضِينَ عَنْهُ وَلَعَنَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أَضَلَّ مِنَ الْأَنْعَامِ سَبِيلًا، وَهُمْ الْقَائِلُونَ فِي النَّارِ: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] وَهُوَ سَمَاعُ آيَاتِهِ الْمَثْلُوهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ ﷺ.

فَهَذَا السَّمَاعُ أَسَاسُ الْإِيمَانِ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ بِنَاؤُهُ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ، سَمَاعِ إِدْرَاكِ بِحَاسَّةِ الْأُذُنِ، وَسَمَاعِ فَهْمٍ وَعَقْلِ، وَسَمَاعِ فَهْمٍ وَإِجَابَةٍ وَقَبُولٍ، وَالثَّلَاثَةُ فِي الْقُرْآنِ. الْقِسْمُ الثَّانِي: مِنَ السَّمَاعِ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ وَيَكْرَهُهُ، وَيَمْدَحُ الْمُعْرِضَ عَنْهُ، وَهُوَ سَمَاعُ كُلِّ مَا يَضُرُّ الْعَبْدَ فِي قَلْبِهِ وَدِينِهِ، كَسَمَاعِ الْبَاطِلِ كُلِّهِ، إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ رَدَّهُ وَإِبْطَالَهُ وَالْإِعْتِبَارَ بِهِ وَقَصْدَ أَنْ يُعْلَمَ بِهِ حُسْنُ ضِدِّهِ، فَإِنَّ الضِّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضِّدِّ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا سَمِعْتُ إِلَى حَدِيثِكَ زَادَنِي * حُبَّالَهُ سَمِعِي حَدِيثَ سَوَاكَ

وَكَسَمَاعِ اللَّغْوِ الَّذِي مَدَحَ التَّارِكِينَ لِسَمَاعِهِ، وَالْمُعْرِضِينَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا

اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:

الرجاء ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: وَالرَّجَاءُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٌ: نَوْعَانِ مَحْمُودَانِ، وَنَوْعٌ غَرُورٌ مَذْمُومٌ.

فَالأَوَّلَانِ: رَجَاءُ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ. فَهُوَ رَاجٍ لِثَوَابِهِ.

وَرَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوبًا ثُمَّ تَابَ مِنْهَا. فَهُوَ رَاجٍ لِمَغْفِرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَفْوِهِ وَإِحْسَانِهِ وَجُودِهِ

وَحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ.

وَالثَّالِثُ: رَجُلٌ مُتَمَادٍ فِي التَّفْرِيطِ وَالْخَطَايَا. يَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ بِلَا عَمَلٍ. فَهَذَا هُوَ

الْغُرُورُ وَالتَّمَنِّيُّ وَالرَّجَاءُ الْكَاذِبُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٧).

أركان الرجاء ثلاثة

قال رحمه الله: وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ مَنْ رَجَا شَيْئًا اسْتَلْزَمَ رَجَاؤُهُ ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ:

أَحَدُهَا: مَحَبَّةُ مَا يَرْجُوهُ.

الثَّانِي: خَوْفُهُ مِنْ فَوَاتِهِ.

الثَّالِثُ: سَعْيُهُ فِي تَحْصِيلِهِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ.

وَأَمَّا رَجَاءُ لَا يُقَارِنُهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْأَمَانِيِّ، وَالرَّجَاءُ شَيْءٌ وَالْأَمَانِيُّ شَيْءٌ

آخَرُ، فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ، وَالسَّائِرُ عَلَى الطَّرِيقِ إِذَا خَافَ أَسْرَعَ السَّيْرِ مَخَافَةَ الْفَوَاتِ. الداء والدواء

(ص: ٣٩).

أركان الشكر ثلاثة

قال رحمه الله: نعم من الله تعالى تترادف عليه، فقيدها الشكر، وهو مبني على ثلاثة

أركان:

الاعتراف بها باطنًا.

والتحدث بها ظاهراً.

وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها.

فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها. الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٥). وانظر: عدة

الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٤٨).

أركان الحكمة ثلاثة

قال رحمه الله: وَاللَّهُ تَعَالَى أَوْرَثَ الْحِكْمَةَ آدَمَ وَبَنِيهِ. فَالرَّجُلُ الْكَامِلُ: مَنْ لَهُ إِرْثٌ كَامِلٌ مِنْ أَبِيهِ، وَنِصْفُ الرَّجُلِ - كَالْمَرْأَةِ - لَهُ نِصْفُ مِيرَاثٍ، وَالتَّقَاوُتُ فِي ذَلِكَ لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ فِي هَذَا: الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ. وَأَكْمَلُهُمْ أُولُو الْعِزِّمِ. وَأَكْمَلُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ. وَلِهَذَا ائْتَنَّا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ، وَعَلَى أُمَّتِهِ بِمَا آتَاهُمْ مِنَ الْحِكْمَةِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ

تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رُسُلًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

فَكُلُّ نِظَامِ الْوُجُودِ مُرْتَبِطٌ بِهَذِهِ الصِّفَةِ. وَكُلُّ خَلَلٍ فِي الْوُجُودِ، وَفِي الْعَبْدِ فَسَبِيَّةٌ: الْإِخْلَالُ بِهَا. فَأَكْمَلُ النَّاسِ: أَوْفَرُهُمْ نَصِيبًا. وَأَنْقَصُهُمْ وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ الْكَمَالِ: أَقَلُّهُمْ مِنْهَا مِيرَاثًا.

وَلَهَا ثَلَاثَةُ أَرْكَانٍ: الْعِلْمُ، وَالْحِلْمُ، وَالْإِنَانَةُ، وَأَفَاتُهَا وَأَضْدَادُهَا: الْجَهْلُ، وَالطَّيْشُ، وَالْعَجَلَةُ.

فَلَا حِكْمَةَ لِحَاجِلٍ، وَلَا طَائِشٍ، وَلَا عَجُولٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٤٩).

مراتب العلم والعمل ثلاثة

قال رحمه الله: وَمَرَاتِبُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ثَلَاثَةٌ:

رَوَايَةٌ: وَهِيَ مُجَرَّدُ النَّقْلِ وَحَمْلُ الْمُرُويِّ.

وَدِرَايَةٌ: وَهِيَ فَهْمُهُ وَتَعَقُّلُ مَعْنَاهُ.

وَرِعَايَةٌ: وَهِيَ الْعَمَلُ بِمُوجِبِ مَا عَلِمَهُ وَمُقْتَضَاهُ.

فَالنَّقْلَةُ هِمَّتُهُمُ الرِّوَايَةُ. وَالْعُلَمَاءُ هِمَّتُهُمُ الدِّرَايَةُ. وَالْعَارِفُونَ هِمَّتُهُمُ الرِّعَايَةُ. وَقَدْ ذَمَّ

اللَّهُ مَنْ لَمْ يَرِعَ مَا اخْتَارَهُ وَابْتَدَعَهُ مِنَ الرِّهَابِيَّةِ حَقَّ رِعَايَتِهِ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي

قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ

فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

وَالْقَصْدُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَمَّ مَنْ لَمْ يَرِعَ قُرْبَةً ابْتَدَعَهَا لِلَّهِ تَعَالَى حَقَّ رِعَايَتِهَا؛

فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يَرِعَ قُرْبَةً شَرَعَهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ، وَأَذِنَ بِهَا وَحَثَّ عَلَيْهَا؟ ! مدارج السالكين بين منازل إياك

نعبد وإياك نستعين (٢/ ٦٠).

العلماء ثلاثة

قال رحمه الله: وَالْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ:

عَالِمٌ: اسْتَنَارَ بِنُورِهِ وَاسْتَنَارَ بِهِ النَّاسُ، فَهَذَا مِنْ خُلَفَاءِ الرُّسُلِ وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَعَالِمٌ: اسْتَنَارَ بِنُورِهِ، وَلَمْ يَسْتَنِرْ بِهِ غَيْرُهُ، فَهَذَا إِنْ لَمْ يُفَرِّطْ كَانَ نَفْعُهُ قَاصِرًا عَلَى نَفْسِهِ، فَبَيْنَهُ

وَبَيْنَ الْأَوَّلِ مَا بَيْنَهُمَا.

وَعَالِمٌ لَمْ يَسْتَرْ بُنُورَهُ وَلَا اسْتَتَارَ بِهِ غَيْرُهُ، فَهَذَا عِلْمُهُ وَبَالَ عَلَيْهِ، وَبَسْطَتُهُ لِلنَّاسِ فِتْنَةٌ هُمْ، وَبَسْطَةُ الْأَوَّلِ رَحْمَةٌ هُمْ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٨٢).

للسبر ثلاث مراتب من استكملها فقد استكمل الصبر

قال **رحمته الله**: وَالصَّبْرُ مِنَ الْإِيْمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

صَبْرٌ عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ فَلَا يُضَيِّعُهَا.

وَصَبْرٌ عَنْ مَحَارِمِهِ، فَلَا يَرْتَكِبُهَا.

وَصَبْرٌ عَلَى أَقْصِيَّتِهِ وَأَقْدَارِهِ، فَلَا يَتَسَخَّطُهَا.

وَمَنْ اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الثَّلَاثَ، اسْتَكْمَلَ الصَّبْرَ، وَلَذَّةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَنَعِيمُهَا، وَالْفَوْزُ وَالظَّفَرُ فِيهِمَا، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى جِسْرِ الصَّبْرِ، كَمَا لَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى الصِّرَاطِ. الطب النبوي (ص: ٢٥١).

الصبر على ثلاثة أنواع

قال **رحمته الله**: الصَّبْرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ:

صَبْرٌ بِاللَّهِ. **وَصَبْرٌ** لِلَّهِ. **وَصَبْرٌ** مَعَ اللَّهِ.

فَالْأَوَّلُ: صَبْرُ الْإِسْتِعَانَةِ بِهِ، وَرُؤْيَتُهُ أَنَّهُ هُوَ الْمُصَبِّرُ، وَأَنَّ صَبْرَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ لَا بِنَفْسِهِ. كَمَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] يَعْنِي إِنْ لَمْ يُصَبِّرْكَ هُوَ لَمْ تَصْبِرْ.

وَالثَّانِي: الصَّبْرُ لِلَّهِ. وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ مَحَبَّةُ اللَّهِ، وَإِرَادَةُ وَجْهِهِ. وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ. لَا لِإِظْهَارِهِ قُوَّةِ النَّفْسِ، وَلَا لِاسْتِحْمَادِ إِلَى الْخَلْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ.

وَالثَّالِثُ: الصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ. وَهُوَ دَوْرَانُ الْعَبْدِ مَعَ مُرَادِ اللَّهِ الدِّينِيِّ مِنْهُ. وَمَعَ أَحْكَامِهِ الدِّينِيَّةِ. صَابِرًا نَفْسُهُ مَعَهَا، سَائِرًا بِسَيْرِهَا. مُقِيمًا بِإِقَامَتِهَا. يَتَوَجَّهُ مَعَهَا أَيْنَ تَوَجَّهَتْ رَكَائِبُهَا. وَيَنْزِلُ مَعَهَا أَيْنَ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهَا.

فَهَذَا مَعْنَى كَوْنِهِ صَابِرًا مَعَ اللَّهِ؛ أَيْ قَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ وَقَفًّا عَلَى أَوَامِرِهِ وَمَحَابِّهِ. وَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَأَصْعَبُهَا. وَهُوَ صَبْرُ الصَّدِيقِينَ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٥٦).

ثلاثة أشياء تبعث المتلبس بها على الصبر في البلاء

قال رحمه الله: ثلاثة أشياء تَبْعَثُ الْمُتَلَبِّسَ بِهَا عَلَى الصَّبْرِ فِي الْبَلَاءِ:

إِحْدَاهَا: مُلَاحَظَةُ حُسْنِ الْجَزَاءِ. وَعَلَى حَسَبِ مُلَاحَظَتِهِ وَالْوُثُوقِ بِهِ وَمُطَالَعَتِهِ يُخَفَّفُ حِمْلُ الْبَلَاءِ، لِشُهُودِ الْعَوَاضِ، وَهَذَا كَمَا يَخِفُّ عَلَى كُلِّ مُتَحَمِّلٍ مَشَقَّةُ عَظِيمَةٍ حَمْلُهَا، لِمَا يُلَاحِظُهُ مِنْ لَذَّةِ عَاقِبَتِهَا وَظَفَرِهِ بِهَا. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَمَا أَقْدَمَ أَحَدٌ عَلَى تَحْمِلِ مَشَقَّةٍ عَاجِلَةٍ إِلَّا لِثَمَرَةٍ مُؤَجَّلَةٍ، فَالنَّفْسُ مُوَلَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ. وَإِنَّمَا خَاصَّةُ الْعَقْلِ: تَلَمُّحُ الْعَوَاقِبِ، وَمُطَالَعَةُ الْغَايَاتِ.

وَأَجْمَعَ عُقَلَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى أَنَّ النَّعِيمَ لَا يُدْرِكُ بِالنَّعِيمِ. وَأَنَّ مَنْ رَافَقَ الرَّاحَةَ فَارَقَ الرَّاحَةَ. وَحَصَلَ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَقْتُ الرَّاحَةِ فِي دَارِ الرَّاحَةِ، فَإِنَّ قَدْرَ التَّعَبِ تَكُونُ الرَّاحَةُ.

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ * * وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرِيمِ الْكَرَائِمُ وَيَكْبُرُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغِيرُهَا * * وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

وَالْقَصْدُ: أَنَّ مُلَاحَظَةَ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ تُعِينُ عَلَى الصَّبْرِ فِيمَا تَتَحَمَّلُهُ بِاخْتِيَارِكَ وَغَيْرِ

اخْتِيَارِكَ.

والثاني: انتظار روح الفرج يعني راحته ونسيمه ولذته. فإن انتظاره ومطالعة وتربيته يخفف حمل المشقة. ولا سيما عند قوة الرجاء. أو القطع بالفرج. فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته: ما هو من خفي اللطاف، وما هو فرج معجل. وبه وبغيره، يفهم معنى اسمه اللطيف.

والثالث: تهوين البلية بأمرين.

أحدهما: أن يعد نعم الله عليه وأياديه عنده. فإذا عجز عن عدها، وأيس من حصرها، هان عليه ما هو فيه من البلاء ورآه - بالسببة إلى أيادي الله ونعمه - كقطرة من بحر.

الثاني: تذكر سوائف النعم التي أنعم الله بها عليه. فهذا يتعلق بالماضي. وتعداد أيادي المنن: يتعلق بالمستقبل. وأحدهما في الدنيا. والثاني يوم الجزاء. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٦٦).

الصبر بعد الفراغ من العمل على ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: الصبر بعد الفراغ من العمل وذلك من وجوه:

أحدها: أن يصبر نفسه عن الإتيان بما يبطل عمله قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

نُظِلُّوا صَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] فليس الشأن الإتيان بالطاعة إنما الشأن في حفظها مما يبطلها.

الثاني: أن يصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر والتعظم بها؛ فإن هذا أضر عليه من كثير من المعاصي الظاهرة.

الثالث: أن يصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية، فإن العبد يعمل العمل سرا بينه وبين الله سبحانه فيكتب في ديوان السر، فإن تحدث به؛ نقل إلى ديوان العلانية، فلا يظن أن بساط الصبر انطوى بالفراغ من العمل. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٦٦).**

وعد الله الصابرين بثلاثة أشياء

قال رسول الله ﷺ: وقد وعد الصابرين بثلاثة أشياء كل واحد خير من الدنيا وما عليها وهي:

صلواته تعالى عليهم.

ورحمته لهم.

وتخصيصهم بالهداية.

في قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ **١٥٧**

[البقرة: ١٥٧] وهذا مفهم لحصر الهدى فيهم. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١١٣).**

البصيرة على ثلاث درجات

قال رسول الله ﷺ: فَالْبَصِيرَةُ مَعْنَاهَا نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، يَرَى بِهِ حَقِيقَةَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ، كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ رَأْيَ عَيْنٍ، فَيَتَحَقَّقُ مَعَ ذَلِكَ انْتِفَاعُهُ بِمَا دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَتَضَرُّرُهُ بِمُخَالَفَتِهِمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ الْعَارِفِينَ: الْبَصِيرَةُ تَحَقُّقُ الْإِنْتِفَاعِ بِالشَّيْءِ وَالتَّضَرُّرُ بِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْبَصِيرَةُ مَا خَلَّصَكَ مِنَ الْحَيْرَةِ، إِمَّا بِإِيمَانٍ وَإِمَّا بِعِيَانٍ.

وَالْبَصِيرَةُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ، مَنْ اسْتَكْمَلَهَا فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْبَصِيرَةَ:

بَصِيرَةٌ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَبَصِيرَةٌ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

وَبَصِيرَةٌ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ.

فَالْبَصِيرَةُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: أَنْ لَا يَتَأَثَّرَ إِيمَانُكَ بِشُبْهَةٍ تُعَارِضُ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ.

الْمُرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: مِنَ الْبَصِيرَةِ الْبَصِيرَةُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَهِيَ تَجْرِيدُهُ عَنِ الْمُعَارَضَةِ بِتَأْوِيلٍ، أَوْ تَقْلِيدٍ، أَوْ هَوًى، فَلَا يَقُومُ بِقَلْبِهِ شُبْهَةٌ تُعَارِضُ الْعِلْمَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، وَلَا شَهْوَةَ تَمْنَعُ مِنْ تَنْفِيزِهِ وَامْتِثَالِهِ وَالْأَخْذِ بِهِ، وَلَا تَقْلِيدَ يُرِيحُهُ عَنْ بَذْلِ الْجُهِدِ فِي تَلْقِي الْأَحْكَامِ مِنْ مِشْكَاتِ النُّصُوصِ.

الْمُرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْبَصِيرَةُ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَهِيَ أَنْ تَشْهَدَ قِيَامَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، عَاجِلًا وَآجِلًا، فِي دَارِ الْعَمَلِ وَدَارِ الْجَزَاءِ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ مُوجِبُ إِلَهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَعَدْلِهِ وَحُكْمَتِهِ، فَإِنَّ الشَّكَّ فِي ذَلِكَ شَكٌّ فِي إِلَهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، بَلْ شَكٌّ فِي وُجُودِهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ خِلَافُ ذَلِكَ، وَلَا يَلِيقُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ تَعْطِيلُ الْخَلِيقَةِ، وَإِرْسَالُهَا هَمَلًا، وَتَرْكُهَا سُدًى، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذَا الْحُسْبَانِ عُلُوءًا كَبِيرًا. مدارج السالكين بين منازل

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (١/ ١٤٤).

الأدب على ثلاثة أنواع

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وَالْأَدَبُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ:

أَدَبٌ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

وَأَدَبٌ مَعَ رَسُولِهِ **ﷺ** وَشَرْعِهِ.

وَأَدَبٌ مَعَ خُلُقِهِ.

فَالْأَدَبُ مَعَ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: صِيَانَةُ مُعَامَلَتِهِ أَنْ يَشُوبَهَا بِنَقِيصَةٍ.

الثاني: صِيَانَةُ قَلْبِهِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ.

الثالث: صِيَانَةُ إِرَادَتِهِ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِمَا يَمُوتُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْأَدَبُ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ: فَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِهِ، فَرَأْسُ الْأَدَبِ مَعَهُ: كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ، وَالْإِنْقِيَادُ لِأَمْرِهِ. وَتَلَقَّى خَبْرَهُ بِالْقَبُولِ وَالتَّصَدِيقِ.

وَأَمَّا الْأَدَبُ مَعَ الْخَلْقِ: فَهُوَ مُعَامَلَتُهُمْ - عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ - بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ. فَلِكُلِّ مَرْتَبَةٍ أَدَبٌ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٥٦ - ٣٦٨).

الحلاوة في ثلاثة أشياء

قال رحمه الله: قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَفَقَّدُوا الْحَلَاوَةَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

فِي الصَّلَاةِ.

وَفِي الذِّكْرِ.

وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

فَإِنْ وَجَدْتُمْ وَإِلَّا فاعْلَمُوا أَنَّ الْبَابَ مُغْلَقٌ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٩٦).

الذكر ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: الذِّكْرُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

ذِكْرُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمَعَانِيهَا، وَالشَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ بِهَا، وَتَوْحِيدِ اللَّهِ بِهَا.

وَذِكْرُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

وَذِكْرُ الْأَلَاءِ وَالنِّعَمَاءِ وَالْإِحْسَانِ وَالْإِيَادِي.

وَأَنَّهُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ أَيْضًا: ذِكْرٌ يَتَوَاطَأُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ، وَهُوَ أَعْلَاهَا، وَذِكْرٌ بِالْقَلْبِ وَحْدَهُ وَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، وَذِكْرٌ بِاللِّسَانِ الْمُجَرَّدِ، وَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ. مدارج السالكين

بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٠٣).

الفراسة ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: الْفِرَاسَةُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٌ:

إِيمَانِيَّةٌ: وَسَبَبُهَا: نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ. يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْحَالِي وَالْعَاطِلِ، وَالصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ، وَهَذِهِ الْفِرَاسَةُ عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ. فَمَنْ كَانَ أَقْوَى إِيمَانًا فَهُوَ أَحَدُ فِرَاسَةٍ.

قال أبو شجاع الكرمانى رحمه الله: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال، لم تخطئ له فِرَاسَةٌ. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٤٨)

الْفِرَاسَةُ الثَّانِيَّةُ: فِرَاسَةُ الرِّيَاضَةِ وَالْجُوعِ، وَالسَّهْرِ وَالتَّخْلِى. فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا تَجَرَّدَتْ عَنِ الْعَوَائِقِ صَارَ لَهَا مِنَ الْفِرَاسَةِ وَالْكَشْفِ بِحَسَبِ تَجَرُّدِهَا. وَهَذِهِ فِرَاسَةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ. وَلَا تَدُلُّ عَلَى إِيْمَانٍ وَلَا عَلَى وِلَايَةٍ. وَكَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ يَغْتَرُّ بِهَا. وَلِلرُّهْبَانِ فِيهَا وَقَائِعٌ مَعْلُومَةٌ. وَهِيَ فِرَاسَةٌ لَا تَكْشِفُ عَنْ حَقِّ نَافِعٍ. وَلَا عَنْ طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ. بَلْ كَشَفَهَا جُزْئِيٌّ مِنْ جِنْسِ فِرَاسَةِ الْوَلَاةِ، وَأَصْحَابِ عِبَارَةِ الرُّؤْيَا وَالْأَطْبَاءِ وَنَحْوِهِمْ.

الْفِرَاسَةُ الثَّالِثَةُ: الْفِرَاسَةُ الْخَلْقِيَّةُ. وَهِيَ الَّتِي صَنَّفَ فِيهَا الْأَطْبَاءُ وَغَيْرُهُمْ. وَاسْتَدَلُّوا بِالْخُلُقِ عَلَى الْخُلُقِ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِرْتِبَاطِ الَّذِي اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللَّهِ. كَالِاسْتِدْلَالِ بِصِغَرِ الرَّأْسِ الْخَارِجِ عَنِ الْعَادَةِ عَلَى صِغَرِ الْعَقْلِ. وَبِكِبَرِهِ، وَبِسَعَةِ الصَّدْرِ، وَبَعْدِ مَا بَيْنَ جَانِبَيْهِ: عَلَى سَعَةِ خُلُقٍ صَاحِبِهِ. وَاحْتِمَالِهِ وَبِسُطَّتِهِ. وَبِضِيقِهِ عَلَى ضِيقِهِ، وَبِخُمُودِ الْعَيْنِ وَكَلَالِ

نَظَرَهَا عَلَى بِلَادَةِ صَاحِبِهَا، وَضَعَفَ حَرَارَةَ قَلْبِهِ. وَبَشَدَةَ بَيَاضِهَا مَعَ إِشْرَابِهِ بِحُمْرَةٍ - وَهُوَ الشَّكْلُ - عَلَى شَجَاعَتِهِ وَإِقْدَامِهِ وَفِطْنَتِهِ. وَبِتَدْوِيرِهَا مَعَ حُمْرَتِهَا وَكَثْرَةِ تَقَلُّبِهَا عَلَى خِيَاتَتِهِ وَمَكْرِهِ وَخِدَاعِهِ.

وَمُعْظَمُ تَعَلُّقِ الْفِرَاسَةِ بِالْعَيْنِ. فَإِنَّهَا مِرْأَةُ الْقَلْبِ وَعُنْوَانُ مَا فِيهِ. ثُمَّ بِاللِّسَانِ. فَإِنَّهُ رَسُولُهُ وَتَرْجُمَانُهُ. وَبِالْإِسْتِدْلَالِ بِزُرْقَتِهَا مَعَ شُقْرَةِ صَاحِبِهَا عَلَى رَدَائَتِهِ. وَبِالْوَحْشَةِ الَّتِي تُرَى عَلَيْهَا عَلَى سُوءِ دَاخِلِهِ وَفَسَادِ طَوِيَّتِهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٥٣).

فائدة: قال رحمه الله: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: الْعَزِيزُ فِي يُوسُفَ، حَيْثُ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [يوسف: ٢١]. وَابْنَةُ شُعَيْبٍ حِينَ قَالَتْ لِأَيِّهَا فِي مُوسَى: ﴿ اسْتَغْجِرْهُ ﴾ [القصص: ٢٦] وَأَبُو بَكْرٍ فِي عُمَرَ رضي الله عنه، حَيْثُ اسْتَخْلَفَهُ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: وَامْرَأَةُ فِرْعَوْنَ حِينَ قَالَتْ: ﴿ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [القصص: ٩]. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك

نستعين (٢/ ٤٥٥).

طرفة: من فِرَاسَةِ الشَّافِعِيِّ وَفِطْنَتِهِ رحمه الله:

عَنِ الْحُمَيْدِيِّ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ: خَرَجْتُ إِلَى الْيَمَنِ فِي طَلَبِ كُتُبِ الْفِرَاسَةِ، حَتَّى كَتَبْتُهَا وَجَمَعْتُهَا، ثُمَّ لَمَّا حَانَ انْصِرَافِي، مَرَرْتُ عَلَى رَجُلٍ فِي طَرِيقِي وَهُوَ مُحْتَبٍ بِفَنَاءِ دَارِهِ، أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِيءِ الْجَبْهَةِ، سِنَاطٍ، فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ مِنْ مَنَزِلٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَهَذَا النَّعْتُ أَحَبُّ مَا يَكُونُ فِي الْفِرَاسَةِ فَأَنْزَلَنِي، فَرَأَيْتُ أَكْرَمَ رَجُلٍ، بَعَثَ إِلَيَّ بِعِشَاءٍ وَطِيبٍ، وَعَلَفٍ لِدَابَّتِي، وَفِرَاشٍ وَلِحَافٍ، فَجَعَلْتُ أَتَقَلَّبُ اللَّيْلَ أَجْمَعَ مَا أَصْنَعُ بِهِذِهِ الْكُتُبِ؟ إِذْ رَأَيْتُ هَذَا النَّعْتَ فِي هَذَا الرَّجُلِ، فَرَأَيْتُ أَكْرَمَ رَجُلٍ، فَقُلْتُ: أَرُمِي بِهِذِهِ الْكُتُبِ.

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، قُلْتُ لِلْغُلَامِ: أَسْرِجْ، فَأَسْرَجَ، فَرَكِبْتُ وَمَرَرْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ: إِذَا قَدِمْتَ مَكَّةَ وَمَرَرْتَ بِذِي طُوى، فَسَلْ عَن مَنَزِلِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ.
فَقَالَ لِي الرَّجُلُ: أَمْوَالِي لِأَيِّكَ أَنَا؟ ! قُلْتُ: لَا.
قَالَ: فَهَلْ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي نِعْمَةٌ؟ ! فَقُلْتُ: لَا.
فَقَالَ: أَيْنَ مَا تَكَلَّمْتُ لَكَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ .

قَالَ: اشْتَرَيْتُ لَكَ طَعَامًا بِدِرْهَمَيْنِ، وَإِدَامًا بِكَذَا، وَعِطْرًا بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ، وَعَلَفًا لِدَابَّتِكَ بِدِرْهَمَيْنِ، وَكِرَاءُ الْفِرَاشِ وَاللِّحَافِ دِرْهَمَانِ.
قَالَ: قُلْتُ: يَا غُلَامُ أَعْطِهِ، فَهَلْ بَقِيَ مِنْ شَيْءٍ.

قَالَ: كِرَاءُ الْمَنْزِلِ، فَإِنِّي وَسَّعْتُ عَلَيْكَ، وَضَيِّقْتُ عَلَى نَفْسِي، قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَغَبَطْتُ نَفْسِي بِتِلْكَ الْكُتُبِ، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: هَلْ بَقِيَ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ: امْضِ، أَخْزَاكَ اللَّهُ، فَمَا رَأَيْتُ قَطُّ شَرًّا مِنْكَ. آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٩٦).

قلوب المؤمنين تشتمل على ثلاثة معان

قال ﷺ: وَقُلُوبُ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ:

النُّورُ، وَالْقُوَّةُ، وَالرُّوحُ.

وَذَكَرَ لَهُ ثَلَاثَ ثَمَرَاتٍ: سُكُونُ الْخَائِفِ إِلَيْهِ، وَتَسْلِي الْحَزِينِ وَالضَّعِيفِ بِهِ، وَاسْتِكَانَةُ صَاحِبِ الْمَعْصِيَةِ وَالْجُرْأَةِ عَلَى الْمُخَالَفَةِ وَالْإِبَاءِ إِلَيْهِ.

فَبِالرُّوحِ الَّذِي فِيهَا: حَيَاةُ الْقَلْبِ. وَبِالنُّورِ الَّذِي فِيهَا: اسْتِنَارَتُهُ، وَضِيَائُهُ وَإِشْرَاقُهُ، وَبِالْقُوَّةِ: ثَبَاتُهُ وَعَزَمُهُ وَنَشَاطُهُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٧٥).

الغربة ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: فَالْغُرْبَةُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ:

غُرْبَةُ أَهْلِ اللَّهِ وَأَهْلِ سُنَّةِ رَسُولِهِ يَبِينُ هَذَا الْخَلْقِ، وَهِيَ الْغُرْبَةُ الَّتِي مَدَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَهَا، وَأَخْبَرَ عَنِ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ: أَنَّهُ بَدَأَ غَرِيبًا وَأَنَّهُ سَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ وَأَنَّ أَهْلَهُ يَصِيرُونَ غُرَبَاءَ.

وَهَذِهِ الْغُرْبَةُ قَدْ تَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، وَوَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، وَبَيْنَ قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ، وَلَكِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْغُرْبَةِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ حَقًّا، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَأْوُوا إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَلَمْ يَتَسَبَّوْا إِلَى غَيْرِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَمْ يَدْعُوا إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ، وَهُمْ الَّذِينَ فَارَقُوا النَّاسَ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِمْ، فَإِذَا انْطَلَقَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ آلِهِتِهِمْ بَقُوا فِي مَكَانِهِمْ، فَيَقَالُ لَهُمْ: أَلَا تَنْطَلِقُونَ حَيْثُ انْطَلَقَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَا النَّاسَ وَنَحْنُ أَحْوَجُ إِلَيْهِمْ مِنَّا الْيَوْمَ، وَإِنَّا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُهُ.

فَهَذِهِ الْغُرْبَةُ لَا وَخْشَةَ عَلَى صَاحِبِهَا، بَلْ وَآسُسُ مَا يَكُونُ إِذَا اسْتَوْحَشَ النَّاسُ، وَأَشَدُّ مَا تَكُونُ وَخْشَتُهُ إِذَا اسْتَأْنَسُوا، فَوَلِيُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَإِنْ عَادَاهُ أَكْثَرُ النَّاسِ وَجَفَوْهُ.

وَمِنْ صِفَاتِ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ غَبَطَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: التَّمَسُّكُ بِالسُّنَّةِ، إِذَا رَغِبَ عَنْهَا النَّاسُ، وَتَرَكُ مَا أَحَدَثُوهُ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عَنْدهُمْ وَتَجَرِيدُ التَّوْحِيدِ، وَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَكْثَرُ النَّاسِ، وَتَرَكُ الْإِتِّسَابِ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا شَيْخَ وَلَا طَرِيقَةَ وَلَا مَذْهَبَ وَلَا طَائِفَةَ، بَلْ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءُ مُتَسَبِّونَ إِلَى اللَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ وَحْدَهُ، وَإِلَى رَسُولِهِ بِالِاتِّبَاعِ لِمَا جَاءَ بِهِ وَحْدَهُ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْقَابِضُونَ عَلَى الْجَمْرِ حَقًّا، وَأَكْثَرُ النَّاسِ بَلْ كُلُّهُمْ لَا يُمْ لَهُمْ، فَلِغُرَبَتِهِمْ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ: يَعُدُّونَهُمْ أَهْلَ شُدُوزٍ وَبِدْعَةٍ، وَمُفَارَقَةٍ لِلسَّوَادِ الْأَعْظَمِ.

فَهُوَ غَرِيبٌ فِي دِينِهِ لِفَسَادِ أَذْيَانِهِمْ، غَرِيبٌ فِي تَمَسُّكِهِ بِالسُّنَّةِ لِتَمَسُّكِهِمُ بِالْبِدْعِ، غَرِيبٌ فِي اعْتِقَادِهِ لِفَسَادِ عَقَائِدِهِمْ، غَرِيبٌ فِي صَلَاتِهِ لِسُوءِ صَلَاتِهِمْ، غَرِيبٌ فِي طَرِيقِهِ لِضَلَالِ وَفَسَادِ طُرُقِهِمْ، غَرِيبٌ فِي نَسَبَتِهِ لِمُخَالَفَةِ نَسَبِهِمْ، غَرِيبٌ فِي مُعَاشَرَتِهِ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ يُعَاشِرُهُمْ عَلَى مَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَهُوَ غَرِيبٌ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ لَا يَجِدُ مِنَ الْعَامَّةِ مُسَاعِدًا وَلَا مُعِينًا فَهُوَ عَالِمٌ بَيْنَ جُهَالٍ، صَاحِبُ سُنَّةٍ بَيْنَ أَهْلِ بَدْعٍ، دَاعٍ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَيْنَ دُعَاةٍ إِلَى الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ، أَمِيرٌ بِالْمَعْرُوفِ نَاهٍ عَنِ الْمُنْكَرِ بَيْنَ قَوْمِ الْمَعْرُوفِ لَدَيْهِمْ مُنْكَرٌ وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفٌ.

النَّوعُ الثَّانِي: مِنَ الْغُرَبَاءِ غُرَبَةُ مَذْمُومَةٌ وَهِيَ غُرَبَةُ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِ الْفُجُورِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ، فَهِيَ غُرَبَةٌ بَيْنَ حِزْبِ اللَّهِ الْمُفْلِحِينَ وَإِنْ كَثُرَ أَهْلُهَا فَهُمْ غُرَبَاءُ عَلَى كَثَرَةِ أَصْحَابِهِمْ وَأَشْيَاعِهِمْ، أَهْلٌ وَخَشَةٌ عَلَى كَثَرَةِ مُؤَنَسِهِمْ، يُعْرِفُونَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ، وَيَخْفَوْنَ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ.

النوع الثالث: غُرْبَةُ مُشْرَكَةٍ لَا تُحَمَّدُ وَلَا تُذَمُّ، وَهِيَ الْغُرْبَةُ عَنِ الْوَطَنِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ غُرَبَاءُ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارِ مَقَامٍ، وَلَا هِيَ الدَّارُ الَّتِي خُلِقُوا لَهَا، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»^(١). وَهَكَذَا هُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ أَنْ يُطَالَعَ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ وَيَعْرِفَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَلِي مِنْ أَبْيَاتٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

وَحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَذْنٍ فَإِنَّهَا * * * مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ
وَلَكِنَّا سَبِيُّ الْعَدُوِّ فَهَلْ نَرَى * * * نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ
وَكَيْفَ لَا يَكُونُ الْعَبْدُ فِي هَذِهِ الدَّارِ غَرِيبًا، وَهُوَ عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، لَا يَحِلُّ عَنْ رَاحِلَتِهِ
إِلَّا بَيْنَ أَهْلِ الْقُبُورِ؟ فَهُوَ مُسَافِرٌ فِي صُورَةِ قَاعِدٍ، وَقَدْ قِيلَ:

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاحِلُ * * * يَحُثُّ بِهَا دَاعٍ إِلَى الْمَوْتِ قَاصِدُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ لَوْ تَأَمَّلْتَ أَنَّهَا * * * مَنَازِلُ تُطَوَّى وَالْمُسَافِرُ قَاعِدُ

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١٨٦).

الفرق بين الصفة والنعت من وجوه ثلاثة

قال رحمه الله: الْفَرْقُ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالنَّعْتِ مِنْ وَجْهِ ثَلَاثَةٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ النَّعْتَ يَكُونُ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي تَتَجَدَّدُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ﴾ [الأعراف: ٥٤] الْآيَةِ. وَقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ [الزخرف: ١٠]. ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرَنَا بِهِ بَلَدَهُ
مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ [الزخرف: ١١]. ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم
مِّنَ الْفَلَاحِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ [الزخرف: ١٢] وَنَظَائِرُ ذَلِكَ.

و "الصفة" هي الأمور الثابتة اللازمة للذات، كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ [الحشر: ٢٢]. ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴿٢٣﴾ [الحشر: ٢٣] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤] وَنَظَائِرُ ذَلِكَ.

الفرق الثاني: أَنَّ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةَ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ النُّعُوتِ، كَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ،
وَالْقَدَمِ، وَالْأَصَابِعِ، وَتُسَمَّى صِفَاتٍ، وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهَا السَّلَفُ هَذَا الْإِسْمَ، وَكَذَلِكَ
مُتَكَلِّمُو أَهْلِ الْإِتْبَاتِ، سَمَّوْهَا صِفَاتٍ، وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ، كَأَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ
وغيره، وَقَالَ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: نُصُوصُ الصِّفَاتِ، بَلْ آيَاتُ الْإِضَافَاتِ؛ لِأَنَّ الْحَيَّ لَا
يُوصَفُ بِيَدِهِ وَلَا وَجْهِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَوْصُوفُ، فَكَيْفَ تُسَمَّى صِفَةً؟

وأيضاً: فَالْصِّفَةُ مَعْنَى يَعْصُمُ الْمَوْصُوفَ، فَلَا يَكُونُ الْوَجْهُ وَالْيَدُ صِفَةً.
والتَّحْقِيقُ: أَنَّ هَذَا نِزَاعٌ لَفْظِي فِي التَّسْمِيَةِ، فَالْمَقْصُودُ: إِطْلَاقُ هَذِهِ الْإِضَافَاتِ عَلَيْهِ
سُبْحَانَهُ، وَنِسْبَتِهَا إِلَيْهِ، وَالْإِخْبَارُ عَنْهُ بِهَا، مُنْزَهَةً عَنِ التَّمْثِيلِ وَالتَّعْطِيلِ، سَوَاءً سُمِّيَتْ
صِفَاتٍ أَوْ لَمْ تُسَمَّ.

الفرق الثالث: أَنَّ النُّعُوتَ مَا يَظْهَرُ مِنَ الصِّفَاتِ وَيَشْتَهَرُ، وَيَعْرِفُهُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ،
وَالصِّفَاتُ: أَعَمُّ، فَالْفَرْقُ بَيْنَ النَّعْتِ وَالصِّفَةِ فَرْقٌ مَا بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي

تَحْلِيَةِ الشَّيْءِ: نَعْتُهُ كَذَا وَكَذَا، لِمَا يَظْهَرُ مِنْ صِفَاتِهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣) / ٣٢٣.

الفرق بين بول الصبي والصبية من ثلاثة أوجه

قال رحمه الله: وَالْفَرْقُ بَيْنَ -بَوْلِ- الصَّبِيِّ وَالصَّبِيَّةِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: كَثْرَةُ حَمَلِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ لِلذَّكْرِ، فَتَعُمُّ الْبُلُوَى بِبَوْلِهِ، فَيَشُقُّ عَلَيْهِ غَسْلُهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ بَوْلَهُ لَا يَنْزِلُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، بَلْ يَنْزِلُ مُتَفَرِّقًا هَاهُنَا وَهَاهُنَا، فَيَشُقُّ غَسْلُ مَا أَصَابَهُ كُلُّهُ، بِخِلَافِ بَوْلِ الْأُنْثَى.

الثَّالِثُ: أَنَّ بَوْلَ الْأُنْثَى أَحَبُّ وَأَتْنُ مِنْ بَوْلِ الذَّكْرِ، وَسَبَبُهُ حَرَارَةُ الذَّكْرِ وَرُطُوبَةُ الْأُنْثَى؛ فَالْحَرَارَةُ تُخَفِّفُ مِنْ تَنَنِ الْبَوْلِ وَتُذِيبُ مِنْهَا مَا لَا يَحْصُلُ مَعَ الرُّطُوبَةِ، وَهَذِهِ مَعَانِ مُؤَثَّرَةٌ يَحْسُنُ اعْتِبَارُهَا فِي الْفَرْقِ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢ / ٤٥).

وقال رحمه الله: فَإِنْ صَحَّتْ هَذِهِ الْفُرُوقُ وَإِلَّا فَالْمَعْمُولُ عَلَى تَفْرِيقِ السَّنَةِ. تحفة المودود بأحكام

المولود (ص: ٢١٦).

السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه

قال رحمه الله: وَالسَّنَةُ مَعَ الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ تَكُونَ مُوَافَقَةً لَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ فَيَكُونُ تَوَارُدُ الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ عَلَى الْحُكْمِ الْوَاحِدِ مِنْ بَابِ تَوَارُدِ الْأَدِلَّةِ وَتَظَافُرِهَا.

الثَّانِي: أَنَّ تَكُونَ بَيَانًا لِمَا أُريدَ بِالْقُرْآنِ وَتَفْسِيرًا لَهُ.

الثَّالِثُ: أَنَّ تَكُونَ مُوجِبَةً لِحُكْمٍ سَكَتَ الْقُرْآنُ عَنْ إِيجَابِهِ أَوْ مُحَرِّمَةً لِمَا سَكَتَ عَنْ تَحْرِيمِهِ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ، فَلَا تُعَارِضُ الْقُرْآنَ بِوَجْهِ مَا، فَمَا كَانَ مِنْهَا زَائِدًا عَلَى الْقُرْآنِ فَهُوَ تَشْرِيعٌ مُبْتَدَأٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ: تَجِبُ طَاعَتُهُ فِيهِ، وَلَا تَحِلُّ مَعْصِيَتُهُ، وَلَيْسَ

هَذَا تَقْدِيمًا لَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، بَلْ امْتِنَالُ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ طَاعَةِ رَسُولِهِ، وَلَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُطَاعُ فِي هَذَا الْقِسْمِ لَمْ يَكُنْ لِبَطَاعَتِهِ مَعْنَى، وَسَقَطَتْ طَاعَتُهُ الْمُخْتَصَّةُ بِهِ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ تَجِبْ طَاعَتُهُ إِلَّا فِيمَا وَافَقَ الْقُرْآنَ لَا فِيمَا زَادَ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ طَاعَةٌ خَاصَّةٌ تَخْتَصُّ بِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢٠ / ٢٢٠).

الحيل على ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: وَحِيلٌ هَذَا الْبَابِ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ:

حِيلَةٌ عَلَى دَفْعِ الظُّلْمِ وَالْمَكْرِ حَتَّى لَا يَقَعَ.

وَحِيلَةٌ عَلَى رَفْعِهِ بَعْدَ وَقُوعِهِ.

وَحِيلَةٌ عَلَى مُقَابَلَتِهِ بِمِثْلِهِ حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ رَفْعُهُ؛ فَالْتَوَعَانِ الْأَوَّلَانِ جَائِزَانِ، وَفِي الثَّالِثِ تَفْصِيلٌ، فَلَا يُمَكِّنُ الْقَوْلُ بِجَوَازِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَا بِالْمَنْعِ مِنْهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ إِنْ كَانَ الْمُتَحِيلُ بِهِ حَرَامًا لِحَقِّ اللَّهِ لَمْ يَجْزُ مُقَابَلَتُهُ بِمِثْلِهِ، كَمَا لَوْ جَرَّعَهُ الْخَمْرَ أَوْ زَنَى بِحُرْمَتِهِ، وَإِنْ كَانَ حَرَامًا؛ لِكُونِهِ ظُلْمًا لَهُ فِي مَالِهِ، وَقَدَّرَ عَلَى ظُلْمِهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَهِيَ مَسْأَلَةُ الظَّفَرِ، وَقَدْ تَوَسَّعَ فِيهَا قَوْمٌ حَتَّى أَفْرَطُوا. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤ / ٢١).

حال المفتي مع المستفتي على ثلاثة أوجه

قال رحمه الله: حَالُ الْمُفْتِي مَعَ الْمُسْتَفْتِي عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

الْمُفْتِي إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ:

فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَصْدُ السَّائِلِ فِيهَا مَعْرِفَةَ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيْسَ إِلَّا.

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ مَعْرِفَةَ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ الَّذِي شَهَرَ الْمُفْتِي نَفْسَهُ بِاتِّبَاعِهِ وَتَقْلِيدِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَثَمَةِ.

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مَقْصُودُهُ مَعْرِفَةَ مَا تَرَجَّحَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُفْتِي، وَمَا يَعْتَقِدُهُ فِيهَا؛ لِاعْتِقَادِهِ عِلْمَهُ وَدِينَهُ وَأَمَانَتَهُ، فَهُوَ يَرْضَى تَقْلِيدَهُ هُوَ، وَلَيْسَ لَهُ غَرَضٌ فِي قَوْلِ إِمَامٍ بَعِيْنِهِ؛ فَهَذِهِ أَجْنَاسُ الْفُتْيَا الَّتِي تَرُدُّ عَلَى الْمُفْتِينَ.

فَفَرَضَ الْمُفْتِي فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ أَنْ يُجِيبَ بِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِذَا عَرَفَهُ وَتَيَقَّنَهُ، لَا يَسْعُهُ غَيْرُ ذَلِكَ، وَأَمَّا فِي الْقِسْمِ الثَّانِي فَإِذَا عَرَفَ قَوْلَ الْإِمَامِ نَفْسِهِ وَسَعَهُ أَنْ يُخْبِرَ بِهِ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَنْسِبَ إِلَيْهِ الْقَوْلَ وَيُطْلِقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَوْلُهُ بِمُجَرَّدِ مَا يَرَاهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي حَفِظَهَا أَوْ طَالَعَهَا مِنْ كَلَامِ الْمُتَتَسِّينَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ اخْتَلَطَتْ أَقْوَالُ الْأَثَمَةِ وَفَتَاوِيهِمْ بِأَقْوَالِ الْمُتَتَسِّينَ إِلَيْهِمْ وَاخْتِيَارَاتِهِمْ؛ فَلَيْسَ كُلُّ مَا فِي كُتُبِهِمْ مَنْصُوصًا عَنِ الْأَثَمَةِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنْهُ يُخَالِفُ نُصُوصَهُمْ، وَكَثِيرٌ مِنْهُ لَا نَصَّ لَهُمْ فِيهِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُ يَخْرُجُ عَلَى فِتَاوِيهِمْ، وَكَثِيرٌ مِنْهُ أَفْتَوْا بِهِ بِلَفْظِهِ أَوْ بِمَعْنَاهُ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ " هَذَا قَوْلُ فُلَانٍ وَمَذْهَبُهُ " إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ يَقِينًا أَنَّهُ قَوْلُهُ وَمَذْهَبُهُ، فَمَا أَعْظَمَ خَطَرَ الْمُفْتِي وَأَصْعَبَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ: فَإِنَّهُ يَسْعُهُ أَنْ يُخْبِرَ الْمُسْتَفْتِي بِمَا عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ مِمَّا يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ الصَّوَابُ، بَعْدَ بَذْلِ جُهِدِهِ وَاسْتِفْرَاحِ وَسْعِهِ، وَمَعَ هَذَا فَلَا يَلْزَمُ الْمُسْتَفْتِي الْأَخْذُ بِقَوْلِهِ، وَغَايَتُهُ أَنَّهُ يَسُوعُ لَهُ الْأَخْذُ بِهِ، فَلْيُنْزِلِ الْمُفْتِي نَفْسَهُ فِي مَنْزِلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنَازِلِ الثَّلَاثِ، وَلْيَقُمْ بِوَاجِبِهَا؛ فَإِنَّ الدِّينَ دِينُ اللَّهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَلَا بُدَّ سَائِلُهُ عَنْ كُلِّ مَا أَفْتَى بِهِ، وَهُوَ مُوَقَّرَةٌ عَلَيْهِ، وَمُحَاسَبٌ وَلَا بُدَّ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. إعلَامُ الْمَوْقِعِينَ عَنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤ / ١٣٤).

النفوس في الهمم ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: النفوس ثلاثة:

نفس سماوية علوية: فمحبته منصرفة إلى المعارف واكتساب الفضائل والكمالات الممكنة للإنسان واجتناب الرذائل، وهي مشغوفة بما يقربها من الرفيق الأعلى وذلك قوتها وغذاؤها ودواؤها فاشتغالها بغيره هو دأؤها.

ونفس سبعة غضبية: فمحبته منصرفة إلى القهر والبغي والعلو في الأرض والتكبر والرئاسة على الناس بالباطل فلذتها في ذلك وشغفها به.

ونفس حيوانية شهوانية: فمحبته منصرفة إلى المأكول والمشرب والمنكح وربما جمعت الأمرين فانصرفت محبتها إلى العلو في الأرض والفساد كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤] وقال في آخر السورة: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

والحب في هذا العالم دائر بين هذه النفوس الثلاثة، فأى نفس منها صادفت ما يلائم طبعها استحسنته ومالت إليه، ولم تصغ فيه لعاذل ولم تأخذها فيه لومة لائم. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٥٩).

النفوس ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: فالنفوس ثلاثة:

نفس مطمئنة إلى ربها: وهى أشرف النفوس وأزكاها.

ونفس مجاهدة صابرة.

ونفس مفتونة بالشهوات والهوى، وهى النفس الشقية، التى حظها الألم والعذاب،

والبعد عن الله تعالى والحجاب. إغاثة اللفهان من مصادب الشيطان (٢ / ٢٠٠).

محاسبة النفس بعد العمل على ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: محاسبة النفس بعد العمل ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى، فلم توقعها على الوجه الذى ينبغي، وحق الله تعالى فى الطاعة ستة أمور، وهى: الإخلاص فى العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول فيه، وشهود مشهد الإحسان فيه، وشهود منة الله عليه فيه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.

فيحاسب نفسه: هل وفى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها فى هذه الطاعة؟.

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيرا له من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح، أو معتاد: لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحا، أو أراد به الدنيا وعاجلها، فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به. إغاثة

اللفهان من مصادب الشيطان (١ / ٨٢).

فى النفس ثلاثة دواع متجاذبة

قال رحمه الله: المُرُوَّةُ فُعُولَةٌ مِنْ لَفْظِ الْمَرْءِ، كَالْفُتُوَّةِ مِنَ الْفَتَى، وَالْإِنْسَانِيَّةُ مِنَ الْإِنْسَانِ. وَلِهَذَا كَانَ حَقِيقَتُهَا: اتِّصَافَ النَّفْسِ بِصِفَاتِ الْإِنْسَانِ الَّتِي فَارَقَ بِهَا الْحَيَوَانَ الْبَهِيمَ، وَالشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ، فَإِنَّ فِي النَّفْسِ ثَلَاثَةَ دَوَاعٍ مُتَجَاذِبَةٍ:

داع يَدْعُوهَا إِلَى الْإِنْتِصَافِ بِأَخْلَاقِ الشَّيْطَانِ: مِنَ الْكِبْرِ، وَالْحَسَدِ، وَالْعُلُوِّ، وَالْبَغْيِ، وَالشَّرِّ، وَالْأَذَى، وَالْفَسَادِ، وَالْغَشِّ.

وَدَاعٍ يَدْعُوهَا إِلَىٰ أَخْلَاقِ الْحَيَوَانِ. وَهُوَ دَاعِي الشَّهْوَةِ.

وَدَاعٍ يَدْعُوهَا إِلَىٰ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ: مِنَ الْإِحْسَانِ، وَالنُّصْحِ، وَالْبِرِّ، وَالْعِلْمِ، وَالطَّاعَةِ.

فَحَقِيقَةُ الْمَرْوَةِ: بُغْضُ ذِيكَ الدَّاعِيَيْنِ، وَإِجَابَةُ الدَّاعِيِ الثَّالِثِ. وَقِلَّةُ الْمَرْوَةِ وَعَدَمُهَا: هُوَ الْإِسْتِرْسَالُ مَعَ ذِيكَ الدَّاعِيَيْنِ، وَالتَّوَجُّهُ لِدَعْوَتِهِمَا أَيْنَ كَانَتْ.

فَالْإِنْسَانِيَّةُ، وَالْمَرْوَةُ، وَالْفِتْوَةُ: كُلُّهَا فِي عِصْيَانِ الدَّاعِيَيْنِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِيِ الثَّالِثِ.

كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: خَلَقَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ عُقُولًا بِلَا شَهْوَةٍ. وَخَلَقَ الْبَهَائِمَ شَهْوَةً بِلَا عُقُولٍ. وَخَلَقَ ابْنَ آدَمَ، وَرَكَّبَ فِيهِ الْعَقْلَ وَالشَّهْوَةَ. فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتُهُ: التَّحَقَّقَ بِالْمَلَائِكَةِ. وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلُهُ: التَّحَقَّقَ بِالْبَهَائِمِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢)

.(٣٣٤)

النفس لها ثلاثة أحوال

قال رحمه الله: النَّفْسُ لَهَا ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ:

الْأَمْرُ بِالذَّنْبِ.

ثُمَّ اللُّومُ عَلَيْهِ وَالتَّوْبُ مِنْهُ.

ثُمَّ الطَّمَأْنِينَةُ إِلَى رَبِّهَا وَالْإِقْبَالُ بِكُلِّيَّتِهَا عَلَيْهِ، وَهَذِهِ الْحَالُ أَعْلَىٰ أَحْوَالِهَا، وَأَرْفَعُهَا وَهِيَ الَّتِي يُشَمِّرُ إِلَيْهَا الْمُجَاهِدُ، وَمَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ثَوَابٍ مُّجَاهِدَتِهِ وَصَبْرِهِ فَهُوَ لِتَشْمِيرِهِ إِلَىٰ دَرَجَةِ الطَّمَأْنِينَةِ إِلَى اللَّهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ رَاكِبِ الْقَفَارِ، وَالْمَهَامِهِ وَالْأَهْوَالِ لِيَصِلَ إِلَى الْبَيْتِ فَيَطْمِئِنَّ قَلْبُهُ بِرُؤْيَيْهِ وَالطَّوَافِ بِهِ، وَالْآخِرُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ طَائِفًا وَقَائِمًا، وَرَاكِعًا وَسَاجِدًا، لَيْسَ لَهُ التَّفَاتُ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَذَا مَشْغُولٌ بِالْغَايَةِ، وَذَلِكَ بِالْوَسِيلَةِ، وَكُلُّ لَهُ أَجْرٌ، وَلَكِنْ بَيْنَ أَجْرِ الْغَايَاتِ وَأَجْرِ الْوَسَائِلِ بَوْنٌ.

وَمَا يَحْصُلُ لِلْمُطْمَئِنِّ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالْإِيمَانِ فَوْقَ مَا يَحْصُلُ لِهَذَا الْمُجَاهِدِ نَفْسُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرَ عَمَلًا، فَقَدَرُ عَمَلِ الْمُطْمَئِنِّ الْمُنِيبِ بِجُمْلَتِهِ وَكَيْفِيَّتِهِ أَعْظَمُ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الْمُجَاهِدُ أَكْثَرَ عَمَلًا، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، فَمَا سَبَقَ الصَّدِيقُ الصَّحَابَةَ بِكَثْرَةِ عَمَلٍ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ صِيَامًا وَحَجًّا وَقِرَاءَةً وَصَلَاةً مِنْهُ، وَلَكِنْ بِأَمْرِ آخَرَ قَامَ بِقَلْبِهِ، حَتَّى إِنْ أَفْضَلَ الصَّحَابَةَ كَانَ يُسَابِقُهُ وَلَا يَرَاهُ إِلَّا أَمَامَهُ. وَلَكِنْ عُبُودِيَّةٌ مُجَاهِدٌ نَفْسِهِ عَلَى لَذَّةِ الذَّنْبِ وَالشَّهْوَةِ قَدْ تَكُونُ أَشَقَّ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ مَشَقَّتِهَا تَفْضِيلُهَا فِي الدَّرَجَةِ، فَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالْجِهَادُ أَشَقُّ مِنْهُ وَهُوَ تَالِيهِ فِي الدَّرَجَةِ، وَدَرَجَةُ الصَّدِيقَيْنِ أَعْلَى مِنْ دَرَجَةِ الْمُجَاهِدِينَ وَالشُّهَدَاءِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٣٦).

الجيران ثلاثة

قال رحمه الله: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: الْجِيرَانُ ثَلَاثَةٌ^(١):

جَارٌ لَهُ حَقٌّ، وَهُوَ الذَّمِّيُّ الْأَجْنَبِيُّ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ.

وَجَارٌ لَهُ حَقَّانٍ، وَهُوَ الْمُسْلِمُ الْأَجْنَبِيُّ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ.

(١) جاء من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقاً، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، وهو أفضل الجيران حقاً، فأما الذي له حق واحد فجار مشرك، لا رَحِمَ له، له حق الجوار، وأما الذي له حقان فجار مسلم، له حق الإسلام، وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق، فجار مسلم، ذو رَحِمٍ، فله حق الإسلام، وحق الجوار، وحق الرحم». رواه البزار (١٨٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٧/٥) من طريق الحسن البصري، عن جابر، ولم يسمع منه، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٤): رواه البزار عن شيخه عبد الله بن محمد الحارثي، وهو وضاع.

قال الأئبي رحمه الله: وقد روي هذا الحديث من وجوه أخرى متصلة ومرسلة، ولا تخلو كلها من مقال. البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٢/ ١٧٨).

وَجَارٌ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ، وَهُوَ الْمُسْلِمُ الْقَرِيبُ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْقَرَابَةِ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٩٥).

للدعاء مع البلاء ثلاث مقامات

قال رَحِمَهُ اللهُ: « وَلِلدَّعَاءِ مَعَ الْبَلَاءِ ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنَ الْبَلَاءِ فَيَدْفَعُهُ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ أَوْعَفَ مِنَ الْبَلَاءِ فَيَقْوَى عَلَيْهِ الْبَلَاءُ، فَيَصَابُ بِهِ الْعَبْدُ، وَلَكِنْ قَدْ يُخَفِّفُهُ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا.

الثَّالِثُ: أَنْ يَتَقَاوَمَا وَيَمْنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ. » الداء والدواء (ص: ١٥).

من شروط الدعاء المستجاب ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْأَدْعِيَةُ وَالتَّعَوُّذَاتُ بِمَنْزِلَةِ السَّلَاحِ، وَالسَّلَاحُ بِضَارِبِهِ، لَا بِحَدِّهِ فَقَطُّ.

فَمَتَى كَانَ السَّلَاحُ سِلَاحًا تَامًّا لَا آفَةَ بِهِ.

وَالسَّاعِدُ سَاعِدٌ قَوِيٌّ.

وَالْمَانِعُ مَفْقُودٌ؛ حَصَلَتْ بِهِ النَّكَايَةُ فِي الْعَدُوِّ، وَمَتَى تَخَلَّفَ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ تَخَلَّفَ التَّأْثِيرُ، فَإِنْ كَانَ الدُّعَاءُ فِي نَفْسِهِ غَيْرَ صَالِحٍ، أَوْ الدَّاعِي لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ فِي الدُّعَاءِ، أَوْ كَانَ ثَمَّ مَانِعٌ مِنَ الْإِجَابَةِ، لَمْ يَحْصُلِ الْأَثَرُ. الداء والدواء (ص: ١٥).

عجبت من ثلاث

قال رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ: عَجِبْتُ مِنْ ثَلَاثٍ:

رَجُلٌ يَرَاهُ بِعَمَلِهِ مَخْلُوقًا مِثْلَهُ وَيَتْرَكَ أَنْ يَعْمَلَ اللهُ.

وَرَجُلٌ يَبْخُلُ بِمَالِهِ وَرَبَّهُ يَسْتَقْرِضُهُ مِنْهُ فَلَا يَقْرِضُهُ مِنْهُ شَيْئًا.

وَرَجُلٌ يَرِغِبُ فِي صُحْبَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَمُودَتِهِمْ وَاللَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى صَحْبَتِهِ وَمُودَتِهِ. **الفوائد**

(ص: ١١٩).

أصل الأخلاق المذمومة ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللهُ: أصل الأخلاق المذمومة كلها:

الكبر، والمهانة، والدناءة، وأصل الأخلاق المحمودة كلها:

الْخُشُوعُ، وَعِلْوُ الْهَمَةِ، فَالْفَخْرُ وَالْبَطَرُ وَالْأَشْرُ وَالْعُجْبُ وَالْحَسَدُ وَالْبَغْيُ وَالْخِيَلَاءُ وَالظُّلْمُ وَالْقَسْوَةُ وَالتَّجَبُّرُ وَالْإِعْرَاضُ وَإِبَاءُ قَبُولِ النَّصِيحَةِ وَالِاسْتِثَارُ وَطَلَبُ الْعُلُوِّ وَحُبُّ الْجَاهِ وَالرِّئَاسَةِ وَأَنْ يُحَمَّدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كُلِّهَا نَاشِئَةٌ مِنَ الْكِبَرِ وَأَمَّا الْكَذِبُ وَالْخَسَةُ وَالْخِيَانَةُ وَالرِّيَاءُ وَالْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ وَالطَّمَعُ وَالْفَزَعُ وَالْجَبْنَ وَالْبَخْلُ وَالْعُجْزُ وَالْكَسَلُ وَالذَّلُّ لغير الله واستبدال الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَهَانَةِ وَالِدَنَاءَةِ وَصَغَرِ النَّفْسِ وَأَمَّا الْأَخْلَاقُ الْفَاضِلَةُ كَالصَّبْرِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعَدْلُ وَالْمَرْوَةُ وَالْعِفَّةُ وَالصِّيَانَةُ وَالْجُودُ وَالْحِلْمُ وَالْعَفْوُ وَالصَّفْحُ وَالِاخْتِمَالُ وَالْإِيثَارُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ عَنِ الدَّنَائَاتِ وَالتَّوَاضُّعُ وَالْقَنَاعَةُ وَالصَّدْقُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْمُكَافَأَةُ عَلَى الْإِحْسَانِ بِمِثْلِهِ أَوْ أَفْضَلُ وَالتَّغَافُلُ عَنِ زَلَاتِ النَّاسِ وَتَرْكُ الْإِنْشِغَالِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ مِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَكُلُّهَا نَاشِئَةٌ عَنِ الْخُشُوعِ وَعِلْوِ الْهَمَةِ. **الفوائد (ص: ١٤٣).**

تجتني ثمرة الفكرة بثلاثة أشياء

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَإِنَّمَا تُجْتَنَى ثَمَرَةُ الْفِكْرَةِ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: قِصْرُ الْأَمَلِ، **وَالثَّانِي:** تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ، **وَالثَّالِثُ:** تَجَنُّبُ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ الْخَمْسَةِ.

مِنْ كَثْرَةِ الْخُلْطَةِ وَالتَّمَنِّي، وَالتَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَالشَّبَعِ، وَالْمَنَامِ، فَهَذِهِ الْخُمْسَةُ مِنْ أَكْبَرِ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ.

فَأَمَّا قِصْرُ الْأَمَلِ: فَهُوَ الْعِلْمُ بِقُرْبِ الرَّحِيلِ، وَسُرْعَةُ انْقِضَاءِ مُدَّةِ الْحَيَاةِ، وَهُوَ مِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِلْقَلْبِ، فَإِنَّهُ يَبْعَثُهُ عَلَى مُعَاصَفَةِ الْأَيَّامِ، وَانْتِهَازِ الْفُرْصِ الَّتِي تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، وَمُبَادَرَةِ طَيِّ صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ، وَيُثِيرُ سَاكِنَ عَزَمَاتِهِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ، وَيَحُثُّهُ عَلَى قَضَاءِ جِهَازِ سَفَرِهِ، وَتَدَارُكِ الْفَارِطِ، وَيَزَهِّدُهُ فِي الدُّنْيَا، وَيُرَغِّبُهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَقِصْرُ الْأَمَلِ بِنَاؤُهُ عَلَى أَمْرَيْنِ: تَيَقُّنِ زَوَالِ الدُّنْيَا وَمُفَارَقَتِهَا، وَتَيَقُّنِ لِقَاءِ الْآخِرَةِ وَبَقَائِهَا وَدَوَامِهَا، ثُمَّ يُقَاسِمُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَيُؤَثِّرُ أَوْلَاهُمَا بِالْإِثَارِ.

وَأَمَّا التَّأَمُّلُ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ تَحْدِيقُ نَازِلِ الْقَلْبِ إِلَى مَعَانِيهِ، وَجَمْعُ الْفِكْرِ عَلَى تَدَبُّرِهِ وَتَعَقُّلِهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنْزَالِهِ، لَا مُجَرَّدُ تِلَاوَتِهِ بِلَا فَهْمٍ وَلَا تَدَبُّرٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿

كِتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا تُطْلَعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَذَائِرِهِمَا.

وَبِالْجُمْلَةِ تُعَرِّفُهُ الرَّبَّ الْمَدْعُوَّ إِلَيْهِ، وَطَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَمَا لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ.

وَتُعَرِّفُهُ فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ أُخْرَى: مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ، وَالطَّرِيقَ الْمُوَصِّلَةَ إِلَيْهِ، وَمَا لِلْمُسْتَجِيبِ لِدَعْوَتِهِ مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْعَذَابِ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ.

فَهَذِهِ سِتَّةُ أُمُورٍ ضَرُورِيَّةٍ لِلْعَبْدِ مَعْرِفَتُهَا، وَمُشَاهَدَتُهَا وَمُطَالَعَتُهَا، فَتَشْهَدُهَا الْآخِرَةُ حَتَّى كَأَنَّهُ فِيهَا، وَتَغْيِيهِ عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا، وَتُمَيِّزُ لَهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي كُلِّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْعَالَمُ. فَتُرِيهِ الْحَقَّ حَقًّا، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا، وَتُعْطِيهِ فُرْقَانًا وَنُورًا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَتُعْطِيهِ قُوَّةً فِي قَلْبِهِ، وَحَيَاةً، وَسَعَةً وَانْشِرَاحًا وَبَهْجَةً وَسُرُورًا، فَيَصِيرُ فِي شَأْنِ النَّاسِ فِي شَأْنٍ آخَرَ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٤٨ - ٤٥٠).

القواعد الثلاث الضرورية في كل ملّة

قال رحمه الله: وَالرُّسُلُ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى خَاتَمِهِمْ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - أَرْسَلُوا بِالذَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَبَيَانِ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ، وَبَيَانِ حَالِ الْمَدْعُوِّينَ بَعْدَ وُصُولِهِمْ إِلَيْهِ، فَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ الثَّلَاثُ ضَرُورِيَّةٌ فِي كُلِّ مِلَّةٍ عَلَى لِسَانِ كُلِّ رَسُولٍ:

فَعَرَّفُوا الرَّبَّ الْمَدْعُوَّ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ تَعْرِيفًا مُفَصَّلًا، حَتَّى كَأَنَّ الْعِبَادَ يُشَاهِدُونَهُ سُبْحَانَهُ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، يُكَلِّمُ مَلَائِكَتَهُ، وَيُدَبِّرُ أَمْرَ مَمْلَكَتِهِ، وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ خَلْقِهِ، وَيَرَى أَفْعَالَهُمْ وَحَرَكَاتِهِمْ، وَيُشَاهِدُ بَوَاطِنَهُمْ، كَمَا يُشَاهِدُ ظَوَاهِرَهُمْ، يَأْمُرُ وَيَنْهَى، وَيَرْضَى وَيَغْضَبُ، وَيُحِبُّ وَيَسْخَطُ، وَيَضْحَكُ مِنْ قُنُوطِهِمْ وَقُرْبِ غَيْرِهِ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ مُضْطَرِّهِمْ، وَيُغِيثُ مَلْهُوفَهُمْ، وَيُعِينُ مُحْتَاجَهُمْ، وَيُجَبِّرُ كَسِيرَهُمْ، وَيُغْنِي فَقِيرَهُمْ، وَيُمِيتُ وَيُحْيِي، وَيَمْنَعُ وَيُعْطِي، يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجُ كَرْبًا، وَيَفْكَ عَانِيًا، وَيَنْصُرُ مَظْلُومًا، وَيَقْصِمُ ظَالِمًا، وَيَرْحَمُ مِسْكِينًا، وَيُغِيثُ مَلْهُوفًا، وَيَسُوقُ الْأَقْدَارَ

إِلَى مَوَاقِيتِهَا، وَيُجْرِيهَا عَلَى نِظَامِهَا، وَيُقَدِّمُ مَا يَشَاءُ تَقْدِيمَهُ، وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ تَأْخِيرَهُ فَأَزِمَّةُ الْأُمُورِ كُلُّهَا بِيَدِهِ، وَمَدَارُ تَدْبِيرِ الْمَمَالِكِ كُلِّهَا عَلَيْهِ، وَهَذَا مَقْصُودُ الدَّعْوَةِ، وَزُبْدَةُ الرِّسَالَةِ.

القاعدة الثانية: تَعْرِيفُهُمْ بِالطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَيْهِ، وَهُوَ صِرَاطُ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي نَصَبَهُ لِرُسُلِهِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَهُوَ امْتِثَالُ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ، وَالْإِيمَانُ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ.

القاعدة الثالثة: تَعْرِيفُ الْحَالِ بَعْدَ الْوُصُولِ، وَهُوَ مَا تَضَمَّنَهُ الْيَوْمُ الْآخِرُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَمَا قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْحِسَابِ، وَالْحَوْضِ وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ.

فَالْإِيمَانُ بِالصِّفَاتِ وَمَعْرِفَتُهَا، وَإِثْبَاتُ حَقَائِقِهَا، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِهَا، وَشُهُودُهُ لَهَا: هُوَ مَبْدَأُ الطَّرِيقِ وَوَسْطُهُ وَغَايَتُهُ، وَهُوَ رُوحُ السَّالِكِينَ، وَحَادِيهِمْ إِلَى الْوُصُولِ، وَمُحَرِّكُ عَزَمَاتِهِمْ إِذَا فَتَرُوا، وَمُثِيرُ هَمَمِهِمْ إِذَا قَصَرُوا. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٣٢٥).

مراتب الإيثار ثلاثة

قال رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ

شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٩].

فَالْإِثَارُ ضِدُّ الشَّحِّ. فَإِنَّ الْمُؤْتِرَ عَلَى نَفْسِهِ تَارِكٌ لِمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ **رحمه الله:** سَخَاءُ النَّفْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ النَّفْسِ بِالْبَدَلِ.

وَهَذَا الْمَنْزِلُ: هُوَ مَنْزِلُ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَالْإِحْسَانِ.

وَسُمِّيَ بِمَنْزِلِ الْإِثَارِ لِأَنَّهُ أَعْلَى مَرَاتِبِهِ، فَإِنَّ الْمَرَاتِبَ ثَلَاثَةٌ.

إحداها: أَنْ لَا يَنْقُصَهُ الْبَدَلُ، وَلَا يَصْعَبُ عَلَيْهِ. فَهُوَ مَنْزِلَةُ السَّخَاءِ.

الثانية: أَنْ يُعْطِيَ الْأَكْثَرَ، وَيُبْقِيَ لَهُ شَيْئًا، أَوْ يُبْقِيَ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ. فَهُوَ الْجُودُ.

الثالثة: أَنْ يُؤْثِرَ غَيْرُهُ بِالشَّيْءِ مَعَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَرْتَبَةُ الْإِثَارِ وَعَكْسُهَا الْأَثَرُ وَهُوَ اسْتِثَارُهُ عَنْ أَخِيهِ بِمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الَّتِي قَالَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَنْصَارِ **صلى الله عليه وسلم:** «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً. فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» وَالْأَنْصَارُ: هُمُ

الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالْإِثَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فَوَصَفَهُمُ بِأَعْلَى مَرَاتِبِ السَّخَاءِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِيهِمْ مَعْرُوفًا.

وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بَنِ عُبَادَةَ **صلى الله عليه وسلم** مِنَ الْأَجْوَادِ الْمَعْرُوفِينَ. حَتَّى إِنَّهُ مَرِضَ مَرَّةً، فَاسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي الْعِيَادَةِ. فَسَأَلَ عَنْهُمْ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدِّينِ. فَقَالَ: أَخْزَى اللَّهُ مَا لَا يَمْنَعُ الْإِخْوَانَ مِنَ الزِّيَارَةِ. ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي: مَنْ كَانَ لَقَيْسٍ عَلَيْهِ مَالٌ فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ. فَمَا أَمْسَى حَتَّى كُسِرَتْ عَتَبَةُ بَابِهِ، لِكثْرَةِ مَنْ عَادَهُ.

فَتَأَمَّلْ سِرَّ التَّقْدِيرِ، حَيْثُ قَدَّرَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ - سُبْحَانَهُ - اسْتِثَارَ النَّاسِ عَلَى الْأَنْصَارِ بِالدُّنْيَا - وَهُمْ أَهْلُ الْإِثَارِ - لِيُجَازِيَهُمْ عَلَى إِثَارِهِمْ إِخْوَانَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهِمْ بِالْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ عَلَى النَّاسِ. فَتَظْهَرُ حَيْثُ فُضِّلَ إِثَارُهُمْ وَدَرَجَتُهُ وَيَغْبِطُهُمْ مَنْ اسْتَأْثَرَ عَلَيْهِمْ بِالدُّنْيَا أَعْظَمَ غِبْطَةً. وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَسْتَأْثِرُونَ عَلَيْكَ - مَعَ كَوْنِكَ مِنْ أَهْلِ الْإِثَارِ - فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِحَيْرٍ يُرَادُ

بِكَ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٧٧).

ثلاث فوائد من فوائد تجنب القبائح

قال رحمه الله: هَذِهِ ثَلَاثُ فَوَائِدٍ مِنْ فَوَائِدِ تَجَنُّبِ الْقَبَائِحِ.

إِحْدَاهَا: صَوْنُ النَّفْسِ. وَهُوَ حِفْظُهَا وَحِمَايَتُهَا عَمَّا يَشِينُهَا، وَيَعِيبُهَا وَيُزِرِّي بِهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتِهِ، وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَائِرِ خَلْقِهِ.

فَإِنَّ مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَكَبُرَتْ عِنْدَهُ صَانَهَا وَحَمَاهَا، وَزَكَّاهَا وَعَلَّاهَا، وَوَضَعَهَا فِي أَعْلَى الْمَحَالِّ. وَزَاوَاهُمْ بِهَا أَهْلَ الْعَزَائِمِ وَالْكَمَالَاتِ.

وَمَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَصَغُرَتْ عِنْدَهُ أَلْقَاهَا فِي الرِّذَائِلِ. وَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، وَحَلَّ زِمَامَهَا وَأَرْخَاهُ. وَدَسَّاهَا وَلَمْ يَصْنُهَا عَنْ قَبِيحٍ. فَأَقْلَ مَا فِي تَجَنُّبِ الْقَبَائِحِ: صَوْنُ النَّفْسِ.

وَأَمَّا **تَوْفِيرُ الْحَسَنَاتِ** فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: تَوْفِيرُ زَمَانِهِ عَلَى اكْتِسَابِ الْحَسَنَاتِ. فَإِذَا اشْتَغَلَ بِالْقَبَائِحِ نَقَصَتْ عَلَيْهِ الْحَسَنَاتُ الَّتِي كَانَ مُسْتَعِدًّا لِتَحْصِيلِهَا.

وَالثَّانِي: تَوْفِيرُ الْحَسَنَاتِ الْمُفْعُولَةِ عَنْ نُقْصَانِهَا بِمُوَازَنَةِ السَّيِّئَاتِ وَحُبُوطِهَا، كَمَا تَقَدَّمَ فِي مَنَزِلَةِ التَّوْبَةِ أَنَّ السَّيِّئَاتِ قَدْ تُحِطُّ الْحَسَنَاتِ، وَقَدْ تَسْتَغْرِفُهَا بِالْكُلِّيَّةِ أَوْ تُنْقِصُهَا.

فَلَا بُدَّ أَنْ تُضَعِفَهَا قَطْعًا، فَتَجَنَّبُهَا يُوفِّرُ دِيَوَانَ الْحَسَنَاتِ. وَذَلِكَ بِمَنَزِلَةِ مَنْ لَهُ مَالٌ حَاصِلٌ. فَإِذَا اسْتَدَانَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ يَسْتَغْرِقَهُ الدَّيْنُ أَوْ يُكْثِرَهُ أَوْ يُنْقِصَهُ، فَهَكَذَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ سَوَاءً.

وَأَمَّا **صِيَانَةُ الْإِيمَانِ** فَإِنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّةِ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وإِضْعَافُ الْمَعَاصِي لِلْإِيمَانِ أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالذَّوْقِ وَالْوُجُودِ. فَإِنَّ الْعَبْدَ - كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ - «إِذَا أَذْنَبَ نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً سَوْدَاءً. فَإِنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ. وَإِنْ عَادَ

فَأَذْنَبَ نُكَيْتَ فِيهِ نُكَيْتَهُ أُخْرَى، حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ. وَذَلِكَ الرَّأُّ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ

رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) [المطففين: ١٤].

فَالْقَبَائِحُ تُسَوِّدُ الْقَلْبَ، وَتُطْفِئُ نُورَهُ. وَالْإِيمَانُ هُوَ نُورٌ فِي الْقَلْبِ. وَالْقَبَائِحُ تَذْهَبُ بِهِ أَوْ تُقَلِّلُهُ قَطْعًا.

وَالْحَسَنَاتُ تَزِيدُ نُورَ الْقَلْبِ. وَالسَّيِّئَاتُ تُطْفِئُ نُورَ الْقَلْبِ. وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ كَسَبَ الْقُلُوبِ سَبَبٌ لِلرَّأْنِ الَّذِي يَعْلُوهَا. وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَرْكَسَ الْمُتَنَافِقِينَ بِمَا كَسَبُوا. فَقَالَ: ﴿

وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨]. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٦).

أهل العهد ثلاثة أصناف

قال رحمه الله: الْكُفَّارُ إِمَّا أَهْلُ حَرْبٍ وَإِمَّا أَهْلُ عَهْدٍ، وَأَهْلُ الْعَهْدِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ:

أَهْلُ ذِمَّةٍ.

وَأَهْلُ هُدْنَةٍ.

وَأَهْلُ أَمَانٍ.

وَقَدْ عَقَدَ الْفُقَهَاءُ لِكُلِّ صِنْفٍ بَابًا، فَقَالُوا: بَابُ الْهُدْنَةِ، بَابُ الْأَمَانِ، بَابُ عَقْدِ الذِّمَّةِ.

أحكام أهل الذمة (٢/ ٨٧٣).

ينقسم الكلام من حيث التأويل وعدمه إلى ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: بَيَانُ مَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ مِنَ الْكَلَامِ وَمَا لَا يَقْبَلُهُ، لَمَّا كَانَ وَضْعُ الْكَلَامِ

لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَرَادِ الْمُتَكَلِّمِ وَكَانَ مَرَادُهُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِكَلَامِهِ انْقَسَمَ كَلَامُهُ ثَلَاثَةً أَقْسَامًا:

أحدها: ما هو نص في مراده لا يحتمل غيره.

الثاني: ما هو ظاهر في مراده وإن احتمل أن يريد غيره.

الثالث: ما ليس بنص ولا ظاهر في المراد بل هو مجمل يحتاج إلى البيان.

فالأول: يستحيل دخول التأويل فيه وتحمله التأويل كذب ظاهر على المتكلم وهذا شأن عامة نصوص القرآن الصريحة في معناها كنصوص آيات الصفات والتوحيد.

القسم الثاني: ما هو ظاهر في مراد المتكلم ولكنه يقبل التأويل فهذا ينظر في وروده فإن أطرده استعماله على وجه واحد استحال تأويله بم يخالف ظاهره لأن التأويل إنما يكون لموضع جاء نادرا خارجا عن نظائره منفردا عنها فيؤول حتى يرد إلى نظائره وتأويل هذا غير ممتنع لأنه إذا عرف من عادة المتكلم بإطراد كلامه في توارده استعماله معنى ألفه المخاطب فإذا جاء موضع يخالفه رده السامع بما عهد من عرف المخاطب إلى عادته المطردة هذا هو المعقول في الأذهان والفطر وعند كافة العقلاء.

القسم الثالث: فهذا أيضا لا يجوز تأويله إلا بالخطاب الذي بينه وقد يكون بيانه معه وقد يكون منفصلا عنه والمقصود أن الكلام الذي هو عرضة التأويل قد يكون له عدة معان وليس معه ما يبين مراد المتكلم فهذا للتأويل فيه مجال واسع وليس في كلام الله ورسوله من هذا النوع شيء من الجمل المركبة وإن وقع في الحروف المفتحة بها السور بل إذا تأمل من بصره الله طريقة القرآن والسنة وجدها متضمنة لرفع ما يوهمه الكلام من خلاف ظاهره وهذا موضع لطيف جدا في فهم القرآن. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة (١)

الناس في الخلق والتدبير على ثلاثة أقسام

قال رحمه الله: وَأَمَّا الْفَرْقُ الْإِيمَانِيُّ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِمَسَائِلِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ: فَهُوَ التَّمْيِيزُ الْإِيمَانِيُّ بَيْنَ فِعْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَأَفْعَالِ الْعِبَادِ، فَيُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ فِي الْكَوْنِ إِلَّا مَا هُوَ وَاقِعٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَخَلْقِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ الْعَبْدَ فَاعِلٌ لِأَفْعَالِهِ حَقِيقَةً، وَهِيَ صَادِرَةٌ عَنْ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، قَائِمَةٌ بِهِ، وَهُوَ فَاعِلٌ لَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَيَشْهَدُ، تَقَرُّدَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالْخَلْقِ وَالتَّقْدِيرِ، وَوُقُوعَ أَفْعَالِ الْعِبَادِ مِنْهُمْ بِقُدْرَتِهِمْ وَمَشِيئَتِهِمْ، وَاللَّهُ الْخَالِقُ لِذَلِكَ كُلِّهِ.

وَهُنَا انْقَسَمَ أَصْحَابُ هَذَا الْفَرْقِ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ:

قِسْمٌ: غَابُوا بِأَفْعَالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ عَنْ فِعْلِ الرَّبِّ تَعَالَى وَقَضَائِهِ، مَعَ إِيمَانِهِمْ بِهِ.

وَقِسْمٌ: غَابُوا بِفِعْلِ الرَّبِّ وَتَقَرُّدِهِ بِالْحُكْمِ وَالْمَشِيئَةِ عَنْ أَفْعَالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ.

وَقِسْمٌ: أَعْطَوْا الْمَرَاتِبَ حَقَّهَا، فَأَمَّنُوا بِفِعْلِ الرَّبِّ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَتَقَرُّدِهِ بِالْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ، وَشَهِدُوا وَوُقِعَ الْأَفْعَالُ مِنْ فَاعِلِيهَا، وَاسْتَحَقَّاقَهُمْ عَلَيْهَا الْمَدَحُ وَالذَّمُّ وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ.

فَالْفَرِيقُ الْأَوَّلُ: يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْفَرْقُ الطَّبِيعِيُّ، وَلَمْ يَصْعَدُوا إِلَى مُشَاهَدَةِ الْحُكْمِ.

وَالْفَرِيقُ الثَّانِي: يَغْلِبُ عَلَيْهِمْ حَالُ الْجَمْعِ وَهُوَ شُهُودُ قَدْرِ الرَّبِّ تَعَالَى وَمَشِيئَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ لَخَلْقِهِ، فَتَجْتَمِعُ قُلُوبُهُمْ عَلَى شُهُودِ أَفْعَالِهِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً فِي رُؤْيَةِ أَفْعَالِ الْخَلْقِ، وَتَغِيبُ بِفِعْلِهِ عَنْ أَفْعَالِهِمْ، وَرُبَّمَا غَلَبَ عَلَيْهَا شُهُودُ ذَلِكَ حَتَّى أَسْقَطَتْ عَنْهُمْ الْمَدَحَ وَالذَّمَّ بِالْكُلِّيَّةِ، فَكِلَاهُمَا مُنْحَرِفٌ فِي شُهُودِهِ.

وَالْفَرِيقُ الثَّالِثُ: يَشْهَدُ الْحُكْمَ وَالتَّدِيرَ الْعَامَّ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَيَشْهَدُ أَفْعَالَ الْعِبَادِ وَوُقُوعَهَا بِإِرَادَتِهِمْ وَدَوَاعِيهِمْ، فَيَكُونُ صَاحِبَ جَمْعٍ وَفَرَقٍ، فَيَجْمَعُ الْأَشْيَاءَ فِي الْحُكْمِ الْكَوْنِيِّ الْقَدَرِيِّ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَهَا بِالْحُكْمِ الْكَوْنِيِّ أَيْضًا، كَمَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهَا بِالْحُكْمِ الدِّينِيِّ الشَّرْعِيِّ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَّقَ بَيْنَهَا خَلْقًا وَأَمْرًا وَقَدَرًا وَشَرْعًا، وَكَوْنًا، وَدِينًا. مدارج السالكين بين

منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤٧٠).

مراتب الدعوة على أقسام ثلاثة

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُمْ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل ١٢٥] فذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو:

فإنه إما أن يكون طالباً للحق راغباً فيه محباً له مؤثراً له على غيره إذا عرفه فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال.

وإما أن يكون معرضاً مشغولاً بضد الحق ولكن لو عرفه عرفه وآثره واتبعه فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يجادل بالتي هي أحسن فإن رجع إلى الحق وإلا انتقل معه من الجدال إلى الجلال إن أمكن.

فلمناظرة المبطل فائدتان:

أحدهما: أن يرد عن باطله ويرجع إلى الحق.

الثانية: أن ينكشف شره وعداوته ويتبين للناس أن الذي معه باطل وهذه الوجوه كلها لا يمكن أن تنال بأحسن من حجج القرآن ومناظراته للطوائف فإنه كفيلاً بذلك على أتم

الوجوه لمن تأمله وتدبره ورزق فهما فيه وحججه مع أنها في أعلى مراتب الحجج وهي طريقة أخرى غير طريقة المتكلمين وأرباب الجدل والمعقولات فهي أقرب شيء تناولا وأوضح دلالة وأقوى برهانا وأبعد من كل شبهة وتشكيك. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٤/ ١٢٧٦).

السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة

قال رحمه الله: أنواع السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة:

سعادة خارجية عن ذات الانسان بل هي مستعارة له من غيره، يزول باسترداد العارية، وهي سعادة المال والحياة.

السعادة الثانية: سعادة في جسمه وبدنه كصحته واعتدال مزاجه وتناسب أعضائه وحسن تركيبه وصفاء لونه وقوة أعضائه، فهذه الصق به من الأولى، ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته وحقيقته فإن الإنسان إنسان بروحه وقلبه لا بجسمه وبدنه كما قيل:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ يَشْقَى بِخِدْمَتِهِ * * فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانٌ
فنسبة هذه الى روحه وقلبه كنسبة ثيابه ولباسه الى بدنه، فان البدن أيضا عارية للروح وآلة لها ومركب من مراكبها، فسعادتها بصحتها وجماله وحسنة سعادة خارجة عن ذاتها وحقيقته.

السعادة الثالثة: هي السعادة الحقيقية، وهي سعادة نفسانية روحية قلبية، وهي سعادة العلم النافع ثمرته، فانها هي الباقية على تقلب الاحوال، والمصاحبة للعبد في جميع

أسفاره وفي دوره الثلاثة، أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، وبها يترقى معارج الفضل ودرجات الكمال.

أما الأولى: فإنها تصحبه في البقعة التي فيها ماله وجاهه، والثانية: تعرضه للزوال والتبدل بنكس الخلق والرد إلى الضعف، فلا سعادة في الحقيقة إلا في هذه الثالثة التي كلما طال الأمد ازدادات قوة وعلوا، وإذا عدم المال والجاه فهي مال العبد وجاهه وتظهر قوتها وأثرها بعد مفارقة الروح البدن إذا انقطعت السعادتان الأوليتان، وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبعث على طلبها إلا العلم بها فعادت السعادة كلها إلى العلم وما تقضيه والله يوفق من يشاء لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع.

وإنما رغب أكثر الخلق عن اكتساب هذه السعادة وتحصيلها وعورة طريقها ومرارة مبادئها وتعب تحصيلها وإنها لاتنال إلا على جد من التعب، فإنها لا تحصل إلا بالجد المحض، بخلاف الأوليين فإنهما حظ قد يحوزه غير طالبه، وبخت قد يحوزه غير جالبه من ميراث أو هبة أو غير ذلك، وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع وصدق الطلب وصحة النية. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٠٧).**

جمال الصورة والهيئة على ثلاثة أنواع

قال رحمه الله: الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع: **منه** ما يحمد، **ومنه** ما يذم، **ومنه** ما لا يتعلق به مدح ولا ذم.

فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له، كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود، وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال، ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه، فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه.

والمذموم منه مَا كَانَ لِلدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلِ والتوسلِ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَأَنْ يَكُونَ هُوَ غَايَةَ الْعَبْدِ وَأَقْصَى مَطْلَبِهِ، فَإِنْ كَثُرَا مِنَ النَّفْسِ لَيْسَ لَهَا هَمَّةٌ فِي سِوَى ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَا لَا يَحْمَدُ وَلَا يَذِمُّ، هُوَ مَا خَلَا عَنْ هَذَيْنِ الْقَصْدَيْنِ وَتَجَرَّدَ عَنِ الْوَصْفَيْنِ. **الفوائد لابن القيم (ص: ١٨٥).**

ذكر الله سبحانه وتعالى الإنزال على ثلاث درجات

قال رحمه الله: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ الْإِنْزَالَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

أَحَدُهَا: إِنْزَالُ مُطْلَقِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥] فَأُطْلِقَ الْإِنْزَالُ وَلَمْ يَذْكُرْ مَبْدَأَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦].

الثَّانِيَةُ: الْإِنْزَالُ مِنَ السَّمَاءِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [٤٨] [الفرقان: ٤٨].

الثَّالِثَةُ: إِنْزَالُ مِنْهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [١] [الزمر: ١].

وَقَوْلِهِ: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [٤٢] [فصلت: ٤٢] وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ

الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] وَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ

مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] فَأَخْبَرَ أَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْهُ، وَالْمَطَرُ مُنَزَّلٌ مِنَ السَّمَاءِ،

وَالْحَدِيدُ وَالْأَنْعَامُ مُنَزَّلَانِ نَزْوً لَا مُطْلَقًا، وَبِهَذَا يَظْهَرُ تَلَيُّسُ الْمُعْطَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَرِلَةِ

حَيْثُ قَالُوا إِنَّ كَوْنَ الْقُرْآنِ مُنَزَّلًا لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا، كَالْمَاءِ وَالْحَدِيدِ وَالْأَنْعَامِ،

حَتَّى عَلَا بَعْضُهُمْ فَاحْتَجَّ عَلَى كَوْنِهِ مَخْلُوقًا بِكَوْنِهِ مُنَزَّلًا، وَالْإِنْزَالُ بِمَعْنَى الْخَلْقِ.

اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَرَّقَ بَيْنَ النَّزُولِ مِنْهُ وَالنُّزُولِ مِنَ السَّمَاءِ، فَجَعَلَ الْقُرْآنَ مُنَزَّلًا مِنْهُ، وَالْمَطَرُ مُنَزَّلًا مِنَ السَّمَاءِ، وَحُكْمُ الْمَجْرُورِ بِمَنْ فِي هَذَا الْبَابِ حُكْمُ الْمُضَافِ وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَعْيَانٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا، كَبَيَّتِ اللَّهُ وَنَاقَةَ اللَّهِ وَرُوحَ اللَّهِ وَعَبْدَهُ، فَهَذَا إِضَافَةٌ مَخْلُوقٍ إِلَى خَالِقِهِ، وَهِيَ إِضَافَةٌ اخْتِصَاصٍ وَتَشْرِيفٍ.

الثَّانِي: إِضَافَةٌ صِفَةٍ إِلَى مَوْصُوفٍ كَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَعِلْمِهِ وَحَيَاتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَكَلَامِهِ وَوَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَمَشِيَّتِهِ وَرِضَاهُ وَغَضَبِهِ، فَهَذَا يُمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ فِيهِ مَخْلُوقًا مُنْفَصِلًا، بَلْ هُوَ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِهِ سُبْحَانَهُ.

إِذَا عُرِفَ هَذَا فَهَكَذَا حُكْمُ الْمَجْرُورِ بِمَنْ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ

جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجمانية: ١٣] لَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ أَوْصَافًا لَهُ قَائِمَةً بِهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلٰكِنْ حَقَّ

اَلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] وَقَوْلُهُ: ﴿نَزَّلْنَا مِنْ حِكْمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] يَقْتَضِي

أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ، وَأَنَّهُ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَلُبَّسَتِ الْمُعْتَرِلَةُ وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى هَذَا الْفُرْقَانِ، وَجَعَلُوا الْجَمِيعَ أَبَا وَاحِدًا، وَقَابَلَهُمْ طَائِفَةُ الْإِتِّحَادِيَّةِ وَجَعَلُوا الْجَمِيعَ مِنْهُ بَعْضُ

التَّبْعِيضِ وَالْجُزْئِيَّةِ وَلَمْ يَهْتَدِ الطَّائِفَتَانِ لِلْفَرْقِ. مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة (ص: ٤٤٢).

جعل الله سبحانه وتعالى الدُّور ثلاثة

قال رحمه الله: إن الله سبحانه جعل الدُّور ثلاثاً: **دَار الدُّنْيَا**، **وَدَار البرزخ**، **وَدَار القَرَار**، وجعل لكم دَار أحكاماً تختص بها.

وَرَكِبَ هَذَا الْإِنْسَانُ مِنْ بَدَنٍ وَنَفْسٍ وَجَعَلَ أَحْكَامُ دَارِ الدُّنْيَا عَلَى الْأَبْدَانِ وَالْأَرْوَاحِ تَبَعاً لَهَا، وَلِهَذَا جَعَلَ أَحْكَامَهُ الشَّرْعِيَّةَ مَرْتَبَةً عَلَى مَا يَظْهَرُ مِنْ حَرَكَاتِ اللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ وَإِنْ أَضْمَرْتَ النَّفْسَ خِلَافَهُ.

وَجَعَلَ أَحْكَامَ الْبَرْزَخِ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ تَبَعاً لَهَا، فَكَمَا تَبِعَتِ الْأَرْوَاحُ الْأَبْدَانِ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا فَتَأَلَّمَتْ بِأَلَمِهَا وَالتَّذْتَبَرَتْ بِرَاحَتِهَا وَكَانَتْ هِيَ الَّتِي بَاشَرَتْ أَسْبَابَ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ تَبِعَتِ الْأَبْدَانُ الْأَرْوَاحَ فِي نَعِيمِهَا وَعَذَابِهَا وَالْأَرْوَاحُ حَيَّيْنِدْ هِيَ الَّتِي تَبَاشَرُ الْعَذَابَ وَالنَّعِيمَ فَالْأَبْدَانُ هُنَا ظَاهِرَةٌ وَالْأَرْوَاحُ خُفْيَةٌ، وَالْأَبْدَانُ كَالْقُبُورِ لَهَا وَالْأَرْوَاحُ هُنَاكَ ظَاهِرَةٌ وَالْأَبْدَانُ خُفْيَةٌ فِي قُبُورِهَا تَجْرِي أَحْكَامُ الْبَرْزَخِ عَلَى الْأَرْوَاحِ، فَتَسْرِي إِلَى أَبْدَانِهَا نَعِيمًا أَوْ عَذَابًا كَمَا تَجْرِي أَحْكَامُ الدُّنْيَا عَلَى الْأَبْدَانِ فَتَسْرِي إِلَى أَرْوَاحِهَا نَعِيمًا أَوْ عَذَابًا.

فَأَخْطِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ عِلْمًا وَاعْرِفْهُ كَمَا يَنْبَغِي يَزِيلُ عَنْكَ كُلُّ اشْكَالٍ يُورَدُ عَلَيْكَ مِنْ دَاخِلٍ وَخَارِجٍ، وَقَدْ أَرَانَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ وَهُدَايَتِهِ مِنْ ذَلِكَ أَنْمُودَجَا فِي الدُّنْيَا مِنْ حَالِ النَّائِمِ، فَإِنْ مَا يَنْعَمُ بِهِ أَوْ يَعْذِبُ فِي نَوْمِهِ يَجْرِي عَلَى رُوحِهِ أَصْلًا وَالْبَدَنُ تَبَعٌ لَهُ وَقَدْ يَقْوَى حَتَّى يُؤْثَرُ فِي الْبَدَنِ تَأْثِيرًا مُشَاهِدًا، فَيَرَى النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ أَنَّهُ ضُرِبَ فَيُصْبِحُ وَآثَرُ الضَّرْبِ فِي جِسْمِهِ وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَيَسْتَيْقِظُ وَهُوَ يَجِدُ أَثَرَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِيهِ وَيَذْهَبُ عَنْهُ الْجُوعُ وَالظَّمَأُ.

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك؛ وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس، فإذا كانت الروح تتألم وتتنعّم ويصل ذلك إلى بدنّها بطريق الاستتباع؛ فهكذا في البرزخ بل أعظم، فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع.

فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرا باديا أصلا.

ومتى أعطيت هذا الموضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول ﷺ من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل وأنه حق لا مرية فيه وإن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه أتى كما قيل:

وكم من عائب قولا صحيحا * * وأفته من الفهم السقيم

وأعجب من ذلك أنك تجد النائم في فراش واحد وهذا روحه في النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه وليس عند أحدهما خبر عند الآخر فأمر البرزخ أعجب من ذلك. (الروح: ص ٦٣).

نقض البصر عن المحارم ثلاث فوائد عظام

قال رحمه الله: غرض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة الخطر، جليلة

القدر:

إحداها: حلاوة الإيمان ولذته، التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله تعالى، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله عز وجل خيراً منه.

والنفس مولعة بحب النظر إلى الصور الجميلة، والعين رائد القلب، فيبعث رائده لنظر ما هناك، فإذا أخبره بحسن المنظور إليه وجماله، تحرك اشتياقاً إليه، وكثيراً ما يتعب ويتعب رسوله ورائده كما قيل:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا * * لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبْتُكَ الْمَنَاطِرُ

رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ * * عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

فإذا كف الرائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كلفة الطلب والإرادة، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته، فإن النظر يولد المحبة.

فتبدأ علاقة يتعلق بها القلب بالمنظور إليه. ثم تقوى فتصير صباية. ينصب إليه القلب بكليته. ثم تقوى فتصير غراماً يلزم القلب، كلزوم الغريم الذي لا يفارق غريمه. ثم يقوى فيصير عشقاً. وهو الحب المفرط. ثم يقوى فيصير شغفاً. وهو الحب الذي قد وصل إلى شغاف القلب وداخله. ثم يقوى فيصير تتيماً. والتتيم التعبد ومنه تيمه الحب إذا عبده. وتيم الله عبد الله. فيصير القلب عبداً لمن لا يصلح أن يكون هو عبداً له.

وهذا كله جناية النظر فحينئذ يقع القلب في الأسر. فيصير أسيراً بعد أن كان ملكاً، ومسجوناً بعد أن كان مطلقاً. يتظلم من الطرف ويشكوه. والطرف يقول: أنا رائدك

ورسولك، وأنت بعثتني. وهذا إنما ابتلى به القلوب الفارغة من حب الله والإخلاص له، فإن القلب لا بد له من التعلق بمحسوب. فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه ومعبوده فلا بد أن ينعقد قلبه لغيره. قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ

لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

فامرأة العزيز لما كانت مشركة وقعت فيما وقعت فيه، مع كونها ذات زوج، ويوسف عليه السلام لما كان مخلصا لله تعالى نجا من ذلك مع كونه شابا عزبا غريبا مملوكا.

الفائدة الثانية: في غض البصر: نور القلب وصحة الفراسة.

قال أبو شجاع الكرمانى: «من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة» وقد ذكر الله سبحانه قصة قوم لوط وما ابتلوا به، ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

وهم المتفرسون الذين سلموا من النظر المحرم والفاحشة، وقال تعالى عقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]. وسر هذا الخبر: أنجزاء من جنس العمل. فمن غض بصره عما حرم الله عز وجل عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى، وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه. فإن القلب كالمرآة، والهوى كالصدأ فيها. فإذا

خلصت المرأة من الصداً انطبعت فيها صورة الحقائق كما هي عليه. وإذا صدت لم ينطبع فيها صورة المعلومات. فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون.

الفائدة الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته، فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصره، كما أعطاه بنوره سلطان الحجة، فيجمع له بين السلطانين، ويهرب الشيطان منه، كما في الأثر: «إِنَّ الَّذِي يُخَالِفُ هَوَاهُ يَفَرِّقُ الشَّيْطَانَ مِنْ ظِلِّهِ».

ولهذا يوجد في المتبع هواه من ذل النفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه، فإنه سبحانه جعل العز لمن أطاعه والذل لمن عصاه. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

أى من كان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله: بالكلم الطيب، والعمل الصالح، وقال بعض السلف: «الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله» وقال الحسن: «وإن هَمَلَجَتْ بهم البراذين، وطقطقت بهم البغال إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبى الله عز وجل إلا أن يُذَلَّ من عصاه»، وذلك أن من أطاع الله تعالى فقد والاه، ولا يذل من والاه الله، كما في دعاء القنوت: «إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ»^(١). إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ٤٧).

«١» رواه الإمام أحمد، وأصحاب السنن، عن الحسن بن علي رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في الإرواء (٤٢٩).

للضحك ثلاثة أسباب

قال رحمه الله: وَكَانَ جُلَّ ضَحِكِهِ - ﷺ - التَّبَسُّمُ، بَلْ كُلُّهُ التَّبَسُّمُ، فَكَانَ نِهَائِيَّةَ ضَحِكِهِ أَنْ تَبْدُو نَوَاجِذَهُ.

وَكَانَ - ﷺ - يَضْحَكُ مِمَّا يُضْحَكُ مِنْهُ، وَهُوَ مِمَّا يُتَعَجَّبُ مِنْ مِثْلِهِ وَيُسْتَعْرَبُ وَقُوعُهُ وَيُسْتَنْدَرُ.

وَلِلضَّحِكِ أَسْبَابٌ عَدِيدَةٌ: هَذَا أَحَدُهَا.

وَالثَّانِي: ضَحِكُ الْفَرَحِ، وَهُوَ أَنْ يَرَى مَا يَسُرُّهُ أَوْ يُبَاشِرُهُ.

وَالثَّالِثُ: ضَحِكُ الْغَضَبِ، وَهُوَ كَثِيرًا مَا يَعْتَرِي الْغَضَبَانَ إِذَا اشْتَدَّ غَضَبُهُ، وَسَبَبُهُ تَعَجُّبُ الْغَضَبَانِ مِمَّا أَوْرَدَ عَلَيْهِ الْغَضَبُ، وَشُعُورُ نَفْسِهِ بِالْقُدْرَةِ عَلَى خَصْمِهِ، وَأَنَّهُ فِي قَبْضَتِهِ، وَقَدْ يَكُونُ ضَحِكُهُ لِمُلْكِهِ نَفْسُهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَإِعْرَاضِهِ عَمَّنْ أَعْصَبَهُ، وَعَدَمُ اكْتِرَائِهِ بِهِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٧٥).

أسباب الخير ثلاثة

قال رحمه الله: فَاعْلَمْ أَنَّ أَسْبَابَ الْخَيْرِ ثَلَاثَةٌ:

الْإِبْجَادُ، وَالْإِعْدَادُ، وَالْإِمْدَادُ. فَهَذِهِ هِيَ الْخَيْرَاتُ وَأَسْبَابُهَا.

فَإِبْجَادُ السَّبَبِ خَيْرٌ. وَهُوَ إِلَى اللَّهِ. وَإِعْدَادُهُ خَيْرٌ. وَهُوَ إِلَيْهِ أَيْضًا. وَإِمْدَادُهُ خَيْرٌ. وَهُوَ إِلَيْهِ أَيْضًا.

فَإِذَا لَمْ يَحْدُثْ فِيهِ إِعْدَادٌ وَلَا إِمْدَادٌ حَصَلَ فِيهِ الشَّرُّ بِسَبَبِ هَذَا الْعَدَمِ الَّذِي لَيْسَ إِلَى الْفَاعِلِ. وَإِنَّمَا إِلَيْهِ ضِدُّهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَا أَمَدُهُ إِذْ أَوْجَدَهُ؟

قُلْتُ: مَا اقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ إِيجَادَهُ وَإِمْدَادَهُ. فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُوجِدُ وَيُمِدُّهُ، وَمَا اقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ إِيجَادَهُ وَتَرْكَ إِمْدَادِهِ: أَوْجَدَهُ بِحِكْمَتِهِ وَلَمْ يُمِدَّهُ بِحِكْمَتِهِ. فَإِيجَادُهُ خَيْرٌ. وَالشَّرُّ وَقَعَ مِنْ عَدَمِ إِمْدَادِهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٩٥).

تكمّل الحياة بثلاثة أشياء

قال رحمه الله: ما الحكمة في اقتران الرحمة والبركة بالسلام؟. فالجواب عنه أن يقال: لما

كان الإنسان لا سبيل له إلى انتفاعه بالحياة إلا بثلاثة أشياء:

أحدها: سلامته من الشر، ومن كل ما يضاد حياته وعيشه.

والثاني: حصول الخير له.

والثالث: دوامه وثباته له.

فإن بهذه الثلاثة يكمل انتفاعه بالحياة، فشرعت التحية متضمنة للثلاثة، فقوله: «سلام عليكم» يتضمن السلامة من الشر، وقوله: «وَرَحْمَةُ اللَّهِ» يتضمن حصول الخير.

وقوله: «وبركاته» يتضمن دوامه وثباته كما هو موضوع لفظ البركة، وهو كثرة الخير واستمراره.

ومن هاهنا يعلم حكمة اقتران اسمه الغفور -تبارك وتعالى- باسمه الرحيم في عامة القرآن. ولما كانت هذه الثلاثة مطلوبة لكل أحد، بل هي متضمنة لكل مطالبه، وكل المطالب دونها وسائل إليها وأسباب لتحصيلها؛ جاء لفظ التحية دالاً عليها بالمطابقة تارة، وهو "كمالها"، وتارة دالاً عليها بالتضمن، وتارة دالاً عليها باللزوم، فدلالة اللفظ عليها مطابقة إذا ذُكرت بلفظها، ودلالته عليها بالتضمن إذا ذُكر السلام والرحمة فإنهما يتضمنان الثالث، ودلالته عليها باللزوم إذا اقتصر على لفظ السلام وحده، فإنه يستلزم حصول الخير

وثباته؛ إذ لو عُدِم لم تحصل السلامة المطلقة، فالسلامة مستلزمة لحصول الرحمة كما تقدم تقريره.

وقد عرف بهذا فضل هذه التحية وكمالها على سائر تحيات الأمم، ولهذا اختارها الله لعباده وجعلها تحيتهم بينهم في الدنيا وفي دار السلام. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٢/ ٦٦٨).

مرجع أسماء الله الحسنى إلى ثلاثة أسماء

قال رحمه الله: اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ اشْتَمَلَتْ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ أَتَمَّ اشْتِمَالٍ، وَتَضَمَّنَتْهَا أَكْمَلَ تَضَمُّنٍ.

فَاشْتَمَلَتْ عَلَى التَّعْرِيفِ بِالْمَعْبُودِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِثَلَاثَةِ أَسْمَاءٍ، مَرْجِعُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا إِلَيْهَا، وَمَدَارُهَا عَلَيْهَا، وَهِيَ: **اللَّهُ، وَالرَّبُّ، وَالرَّحْمَنُ**، وَبَيِّنَتِ السُّورَةُ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالرَّحْمَةِ، فَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ، وَطَلَبُ الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ، وَالْحَمْدُ يَتَضَمَّنُ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ، فَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَالثَّنَاءُ وَالْمَجْدُ كَمَا لَانَ لِجَدِّهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣١).

لا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء

قال رحمه الله: وَلَا يَسْتَقِيمُ لِأَحَدٍ قَطُّ الْأَدَبُ مَعَ اللَّهِ إِلَّا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

مَعْرِفَتُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَمَعْرِفَتُهُ بِدِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَمَا يُحِبُّ وَمَا يَكْرَهُ.

وَنَفْسٌ مُسْتَعِدَّةٌ قَابِلَةٌ لِيَنَّهُ، مُتَهَيِّئَةٌ لِقَبُولِ الْحَقِّ عِلْمًا وَعَمَلًا وَحَالًا. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٦٥).

فراسته المتفرس تتعلق بثلاثة أشياء

قال رحمه الله: وَفِرَاسَةُ الْمُتَفَرِّسٍ تَعْلُقُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: بِعَيْنِهِ. وَأُذُنِهِ. وَقَلْبِهِ.

فَعَيْنُهُ لِلسِّيَمَاءِ وَالْعَلَامَاتِ.

وَأُذُنُهُ: لِلْكَلامِ وَتَضَرِيحِهِ وَتَعْرِيزِهِ، وَمَنْطُوقِهِ، وَمَفْهُومِهِ، وَفَحْوَاهُ وَإِشَارَتِهِ. وَلَحْنِهِ وَإِيمَانِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقَلْبُهُ لِلْعُبُورِ: وَالِاسْتِدْلَالِ مِنَ الْمَنْظُورِ وَالْمَسْمُوعِ إِلَى بَاطِنِهِ وَخَفِيَّهِ. فَيَعْبُرُ إِلَى مَا وَرَاءَ ظَاهِرِهِ، كَعُبُورِ النُّقَادِ مِنْ ظَاهِرِ النَّقْشِ وَالسَّكَّةِ إِلَى بَاطِنِ النَّقْدِ وَالِاطَّلَاعِ عَلَيْهِ: هَلْ هُوَ صَحِيحٌ، أَوْ زَعْلٌ؟ وَكَذَلِكَ عُبُورُ الْمُتَفَرِّسِ مِنْ ظَاهِرِ الْهَيْئَةِ وَالِدَّلِّ، إِلَى بَاطِنِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ، فَنسَبَةُ نَقْدِهِ لِلْأَرْوَاحِ مِنَ الْأَشْبَاحِ كَنَسَبَةِ نَقْدِ الصَّيْرِفِيِّ يَنْظُرُ لِلْجَوْهَرِ مِنْ ظَاهِرِ السَّكَّةِ وَالنَّقْدِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٥٧).

للحسد ثلاث مراتب

قال رحمه الله: وتأمل تقييده سبحانه وتعالى شرَّ الحاسد بقوله: ﴿ إِذَا حَسَدَ ﴾ ؛

لأن الرجل قد يكون عنده حسدٌ ولكن يُخفيه ولا يُرتَّبُ عليه أذىً بوجهٍ ما، لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجدُّ في قلبه شيئاً من ذلك، ولا يعاملُ أخاه إلا بما يُحبُّ الله، فهذا لا يكاد يخلو منه أحدٌ، إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ.

وقيل للحسن البصري رحمه الله: أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساكَ إخوة يوسف. لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا ياتمر بها، بل يعصيها طاعةً لله وخوفاً وحياءً منه وإجلالاً له أن يكره نعمة على عباده، فيرى ذلك مخالفةً لله وبغضاً لما يُحبُّ الله ومحبةً لما ييغضه، فهو يجاهدُ نفسه على دفع ذلك، ويُلزِمُها بالدعاء

للمحسود، وتمني زيادة الخير له، بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسد، ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح، فهذا الحسد المذموم هو كله حسد تمنني الزوال. وللحسد ثلاث مراتب:

إحداها: هذه.

الثانية: تمنني استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله؛ من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه عن الله أو قلة دينه، فهو يتمني دوام ما هو فيه من نقص وعيب، فهذا حسد على شيء مقدّر، والأول حسد على شيء محقق؛ وكلاهما حاسد عدو نعمة الله وعدو عباده، وممقوت عند الله تعالى وعند الناس، ولا يسود أبدًا ولا يرأس، فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم.

فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونهم باختيارهم أبدًا إلا قهراً، يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها، فهم يغيضونه وهو يغيضهم.

والحسد الثالث: حسد الغبطة، وهو تمنني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة، وقد قال

تعالى: ﴿خَتَمَهُ مِيسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَافِسِ الْمُنْتَفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا وسلطه علي هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يعصي بها، ويعلمها الناس»^(١)، فهذا

حَسَدُ غِبْطَةٍ، الحاملُ لصاحبه عليه كِبَرُ نفسه، وَحُبُّ خصالِ الخير، والتشبه بأهلها، والدخول في جملتهم، وأن يكونَ عن سُبَّاقِهِمْ وَعِلْيَتِهِمْ وَمُصَلِّيهِمْ لا عن فَسَاكِهِمْ، فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارة مع محبته لمن يضبطه، وتمني دوام نعمة الله عليه، فهذا لا يدخلُ في الآية بوجهٍ ما. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٢/ ٧٦١).

الصدق في ثلاثة

قال رحمه الله: فَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ: هُوَ مِنْ شَأْنِهِ الصَّدَقُ فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ وَحَالِهِ. فَالصَّدَقُ: فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ.

فَالصَّدَقُ فِي الْأَقْوَالِ: اسْتِوَاءُ اللِّسَانِ عَلَى الْأَقْوَالِ، كَاسْتِوَاءِ السُّبُلَةِ عَلَى سَاقِهَا. وَالصَّدَقُ فِي الْأَعْمَالِ: اسْتِوَاءُ الْأَفْعَالِ عَلَى الْأَمْرِ وَالْمُتَابَعَةِ. كَاسْتِوَاءِ الرَّأْسِ عَلَى الْجَسَدِ.

وَالصَّدَقُ فِي الْأَحْوَالِ: اسْتِوَاءُ أَعْمَالِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ عَلَى الْإِخْلَاصِ. وَاسْتِفْرَافُ الْوُسْعِ، وَبَذْلُ الطَّاقَةِ، فَبِذَلِكَ يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالصَّدَقِ.

وَبِحَسَبِ كَمَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ فِيهِ وَقِيَامُهَا بِهِ: تَكُونُ صِدِّيقِيَّةً. وَلِذَلِكَ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ **رضي الله عنه** وَأَرْضَاهُ: ذُرْوَةُ سَنَامِ الصَّدِّيقِيَّةِ، سُمِّيَ الصَّدِّيقَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالصَّدِّيقُ أَبْلَغُ مِنَ الصَّدُوقِ وَالصَّدُوقُ أَبْلَغُ مِنَ الصَّادِقِ.

فَأَعْلَى مَرَاتِبِ الصَّدَقِ: مَرْتَبَةُ الصَّدِّيقِيَّةِ. وَهِيَ كَمَالُ الْإِنْقِيَادِ لِلرَّسُولِ **ﷺ**، مَعَ كَمَالِ الْإِخْلَاصِ لِلْمُرْسَلِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٥٨).



الفوائد الرباعية

محاسبة النفس قبل الفعل على أربعة مقامات

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: رحم الله عبدا وقف عند همه، فإن كان لله مضي، وإن كان لغيره تأخر.

وشرح هذا بعضهم فقال: إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهم به العبد، وقف **أولا** ونظر: هل ذلك العمل مقدور له أو غير مقدور ولا مستطاع؟ فإن لم يكن مقدورا لم يقدم عليه، وإن كان مقدورا وقف **وقفه أخرى** ونظر: هل فعله خير له من تركه، أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان الثاني تركه ولم يقدم عليه، وإن كان الأول وقف **وقفه ثالثة** ونظر: هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل وثوابه أو إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق؟ فإن كان الثاني لم يقدم، وإن أفضى به إلى مطلوبه، لئلا تعتاد النفس الشرك. ويخف عليها العمل لغير الله، فبقدر ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالى، حتى يصير أثقل شيء عليها، وإن كان الأول وقف **وقفه أخرى** ونظر هل هو معان عليه، وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجا إلى ذلك أم لا؟ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه، كما أمسك النبي ﷺ عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة وأنصار، وإن وجده معانا عليه فليقدم عليه فإنه منصور، ولا يفوت النجاح إلا من فوت خصلة من هذه الخصال، وإلا فمع اجتماعها لا يفوته النجاح.

فهذه أربعة مقامات يحتاج إلى محاسبة نفسه عليها قبل الفعل، فما كل ما يريد العبد فعله يكون مقدورا له، ولا كل ما يكون مقدورا له يكون فعله خيرا له من تركه، ولا كل ما يكون فعله خيرا له من تركه يفعله الله، ولا كل ما يفعله الله يكون معانا عليه، فإذا حاسب نفسه على ذلك تبين له ما يقدم عليه، وما يحجم عنه. إغائة اللهفان من مصايد الشيطان (١ / ٨١).

الفروسية أربعة أنواع

قال رحمه الله: الفروسية أربعة أنواع:

أحدها: ركوب الخيل والكر والفر بها.

الثاني: الرمي بالقوس.

الثالث: المطاعنة بالرماح.

الرابع: المداورة بالسيف.

فمن استكملها استكمل الفروسية ولم تجتمع هذه الأربعة على الكمال إلا لغزاة الإسلام وفوارس الدين وهم الصحابة رضي الله عنهم وانضاف إلى فروسيتهم الخيلية فروسية الإيمان واليقين والتنافس في الشهادة وبذل نفوسهم في محبة الله ومرضاته فلم يقدروا لهم أمة من الأمم ألبته ولا حاربوا أمة قط إلا وقهروها وأذلوها وأخذوا بنواصيها فلما ضعفت هذه الأسباب فيمن بعدهم لتفرقها فيهم وعدم اجتماعها دخل عليهم من الوهن والضعف بحسب ما عدموه من هذه الأسباب والله المستعان. الفروسية (ص: ٤٤٠).

أركان الرمي أربعة

قال رَحِمَهُ اللهُ: أَرْكَانُ الرَّمْيِ أَرْبَعَةٌ:

السرعة.

وشدة الرمي.

والإصابة.

والاحتراز.

فالرامي على الحقيقة من كملت فيه هذه الأربعة، وكل واحدة منها محتاجة إلى أخواتها، كما يحتاج الرمي إلى أربعة:

القوس، والوتر، والسهم، والرامي، فلو كان سهم الرجل مصيبا ولم يكن منكيا لم يؤثر، ولو كان سهمه منكيا ولم يكن مصيبا لم ينفع، ولو كان مصيبا منكيا لم يحسن التحرز من عدوه فإنه يوشك أن يقتله عدوه قبل رميه إياه لعدم معرفته بالتحرز منه، ولو اجتمعت فيه الثلاثة الإصابة والنكايه والتحرز ولم يكن سريع الرمي نقص ذلك من بسالته وشجاعته وقل انتفاعه برميهِ، وربما فاتته مطلبه وهرب خصمه منه؛ لبطء رميه له، فمن لم يستكمل هذه الخصال؛ فليس برام عندهم. الفروسية (ص: ٤٤٣).

لشجاعة أربع علامات

قال رَحِمَهُ اللهُ: ولما كانت الشجاعة خلقا كريما من أخلاق النفس ترتب عليها أربعة

أُمُور، وهي مظهرها وثمرتها:

الإقدام في موضع الإقدام.

والإحجام في موضع الإحجام.

والثبات في موضع الثبات.

والزوال في موضع الزوال.

و ضد ذلك مغل بالشجاعة وهو إمّا جبن وإمّا تهور وإمّا خفة وطيش. الفروسية (ص: ٥٠٤).

مراتب الجهاد أربعة

قال رحمه الله: الجهاد أربع مراتب:

جهاد النفس.

وجهاد الشيطان.

وجهاد الكفار.

وجهاد المنافقين.

فجهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتُمون ما أنزل الله من الهدى والبيّنات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيهِ من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله.

وَأَمَّا جِهَادُ الشَّيْطَانِ فَمَرَّتَانِ، إِحْدَاهُمَا: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَى الْعَبْدِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ الْقَادِحَةِ فِي الْإِيمَانِ.

الثَّانِيَةُ: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنَ الْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالشَّهَوَاتِ، فَالْجِهَادُ الْأَوَّلُ يَكُونُ بَعْدَهُ الْيَقِينُ، وَالثَّانِي: يَكُونُ بَعْدَهُ الصَّبْرُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ

يَأْمُرُنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوْقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فَأَخْبَرَ أَنَّ إِمَامَةَ الدِّينِ إِنَّمَا تُنَالُ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، فَالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةَ، وَالْيَقِينُ يَدْفَعُ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ.

وَأَمَّا جِهَادُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فَأَرْبَعُ مَرَاتِبَ: بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْمَالِ، وَالنَّفْسِ، وَجِهَادُ الْكُفَّارِ أَخْصُ بِالْيَدِّ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَخْصُ بِاللِّسَانِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٣ / ٩)

أركان الكفر أربعة

قال رحمه الله: أَرْكَانُ الْكُفْرِ أَرْبَعَةٌ:

الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة، فالكبر يمنع الانقياد، والحسد يمنع قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنع العدل، والشهوة تمنع التفرغ للعبادة.

فَإِذَا انْهَدَمَ رُكْنُ الْكِبَرِ سَهْلَ عَلَيْهِ الْانْقِيَادُ، وَإِذَا انْهَدَمَ رُكْنُ الْحَسَدِ سَهْلَ عَلَيْهِ قَبُولُ النَّصِيحِ وَبَذْلُهُ، وَإِذَا انْهَدَمَ رُكْنُ الْغَضَبِ سَهْلَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ وَالتَّوَاضُّعُ، وَإِذَا انْهَدَمَ رُكْنُ الشَّهْوَةِ سَهْلَ عَلَيْهِ الصَّبْرُ وَالْعِفَافُ وَالْعِبَادَةُ.

وَزَوَالُ الْجِبَالِ عَنْ أَمَاكِنِهَا أَيْسَرُ مِنْ زَوَالِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ عَمَّنْ بَلِيَّهَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا صَارَتْ هَيْئَاتٍ رَاسِخَةً وَمَلَكَاتٍ وَصِفَاتٍ ثَابِتَةٍ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ مَعَهَا عَمَلُ الْبَتَّةِ وَلَا تَزْكُو نَفْسُهُ مَعَ قِيَامِهَا بِهَا، وَكَلِمَا اجْتَهِدْ فِي الْعَمَلِ أَفْسَدَتْهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ، وَكُلُّ الْأَفَاتِ

مُتَوَلِّدَةٌ مِنْهَا، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتْ فِي الْقَلْبِ أَرْتَهُ الْبَاطِلُ فِي صُورَةِ الْحَقِّ وَالْحَقُّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ وَالْمَعْرُوفُ فِي صُورَةِ الْمُنْكَرِ وَالْمُنْكَرُ فِي صُورَةِ الْمَعْرُوفِ، وَقَرَبَتْ مِنْهُ الدُّنْيَا وَبَعَدَتْ مِنْهُ الْآخِرَةُ.

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ كُفْرَ الْأُمَمِ رَأَيْتَهُ نَاشِئًا مِنْهَا وَعَلَيْهَا يَقَعُ الْعَذَابُ وَتَكُونُ خَفَتُهُ وَشِدَّتُهُ بِحَسَبِ خَفَتِهَا وَشِدَّتِهَا، فَمَنْ فَتَحَهَا عَلَى نَفْسِهِ فَتَحَ عَلَيْهِ أَبْوَابَ الشُّرُورِ كُلِّهَا عَاجِلًا وَآجِلًا وَمَنْ أَغْلَقَهَا عَلَى نَفْسِهِ أَغْلَقَ عَنْهُ أَبْوَابَ الشُّرُورِ، فَإِنَّمَا تَمْنَعُ الْإِنْقِيَادَ وَالْإِخْلَاصَ وَالتَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ وَقَبُولَ الْحَقِّ وَنَصِيحَةَ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّوَاضُعَ لِلَّهِ وَلِخَلْقِهِ.

وَمِنْشَأُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ جَهْلِهِ بِرَبِّهِ وَجَهْلِهِ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبَّهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَنِعَوَاتِ الْجَلَالِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ بِالنَّقَائِصِ وَالْآفَاتِ لَمْ يَتَكَبَّرْ وَلَمْ يَغْضَبْ لَهَا وَلَمْ يَحْسُدْ أَحَدًا عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ. (الفوائد (ص: ١٥٧).

الدراهم أربعة أنواع

قال رحمه الله: الدَّرَاهِمُ أَرْبَعَةٌ:

دَرَاهِمٌ اكْتَسَبَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ فِي حَقِّ اللَّهِ فَذَاكَ خَيْرُ الدَّرَاهِمِ.

وَدِرْهَمٌ اكْتَسَبَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَذَاكَ شَرُّ الدَّرَاهِمِ.

وَدِرْهَمٌ اكْتَسَبَ بِأَذَى مُسْلِمٍ وَأَخْرَجَ فِي أَذَى مُسْلِمٍ فَهُوَ كَذَلِكَ.

وَدِرْهَمٌ اكْتَسَبَ بِمَبَاحٍ وَأَنْفَقَ فِي شَهْوَةٍ مُبَاحَةٍ فَذَاكَ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ.

هَذِهِ أَصُولُ الدَّرَاهِمِ، وَيَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا دَرَاهِمٌ أُخْرَى مِنْهَا: دِرْهَمٌ اكْتَسَبَ بِحَقٍّ وَأَنْفَقَ فِي بَاطِلٍ، وَدِرْهَمٌ اكْتَسَبَ بِبَاطِلٍ وَأَنْفَقَ فِي حَقٍّ فَإِنْفَاقُهُ كُفَّارَتُهُ، وَدِرْهَمٌ اكْتَسَبَ مِنْ شُبْهَةٍ فَكُفَّارَتُهُ أَنْ يَنْفَقَ فِي طَاعَةٍ.

وكما يتعلّق الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ والمدح والذمُّ بِإِخْرَاجِ الدُّرْهِمِ، فَكَذَلِكَ يَتَعَلَّقُ بِاِكْتِسَابِهِ وَكَذَلِكَ يَسْأَلُ عَنْهُ مُسْتَخْرِجُهُ وَمَصْرُوفُهُ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ. (الفوائد (ص: ١٧٠).

أجل الأفكار أربعة

قال رحمه الله: قَاعِدَةٌ جَلِيلَةٌ أَصْلُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنْ قَبْلِ التَّفَكُّرِ فَإِنَّ الْفِكْرَ مَبْدَأُ الْإِرَادَةِ وَالطَّلَبِ فِي الزَّهْدِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْحُبِّ وَالْبَغْضِ، وَأَنْفَعُ الْفِكْرِ:

الفكر في مصالح المعاد.

وفي طرق اجتلابها.

وفي دفع مفسد المعاد.

وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار، هي أجل الأفكار.

ويليها أربعة: فِكْرٌ فِي مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَطُرُقِ تَحْصِيلِهَا، وَفِكْرٌ فِي مَفَاسِدِ الدُّنْيَا وَطُرُقِ الْإِحْتِرَازِ مِنْهَا، فَعَلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّمَانِيَةِ دَارَتْ أَفْكَارُ الْعُقَلَاءِ.

وَرَأْسُ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ الْفِكْرُ فِي آلَاءِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَطُرُقِ الْعِلْمِ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَمَا وَلاَهُمَا، وَهَذَا الْفِكْرُ يُثْمِرُ لِمُصَاحِبِهِ الْمَحَبَّةَ وَالْمَعْرِفَةَ، فَإِذَا فَكَّرَ فِي الْآخِرَةِ وَشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا، وَفِي الدُّنْيَا وَخُسْفَانِهَا؛ أَثْمَرَ لَهُ ذَلِكَ الرَّغْبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَالزَّهْدَ فِي الدُّنْيَا، وَكَلِمَا فَكَّرَ فِي قَصْرِ الْأَمَلِ وَضَيْقِ الْوَقْتِ؛ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ الْجَدَّ وَالْإِجْتِهَادَ وَبَذَلَ الْوَسْعَ فِي اغْتِنَامِ الْوَقْتِ، وَهَذِهِ الْأَفْكَارُ تَعْلِي هِمَّتِهِ وَتَحْيِيهَا بَعْدَ مَوْتِهَا وَتُسَوِّغُهَا؛ وَتَجْعَلُهُ فِي وَادٍ وَالنَّاسَ فِي وَادٍ.

وَبِإِزَاءِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الْأَفْكَارَ الرَّدِيئَةَ؛ الَّتِي تَجُولُ فِي قُلُوبِ أَكْثَرِ هَذَا الْخَلْقِ.

كالفكر فيما لم يُكَلَّفِ الفكر فيه وَلَا أُعْطِيَ الإِحَاطَةَ بِهِ من فضول العلم الَّذِي لَا ينفع،
كالفكر في كَيْفِيَّةِ ذاتِ الربِّ وَصِفَاتِهِ مِمَّا لَا سَبِيلَ للعقول إِلَى إدْرَاكِهِ.

وَمِنْهَا الفكرُ فِي الصناعاتِ الدقيقةِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ بل تضرُّ كالفكرُ فِي الشطرنجِ
والموسيقى وأنواعِ الأشكالِ والتصاويرِ.

وَمِنْهَا الفكرُ فِي العُلُومِ الَّتِي لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً لَمْ يُعْطَ الفكرُ فِيهَا النَّفْسَ كمالًا وَلَا
شرفًا، كالفكرُ فِي دقائقِ المنطقِ والعلمِ الرياضي والطبيعي وأكثرِ عُلُومِ الفلاسفةِ الَّتِي لَوْ
بلغَ الإنسانُ غايتها لَمْ يكْمَلْ بذلكِ وَلَمْ يَزكْ نفسه.

وَمِنْهَا الفكرُ فِي الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ وطرقِ تَحْصِيلِهَا وَهَذَا وَإِنْ كَانَ لِنَفْسٍ فِيهِ لَذَّةٌ لَكِنْ
لَا عَاقِبَةُ لَهُ ومُضَرَّتُهُ فِي عَاقِبَةِ الدُّنْيَا قبلَ الآخِرَةِ أَضْعَافُ مَسَرَّتِهِ.

وَمِنْهَا الفكرُ فيما لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يكونُ كالفكرِ فيما إِذَا صَارَ ملكًا أَوْ وجدَ
كنزًا أَوْ ملكَ ضَيْعَةً مَادًّا يصنعُ وَكَيْفَ يتصرَّفُ وَيَأْخُذُ وَيُعْطِي وينتقمُ وَنَحْوَ ذَلِكَ من
أفكارِ السُّفْلِ.

وَمِنْهَا الفكرُ فِي جزيئاتِ أَحْوالِ النَّاسِ وَمَا جراياتهم ومداخلهم ومخارجهم وتوابعِ
ذَلِكَ من فكرِ النَّفُوسِ المبطلةِ الفارغةِ من اللهِ وَرُسُولِهِ وَالْدارِ الْآخِرَةِ.

وَمِنْهَا الفكرُ فِي دقائقِ الْحِيلِ وَالْمَكْرِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى أغراضِهِ وهوَاهُ مُبَاحَةٌ كَانَتْ
أَوْ مُحَرَّمَةً.

وَمِنْهَا الفكرُ فِي أَنْواعِ الشَّعْرِ وصروفِهِ وَأفانينِهِ فِي المَدْحِ والهجاءِ والغزلِ والمراثي
وَنَحْوِهَا، فَإِنَّهُ يشغلُ الإنسانَ عَنِ الفكرِ فيما فِيهِ سعادته وحياته الدائمة.

وَمِنْهَا الْفِكْرُ فِي الْمَقْدَرَاتِ الذَّهْنِيَةِ الَّتِي لَا وَجُودَ لَهَا فِي الْخَارِجِ وَلَا بِالنَّاسِ حَاجَةٌ إِلَيْهَا الْبَتَّةَ وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ عِلْمٍ حَتَّى فِي عِلْمِ الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَالطَّبِّ.

فَكُلُّ هَذِهِ الْأَفْكَارِ مُضَرَّتُهَا أَرْجَحُ مِنْ مَنَفَعَتِهَا وَيَكْتَفِي فِي مُضَرَّتِهَا شُغْلُهَا عَنِ الْفِكْرِ فِيمَا هُوَ أَوْلَى بِهِ وَأَعُوذُ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ عَاجِلًا وَآجِلًا. (الفوائد (ص: ١٩٨).

للهداية أربع مراتب

قال رحمه الله: وَالْهَدَايَةُ لَهَا أَرْبَعُ مَرَاتِبٍ وَهِيَ مَذْكُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ:

المرتبة الاولى: الْهَدَايَةُ الْعَامَّةُ وَهِيَ هِدَايَةُ كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْإِنْسَانِ لِمَصَالِحِهِ

الَّتِي بَهَا قَامَ أَمْرُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ۝ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ (٣)﴾

﴿[الأعلى: ١-٣]، وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنْ عَدُوهِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ لِمُوسَى: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ۝ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ۝ (٥٠)﴾ [طه: ٤٩ - ٥٠]،

وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ أَسْبَقُ مَرَاتِبِ الْهَدَايَةِ وَأَعْمَاهَا.

المرتبة الثانية: هِدَايَةُ الْبَيَانِ وَالذَّلَالَةِ الَّتِي أَقَامَ بِهَا حُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَهَذِهِ لَا تَسْتَلْزِمُ

الْإِهْتِدَاءَ التَّامَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ۝ (١٧)﴾ [فصلت: ١٧]،

يَعْنِي بَيْنَا لَهُمْ وَدَلَّلْنَاهُمْ وَعَرَفْنَاهُمْ فَأَثَرُوا الضَّلَالَةَ وَالْعَمَى.

وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ أَحْصَى مِنَ الْأُولَى وَأَعَمُّ مِنَ الثَّانِيَةِ وَهِيَ هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالْإِلْهَامِ قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ (٢٥)﴾ [يونس: ٢٥]

فَعَمُّ بِالْدَعْوَةِ خَلْقَهُ وَخَصَّ بِالْهَدَايَةِ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

٥٦﴾ [القصص: ٥٦]، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢﴾ [الشورى:

٥٢] فَاثْبُتْ هِدَايَةَ الدَّعْوَةِ وَالْبَيَانَ وَنَفِي هِدَايَةِ التَّوْفِيقِ وَالْإِلَهَامِ.

وَهَذِهِ **الْهِدَايَةُ الثَّالِثَةُ** هِيَ الْهِدَايَةُ الْمُوجِبَةُ الْمُسْتَلْزِمَةُ لِلْإِهْتِدَاءِ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَشَرَطَ لَا مُوجِبَ فَلَا يَسْتَحِيلُ تَخَلُّفُ الْهَدْيِ عَنْهَا بِخِلَافِ الثَّالِثَةِ، فَإِنْ تَخَلَّفَ الْهَدْيُ عَنْهَا مُسْتَحِيلٌ.

المرتبة الرابعة: الْهِدَايَةُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَخْشَرُوا

الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ٢٣﴾

[الصافات: ٢٢ - ٢٣]، وَأَمَّا قَوْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا

لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣]، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا أَرَادُوا الْهِدَايَةَ إِلَى طَرِيقِ

الْجَنَّةِ وَأَنْ يَكُونُوا أَرَادُوا الْهِدَايَةَ فِي الدُّنْيَا الَّتِي أَوْصَلَتْهُمْ إِلَى دَارِ النَّعِيمِ.

وَلَوْ قِيلَ إِنَّ كِلَا الْأَمْرَيْنِ مُرَادٌ لَهُمْ وَأَنْهُمْ حَمَدُوا اللَّهَ عَلَى هِدَايَتِهِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا

وَهِدَايَتِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ كَانَ أَحْسَنَ وَأَبْلَغَ. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٨٤) وانظر:**

بدائع الفوائد (٢/ ٣٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٦٥).

أربع من علامات المؤمنين

قال رسول الله: عند قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ

بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

لَاِيمٍ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤] فَقَدْ ذَكَرَ لَهُمْ أَرْبَعَ عِلَامَاتٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَرْقَاءُ، رُحَمَاءُ مُشْفِقُونَ عَلَيْهِمْ. عَاطِفُونَ عَلَيْهِمْ. فَلَمَّا ضَمَّنَ أَذِلَّةً هَذَا الْمَعْنَى عَدَّاهُ بِأَدَاةٍ « عَلَى ». قَالَ عَطَاءٌ: لِلْمُؤْمِنِينَ كَالْوَلَدِ لَوَالِدِهِ، وَالْعَبْدِ لِسَيِّدِهِ.

وَعَلَى الْكَافِرِينَ كَالْأَسَدِ عَلَى فَرَسِيَّتِهِ ﴿ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

الْعَلَامَةُ الثَّالِثَةُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالنَّفْسِ وَالْيَدِ، وَاللِّسَانِ وَالْمَالِ، وَذَلِكَ تَحْقِيقُ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ.

الْعَلَامَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّهُمْ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ. وَهَذَا عَلَامَةُ صِحَّةِ الْمَحَبَّةِ فَكُلُّ مُحِبٍّ يَأْخُذُهُ اللَّوْمُ عَنْ مَحْبُوبِهِ فَلَيْسَ بِمُحِبٍّ عَلَى الْحَقِيقَةِ. كَمَا قِيلَ:

لَا كَانَ مَنْ لِسَوَاكَ فِيهِ بَقِيَّةٌ * يَجِدُ السَّبِيلَ بِهَا إِلَيْهِ اللَّوْمُ

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٢).

أمهات مطالب السائلين أربعة

قال رحمه الله: والشر المستعاذ منه نوعان: أحدهما **موجود يطلب رفعه**، والثاني: **معدوم**

يطلب بقاؤه على العدم وأن لا يوجد.

كما أن الخير المطلق نوعان أحدهما: **موجود فيطلب دوامه** وثباته وأن لا يسلبه،

والثاني: **معدوم فيطلب وجوده وحصوله.**

مطالب العباد أربعة: فهذه أربعة هي أمهات مطالب السائلين من رب العالمين، وعليها مدار طلباتهم، وقد جاءت هذه المطالب الأربعة في قوله تعالى حكاية عن دعاء عباده في آخر آل عمران في قولهم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا ﴾ فهذا الطلب لدفع الشر

الموجود، فإن الذنوب والسيئات شر كما تقدم بيانه، ثم قال: ﴿وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١٩٣) فهذا طلب لدوام الخير الموجود، وهو الإيمان حتى يتوفاهم عليه، فهذان قسمان. ثم قال: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ فهذا طلب للخير المعدوم أن يؤتيهم إياه ثم قال: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فهذا طلب أن لا يوقع بهم الشر المعدوم، وهو خزي يوم القيامة.

فانتظمت الآيتان للمطالب الأربعة أحسن انتظام، مرتبة أحسن ترتيب، قدم فيها النوعان اللذان في الدنيا وهما المغفرة ودوام الإسلام إلى الموت، ثم اتبعا بالنوعين اللذين في الآخرة، وهما أن يعطوا ما وعدوه على السنة رسله، وأن لا يخزيهم يوم القيامة. بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٧).

الأموال التي يأخذها القضاة أربعة أقسام

قال رحمه الله: قال ابن عقيل: الأموال التي يأخذها القضاة أربعة أقسام: **رشوة، وهدية، وأجرة، ورزق.**

فالرشوة حرام وهي ضربان: رشوة ليميل إلى أحدهما بغير حق فهذه حرام عن فعل حرام على الآخذ والمعطي وهما آثمان. ورشوة يعطاها ليحكم بالحق واستيفاء حق المعطي من دين ونحوه فهي حرام على الحاكم دون المعطي؛ لأنها للاستنقاذ، فهي كجعل الأبق وأجرة الوكلاء في الخصومة.

وأما الهدية فضربان: هدية كانت قبل الولاية فلا تحرم استدامتها، وهدية لم تكن إلا بعد الولاية وهي ضربان: مكروهة وهي الهدية إليه ممن لا حكومة له، وهدية ممن قد اتجهت له حكومة فهي حرام على الحاكم والمهدي.

وأما الأجرة إن كان للحاكم رزق من الإمام من بين المال حرم عليه أخذ الأجرة قولا واحدا لأنه إنما أجرى له الرزق لأجل الاشتغال بالحكم فلا وجه لأخذ الأجرة من جهة الخصوم، وإن كان الحاكم لا رزق له فعلى وجهين: أحدهما الإباحة؛ لأنه عمل مباح فهو كما لو حكماء؛ ولأنه مع عدم الرزق لا يتعين عليه الحكم فلا يمنع من أخذ الأجرة كالوصي وأمين الحاكم يأكلان من مال اليتيم بقدر الحاجة، وأما الرزق من بيت المال فإن كان غنيا لا حاجة له إليه احتمال أن يكره لئلا يضيق على أهل المصالح ويحتمل أن يباح لأنه بذل نفسه لذلك فصار كالعامل في الزكاة والخراج. بدائع الفوائد (٣/ ١٤٦).

الناس في بذل الأسباب على أربعة أقسام

قال رحمه الله: سمع بعض أهل العلم رجلا يدعو بالعافية فقال له: يا هذا استعمل الأدوية وادع بالعافية فإن الله تعالى إذا كان قد جعل إلى العافية طريقا وهو التداوي ودعوته بالعافية ربما كان جوابه قد عافيتك بما جعلته ووضعته سببا للعافية.

وما هذا إلا بمثابة من بين زرعه وبين الماء ثلثة يدخل منها الماء يسقي زرعه فجعل يصلي ويستسقي لزرعه ويطلب المطر مع قدرته على فتح تلك الثلثة لسقي زرعه؛ فإن ذلك لا يحسن منه شرعا ولا عقلا.

ولم يكن ذلك إلا لأنه سبق بإعطاء الأسباب فهو إعطاء بأحد الطريقين وله أن يعطي بسبب وبغير سبب وبالسبب ليتبين به ما أفاض من صنعه وما أودع في مخلوقاته من

القوى والطبائع والمنافع وإعطاؤه لغير سبب ليتبين للعباد أن القدرة غير مفتقرة إلى واسطة في فعله فإذا دعوته بالعافية فاستنقذ ما أعطاك من العتائد والأرزاق فإن وصلت بها وإلا فاطلب طلب من أفلس من مطلوبه فرغب إلى المعدن كما قال سيد الخلائق: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»^(١).

قلت: هذا كلام حسن وأكمل منه أن يبدل الأسباب ويسأل سؤال من لم يدل بشيء البتة والناس في هذا المقام أربعة أقسام:

فأعجزهم من لم يبدل السبب ولم يكثر الطلب فذاك أمهن الخلق.

والثاني: مقابلة، وهو أحزم الناس من أدلى بالأسباب التي نصبها الله تعالى مفضية إلى المطلوب، وسأل سؤال من لم يدل بسبب أصلاً، بل سؤال مفلس بائس ليس له حيلة ولا وسيلة.

والثالث: من استعمل الأسباب وصرف همته إليها وقصر نظره عليها، فهذا وإن كان له حظ مما رتبته الله تعالى عليها، لكنه منقوص منقطع نصب الآفات والمعارضات لا يحصل له إلا بعد جهد، فإذا حصل فهو وشيك الزوال سريع الانتقال غير معقب له توحيداً ولا معرفة ولا كان سبباً لفتح الباب بينه وبين معبوده.

الرابع: مقابلة، وهو رجل نبذ الأسباب وراء ظهره، وأقبل على الطلب والدعاء والابتغال، فهذا يحمده في موضع ويذمه في موضع ويشينه الأمر في موضع.

«١» انظر: ضعيف أبي داود (٢/ ٢٢٢) والإرواء (٢٠١٨)، للإمام الألباني رحمه الله.

فيحمد عند كون تلك الأسباب غير مأمور بها إذ فيها مضرة عليه في دينه، فإذا تركها وأقبل على السؤال والابتغال والتضرع لله كان محموداً، ويذم حيث كانت الأسباب مأموراً بها فتركها وأقبل على الدعاء، كمن حصره العدو وأمر بجهاده فترك جهاده وأقبل على الدعاء والتضرع أن يصرفه الله عنه، وكمن جهده العطش وهو قادر على تناول الماء فتركه وأقبل يسأل الله تعالى أن يرويه، وكمن أمكنه التدوي الشرعي فتركه وأقبل يسأل العافية ونظائر هذا. بدائع الفوائد (٣/ ١٧٨ - ١٨٠).

أربعة أنفس ولد كل منهم مائة ولد

قال رسول الله ﷺ: أربعة أنفس ولد كل منهم مائة ولد:

أنس بن مالك.

وعبد الله بن عمر الليثي.

وخليفة السعدي.

وجعفر بن سليمان الهاشمي. بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٣).

الآلات المأمور بمباشرتها من البدن لها أربعة أحوال

قال رسول الله ﷺ: المكلف بالنسبة إلى القدرة في الشيء المأمور به، والآلات المأمور

بمباشرتها من البدن؛ له أربعة أحوال:

أحدها: قدرته بهما، فحكمه ظاهرٌ، كالصحيح القادر على الماء، والحرُّ القادر على الرِّقبة

الكاملة.

الثانية: عجزه عنهما، كالمريض العادم للماء، والرقيق العادم للرِّقبة، فحكمه أيضاً ظاهرٌ.

الثالثة: قدرته بدينه وعجزه عن الأمور به، كالصحيح العادم للماء، والحر العاجز عن الرقبة في الكفارة، فحكمه الانتقال إلى بدله إن كان له بدل يقدر عليه، كالتيمم أو الصيام في الكفارة، ونحو ذلك، فإن لم يكن له بدل سقط عنه وجوبه، كالعريان العاجز عن ستر عورته في الصلاة فإنه يصلي ولا يعيد.

الرابعة: عجزه بدينه وقدرته على الأمور به أو بدله.

فهو مورد الإشكال في هذه الأقسام وله صور:

أحدها: العضوب الذي لا يستمسك على الراحلة وله مال يقدر أن يحج به عنه، فالصحيح وجوب الحج عليه بماله لقدرته على الأمور به، كان عجز عن مباشرته هو بنفسه، وهذا قول الأكثرين.

ونظيره: القادر على الجهاد مسألة العاجز بدينه، يجب عليه الجهاد بماله في أصح قوله العلماء، وهما روايتان منصوستان عن أحمد.

الصورة الثالثة: الشيخ الكبير العاجز عن الصوم القادر على الإطعام، فهذا يجب عليه الإطعام عن كل يوم مسكيناً في أصح أقوال العلماء.

الرابعة: المريض العاجز عن استعمال الماء، فهذا حكمه حكم العادم، ويتنقل إلى بدله، كالشيخ العاجز عن الصيام ينتقل إلى الإطعام.

وضابط هذا: أن المعجوز عنه في ذلك كله إن كان له بدل انتقل إلى بدله، وإن لم يكن له بدل سقط عنه وجوبه.

فإذا تمهّدت هذه القاعدة ففرّق بين العَجَز ببعض البدن والعجز عن بعض الواجب، فليسا سواءً، بل متى عَجَز ببعض البدن لم يسقط عنه حكم البعض الآخر، وعلى هذا إذا كان بعض بدنه جريحاً وبعضه صحيحاً، غسل الصحيح وتيمّم للجريح على المذهب الصحيح، كما دلّ عليه حديث الجريح. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٤/ ١٣٤٢).

الحقوق المالية الواجبة لله تعالى أربعة أقسام

قال رَحِمَهُ اللهُ: الحقوق المالية الواجبة لله تعالى أربعة أقسام:

أحدها: حقوق المال كالزكاة، فهذا يثبت في الذمة بعد التمكن من أدائه، فلو عَجَز عنه بعد ذلك لم يسقط، ولا يثبت في الذمة إذا عَجَز عنه وقت الوجوب، وألحق بهذا زكاة الفطر.

القسم الثاني: ما يجب بسبب الكفارة، ككفارة الأيمان والظهار والوطء في رمضان وكفارة القتل، فإذا عَجَز عنها وقت انعقاد أسبابها، ففي ثبوتها في ذمته إلى الميسرة أو سقوطها قولان مشهوران في مذهب الشافعي وأحمد.^(١)

القسم الثالث: ما فيه معنى ضمان المتلف، كجزاء الصيد، وألحق به فدية الحلق والطيب واللّباس في الإحرام، فإذا عَجَز عنه وقت وجوبه ثبت في ذمته تغليبا لمعنى الغرامة وجزاء المتلف، وهذا في الصيد ظاهر، وأما في الطيب وبابه فليس كذلك؛ لأنه

^(١) أحدهما وهو قول الجمهور: أن الكفارة لا تسقط بالإعسار كدين الأدمي.

والثاني: أنها تسقط لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ولأن الواجبات تسقط بالعجز عنها ولعلّ هذا القول أولى. انظر: نيل الأوطار (٤/ ٢٤٣). ولأنّ حقوق الله مبنية على المسامحة.

تَرْفُهُ لَا إِتْلَافٌ، إِذِ الشَّعَرُ وَالظُّفْرُ لَيْسَا بِمُتَفَيِّنَيْنِ، وَلَمْ تَجِبِ الْفِدْيَةُ فِي إِزَالَتِهِمَا فِي مُقَابَلَةِ الْإِتْلَافِ؛ لِأَنَّهَا لَوْ وَجِبَتْ لَكُونَهَا إِتْلَافًا لَتَقَيَّدَتْ بِالْقِيَمَةِ، وَلَا قِيَمَةٌ لَهُمَا وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ بَابِ التَّرَفُّهِ الْمَحْضِ كَتَغْطِيَةِ الرَّأْسِ وَاللَّبْسِ، فَأَيُّ إِتْلَافٍ هَاهُنَا؟! وَعَلَى هَذَا فَالرَّاجِحُ مِنَ الْأَقْوَالِ أَنَّ الْفِدْيَةَ فِي ذَلِكَ لَا تَجِبُ مَعَ النِّسْيَانِ وَالْجَهْلِ.

القسم الرابع: دَمُ النَّسْكِ كَالْمَتْعَةِ وَالْقِرَانِ^(١)، فَهَذِهِ إِذَا عَجَزَ عَنْهَا وَجِبَ عَلَيْهِ بِدَلْهَا مِنَ الصِّيَامِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْهَا تَرْتَبَ فِي ذِمَّتِهِ أَحَدُهُمَا، فَمَتَى قَدَرَ عَلَيْهِ لَزِمَهُ، وَهَلِ الْإِعْتِبَارُ بِحَالِ الْوُجُوبِ أَوْ بِأَغْلَظِ الْأَحْوَالِ؟ فِيهِ خِلَافٌ.

وَأَمَّا حَقُوقُ الْآدَمِيِّينَ؛ فَإِنَّهُ لَا تَسْقُطُ بِالْعَجْزِ عَنْهَا، لَكِنْ إِنْ كَانَ عَجْزُهُ بِتَفْرِيطٍ مِنْهُ فِي أَدَائِهَا طُوْلَبَ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأُخِذَ لِصَاحِبِهَا مِنْ حَسَنَاتِهِ.

وَإِنْ كَانَ عَجْزُهُ بِغَيْرِ تَفْرِيطٍ كَمَنْ احْتَرَقَ مَالُهُ، أَوْ غَرِقَ، أَوْ كَانَ الْإِتْلَافُ خَطَأً مَعَ عَجْزِهِ عَنْ ضَمَانِهِ، فَفِي إِشْغَالِ ذِمَّتِهِ بِهِ وَأَخْذِ أَصْحَابِهَا مِنْ حَسَنَاتِهِ نَظَرٌ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى كَلَامٍ شَافٍ لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٤ / ١٣٤٨).

العتب على أربع أمور

قال رحمه الله: وقول النبي ﷺ في دعاء الطائف: «لَكَ الْعُتْبَى»^(٢) هو اسم من الإعتاب لا من العتب، أي أنت المطلوب إعتابه، ولك علي أن أعتبك وأرضيك بطاعتك فافعل ما ترضى به عني وما يزول به عتبك علي، فالعتب منه علي عبده، والعتبي والإعتاب له من عبده فهنا أربعة أمور:

(١) أي: كدم حج التمتع وحج القران.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣ / ٧٣ / ١٨١) وهو في السلسلة الضعيفة برقم (٢٩٣٣).

الأول: العتب وهو من الله تعالى، فإن العبد لا يعتب على ربه، فإنه المحسن العادل، فلا يتصور أن يعتب عليه عبده إلا والعبد ظالم، ومن ظن من المفسرين خلاف ذلك، غلط أقبح غلط.

الثاني: الإعتاب وهو من الله ومن العبد باعتبارين، فإعتاب الله عبده إزالة عتب نفسه عن عبده، وإعتاب العبد ربه إزالة عتب الله عليه، والعبد لا قدرة له على ذلك إلا بتعاطي الأسباب التي يزول بها عتب الله تعالى عليه.

الثالث: استعتاب وهو من الله أيضا ومن العبد بالاعتبارين، فالله تعالى يستعتب عباده أي يطلب منهم أن يعتبوه ويزيلوا عتبة عليهم، ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه وقد وقعت الزلزلة بالكوفة: إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه، والعبد يستعتب ربه أي يطلب منه إزالة عتبه.

الرابع: العتبي وهي اسم الإعتاب، فاشدد يديك بهذا الفضل الذي يعصمك من تخييط كثير من المفسدين لهذه المواضع، ومنه قول النبي ﷺ: « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِيُضَرَّ نَزَلَ بِهِ »^(١) فأما محسن فعله أن يزداد وإما مسيء فعله أن يستعتب، أي يطلب من ربه إعتابه إياه بتوفيقه للتوبة وقبولها منه؛ فيزول عتبة عليه، والاستعتاب نظير الاسترضاء وهو طلب الرضى وفي الأثر: « إن العبد ليسترضي ربه فيرضى عنه »، وإن الله ليسترضي فيرضى، لكن الاسترضاء فوق الاستعتاب، فإنه طلب رضوان الله تعالى، والاستعتاب طلب إزالة غضبه وعتبه، وهما متلازمان. بدائع الفوائد (٤/ ١٨١).

«١» رواه البخاري برقم (٥٦٧١) ومسلم برقم (٢٦٨٠) عن أنس رضي الله عنه.

للأنفس أربع دور

قال رحمه الله: لهذه الأنفس أربع دور كل دار أعظم من التي قبلها:

الدار الأولى: في بطن الأم وذلك الحضر والضيق والغم والظلمات الثلاث

والدار الثانية: هي الدار التي نشأت فيها والفتها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب

السعادة والشقاوة.

والدار الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها إليه كنسبة هذه

الدار إلى الأولى.

والدار الرابعة: دار القرار وهي الجنة أو النار فلا دار بعدها والله ينقلها في هذه الدور

طبقاً بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي

خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن

غير شأن الدار الأخرى . الروح (ص: ١١٦).

للعبد أربع نشآت

قال رحمه الله: فللعبد أربع نشآت:

نشأة في الرحم، حيث لا بصير يُدرّكه. ولا يد تناؤه.

ونشأة في الدنيا.

ونشأة في البرزخ.

ونشأة في المعاد الثاني.

وكل نشأة أعظم من التي قبلها. وهذه النشأة للروح والقلب أصلاً، وللبدن تبعاً.

فللروح في هذا العالم نشأتان:

إِحْدَاهُمَا: النَّشَاءُ الطَّبِيعِيَّةُ الْمُشْتَرَكَةُ.

وَالثَّانِيَةُ: نَشَاءٌ قَلْبِيٌّ رُوحَانِيٌّ، يُوَلَّدُ بِهَا قَلْبُهُ، وَيَنْفَصِلُ عَنْ مَشِيمَةِ طَبْعِهِ، كَمَا وُلِدَ بَدَنُهُ وَانْفَصَلَ عَنْ مَشِيمَةِ الْبَطْنِ.

وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِهَذَا فَلْيَضْرِبْ عَنْ هَذَا صَفْحًا، وَلْيَسْتَغْلِ بِغَيْرِهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١٣٤).

خلق هذا النوع الإنساني على أربعة أضرب

قال رَحِمَهُ اللهُ: خلق هذا النوع الإنساني على أربعة أضرب:

أحدهما: لَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا مِنْ أُنْثَى كَادَمَ عليه السلام.

الثاني: مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى كَحَوَاءَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ.

الثالث: مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ كَالْمَسِيحِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الرابع: مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى كَسَائِرِ النَّوعِ. تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ٢٧٠).

فائدة: قال رَحِمَهُ اللهُ عن بعض السلف:

خَلَقَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ عُقُولًا بِلَا شَهْوَةٍ.

وَخَلَقَ الْبَهَائِمَ شَهْوَةً بِلَا عُقُولٍ.

وَخَلَقَ ابْنَ آدَمَ، وَرَكَّبَ فِيهِ الْعَقْلَ وَالشَّهْوَةَ.

فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتُهُ: اتَّحَقَّ بِالْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلُهُ: اتَّحَقَّ بِالْبَهَائِمِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٣٤). وانظر: الرسالة الثلاثية، باب: « في النفس ثلاثة دواع متجاذبة ».

الناس أربعة أقسام

قال رَحِمَهُ اللهُ: فالناس أربعة أقسام:

ضال في علمه، غاو في قصده وعلمه، وهؤلاء شرار الخلق وهم مخالفوا الرسل.

الثاني: مهتد في علمه، غاو في قصده وعمله، وهؤلاء هم الأمة الغضبية ومن تشبه بهم، وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به.

الثالث: ضال في علمه، ولكن قصده الخير وهو لا يشعر.

الرابع: مهتد في علمه راشد في قصده، وهؤلاء ورثة الأنبياء، وهم وإن كانوا الأقلين عدداً فهم الأكثرون عند الله قدراً، وهم صفوة الله من عباده وحزبه من خلقه.

وتأمل كيف قال سبحانه: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ [النجم: ٢] ولم يقل ما ضل محمد تأكيداً لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه أمراً واحداً قط وقد نبه على هذا المعنى بقوله: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾ [المؤمنون: ٦٩] وبقوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ ﴾

﴿ بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ٢٢]. التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٤٦).

رُباعيات في المرأة

قال رَحِمَهُ اللهُ: ومن محاسن المرأة: اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من

العيوب.

وإنما يستحب الضيق منها في **أربعة** مواضع: فيها، وخرق أذنها، وانفها، وما هنالك.

ويستحب السعة منها في **أربعة** مواضع: وجهها، وصدرها، وكاهلها، وهو ما بين كتفيها

وجبهتها.

ويستحسن البياض منها في **أربعة** مواضع: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها.

ويستحب السواد منها في **أربعة** مواضع: عينها، وحاجبها، وهدبها، وشعرها.

ويستحب الطول منها في **أربعة**: قوامها، وعنقها، وشعرها، وبنانها.

ويستحب القصر منها في **أربعة**: وهي معنوية، لسانها، يدها، ورجلها، وعينها، فتكون

قاصر الطرف، قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله.

وتستحب الدقة منها في **أربعة**: خصرها، وفرقها، وحاجبها، وأنفها. حادي الأرواح إلى بلاد

الأفراح (ص: ٢١٩).

كمال الإيمان في أربعة أمور

قال رَحِمَهُ اللهُ: وملاك هذا الشأن - مشهد التقصير - **أربعة أمور:** **نِيَّةٌ صَحِيحَةٌ، وَقُوَّةٌ**

عالية، يقارنهما، **رَغْبَةٌ، وَرَهْبَةٌ.**

فَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ هِيَ قَوَاعِدُ هَذَا الشَّانِ، وَمَهُمَا دَخَلَ عَلَى الْعَبْدِ مِنَ النَّقْصِ فِي إِيْمَانِهِ

وَأَحْوَالِهِ وَظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ فَهُوَ مِنْ نُقْصَانِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَوْ نُقْصَانِ بَعْضِهَا، فَلْيَتَأَمَّلِ اللَّيِّيبُ

هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ الْأَشْيَاءَ وَلِيَجْعَلْهَا سِيرَهُ وَسُلُوكَهُ وَيَبْنِي عَلَيْهَا عُلُومَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ

وَأَحْوَالَهُ فَمَا نَتَجُ مِنْ نَتَجٍ إِلَّا مِنْهَا وَلَا تَخْلَفُ مِنْ تَخْلَفٍ إِلَّا مِنْ فَقْدِهَا. رسالة ابن القيم إلى أحد

إخوانه (ص: ٤٦).

داعي الحب من المحب أربعة أشياء

قال رحمه الله: داعي الحب من المحب أربعة أشياء:

أولها: النظر إما بالعين أو بالقلب إذا وصف له فكثير من الناس يحب غيره ويفنى فيه محبة وما رآه لكن وصف له ولهذا نهى النبي ﷺ المرأة أن تنعت المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها والحديث في الصحيح.

الثاني: الاستحسان فإن لم يورث نظره استحسانا لم تقع المحبة.

الثالث: الفكر في المنظور وحديث النفس به فإن شغل عنه بغيره مما هو أهم عنده منه لم يعلق حبه بقلبه وإن كان لا يعدم خطرات وسوانح ولهذا قيل العشق حركة قلب فارغ ومتى صادف هذا النظر والاستحسان والفكر قلبا خاليا تمكن منه كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فإن قيل فهل يتوقف على الطمع في الوصول إلى المحبوب أم لا قيل الناس في هذا على أقسام منهم من يعشق الجمال المطلق فقلبه معلق به إن استقلت ركائبه وإن حلت مضاربه وهذا لا يتوقف عشقه على الطمع ومنهم من يعشق الجمال المقيد سواء طمعت نفسه في وصاله أم لم تطمع ومنهم من لا يعشق إلا من طمعت نفسه في وصاله فإن يئس منه لم يعلق حبه بقلبه والأقسام الثلاثة واقعة في الناس، فإذا وجد النظر والاستحسان والفكر، والطمع هاجت بلابله وأمكن من معشوقه مقاتله واستحكم دأؤه وعجز عن الأطباء دواؤه:

تالله ما أسر الهوى من عاشق * إلا وعز على النفوس فكاكه

وإذا كان النظر مبدأ العشق فحقيق بالمطلق أن لا يعرض نفسه للإسار الدائم بواسطة عينه وإذا قد أفضى بنا الكلام إلى النظر فلنذكر حكمه وغائلته. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٩٠).

الركعة الثانية كالأولى إلا في أربعة أشياء

قال رحمه الله: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي -الركعة- الثَّانِيَةَ كَالْأُولَى سَوَاءً، إِلَّا فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

الشُّكُوتِ، وَالِاسْتِفْتَا حَ، وَتَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ، وَتَطْوِيلُهَا كَالْأُولَى، فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ لَا يَسْتَفْتِحُ، وَلَا يَسْكُتُ، وَلَا يُكَبِّرُ لِلْإِحْرَامِ فِيهَا، وَيَقْصُرُهَا عَنِ الْأُولَى، فَتَكُونُ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنْهَا فِي كُلِّ صَلَاةٍ كَمَا تَقَدَّمَ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٢٣٥).

مؤذني النبي ﷺ أربعة

قال رحمه الله: مُؤَذِّنِيهِ ﷺ أَرْبَعَةٌ: اثْنَانِ بِالْمَدِينَةِ: **بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ**، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدَّنَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، **وعمر بن أم مكتوم** القرشي العامري الأعمى، وَبِقُبَاءٍ: **سعد القرظ** مَوْلَى عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَبِمَكَّةَ: **أبو محذورة**، واسمه أوس بن مغيرة الجمحي، وَكَانَ أَبُو مَحْذُورَةَ مِنْهُمْ يُرْجِعُ الْأَذَانَ، وَيُسَنِّي الْإِقَامَةَ، وَبِلَالٌ لَا يُرْجِعُ، وَيُفْرِدُ الْإِقَامَةَ.

فَأَخَذَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَهْلُ مَكَّةَ بِأَذَانِ أَبِي مَحْذُورَةَ، وَإِقَامَةَ بِلَالٍ، وَأَخَذَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ بِأَذَانِ بِلَالٍ، وَإِقَامَةَ أَبِي مَحْذُورَةَ، وَأَخَذَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ بِأَذَانِ بِلَالٍ وَإِقَامَتِهِ، وَخَالَفَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ: إِعَادَةَ التَّكْبِيرِ: وَتَثْنِيَةَ لَفْظِ الْإِقَامَةِ، فَإِنَّهُ لَا يُكْرَرُهَا. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٢٠).

أسفار النبي ﷺ على أربعة أقسام

قال رسول الله: كَانَتْ أَسْفَارُهُ ﷺ دَائِرَةً بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَسْفَارٍ:

سَفَرُهُ لِهَجْرَتِهِ.

وَسَفَرُهُ لِلْجِهَادِ، وَهُوَ أَكْثَرُهَا.

وَسَفَرُهُ لِلْعُمْرَةِ.

وَسَفَرُهُ لِلْحَجِّ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١ / ٤٤٤).

قصد اللفظ وعدمه على مراتب أربع

قال رسول الله: وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ الْفَرْقُ بَيْنَ مَنْ قَصَدَ اللَّفْظَ وَهُوَ عَالِمٌ بِهِ وَلَمْ يَرِدْ حُكْمُهُ،

وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يَقْصِدِ اللَّفْظَ وَلَمْ يَعْلَمْ مَعْنَاهُ، فَالْمَرَاتِبُ الَّتِي اعْتَبَرَهَا الشَّارِعُ أَرْبَعَةٌ:

إِحْدَاهَا: أَنْ لَا يَقْصِدَ الْحُكْمَ وَلَا يَتَلَفَّظَ بِهِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ لَا يَقْصِدَ اللَّفْظَ وَلَا حُكْمَهُ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَقْصِدَ اللَّفْظَ دُونَ حُكْمِهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يَقْصِدَ اللَّفْظَ وَالْحُكْمَ فَلْأَوَّلِيَانِ لَغْوٌ، وَالْآخِرَتَانِ مُعْتَبِرَتَانِ. هَذَا الَّذِي

اسْتَفِيدَ مِنْ مَجْمُوعِ نُصُوصِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَعَلَى هَذَا فَكَلَامُ الْمُكْرَهِ كُلُّهُ لَغْوٌ لَا عِبْرَةَ بِهِ، وَقَدْ

دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَكْرَهَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ لَا يَكْفُرُ وَمَنْ أَكْرَهَ عَلَى الْإِسْلَامِ لَا

يَصِيرُ بِهِ مُسْلِمًا، وَدَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ تَجَاوَزَ عَنِ الْمُكْرَهِ فَلَمْ يُؤَاخِذْهُ بِمَا أَكْرَهَ

عَلَيْهِ، وَهَذَا يُرَادُ بِهِ كَلَامُهُ قَطْعًا، وَأَمَّا أَفْعَالُهُ، فَفِيهَا تَفْصِيلٌ، فَمَا أُبِيحَ مِنْهَا بِالْإِكْرَاهِ فَهُوَ

مُتَجَاوِزٌ عَنْهُ كَالْأَكْلِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَالْعَمَلِ فِي الصَّلَاةِ وَلُبْسِ الْمَخِيطِ فِي الْإِحْرَامِ

وَنَحْوِ ذَلِكَ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٥ / ١٨٦).

الطلاق من حيث الحل والحرمة على أربعة أوجه

قال رحمه الله: أَنْوَاعُ الطَّلَاقِ مِنْ حَيْثُ الْحَلِّ وَالْحُرْمَةِ:

فَتَضْمَنَ هَذَا الْحُكْمُ أَنَّ الطَّلَاقَ عَلَى أَرْبَعِهِ أَوْجُهُ: وَجْهَانِ حَلَالٌ، وَوَجْهَانِ حَرَامٌ.
فَالْحَلَالَانِ: **أَنْ يُطْلَقَ** امْرَأَتُهُ طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، **أَوْ يُطْلَقَهَا** حَامِلًا مُسْتَبِينًا حَمْلُهَا.
وَالْحَرَامَانِ: **أَنْ يُطْلَقَهَا** وَهِيَ حَائِضٌ، **أَوْ يُطْلَقَهَا** فِي طَهْرِ جَامِعِهَا فِيهِ هَذَا فِي طَلَاقِ
الْمَدْخُولِ بِهَا.

وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا، فَيَجُوزُ طَلَاقُهَا حَائِضًا وَطَاهِرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ **إِعْدَتِهِنَّ**﴾ [الطلاق: ١]، وَهَذِهِ لَا عِدَّةَ لَهَا، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ بِقَوْلِهِ: «فَإِنَّكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطْلَقَ لَهَا النِّسَاءُ»^(١)، وَلَوْلَا هَاتَانِ الْآيَتَانِ اللَّتَانِ
فِيهِمَا إِبَاحَةُ الطَّلَاقِ قَبْلَ الدُّخُولِ، لَمَنَعَ مِنْ طَلَاقِ مَنْ لَا عِدَّةَ لَهُ عَلَيْهَا. زاد المعاد (٥/ ١٩٩).

جهات ثبوت النسب أربعة

قال رحمه الله: وَجِهَاتُ ثُبُوتِ النَّسَبِ أَرْبَعَةٌ: **الْفِرَاشُ**، **وَالِإِسْتِلْحَاقُ**، **وَالْبَيْتَةُ**، **وَالْقَافَةُ**،
فَالثَّلَاثَةُ الْأُولَى مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا، وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ النَّكَاحَ يَثْبُتُ بِهِ الْفِرَاشُ، وَاخْتَلَفُوا
فِي التَّسْرِي فَجَعَلَهُ جُمْهُورُ الْأُمَّةِ مُوجِبًا لِلْفِرَاشِ، وَاحْتَجُّوا بِصَرِيحِ حَدِيثِ عَائِشَةَ

(١) رواه البخاري برقم (٥٣٣٢) ومسلم برقم (١٤٧١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الصَّحِيحُ^(١)، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى بِالْوَلَدِ لَزْمَةَ، وَصَرَّحَ بِأَنَّهُ صَاحِبُ الْفِرَاشِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ عِلَّةً لِلْحُكْمِ بِالْوَلَدِ لَهُ، فَسَبَبُ الْحُكْمِ وَمَحَلُّهُ إِنَّمَا كَانَ فِي الْأُمَّةِ، فَلَا يَجُوزُ إِخْلَاءُ الْحَدِيثِ مِنْهُ وَحَمْلُهُ عَلَى الْحُرَّةِ الَّتِي لَمْ تُذَكَّرِ الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا كَانَ الْحُكْمُ فِي غَيْرِهَا، فَإِنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ إِغْيَاءَ مَا اعْتَبَرَهُ الشَّارِعُ وَعَلَّقَ الْحُكْمَ بِهِ صَرِيحًا، وَتَعْطِيلَ مَحَلِّ الْحُكْمِ الَّذِي كَانَ لِأَجْلِهِ وَفِيهِ.

ثُمَّ لَوْ لَمْ يَرِدِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِيهِ لَكَانَ هُوَ مُقْتَضَى الْمِيزَانِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَهُوَ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلِينَ، فَإِنَّ السَّرِيَّةَ فِرَاشٌ حِسًّا وَحَقِيقَةً وَحُكْمًا، كَمَا أَنَّ الْحُرَّةَ كَذَلِكَ، وَهِيَ تُرَادُّ لِمَا تُرَادُّ لَهُ الزَّوْجَةُ مِنَ الْإِسْتِمْتَاعِ وَالْإِسْتِيلَادِ، وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَرْغَبُونَ فِي السَّرَارِيِّ لِإِسْتِيلَادِهِنَّ وَاسْتِفْرَاشِهِنَّ، وَالزَّوْجَةُ إِنَّمَا سُمِّيَتْ فِرَاشًا لِمَعْنَى هِيَ وَالسَّرِيَّةُ فِيهِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٥ / ٣٦٨).

يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء

قال رحمه الله: وقيل: أقل ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء:

عِلْمٌ يَسُوءُهُ.

وَوَرَعٌ يَحْجِرُهُ.

وَيَقِينٌ يَحْمِلُهُ.

وَذِكْرٌ يُؤْنِسُهُ.

طريق الهجرتين وباب السعادتین (ص: ٤٩).

وقال رحمه الله: وقيل: أَرَكَا الْفَقْرُ أَرْبَعَةً:

«١» رواه البخاري برقم (٢٠٥٣) ومسلم برقم (١٤٥٧) عن عائشة رضي الله عنها.

عِلْمٌ يَسُوسُهُ.

وَوَرَعٌ يَخْرِجُهُ.

وَيَقِينٌ يَحْمِلُهُ.

وَذِكْرٌ يُؤْنِسُهُ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٤١٢).

لا يقوم صلاح العبد إلا بأربعة أمور

قال **رَحِمَهُ اللهُ**: فيها هنا أربعة أشياء:

أمر محبوب مطلوب الوجود.

والثاني: أمر مكروه مطلوب العدم.

والثالث: الوسيلة إلى حصول المحبوب.

والرابع: الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد بل ولكل حي سوى الله، لا يقوم صلاحه إلا بها إذا عرف هذا فالله سبحانه وتعالى هو المطلوب المعبود المحبوب وحده لا شريك له، وهو وحده المعين للعبد على حصول مطلوبه، فلا معبود سواه ولا معين على المطلوب غيره، وما سواه هو المكروه المطلوب بعده وهو المعين على دفعه.

فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه، وهذا معنى قول العبد: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ**

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ، فإن هذه العبادة تتضمن المقصود المطلوب على

أكمل الوجوه، والمستعان هو الذى يستعان به على حصول المطلوب ودفع المكروه.

طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٥٥).

تظهر صدق محبة المحب لله تعالى في أربعة مواطن

قال رحمه الله: فقرة تعلق المحب بمحبوبه توجب له أن لا يستقر قلبه دون الوصول إليه، وكلما هدأت حركاته وقلت شواغله اجتمعت عليه شئون قلبه، بل قوي سيره إلى محبوبه.

ومحك هذا الحال يظهر في مواطن أربعة:

أحدها: عند أخذ مضجعه وتفرغ حواسه وجوارحه الشواغل، واجتماع قلبه على ما يحبه. فإنه لا ينام إلا على ذكر من يحبه وشغل قلبه به.

الموطن الثاني: عند انتباهه من النوم، فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه. فإنه إذا استيقظ وردت إليه روحه رد معها إليه ذكر محبوبه الذي كان قد غاب عنه في النوم. ولكن كان قد خالط روحه وقلبه، فلما ردت إليه الروح أسرع من الطرف رد إليه ذكر محبوبه متصلاً بها، مصاحباً لها.

فورد عليه قبل كل وارد، وهجم عليه قبل كل طارق. فإذا وردت عليه الشواغل والقواطع وردت على محل ممتليء بمحبة ما يحبه فوردت على ساحته من ظاهرها، فإذا قضى وطره منها قضاه بمصاحبتة لما في قلبه من الحب.

فإنه قد لزمه ملازمة الغريم لغريمه ولذلك يسمى غراماً، وهو الحب اللازم الذي لا يفارق: فسمع بمحبوه وأبصر به وبطش به ومشى به، فصار محبوبه في وجوده، في محل سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. هذا مثل محبوبه في وجوده وهو غير متحد به، بل هو قائم بذاته مباين له.

وهذا المعنى مفهوم بين الناس لا ينكره منهم إلا غليظ الحجاب، أو قليل العلم، ضعيف العقل، يجد محبوبه قد استولى على قلبه وذكره، فيظن أنه هو نفس ذاته الخارجة قد اتحدت به أو حلت فيه، فينشأ من قسوة الأول وكثافته غلظ حجاب، ومن قله علم الثاني ومعرفته وضعف تمييزه ضلال الحلول والاتحاد وضلال الإنكار والتعطيل والحرمان، ويخرج للبصير من بين فرث هذا ودم هذا لبن الفطرة الأولى خالصاً سائغاً للشاربين.

الموطن الثالث: عند دخوله في الصلاة، فإنها محك الأحوال وميزان الإيمان، بها يوزن إيمان الرجل و يتحقق حاله ومقامه ومقدار قربه من الله ونصيبه منه، فإنها محل المناجاة والقربة ولا واسطة فيها بين العبد وبين ربه، فلا شيء أقر لعين المحب ولا ألد لقلبه ولا أنعم لعيشه منها إن كان محباً فإنه لا شيء أثر عند المحب ولا أطيّب له من خلوته بمحبوبه ومناجاته له ومثوله بين يديه، وقد أقبل بقلبه على محبوبه، وكان قبل ذلك معذباً بمقاساة الأغيار ومواصلة الخلق والاشتغال بهم فإذا قام إلى الصلاة هرب من سوى الله إليه وأوى عنده واطمأن بذكره وقرت عينه بالمثل بين يديه ومناجاته، فلا شيء أهم إليه من الصلاة، كأنه في سجن وضيق وغم حتى تحضر الصلاة فيجد قلبه قد انفسخ وانشرح واستراح، كما قال النبي ﷺ لبلال: « يَا بَلَّالُ، أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ »، ولم يقل: أرحنا منها، كما يقول المبطلون الغفلون.

وقال بعض السلف: ليس بمستكمل الإيمان من لم يزل في هم وغم حتى تحضر الصلاة فيزول همه وغمه، أو كما قال. فالصلاة قرّة عيون المحبين وسرور أرواحهم، ولذة قلوبهم، وبهجة نفوسهم، يحملون هم الفراغ منها إذا دخلوا فيها كما يحمل الفارغ البطل همها حتى يقضيها بسرعة، فلهم فيها شأن وللنفارين شأن، يشكون إلى الله سوء صنيعهم بها إذا ائتموا بهم، كما يشكوا الغافل وللنقارين شأن يشكون إلى الله سوء صنيعهم بها إذا ائتموا بهم كما يشكوا المعرض تطويل إمامه، فسبحان من فاضل بين النفوس وفاوت بينها هذا التفاوت العظيم.

وبالجملة فمن كان قرّة عينه في الصلاة فلا شيء أحب إليه ولا أنعم عنده منها، ويودّ أن لو قطع عمره بها غير مشغل بغيرها، وإنما يسلى نفسه إذا فارقتها بأنه سيعود إليها عن قرب فهو دائماً يثوب إليها ولا يقضي منها وطراً، فلا يزن العبد إيمانه ومحبه لله بمثل ميزان الصلاة، فإنها الميزان العادل، الذي وزنه غير عائل.

الموطن الرابع: عند الشدائد والأحوال، فإن القلب في هذا الموطن لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه، ولا يهرب إلا إلى محبوبه الأعظم عنده. ولهذا كانوا يفتخرون بذكرهم من يحبونهم عند الحرب واللقاء، وهو كثير في أشعارهم كما قال:

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منى المثقفة السمر

وقال غيره:

ولقد ذكرتك والرماح كأنها * أشطان بئر في لبان الأدهم

وقد جاء في بعض الآثار: يقول تبارك وتعالى: « إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِي الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنُهُ يَعْنِي: عِنْدَ الْقِتَالِ »^(١)، والسر في هذا - والله أعلم - أن عند مصائب الشدائد والأهوال يشتد خوف القلب من فوات أحب الأشياء إليه، وهي حياته التي لم يكن يؤثرها إلا لقربه من محبوبه، فهو إنما يحب حياته لتنعمه بمحبوبه، فإذا خاف فوتها بدر إلى قلبه ذكر المحبوب الذي يفوت بفوات حياته. طريق الهجرتين وباب السعادتین (ص: ٣٠٦).

قيام الحجة مبنية على أربعة أصول

قال رحمه الله: إن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول. هذا في الجملة والتعيين موكول إلى علم الله عز وجل وحكمه هذا في أحكام الثواب والعقاب.

وأما في أحكام الدنيا فهي جارية مع ظاهر الأمر فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم. وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة. وهو مبني على أربعة أصول:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾^(٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴿ [الملك: ٨ - ٩]، وقال تعالى: ﴿ فَأَعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ

﴿ ١١ ﴾ [الملك: ١١] ، وقال تعالى: ﴿ يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ

يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَوةُ

الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿ ١٣٠ ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ، وهذا كثير في

القرآن، يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة، وهو المذنب الذي

يعترف بذنبه، وقال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ ٧٦ ﴾ [الزخرف: ٧٦] ،

والظالم من عرف ما جاء به الرسول أو تمكن من معرفته، وأما من لم يكن عنده من

الرسول خبراً أصلاً ولا يمكن من معرفته بوجه وعجز عن ذلك فكيف يقال إنه ظالم؟

الأصل الثاني: أن العذاب يستحق بسببين، أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم

إرادة العلم بها وبموجبها. الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها. فالأول كفر

إعراض والثاني كفر عناد. وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من

معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل.

الأصل الثالث: أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص فقد

تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان وفي بقعة وناحية دون أخرى كما أنها تقوم

على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون وإما لعدم فهمه

كالذي لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له. فهذا بمنزلة الأصم الذي لا

يسمع شيئاً ولا يتمكن من الفهم، وهو أحد الأربعة الذين يدلون على الله بالحجة يوم

القيامة كما تقدم في حديث الأسود وأبي هريرة وغيرهما.

الأصل الرابع: أن أفعال الله سبحانه وتعالى تابعة لحكمته التي لا يخل بها سبحانه، وأنها مقصودة لغايتها المحمودة وعواقبها الحميدة. وهذا الأصل هو أساس الكلام في هذه الطبقات الذي عليه نبني مع تلقي أحكامها من نصوص التكاب والسنة لا من أراء الرجال وعقولهم ولا يدري عدد الكلام في هذه الطبقات، إلا من عرف ما في كتب الناس ووقف على أقوال الطوائف في هذا الباب والنهي إلى غاية مراتبهم ونهاية إقدامهم، والله الموفق للسداد الهادي إلى الرشاد.

وأما من لم يثبت حكمة ولا تعليلاً، ورد الأمر إلى محض المشيئة التي ترجح أحد المثلين على الآخر بلا مرجح، فقد أراح نفسه من هذا المقام الضنك واقتحام عقبات هذه المسائل العظيمة، وأدخلها كلها تحت قوله: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ (٢٣)

﴿[الأنبياء: ٢٣] ، وهو الفعال لما يريد، وصدق الله وهو أصدق القائلين: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] لكمال حكمته وعلمه ووضع الأشياء مواضعها، وأنه ليس في أفعاله خلل ولا عبث ولا فساد يسأل عنه كما يسأل المخلوق، وهو الفعال لما يريد ولكن لا يريد أن يفعل إلا ما هو خير ومصلحة ورحمة وحكمة، فلا يفعل الشر ولا الفساد ولا الجور ولا خلاف مقتضى حكمته، لكمال أسمائه وصفاته، وهو الغني الحميد العليم الحكيم. طريق الهجرتين وباب السعادتین (ص: ٤١٣).

الصفة متى قامت بموصوفٍ لزمها أربعة أمور

قال رحمه الله: أن الصفة متى قامت بموصوفٍ لزمها أمورٌ أربعة: **أمران** لفظيان، و**أمران**

معنويان.

فاللفظيان: **ثبوتي** و**سلبى**، فالثبوتى: أن يشتق للموصوف منها اسمٌ. والسلبى: أن يمتنع الاشتقاق لغيره.

والمعنويان: **ثبوتى** و**سلبى**؛ فالثبوتى: أن يعود حكمها إلى الموصوف ويخبر بها عنه. والسلبى أن لا يعود حكمها إلى غيره ولا يكون خبراً عنه.

وهي قاعدة عظيمة في معرفة الأسماء والصفات، فلنذكر من ذلك مثلاً واحداً وهو صفةُ الكلام. فإنَّها إذا قامت بمحل كان هو المتكلم دون من لم تقم به، وأُخبر عنه بها وعاد حكمها إليه دون غيره، فيقال: قال، وأمر، ونهى، ونادى، وناجى، وأخبر، وخاطب، وتكلم، وكلم، ونحو ذلك، وامتنعت هذه الأحكام لغيره فيستدل بهذه الأحكام والأسماء على قيام الصفة به وسلبها عن غيره على عدم قيامها به، وهذا هو أصل السنة الذي ردوا به على المعتزلة والجهمية وهو من أصح الأصول طرداً وعكساً. **فائدة جلية في قواعد الأسماء الحسنى (ص: ٣٧).**

الأسباب مع مسبباتها على أربعة أنواع

قال رحمه الله: وَالْأَسْبَابُ مَعَ مُسَبِّبَاتِهَا أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

مَحْبُوبٌ يُفْضِي إِلَى مَحْبُوبٍ.

وَمَكْرُوهٌ يُفْضِي إِلَى مَحْبُوبٍ، وَهَذَانِ النَّوعَانِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ أَقْضِيَّتِهِ وَأَقْدَارِهِ سُبْحَانَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَمَا يَكْرَهُهُ.

وَالثَّالِثُ: مَكْرُوهُ يُفْضِي إِلَى مَكْرُوهِ.

وَالرَّابِعُ: مَحْبُوبٌ يُفْضِي إِلَى مَكْرُوهِ، وَهَذَانِ النَّوعَانِ مُمْتَنِعَانِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ، إِذِ الْغَايَاتُ الْمَطْلُوبَةُ مِنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ الَّذِي مَا خَلَقَ مَا خَلَقَ، وَلَا قَضَى مَا قَضَى إِلَّا لِأَجْلِ حُصُولِهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مَحْبُوبَةً لِلرَّبِّ مَرْضِيَّةً لَهُ. وَالْأَسْبَابُ الْمُوصِلَةُ إِلَيْهَا مُنْقَسِمَةٌ إِلَى مَحْبُوبٍ لَهُ وَمَكْرُوهِ لَهُ. فَالطَّاعَاتُ وَالتَّوْحِيدُ أَسْبَابٌ مَحْبُوبَةٌ لَهُ، مُوصِلَةٌ إِلَى الْإِحْسَانِ، وَالثَّوَابُ الْمَحْبُوبُ لَهُ أَيْضًا.

وَالشُّرُكُ وَالْمَعَاصِي أَسْبَابٌ مَسْخُوطَةٌ لَهُ، مُوصِلَةٌ إِلَى الْعَدْلِ الْمَحْبُوبِ لَهُ، وَإِنْ كَانَ الْفَضْلُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتِمَاعُ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ انْفِرَادِ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، لِمَا فِيهِمَا مِنْ كَمَالِ الْمُلْكِ وَالْحَمْدِ، وَتَنَوُّعِ الشَّأْنِ، وَكَمَالِ الْقُدْرَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: كَانَ يُمَكِّنُ حُصُولَ هَذَا الْمَحْبُوبِ مِنْ غَيْرِ تَوْسِطِ الْمَكْرُوهِ. مدارج السالكين بين منازل

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (١/ ٤٢١).

حسن الخلق يقوم على أربعة أركان

قال رسول الله ﷺ: وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَقُومُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ لَا يَتَصَوَّرُ قِيَامُ سَاقِهِ إِلَّا عَلَيْهَا:

الصَّبْرُ، وَالْعِفَّةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْعَدْلُ.

فَالصَّبْرُ: يَحْمِلُهُ عَلَى الْإِحْتِمَالِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَكَفِّ الْأَذَى، وَالْحِلْمُ وَالْأَنَانَةُ وَالرَّفْقُ، وَعَدَمُ الطَّيْشِ وَالْعَجَلَةِ.

وَالْعِفَّةُ: تَحْمِلُهُ عَلَى اجْتِنَابِ الرِّذَائِلِ وَالْقَبَائِحِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى الْحَيَاءِ. وَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ. وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ، وَالْبُخْلِ وَالْكَذِبِ، وَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ.

وَالشَّجَاعَةُ: تَحْمِلُهُ عَلَى عِزَّةِ النَّفْسِ، وَإِثَارِ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ، وَعَلَى الْبَذْلِ وَالنَّدَى، الَّذِي هُوَ شَجَاعَةُ النَّفْسِ وَقُوَّتُهَا عَلَى إِخْرَاجِ الْمَحْبُوبِ وَمُفَارَقَتِهِ. وَتَحْمِلُهُ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَالْحِلْمِ. فَإِنَّهُ بِقُوَّةِ نَفْسِهِ وَشَجَاعَتِهَا يُمَسِّكُ عِنَانَهَا، وَيَكْبَحُهَا بِلِجَامِهَا عَنِ التَّرَفُّعِ وَالْبَطْشِ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ: الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسُهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^١ وَهُوَ حَقِيقَةُ الشَّجَاعَةِ، وَهِيَ مَلَكَةٌ يَفْتَدِرُ بِهَا الْعَبْدُ عَلَى قَهْرِ خَصْمِهِ. وَالْعَدْلُ: يَحْمِلُهُ عَلَى اعْتِدَالِ أَخْلَاقِهِ، وَتَوَسُّطِهِ فِيهَا بَيْنَ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ. فَيَحْمِلُهُ عَلَى خُلُقِ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ الَّذِي هُوَ تَوَسُّطٌ بَيْنَ الذُّلِّ وَالْفِحَةِ. وَعَلَى خُلُقِ الشَّجَاعَةِ، الَّذِي هُوَ تَوَسُّطٌ بَيْنَ الْجُبْنِ وَالتَّهَوُّرِ. وَعَلَى خُلُقِ الْحِلْمِ، الَّذِي هُوَ تَوَسُّطٌ بَيْنَ الْغَضَبِ وَالْمَهَانَةِ وَسُقُوطِ النَّفْسِ.

وَمَنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ.

وَمَنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ السَّافِلَةِ، وَبِنَاوُهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ: الْجَهْلُ. وَالظُّلْمُ. وَالشَّهْوَةُ. وَالْغَضَبُ.

فَالْجَهْلُ: يُرِيهِ الْحَسَنَ فِي صُورَةِ الْقَبِيحِ، وَالْقَبِيحَ فِي صُورَةِ الْحَسَنِ. وَالْكَمَالَ نَقْصًا وَالنَّقْصَ كَمَالًا.

وَالظُّلْمُ: يَحْمِلُهُ عَلَى وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. فَيَغْضَبُ فِي مَوْضِعِ الرِّضَا. وَيَرْضَى فِي مَوْضِعِ الْغَضَبِ. وَيَجْهَلُ فِي مَوْضِعِ الْأَنَاءِ. وَيَبْخُلُ فِي مَوْضِعِ الْبَذْلِ. وَيَبْذُلُ فِي مَوْضِعِ الْبُخْلِ. وَيُحْجِمُ فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ. وَيُقَدِّمُ فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ. وَيَلِينُ فِي

مَوْضِعِ الشَّدَّةِ. وَيَشْتَدُّ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ. وَيَتَوَاضِعُ فِي مَوْضِعِ الْعِزَّةِ. وَيَتَكَبَّرُ فِي مَوْضِعِ التَّوَاضُعِ.

وَالشَّهْوَةُ: تَحْمِلُهُ عَلَى الْحِرْصِ وَالشُّحِّ وَالْبُخْلِ، وَعَدَمِ الْعِفَّةِ وَالنَّهْمَةِ وَالْجَشَعِ، وَالذُّلِّ وَالِدَّنَاءَاتِ كُلِّهَا.

وَالْغَضَبُ: يَحْمِلُهُ عَلَى الْكِبَرِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ، وَالْعُدْوَانِ وَالسَّفَهَةِ. وَيَتَرَكَّبُ مِنْ بَيْنِ كُلِّ خُلُقَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ: أَخْلَاقٌ مَذْمُومَةٌ.

وَمَلَكَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ أَصْلَانِ: إِفْرَاطُ النَّفْسِ فِي الضَّعْفِ، وَإِفْرَاطُهَا فِي الْقُوَّةِ. فَيَتَوَلَّدُ مِنْ إِفْرَاطِهَا فِي الضَّعْفِ: الْمَهَانَةُ وَالْبُخْلُ، وَالْخِسَّةُ وَاللُّؤْمُ، وَالذُّلُّ وَالْحِرْصُ، وَالشُّحُّ وَالسَّفْسَافُ الْأُمُورِ وَالْأَخْلَاقِ.

وَيَتَوَلَّدُ مِنْ إِفْرَاطِهَا فِي الْقُوَّةِ: الظُّلْمُ وَالْغَضَبُ وَالْحِدَّةُ، وَالْفُحْشُ وَالطَّيِّشُ.

وَيَتَوَلَّدُ مِنْ تَزَوُّجِ أَحَدِ الْخُلُقَيْنِ بِالْآخَرِ أَوْلَادُ غِيَّةٍ كَثِيرُونَ. فَإِنَّ النَّفْسَ قَدْ تَجَمَّعَ قُوَّةٌ وَضَعْفًا. فَيَكُونُ صَاحِبُهَا أَجْبَرَ النَّاسِ إِذَا قَدَرَ، وَأَذْلَهُمْ إِذَا فُهِرَ، ظَالِمًا عَنُوفًا جَبَّارًا. فَإِذَا فُهِرَ صَارَ أَذَلَّ مِنْ امْرَأَةٍ: جَبَانًا عَنِ الْقَوِيِّ، جَرِيئًا عَلَى الضَّعِيفِ.

فَالْأَخْلَاقُ الدِّمِيَّةُ: يُوَلَّدُ بَعْضُهَا بَعْضًا، كَمَا أَنَّ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ: يُوَلَّدُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَكُلُّ خُلُقٍ مَحْمُودٍ مُكْتَنَفٌ بِخُلُقَيْنِ دَمِيمَيْنِ. وَهُوَ وَسْطُ بَيْنَهُمَا. وَطَرَفَاهُ خُلُقَانِ دَمِيمَانِ، كَالْجُودِ: الَّذِي يَكْتَنِفُهُ خُلُقَا الْبُخْلِ وَالتَّبَذِيرِ. وَالتَّوَاضُعِ: الَّذِي يَكْتَنِفُهُ خُلُقَا الذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ. وَالْكِبَرِ وَالْعُلُوِّ.

فَإِنَّ النَّفْسَ مَتَى انْحَرَفَتْ عَنِ التَّوَسُّطِ انْحَرَفَتْ إِلَى أَحَدِ الْخُلُقَيْنِ الذَّمِيمَيْنِ وَلَا بُدَّ، فَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ التَّوَّاضِعِ انْحَرَفَتْ: إمَّا إِلَى كِبَرٍ وَعُلوٍّ، وَإِمَّا إِلَى ذُلٍّ وَمَهَانَةٍ وَحَقَارَةٍ. وَإِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ خُلُقِ الْحَيَاءِ انْحَرَفَتْ: إمَّا إِلَى قِحَةٍ وَجُرْأَةٍ، وَإِمَّا إِلَى عَجْزٍ وَخَوَرٍ وَمَهَانَةٍ، بِحَيْثُ يُطْمَعُ فِي نَفْسِهِ عَدُوَّهُ. وَيَفُوتُهُ كَثِيرٌ مِنْ مَصَالِحِهِ. وَيَزْعُمُ أَنَّ الْحَامِلَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَيَاءِ. وَإِنَّمَا هُوَ الْمَهَانَةُ وَالْعَجْزُ، وَمَوْتُ النَّفْسِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٩٤).

ذهاب الإسلام من أربعة

قال رسول الله: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْبَلْخِيُّ: ذَهَابُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَرْبَعَةٍ:

لَا يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ.

وَيَعْمَلُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ.

وَلَا يَتَعَلَّمُونَ مَا يَعْلَمُونَ.

وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٣٦).

الحجب التي بين القلب وبين الله عز وجل تنشأ من أربعة عناصر

قال رسول الله: فَهَذِهِ عَشْرُ حُجُبٍ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

هَذَا الشَّانِ، وَهَذِهِ الْحُجُبُ تَنْشَأُ مِنْ أَرْبَعَةِ عَنَاصِرٍ:

عُنْصُرُ النَّفْسِ، وَعُنْصُرُ الشَّيْطَانِ، وَعُنْصُرُ الدُّنْيَا، وَعُنْصُرُ الْهَوَى، فَلَا يُمَكِّنُ كَشْفُ هَذِهِ

الْحُجُبِ مَعَ بَقَاءِ أَصُولِهَا وَعَنَاصِرِهَا فِي الْقَلْبِ الْبَتَّةَ.

وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ الْعَنَاصِرُ: تُفْسِدُ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ وَالْقَصْدَ وَالطَّرِيقَ بِحَسَبِ غَلَبَتِهَا وَقَلَّتِهَا،

فَتَقْطَعُ طَرِيقَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالْقَصْدِ: أَنْ يَصِلَ إِلَى الْقَلْبِ، وَمَا وَصَلَ مِنْهُ إِلَى الْقَلْبِ

قَطَعَتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ: أَنْ يَصِلَ إِلَى الرَّبِّ، فَبَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَبَيْنَ الْقَلْبِ مَسَافَةٌ يُسَافِرُ فِيهَا الْعَبْدُ إِلَى قَلْبِهِ لِيرَى عَجَائِبَ مَا هُنَالِكَ.

وَفِي هَذِهِ الْمَسَافَةِ قُطَاعُ الطَّرِيقِ الْمَذْكُورُونَ، فَإِنْ حَارَبَهُمْ وَخَلَصَ الْعَمَلُ إِلَى قَلْبِهِ دَارَ فِيهِ، وَطَلَبَ النُّفُوزَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ دُونَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ

الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٤٢].

فَإِذَا وَصَلَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَثَابَهُ عَلَيْهِ مَزِيدًا فِي إِيْمَانِهِ وَيَقِينِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ وَعَقْلِهِ، وَجَمَّلَ بِهِ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، فَهَدَاهُ بِهِ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، وَصَرَفَ عَنْهُ بِهِ سَيِّئَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، وَأَقَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ لِلْقَلْبِ جُنْدًا يُحَارِبُ بِهِ قُطَاعَ الطَّرِيقِ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ.

فَيُحَارِبُ الدُّنْيَا بِالزُّهْدِ فِيهَا وَإِخْرَاجَهَا مِنْ قَلْبِهِ، وَلَا يَضُرُّهُ أَنْ تَكُونَ فِي يَدِهِ وَبَيْتِهِ، وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنْ قُوَّةِ يَقِينِهِ بِالْآخِرَةِ، يُحَارِبُ الشَّيْطَانَ بِتَرْكِ الْإِسْتِجَابَةِ لِدَاعِي الْهَوَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْهَوَى لَا يُفَارِقُهُ، وَيُحَارِبُ الْهَوَى بِتَحْكِيمِ الْأَمْرِ الْمُنْطَلِقِ وَالْوُقُوفِ مَعَهُ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى لَهُ هَوًى فِيمَا يَفْعَلُهُ وَيَتْرُكُهُ، وَيُحَارِبُ النَّفْسَ بِقُوَّةِ الْإِخْلَاصِ. مدارج السالكين بين

منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢١٢ / ٣)

إنكار المنكر على أربع درجات

قال ﷺ: فَإِنْكَارُ الْمُنْكَرِ أَرْبَعُ دَرَجَاتٍ:

الْأُولَى: أَنْ يَزُولَ وَيَخْلُفَهُ ضِدُّهُ.

الثَّانِيَّةُ: أَنْ يَقِلَّ وَإِنْ لَمْ يَزَلْ بِجُمْلَتِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَخْلُفَهُ مَا هُوَ مِثْلُهُ.

الرابعة: أَنْ يَخْلُفَهُ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ.

فَالدَّرَجَتَانِ الْأُولَيَانِ مَشْرُوعَتَانِ، وَالثَّالِثَةُ مَوْضِعُ اجْتِهَادٍ، وَالرَّابِعَةُ مُحَرَّمَةٌ. إعلام الموقعين عن

رب العالمين (٣ / ١٢).

القلوب أربعة

قال رَحِمَهُ اللهُ: وقد قسم الصحابة رضي الله عنهم القلوب إلى أربعة كما صح عن حذيفة بن

اليمان رضي الله عنه: القلوب أربعة:

قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن.

وقلب أغلف فذلك قلب الكافر.

وقلب منكوس فذلك قلب المنافق عرف ثم أنكر وأبصر ثم عمى.

وقلب تمده مادتان: مادة إيمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما.

فقوله: قلب أجرد أي متجرد مما سوى الله ورسوله فقد تجرد وسلم مما سوى الحق و

فيه سراج يزهر وهو مصباح الإيمان: فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل

وشهوات الغي. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١ / ١٢).

لا بد للقلب من أربعة أمور في سيره إلى الله تعالى

قال رَحِمَهُ اللهُ: لما كان الإنسان؛ بل وكل حي متحرك بالإرادة، لا ينفك عن علم وإرادة

وعمل بتلك الإرادة، وله مراد مطلوب، وطريق وسبب يوصل إليه، معين عليه، وتارة

يكون السبب منه، وتارة من خارج منفصل عنه، وتارة منه ومن الخارج، فصار الحي

مجبولا على أن يقصد شيئا ويريده، ويستعين بشيء ويعتمد عليه في حصول مراده.

والمراد قسمان: أحدهما: ما هو مراد لنفسه. والثاني: ما هو مراد لغيره.

والمستعان قسماً؛ أحدهما: ما هو مستعان بنفسه، والثاني: ما هو تبع له وآلة.

فهذه أربعة أمور: **مراد** لنفسه، و**مراد** لغيره، و**مستعان** بنفسه، و**مستعان** بكونه آلة وتبعاً للمستعان بنفسه.

فلا بد للقلب من مطلوب يطمئن إليه، وينتهي إليه محبته. ولا بد له من شيء يتوصل به؛ ويستعين به في حصول مطلوبه، والمستعان مدعو ومسئول، والعبادة والاستعانة كثيراً ما يتلازمان، فمن اعتمد القلب عليه في رزقه ونصره ومنفعته ونفعه خضع له، وذل له، وانقاد له وأحبه من هذه الجهة، وإن لم يحبه لذاته، لكن قد يغلب عليه حكم الحال حتى يحبه لذاته، وينسى مقصوده منه، وأما من أحبه القلب وأراد وقصده فقد لا يستعين به، ويستعين بغيره عليه كمن أحب مالا أو منصباً أو امرأة، فإن علم أن محبوبه قادر على تحصيل غرضه استعان به، فاجتمع له محبته والاستعانة به.

فالأقسام أربعة: محبوب لنفسه وذاته، مستعان بنفسه. فهذا أعلى الأقسام، وليس ذلك إلا لله وحده. وكل ما سواه فإنما ينبغي أن يحب تبعاً لمحبته، ويستعان به لكونه آلة وسبباً.

الثاني: محبوب لغيره ومستعان به أيضاً، كالمحبيب الذي هو قادر على تحصيل غرض محبه.

الثالث: محبوب مستعان عليه بغيره

الرابع: مستعان به غير محبوب في نفسه.

فإذا عرف ذلك تبين من أحق هذه الأقسام الأربعة بالعبودية والاستعانة، وأن محبة غيره واستعانت به إن لم تكن وسيلة إلى محبته واستعانت به، وإلا كانت مضرة على العبد، ومفسدتها أعظم من مصلحتها. والله المستعان وعليه التكلان. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (١) / ٤٣.

صلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بأربعة أمور

قال رحمه الله: وسألت شيخ الإسلام عن معنى دعاء النبي ﷺ «اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ»^(١) كيف يطهر الخطايا بذلك، وما فائدة التخصيص بذلك وقوله في لفظ آخر: «وَالْمَاءِ الْبَارِدِ»^(٢) والحر أبلغ في الإنقاء.

فقال: الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفا فيرتخي القلب وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه والماء يغسل الخبث ويطفئ النار. فإن كان باردا أورث الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى في التبريد وصلابة الجسم وشدته؛ فكان أذهب لأثر الخطايا، هذا معنى كلامه وهو محتاج إلى مزيد بيان وشرح.

فاعلم أن ههنا أربعة أمور: أمران حسيان وأمران معنويان، فالنجاسة التي تزول بالماء هي ومزيلها حسيان، وأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار هي ومزيلها معنويان.

(١) رواه الإمام البخاري (٧٤٤) ومسلم (٥٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواها مسلم (٤٧٦) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهذا، فذكر النبي ﷺ من كل شطر قسماً نبه به على القسم الآخر فتضمن كلامه الأقسام الأربعة في غاية الاختصار وحسن البيان. إغاثة اللفان من مصائد الشيطان (١ / ٥٧).

الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام

قال رسول الله ﷺ: ثُمَّ هَذِهِ الذُّنُوبُ تَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: **مَلَكِيَّةٌ، وَشَيْطَانِيَّةٌ، وَسَبْعِيَّةٌ، وَبَهِيمِيَّةٌ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ.**

فَالذُّنُوبُ الْمَلَكِيَّةُ أَنْ يَتَعَاطَى مَا لَا يَصِحُّ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، كَالْعِظَمَةِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْجَبَرُوتِ، وَالْقَهْرِ، وَالْعُلُوِّ، وَاسْتِعْبَادِ الْخَلْقِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا شِرْكُ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ نَوْعَانِ: شِرْكٌ بِهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَعْلُ إِلَهَةٍ أُخْرَى مَعَهُ.

وَشِرْكٌ بِهِ فِي مُعَامَلَتِهِ، وَهَذَا الثَّانِي قَدْ لَا يُوجِبُ دُخُولَ النَّارِ، وَإِنْ أَحْبَطَ الْعَمَلُ الَّذِي أَشْرَكَ فِيهِ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ.

وَهَذَا الْقِسْمُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الذُّنُوبِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الذُّنُوبِ، فَقَدْ نَارَعَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ، وَجَعَلَ لَهُ نِدَاءً، وَهَذَا أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ عَمَلٌ.

وَأَمَّا الشَّيْطَانِيَّةُ: فَالْتَّسُّبُ بِالشَّيْطَانِ فِي الْحَسَدِ، وَالْبَغْيِ وَالْغَشِّ وَالْغُلِّ وَالْخِدَاعِ وَالْمَكْرِ، وَالْأَمْرَ بِمَعَاصِي اللَّهِ وَتَحْسِينِهَا، وَالنَّهْيَ عَنْ طَاعَتِهِ وَتَهْجِينِهَا، وَالْإِبْتِدَاعَ فِي دِينِهِ، وَالِدَّعْوَةَ إِلَى الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ.

وَهَذَا النَّوعُ يَلِي النَّوعَ الْأَوَّلَ فِي الْمَفْسَدَةِ، وَإِنْ كَانَتْ مَفْسَدَتُهُ دُونَهُ.

وَأَمَّا السَّبْعِيَّةُ: فَذُنُوبُ الْعُدْوَانِ وَالْغَضَبِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ، وَالتَّوَتُّبِ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَالْعَاجِزِينَ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْهَا أَنْوَاعُ أَذَى النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ وَالْجِرَازَةِ عَلَى الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.
وَأَمَّا الذُّنُوبُ الْبَهِيمِيَّةُ: فَمِثْلُ الشَّرِّ وَالْحِرْصِ عَلَى قَضَاءِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، وَمِنْهَا يَتَوَلَّدُ الرِّزَا وَالسَّرِيقَةُ وَكُلُّ أَمْوَالِ الْيَتَامَى، وَالْبُخْلُ، وَالشُّحُّ، وَالْجُبْنُ، وَالْهَلَعُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.
وَهَذَا الْقِسْمُ أَكْثَرُ ذُنُوبِ الْخَلْقِ لِعَجْزِهِمْ عَنِ الذُّنُوبِ السَّبْعِيَّةِ وَالْمَلَكِيَّةِ، وَمِنْهُ يَدْخُلُونَ إِلَى سَائِرِ الْأَقْسَامِ، فَهُوَ يَجْرُهُمْ إِلَيْهَا بِالزَّمَامِ، فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ إِلَى الذُّنُوبِ السَّبْعِيَّةِ، ثُمَّ إِلَى الشَّيْطَانِيَّةِ، ثُمَّ مُنَارَعَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالشَّرْكِ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ، وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا حَقَّ التَّأَمُّلِ، تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الذُّنُوبَ دِهْلِيزُ الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ وَمُنَارَعَةِ اللَّهِ رُبُوبِيَّتَهُ. (الدَّاءُ وَالِدَوَاءُ (ص: ١٢٤).

يجمع التوبة أربعة أشياء

قال رحمه الله: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ: يَجْمَعُهَا -أَيِ التَّوْبَةِ- أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ:

الإِسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ.

وَالْإِفْلَاحُ بِالْأَبْدَانِ.

وَإِضْمَارُ تَرْكِ الْعُودِ بِالْجَنَانِ.

وَمُهَاجَرَةُ سَيِّئِ الْإِخْوَانِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٣١٧).

البعد من الله على مراتب أربعة

قال رحمه الله: الْقَلْبُ كُلَّمَا كَانَ أَبْعَدَ مِنَ اللَّهِ كَانَتْ الْأَفَاتُ إِلَيْهِ أَسْرَعَ، وَكُلَّمَا قَرَّبَ مِنَ اللَّهِ

بَعُدَتْ عَنْهُ الْأَفَاتُ وَالْبُعْدُ مِنَ اللَّهِ مَرَاتِبٌ، بَعْضُهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ:

فَالْغَفْلَةُ تَبْعِدُ الْقَلْبَ عَنِ اللَّهِ.

وَبُعْدُ الْمَعْصِيَةِ أَعْظَمُ مِنْ بُعْدِ الْغَفْلَةِ.

وَبُعْدُ الْبِدْعَةِ أَعْظَمُ مِنْ بُعْدِ الْمَعْصِيَةِ.

وَبُعْدُ النِّفَاقِ وَالشُّرْكِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

الداء والدواء (ص: ٧٩).

جمال الله سبحانه وتعالى على أربع مراتب

قال رحمه الله: وجماله سبحانه على أربع مراتب:

جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، فأسماءه كلها

حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة.

وأما جمال الذات وما هو عليه؛ فأمر لا يُذكره سواه، ولا يعلمه غيره، وليس عند

المخلوقين منه إلا تعريفات تعرف بها إلى من أكرمه من عباده، فإن ذلك الجمال مصون

عن الأغيار، محجوب بستر الرداء والإزار، كما قال رسوله ﷺ فيما يحكى عنه: «

الكِبَرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي»^(١). الفوائد (ص: ١٨٢).

ذل العبودية على أربع مراتب

قال رحمه الله: فإن النفس فيها مضاهاة للرُّبُوبِيَّةِ، ولو قدرت لقات كقول فرعون، ولكنه

قدر فأظهر، وغيره عجز فأضمَر، وإنما يخلصها من هذه المضاهاة ذلُّ العبودية، وهو

أربع مراتب:

«١» رواه الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني برقم (٥٤١).

المرتبة الأولى: مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَهِيَ ذُلُّ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ إِلَى اللَّهِ، فَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، فَقَرَاءُ إِلَيْهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْغِنَى عَنْهُمْ، وَكُلُّ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْأَلُونَهُ، وَهُوَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا.

المرتبة الثانية: ذُلُّ الطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَهُوَ ذُلُّ الْإِخْتِيَارِ، وَهَذَا خَاصٌّ بِأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَهُوَ سِرُّ الْعُبُودِيَّةِ.

المرتبة الثالثة: ذُلُّ الْمَحَبَّةِ، فَإِنَّ الْمُحِبَّ ذَلِيلٌ بِالذَّاتِ، وَعَلَى قَدْرِ مَحَبَّتِهِ لَهُ يَكُونُ ذُلُّهُ، فَالْمَحَبَّةُ أُسِّسَتْ عَلَى الذَّلَّةِ لِلْمَحْبُوبِ، كَمَا قِيلَ:

اخْضَعْ وَذَلِّ لِمَنْ تُحِبُّ فَلَيْسَ فِي * حُكْمِ الْهَوَى أَنْفٌ يُشَالُ وَيُعْقَدُ
وَقَالَ آخَرُ:

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْحُبِّ حَتَّى قُبُورُهُمْ * عَلَيْهَا تُرَابُ الذَّلِّ بَيْنَ الْمَقَابِرِ
المرتبة الرابعة: ذُلُّ الْمَعْصِيَةِ وَالْجِنَايَةِ.

فَإِذَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ الْأَرْبَعُ كَانَ الذَّلُّ لِلَّهِ وَالْخُضُوعُ لَهُ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ، إِذْ يَذِلُّ لَهُ خَوْفًا وَخَشْيَةً، وَمَحَبَّةً وَإِنَابَةً، وَطَاعَةً، وَفَقْرًا وَفَاقَةً. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١)

(٢٢٤).

القضاء والقدر على أربع مراتب

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: القضاء والقدر أربع مراتب:

الأولى: علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم.

الثانية: كتابة ذلك في الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض.

الثالثة: مشيئته المتناولة لكل موجود، فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه.

الرابعة: خلقه له وإيجاده وتكوينه، فإنه لا خالق إلا الله، والله خالق كل شيء. طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٨٨ - ٩٠).

الناس في الرضا بالقضاء على مراتب أربعة

قال رحمه الله: لَمَّا مَاتَ ابْنُ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رُؤِيَ فِي الْجَنَازَةِ ضَاحِكًا، فَقِيلَ لَهُ: أَتَضَحَّكَ وَقَدْ مَاتَ ابْنُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَضَى بِقَضَاءٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْضَى بِقَضَائِهِ. فَأَنْكَرْتُ طَائِفَةً هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَلَى الْفُضَيْلِ. وَقَالُوا: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَكَى يَوْمَ مَاتَ ابْنُهُ. وَأَخْبَرَ أَنَّ «الْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَالْعَيْنَ تَدْمَعُ»^(١). وَهُوَ فِي أَعْلَى مَقَامَاتِ الرِّضَا. فَكَيْفَ يُعَدُّ هَذَا مِنْ مَنَاقِبِ الْفُضَيْلِ؟

وَالْتَحْقِيقُ: أَنَّ قَلْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اتَّسَعَ لِتَكْمِيلِ جَمِيعِ الْمَرَاتِبِ، مِنَ الرِّضَا عَنِ اللَّهِ، وَالْبُكَاءِ رَحْمَةً لِلصَّبِيِّ. فَكَانَ لَهُ مَقَامُ الرِّضَا، وَمَقَامُ الرَّحْمَةِ وَرَقَّةُ الْقَلْبِ. وَالْفُضَيْلُ لَمْ يَتَّسِعْ قَلْبُهُ لِمَقَامِ الرِّضَا وَمَقَامِ الرَّحْمَةِ. فَلَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ الْأَمْرَانِ، وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ.

أَحَدُهَا: مَنْ اجْتَمَعَ لَهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَرَحْمَةُ الطُّفْلِ. فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ رَحْمَةً وَالْقَلْبُ رَاضٍ.

الثَّانِي: مَنْ غَيَّبَهُ الرِّضَا عَنِ الرَّحْمَةِ. فَلَمْ يَتَّسِعْ لِلْأَمْرَيْنِ. بَلْ غَيَّبَهُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ.

الثَّالِثُ: مَنْ غَيَّبَتْهُ الرَّحْمَةُ وَالرَّقَّةُ عَنِ الرِّضَا فَلَمْ يَشْهَدْهُ، بَلْ فَنِيَ عَنِ الرِّضَا.

«١» رواه ابن حبان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني في أحكام الجنائز (٣٧)، وصحيح ابن حبان (٣١٥٠).

الرابع: مَنْ لَا رِضًا عِنْدَهُ وَلَا رَحْمَةً. وَإِنَّمَا يَكُونُ حُزْنُهُ لِفَوَاتِ حَظِّهِ مِنَ الْمَيِّتِ. وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ الْخَلْقِ. فَلَا إِحْسَانَ. وَلَا رِضًا عَنِ الرَّحْمَنِ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. فَالْأَوَّلُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الرِّضَا. وَالثَّانِي دُونَهُ. وَالثَّلَاثُ دُونَ الثَّانِي. وَالرَّابِعُ هُوَ السَّاحِطُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٠٢).

الصبر على السراء من أربعة أوجه

قال رحمه الله: الإنسان لا يستغنى عن الصبر في حال من الأحوال، فإنه بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه، ونهى يجب عليه اجتنابه وتركه، وقدر يجرى عليه اتفاقاً ونعمة يجب عليه شكر المنعم عليها، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه فالصبر لازم له إلى الممات.

وكل ما يلقي العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين أحدهما يوافق هواه وممراده، والآخر يخالفه، وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما.

أما النوع الموافق لغرضه؛ فكالصحة والسلامة والجاه والمال وأنواع الملاذ المباحة وهو أحوج شئ إلى الصبر فيها من وجوه:

أحدها: أن لا يركن إليها ولا يغتر بها ولا تحمله على البطر والأشر والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله.

الثاني: أن لا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها فانها تنقلب إلى اضدادها فمن بالغ في الأكل والشرب والجماع انقلب ذلك إلى ضده وحرم الأكل والشرب والجماع.

الثالث: أن يصبر على أداء حق الله فيها ولا يضيعه فيسلبها.

الرابع: أن يصبر عن صرفها في الحرام فلا يمكن نفسه من كل ما تريده منها فإنها توقعه في الحرام فإن احتراز كل الاحتراز أوقعته في المكروه ولا يصبر على السراء إلا الصديقون.

قال بعض السلف: البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر، ولا يصبر على العافية إلا الصديقون.

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر». وإنما كان الصبر على السراء شديدا؛ لأنه مقرون بالقدرة والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره، وكذلك الشبق عند غيبة المرأة أصبر منه عند حضورها.

وأما النوع الثاني: المخالف للهوى فلا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد؛ كالطاعات والمعاصي، أو لا ترتبط أوله باختياره؛ كالمصائب، أو يرتبط أوله باختياره ولكن لا اختيار له في إزالته بعد الدخول فيه.

انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٦٣-٦٥).

الصبر على أربعة أضرب

قال رحمته الله: الصبر ضربان: ضرب بدني وضرب نفسي وكل منهما نوعان اختياري واضطراري فهذه أربعة أقسام:

الأول: البدني الاختياري، كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختيارا وإرادة.

الثاني: البدني الاضطراري كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد والحر وغير ذلك.

الثالث: النفساني الاختياري كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعا ولا عقلا.

الرابع: النفساني الاضطراري كصبر النفس عن محبوبها قهرا إذا حيل بينها وبينه.

فإذا عرفت هذه الأقسام فهي مختصة بنوع الإنسان دون البهائم ومشاركة للبهائم في نوعين منها وهما صبر البدن والنفس الاضطراريين وقد يكون بعضها أقوى صبرا من الإنسان وإنما يتميز الإنسان عنها بالنوعين الاختياريين وكثير من الناس تكون قوة صبره في النوع الذي يشارك فيه البهائم لا في النوع الذي يخص الإنسان فيعد صابرا وليس من الصابرين. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٢).

الناس في الصبر والبذل على أربع طبقات

قال رحمه الله: فللنفس قوتان، قوة الصبر والكف، وامساك النفس، وقوة البذل وفعل الخير والاقدام على فعل ما تكمل به، وكمالها باجتماع هاتين القوتين فيها **والناس في ذلك أربع طبقات:**

فأعلاهم من اجتمعت له القوتان، وسفلتهم من عدم القوتين، ومنهم من قوة صبره أكمل من قوة فعله وبذله، ومنهم من هو بالعكس في ذلك. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٧٤).

مراتب الوجود أربعة

قال رحمه الله: ثم تأمل نعمة الله على الانسان بالبيانين البَيَانِ النطقي والبَيَانِ الخطي وقد اعتد بهما سُبْحَانَهُ فِي جَمَلَةٍ مِنْ اَعْتَدَ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ عَلَى الْعَبْدِ فَقَالَ فِي اَوَّلِ سُورَةِ انزلت على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ - ٥].

فَتَأْمَلْ كَيْفَ جَمَعَ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مَرَاتِبَ الْخَلْقِ كُلِّهَا وَكَيْفَ تَضَمَّنَتْ مَرَاتِبَ الوجودات الأربعة بأوجز لفظ وأوضحه واحسنه.

فَذَكَرَ **أَوَّلًا** عُمُومَ الْخَلْقِ وَهُوَ إِعْطَاءُ الوجود الْخَارِجِي.

ثُمَّ ذَكَرَ **ثَانِيًا** خُصُوصَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ الْعِبْرَةِ وَالْإِيَّةِ فِيهِ عَظِيمَةٌ وَمِنْ شُهُودِهِ عَمَّا فِيهِ مَحْضُ تَعَدُّدِ النِّعَمِ وَذَكَرَ مَادَّةَ خَلْقِهِ هَا هُنَا مِنَ الْعَلَقَةِ وَفِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ يَذْكُرُ مَا هُوَ سَابِقٌ عَلَيْهَا إِمَّا مَادَّةَ الْأَصْلِ وَهُوَ التُّرَابُ وَالطِّينُ أَوْ الصِّلَصَالُ الَّذِي كَالْفَخَارِ أَوْ مَادَّةَ الْفَرْعِ وَهُوَ الْمَاءُ الْمُهَيَّنُ وَذَكَرَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَوَّلَ مَبَادِي تَعَلُّقِ التَّخْلِيقِ وَهُوَ الْعَلَقَةُ فَإِنَّهُ كَانَ قَبْلَهَا نُطْفَةٌ فَأَوَّلُ انْتِقَالِهَا إِنْمَّا هُوَ إِلَى الْعَلَقَةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ **ثَالِثًا** التَّعْلِيمَ بِالْقَلَمِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ إِذْ بِهِ تَخْلَدُ الْعُلُومُ وَتَثْبِتُ الْحُقُوقُ وَتَعْلَمُ الْوَصَايَا وَتَحْفَظُ الشَّهَادَاتُ وَيَضْبُطُ حِسَابُ الْمُعَامَلَاتِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَبِهِ تَقْيِدُ أَخْبَارِ الْمَاضِينَ لِلْبَاقِينَ الْلاحِقِينَ، وَلَوْ لَا الْكِتَابَةُ لَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُ بَعْضِ الْأَزْمَنَةِ عَنْ بَعْضٍ، وَدُرِسَتْ السُّنَنُ، وَتَخْبَطُتِ الْأَحْكَامُ وَلَمْ يَعْرِفِ الْخَلْفُ مَذَاهِبَ السَّلَفِ، وَكَانَ مُعْظَمُ الْخَلَلِ الدَّاخِلِ عَلَى النَّاسِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ إِنَّمَا يَعْتَرِيهِمْ مِنَ النِّسْيَانِ الَّذِي يَمْحُو صُورَ الْعِلْمِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَجَعَلَ لَهُمُ الْكِتَابَ وَعَاءَ حَافِظًا لِلْعِلْمِ مِنَ الضِّيَاعِ كَالْأَوْعِيَةِ الَّتِي تَحْفَظُ الْأَمْتَعَةَ مِنَ الذَّهَابِ وَالْبَطْلَانِ.

إِلَى أَنْ قَالَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وَالتَّعْلِيمَ بِالْقَلَمِ يَتَسَلَّزَمُ الْمَرَاتِبُ الثَّلَاثَةُ مَرْتَبَةُ الْوُجُودِ الذَّهْنِيِّ، وَالْوُجُودِ اللَّفْظِيِّ، وَالْوُجُودِ الرَّسْمِيِّ، فَقَدْ دَلَّ التَّعْلِيمُ بِالْقَلَمِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُعْطَى لِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ وَدَلَّ قَوْلُهُ: ﴿ **خَلَقَ** ﴾ عَلَى أَنَّهُ يُعْطَى الْوُجُودَ الْعَيْنِيَّ فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مَعَ

اختصارها ووجازتها وفصاحتها على أن مَرَاتِبُ الوجود بأسرها مُسندة إليه تَعَالَى خلقا وتعلّما، وذكر خلقين وتعليمين، خلقا عَامَا وخلقًا خَاصًا، وتعلّما خَاصًا وتعلّما عَامَا.

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٧٨).

الناس في العلم والعزيمة على أربعة أضرب

قال رحمه الله: وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْغَفْلَةَ وَالْكَسَلَ اللَّذَيْنِ هُمَا أَصْلُ الْحَرَمَانِ سَبَبُهُمَا عَدَمُ الْعِلْمِ فَعَادَ النَّقْصُ كُلُّهُ إِلَى عَدَمِ الْعِلْمِ وَالْعَزِيمَةِ، وَالْكَمَالُ كُلُّهُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعَزِيمَةِ وَالنَّاسُ فِي هَذَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرِبٍ:

الضرب الأول: من رزق علما واعين على ذَلِكَ بِقُوَّةِ الْعَزِيمَةِ عَلَى الْعَمَلِ وَهَذَا الضَّرْبُ خُلَاصَةُ الْخَلْقِ وَهُمْ الْمَوْصُوفُونَ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧] وَقَوْلِهِ: ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥] وَبِقَوْلِهِ: ﴿أَوْمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] فَبِالْحَيَاةِ تَنَالُ الْعَزِيمَةُ وَبِالنُّورِ يَنَالُ الْعِلْمُ، وَأُئِمَّةُ هَذَا الضَّرْبِ هُمُ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.

الضرب الثاني: من حرم هذا وهذا وهم الموصوفون بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢] وَبِقَوْلِهِ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] وَبِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الضُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ [النمل: ٨٠] وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] وَهَذَا الصَّنْفُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ يَضِيقُونَ الدِّيارَ وَيَغْلُونَ

الأسعار، وعند أنفسهم أنهم يعلمون ولكن ﴿ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾
 ويعلمون ولكن ﴿مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وينطقون ولكن عن الهوى ينطقون،
 ويتكلمون ولكن بالجهل يتكلمون، ويؤمنون ولكن ﴿بِالْحَبْتِ وَالطَّلْعُوتِ﴾، ويعبدون
 ولكن يعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ويجادلون ولكن ﴿بِالْبَطْلِ
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾، ويتفكرون ويبيتون ولكن ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ يبيتون، ويدعون
 ولكن ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ يدعون، ويذكرون ولكن إذا ﴿ذَكَرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ ويصلون
 ولكنهم من المصلين ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾
 وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ويحكمون ولكن حكم ﴿الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ ويكتبون ولكن
 يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ
 مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَيَقُولُونَ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ﴿١١﴾
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ فَهَذَا الضَّرْبُ نَاسٌ بِالصُّورَةِ، وشياطين
 بِالْحَقِيقَةِ.

الضَّرْبُ الثَّالِثُ: من فتح له باب العلم وأغلق عنه باب العزم وَالْعَمَلُ فَهَذَا فِي رُتْبَةِ
 الْجَاهِلِ أَوْ شَرِّ مِنْهُ، وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعُ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ
 اللَّهُ بِعِلْمِهِ»^(١) ثبت أبو نعيم وغيره، فَهَذَا جَهْلُهُ كَانَ خَيْرًا لَهُ وَأَخَفَ لِعَذَابِهِ مِنْ عِلْمِهِ، فَمَا
 زَادَهُ الْعِلْمُ إِلَّا وَبَالًا وَعَذَابًا، وَهَذَا لَا مَطْمَعَ فِي صَلَاحِهِ فَإِنَّ التَّائِبَ عَنِ الطَّرِيقِ يُرْجَى لَهُ

«١» أخرجه الطبراني، وقال العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة (١٦٣٤) ضعيف جدا.

العود إليها إذا أبصرها فإذا عرفها وحاد عنها عمدا فمَتَى ترجى هدايته قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦].

الضُّرْبُ الرَّابِعُ: من رزق حظا من العزيمَة والإرادة، وَلَكِنْ قل نصيبه من العلم والمعرفة، فهذا إذا وفق له الإقْتِدَاء بداع من دعاة الله وَرَسُولِهِ ﷺ كَانَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠] رزقنا الله من فضله وَلَا أحرمانا بِسوء أعمالنا، إنه غُفُورٌ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠] رزقنا الله من فضله وَلَا أحرمانا بِسوء أعمالنا، إنه غُفُورٌ رَحِيمٌ. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١١٤).

الناس مع الدنيا على أربعة أقسام

قال رسول الله ﷺ: قالوا وقد انقسم الناس بعد رسول الله ﷺ أربعة أقسام:

قسم: لم يريدوا الدنيا ولم تردهم، كالصديق رضي الله عنه ومن سلك سبيله.

وقسم: أرادتهم الدنيا ولم يريدوها، كعمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن سلك سبيله.

وقسم: أرادوا الدنيا وأرادتهم، كخلفاء بنى أمية ومن سلك سبيلهم، حاشا عمر بن

عبد العزيز، فإنها أرادته ولم يردها.

وقسم: أرادوها ولم تردهم، كمن أفقر الله منها يده وأسكنها في قلبه وامتنحه بجمعها،

ولا يخفى أن خير الأقسام: القسم الأول، والثاني، إنما فضل؛ لأنه لم يردها فالتحق

بالأول. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٤٧).

الخطرات تدور على أربعة أقسام

قال رحمه الله: الْخَطَرَاتُ بَعْدَ أَقْسَامٍ تَدُورُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصُولٍ:

خَطَرَاتٌ يَسْتَجْلِبُ بِهَا الْعَبْدُ مَنَافِعَ دُنْيَاهُ.

وَخَطَرَاتٌ يَسْتَدْفِعُ بِهَا مَضَارَّ دُنْيَاهُ.

وَخَطَرَاتٌ يَسْتَجْلِبُ بِهَا مَصَالِحَ آخِرَتِهِ.

وَخَطَرَاتٌ يَسْتَدْفِعُ بِهَا مَضَارَّ آخِرَتِهِ.

فَلْيَحْصُرِ الْعَبْدُ خَطَرَاتِهِ وَأَفْكَارَهُ وَهَمُومَهُ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ، فَإِذَا انْحَصَرَتْ لَهُ فِيهَا أَمْكَنَ اجْتِمَاعُهُ مِنْهَا وَلَمْ يَتْرُكْهُ لِغَيْرِهِ، وَإِذَا تَرَاخَمَتْ عَلَيْهِ الْخَطَرَاتُ لِتَرَاخُمِ مُتَعَلِّقَاتِهَا، قَدَّمَ الْأَهَمَّ فَالْأَهَمُّ الَّذِي يَخْشَى فَوْتَهُ، وَأَخَّرَ الَّذِي لَيْسَ بِأَهَمٍّ وَلَا يَخَافُ فَوْتَهُ.

بَقِيَ قِسْمَانِ آخَرَانِ:

أَحَدُهُمَا: مُهِمٌّ لَا يَفُوتُ.

وَالثَّانِي: غَيْرُ مُهِمٍّ وَلَكِنَّهُ يَفُوتُ.

فَفِي كُلِّ مِنْهُمَا مَا يَدْعُو إِلَى تَقْدِيمِهِ، فَهَذَا يَقَعُ التَّرَدُّدُ وَالْحَيْرَةُ، فَإِنْ قَدَّمَ الْمُهْمَّ؛ خَشِيَ فَوَاتَ مَا دُونَهُ، وَإِنْ قَدَّمَ مَا دُونَهُ فَاتَهُ الْإِشْتِغَالُ بِهِ عَنِ الْمُهْمِّ، وَكَذَلِكَ يَعْزِضُ لَهُ أَمْرَانِ لَا يُمَكِّنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا، وَلَا يَحْصُلُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِتَفْوِيتِ الْآخَرِ.

فَهُوَ مَوْضِعُ اسْتِعْمَالِ الْعَقْلِ وَالْفَقْهِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمِنْ هَاهُنَا ارْتَفَعَ مَنْ ارْتَفَعَ وَأَنْجَحَ مَنْ أَنْجَحَ، وَخَابَ مَنْ خَابَ، فَأَكْثَرُ مَنْ تَرَى مِمَّنْ يَعْظُمُ عَقْلُهُ وَمَعْرِفَتُهُ، يُؤْثِرُ غَيْرَ الْمُهْمِّ الَّذِي لَا يَفُوتُ عَلَى الْمُهْمِّ الَّذِي يَفُوتُ، وَلَا تَجِدُ أَحَدًا يَسْلُمُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْبِرٌ.

والتَّحْكِيمُ فِي هَذَا الْبَابِ لِلْقَاعِدَةِ الْكُبْرَى الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ، وَإِلَيْهَا مَرْجِعُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَهِيَ إِثَارُ أَكْبَرِ الْمَصْلَحَتَيْنِ وَأَعْلَاهُمَا، وَإِنْ فَاتَتِ الْمَصْلَحَةُ الَّتِي هِيَ دُونَهَا، وَالْدُّخُولُ فِي أَذْنَى الْمَفْسَدَتَيْنِ لِدَفْعِ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا. **الداء والدواء (ص: ١٥٥).**

لا بد لصرف اللفظ عن ظاهره من أربعة أمور

قال رحمه الله: من ادعى صرف لفظ عن ظاهره إلى مجازه، لم يتم له ذلك إلا بعد أربع

مقامات:

أحدها: بيان امتناع إرادة الحقيقة.

الثاني: بيان صلاحية اللفظ لذلك المعنى الذي عينه؛ وإلا كان مفترياً على اللغة.

الثالث: بيان تعيين ذلك المجمل، إن كان له عدة مجازات.

الرابع: الجواز عن الدليل الموجب لإرادة الحقيقة.

فما لم يَقم بهذه الأمور الأربعة؛ كانت دعواه صرف اللفظ عن ظاهره، ولم يعين له

مجملاً لزمه أمران:

أحدهما: بيان الدليل الدال على امتناع إرادة الظاهر.

والثاني: جوابه عن المعارض. **بدائع الفوائد (٤ / ٢٠٥).**

العاقل لا يغفل عن أربع ساعات

قال رحمه الله: ذكر الإمام أحمد عن وهب قال: مكتوب في حكمة آل داود: حق على

العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات:

ساعة يناجي فيها ربه.

وساعة يحاسب فيها نفسه.

وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه.

وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويحرم، فإن في هذه الساعة عوناً

على تلك الساعات، وإجماماً للقلوب. إغاثة اللفهان من مصاديد الشيطان (١/ ٧٩).

لا يتم أمر هذا الجهاد إلا بهذه الأمور الأربعة

قال رحمه الله: وعلم عباده كيفية هذه الحرب والجهاد، فجمعها لهم في أربع كلمات

فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران: ٢٠٠].

ولا يتم أمر هذا الجهاد إلا بهذه الأمور الأربعة، فلا يتم الصبر إلا بمصابرة العدو، وهو مقاومته ومنازلته، فإذا صابر عدوه احتاج إلى أمر آخر وهي المراقبة، وهي لزوم ثغر القلب وحراسته لئلا يدخل منه العدو، ولزوم ثغر العين والأذن واللسان والبطن واليد والرجل، فهذه الثغور يدخل منها العدو فيجوس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه، فالمراقبة لزوم هذه الثغور، ولا يخلي مكانها فيصادف العدو الثغر خالياً فيدخل منه. **الداء**

والدواء (ص: ٩٧).

الناس في معرفة السبيل على أقسام أربعة

قال رحمه الله: وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَرْبَعُ فِرَقٍ:

الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علماً وعملاً؛ وهؤلاء أعلم الخلق.

الفرقة الثانية: من عميت عنه السبلان من أشباه الأنعام؛ وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضر ولها أسلك.

الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها فهو يعرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل وإن لم يتصوره على التفصيل، بل إذا سمع شيئاً خالف سبيل المؤمنين صرف سماعه عنه ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه، وهو بمنزلة من سلمت نفسه من إرادة الشهوات فلم تخطر بقلبه ولم تدعه إليها نفسه.

بخلاف الفرقة الأولى فإنهم يعرفونها وتميل إليها نفوسهم ويجاهدونها على تركها الله، وقد كتبوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسألونه عن هذه المسألة: أيما أفضل رجل لم تخطر له الشهوات ولم تمر بباله أو رجل نازعته إليها نفسه فتركها الله.

فكتب عمر رضي الله عنه: أن الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها الله عز وجل من الذين **أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**، وهكذا من عرف البدع والشرك والباطل وطرقه فأبغضها لله وحذرهما وحذر منها ودفعها عن نفسه ولم يدعها تخدش وجه إيمانه ولا تورثه شبهة ولا شكا، بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ومحبة له وكراهة لها ونفرة عنها؛ أفضل ممن لا تخطر بباله ولا تمر بقلبه فإنه كلما مرت بقلبه وتصورت له ازداد محبة للحق ومعرفة بقدره وسروره؛ فيقوى إيمانه به.

كما أن صاحب خواطر الشهوات والمعاصي كلما مرت به فرغ عنها إلى ضدها ازداد محبة لضدها ورغبة فيه وطلبا له وحرصا عليه.

فَمَا ابْتَلَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ بِمَحَبَةِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَعَاصِي وَمِيلَ نَفْسِهِ إِلَيْهَا؛ إِلَّا لِيَسُوْقَهُ بِهَا إِلَى مَحَبَّةِ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا وَخَيْرَ لَهُ وَأَنْفَعُ وَأَدْوَمُ، وَلِيَجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِهَا لَهُ سُبْحَانَهُ فَتَوَرَّثَهُ تِلْكَ الْمَجَاهِدَةُ الْوُصُولَ إِلَى الْمَحْبُوبِ الْأَعْلَى.

فَكَلَّمَا نَازَعْتَهُ نَفْسُهُ إِلَى تِلْكَ الشَّهَوَاتِ وَاشْتَدَّتْ إِرَادَتُهُ لَهَا وَشَوْقُهُ إِلَيْهَا صَرَفَ ذَلِكَ الشَّوْقَ وَالْإِرَادَةَ وَالْمَحَبَّةَ إِلَى النَّوْعِ الْعَالِيِّ الدَّائِمِ؛ فَكَانَ طَلِبُهُ لَهُ أَشَدَّ وَحِرْصُهُ عَلَيْهِ أَمَّ بِخِلَافِ النَّفْسِ الْبَارِدَةِ الْخَالِيَةِ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ طَالِبَةً لِلأَعْلَى لَكِنْ بَيْنَ الطَّلِبِينَ فَرَقٌ عَظِيمٌ.

أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ مَشَى إِلَى مَحْبُوبِهِ عَلَى الْجَمْرِ وَالشُّوكِ أَعْظَمَ مِمَّنْ مَشَى إِلَيْهِ رَاكِبًا عَلَى النَّجَائِبِ، فَلَيْسَ مِنْ أَثَرِ مَحْبُوبِهِ مَعَ مُنَازَعَةِ نَفْسِهِ، كَمَنْ أَثَرُهُ مَعَ عَدَمِ مُنَازَعَتِهَا إِلَى غَيْرِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِالشَّهَوَاتِ إِمَّا حِجَابًا لَهُ عَنْهُ أَوْ حَاجِبًا لَهُ يُوصلُهُ إِلَى رِضَاهُ وَقُرْبِهِ وَكَرَامَتِهِ.

الْفَرْقَةُ الرَّابِعَةُ: فَرْقَةُ عَرَفَتِ سَبِيلَ الشَّرِّ وَالْبَدْعِ وَالْكَفْرِ مَفْصَلَةً، وَسَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ مَجْمَلَةً، وَهَذَا حَالٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ اعْتَنَى بِمَقَالَاتِ الْأُمَمِ وَمَقَالَاتِ أَهْلِ الْبَدْعِ، فَعَرَفَهَا عَلَى التَّفْصِيلِ وَلَمْ يَعْرِفْ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ كَذَلِكَ بَلْ عَرَفَهُ مَعْرِفَةً مَجْمَلَةً وَإِنْ تَفَصَّلَتْ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ كِتَابَهُمْ رَأَى ذَلِكَ عَيَانًا، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ عَارِفًا بِطُرُقِ الشَّرِّ وَالظُّلْمِ وَالْفُسَادِ عَلَى التَّفْصِيلِ سَالِكًا لَهَا إِذَا تَابَ وَرَجَعَ عَنْهَا إِلَى سَبِيلِ الْأَبْرَارِ يَكُونُ عِلْمُهُ بِهَا مُجْمَلًا غَيْرَ عَارِفٍ بِهَا عَلَى التَّفْصِيلِ مَعْرِفَةً مِنْ أَفْنَى عَمَرِهِ فِي تَصَرُّفِهَا وَسُلُوكِهَا.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ سَبِيلَ أَعْدَائِهِ لِتَجْتَنِبَ تَبْغُضَ كَمَا يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَ سَبِيلَ أَوْلِيَائِهِ لِتُحِبَّ وَتَسْلُكَ وَفِي هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْأَسْرَارِ مَا لَا يُعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ مِنْ مَعْرِفَةِ عُمُومِ رَبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَحُكْمَتِهِ وَكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَعْلُقِهَا بِمَتَعْلِقَاتِهَا وَاقْتِضَائِهَا لِأَثَارِهَا وَمَوْجِبَاتِهَا؛ وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَالَةِ عَلَى رَبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَحُبِّهِ وَبَغْضِهِ وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. الفوائد (ص: ١٠٩).

للمختبين أربع علامات

قال رسول الله: عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) [الحج: ٣٤ - ٣٥].

فذكر للمختبين أربع علامات:

وجل قلوبهم عند ذكره، والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة.

وصبرهم على أقداره.

وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهرا وباطنا.

وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم، وهذا إنما يتأتى للقلب المختب. شفاء العليل في

مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٠٦).

ذروة الإيمان أربع

قال رسول الله: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ذِرْوَةُ الْإِيمَانِ أَرْبَعٌ:

الصَّبْرُ لِلْحُكْمِ.

وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ.

وَالْإِخْلَاصُ لِلتَّوَكُّلِ.

وَالْإِسْتِسْلَامُ لِلرَّبِّ. طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٨٢).

الناس في قدرة الله وحكمته على طوائف أربعة

قال رحمه الله: وهذه المسألة كبيرة تحتاج إلى كلام يليق بهذا الموضع. والمقصود أن العلم والقدرة المجردين عن الحكمة لا يحصل بهما الكمال والصلاح وإنما يحصل ذلك بالحكمة معها، واسمه سبحانه «الحكيم» يتضمن حكمته في خلقه وأمره في إرادته الدينية الكونية وهو حكيم في كل ما خلقه وأمر به.

والناس في هذا المقام أربع طوائف:

الطائفة الأولى: الجاحدة لقدرته وحكمته فلا يشبتون له تعالى قدرة ولا حكمة، كما يقوله من ينفي كونه تعالى فاعلاً مختاراً وأن صدور العالم عنه بالإيجاب الذاتي لا بالقدرة والاختيار وهؤلاء يشبتون حكمة يسمونها عناية إلهية، وهم من أشد الناس تناقضاً، إذ لا يعقل حكيم لا قدرة له ولا اختيار، وإنما يسمون ما في العالم من المصالح والمنافع عناية إلهية من غير أن يرجع منها إلى الرب تعالى إرادة ولا حكمة وهؤلاء كما أنهم مكذبون لجميع الرسل فإنهم مخالفون لصريح العقل والفطرة، قد نسبوا الرب تعالى إلى أعظم النقص، وجعلوا كل قادر مريد مختار أكمل منه وإن كان من كان، بل سلبهم القدرة والاختيار والفعل عن رب العالمين شر من شرك عباد الأصنام به بكثير، وشر من قول النصارى أنه - تعالى عن قولهم - ثالث ثلاثة وأن له صاحبة وولداً، فإن هؤلاء أثبتوا له قدرة وإرادة واختياراً وحكمة، ووصفوه مع ذلك بما لا يليق به.

وَأَمَّا أُولَئِكَ فَنَفَوْا رَبوبِيَّتَهُ وَقَدْرَتَهُ بِالْكَلِيَّةِ وَأَثْبَتُوا لَهُ أَسْمَاءَ لَا حَقَائِقَ لَهَا وَلَا مَعْنَى.

والطائفة الثانية: أقرت بقدرته وعموم مشيئته للكائنات وجحدت حكمته وما له في خلقه من الغايات المحمودة المطلوبة له سبحانه التي يفعل لأجلها ويأمر لأجلها، فحافظت على القدر وجحدت الحكمة، وهؤلاء هم النفاة للتعليل والأسباب والقوى والطبائع في المخلوقات، فعندهم لا يفعل شيء ولا لأجل شيء، وليس في القرآن عندهم لام تعليل ولا باء تسبب، وكل لام توهم التعليل فهي عندهم لام العاقبة وكل باء تشعر بالتسبب فهي عندهم باء المصاحبة وهؤلاء سلطوا نفاة القدر عليهم بما نفوه من الحكمه والتعليل والأسباب فاستطالوا عليهم بذلك، ووجدوا مقالاً واسعاً بالشناعة فقالوا وشنعوا، ولعمر والله إنهم لمحققون في أكثر ما شنعوا عليهم به، إذ نفى الحكمة والتعليل والأسباب له لوازم في غاية الشناعة، والتزامها بمكابرة ظاهرة لعامة عند عامة العقلاء.

والطائفة الثالثة: أقرت بحكمته أثبتت الأسباب والعلل والغايات في أفعاله وأحكامه، وجحدت كمال قدرته، فنفت قدرته على شطر العالم وهو أشرف ما فيه من أفعال الملائكة والجن والإنس وطاعاتهم، بل عندهم هذه كلها لا تدخل تحت مقدوره تعالى، ولا يوصف بالقدرة عليها ولا هي داخلة تحت مشيئته ولا ملكه، وليس في مقدوره عندهم أن يجعل المؤمن مؤمناً والمصلى مصلياً والموفق موفقاً، بل هو الذي جعل نفسه كذلك.

وعندهم أن أفعال العباد من الملائكة والجن والإنس كانت بغير مشيئته واختياره فتعالى الله عن قولهم، وهؤلاء سلطوا عليهم نفاة الحكمة والتعليل والأسباب فمزقوهم

كل ممزق ووجدوا طريقاً وسيعاً إلى الشناعة عليهم، وأبدوا تناقضهم فقالوا وشنعوا، ورموهم بكل داهية.

أو نفى قدرة الرب تعالى على شطر المملكة له لوازم في غاية الشناعة والقبح والفساد، والتزامها مكابرة ظاهرة عند عامة العقلاء، ونفى التزامها تناقض بين، فصاروا بذلك بين التناقض - وهو أحسن حالهم - وبين التزام تلك العظائم التي تخرج عن الإيمان، كما كان نفاة الحكمة والأسباب والغايات كذلك.

فهدى الله الطائفة الرابعة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فآمنوا بالكتاب كله، وأقروا بالحق جميعه، ووافقوا كل واحدة من الطائفتين على ما معها من الحق، وخالفوهم فيما قالوه من الباطل، فآمنوا بخلق الله وأمره بقدرته وشرعه وأنه سبحانه المحمود على خلقه وأمره، وأنه له الحكمة البالغة والنعمة السابغة، وأنه على كل شيء قدير: فلا يخرج عن مقدوره شيء من الموجودات أعيانها وأفعالها وصفاتها، كما لا يخرج عن علمه، فكل ما تعلق به علمه من العالم تعلقت به قدرته ومشيتته.

وآمنوا مع ذلك بأن له الحجة على خلقه، وأنه لا حجة لأحد عليه بل لله الحجة البالغة وأنه لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، بل كان تعذيبهم منه عدلاً منه وحكمة لا بمحض المشيئة المجردة عن السبب والحكمة كما يقوله الجبرية، ولا يجعلون القدر حجة لأنفسهم ولا لغيرهم، بل يؤمنون به ولا يحتجون به ويعلمون أن الله سبحانه أنعم عليهم بالطاعات وأنها من نعمته عليهم وفضله وإحسانه، وأن

المعاصي من نفوسهم الظالمة الجاهلة، وأنهم هم جناتها وهم الذين اجترحوها، ولا يحملونها على القضاء والقدر مع علمهم بشمول قضائه وقدره لما في العالم من خير وشر وطاعة وعصيان وكفر وإيمان، وأن مشيئة الله سبحانه محيطه بذلك كإحاطة علمه به، وأنه لو شاء ألا يعصى لما عصى وأنه سبحانه أعز وأجل من أن يعصى قسراً، والعباد أقل من ذلك وأهون، وأنه ما شاء الله كان وكل كائن فهو بمشيئته، وما لم يشأ لم يكن، وما لم يكن فلعدم مشيئته، فله الخلق والأمر وله الملك والحمد وله القدرة التامة والحكمة الشاملة البالغة.

فهذه الطائفة هم أهل البصر التام، والأولى لهم العمى المطلق، والثانية والثالثة كل طائفة منهما لهم عين عمياء، ومع هذا فسرى العمى من العين العمياء إلى العين الصحيحة فأعمأها ولا يستكثر تكرار هذا الكلمات من يعلم شدة الحاجة إليها وضرورة النفوس إليها، فلو تكررت فالحاجة إليها في محل الضرورة. والله المستعان. طريق الهجرتين

وباب السعادتین (ص: ١١٠).

للعبد أربع مقامات في المصائب التي لا صنع له فيها

قال رسول الله: المصائب التي لا صنع للعبد فيها كموت من يعز عليه وسرقة ماله

ومرضه ونحو ذلك ... للعبد فيه أربع مقامات:

أحدها: مقام العجز وهو مقام الجزع والشكوى والسخط وهذا ما لا يفعله إلا أقل

الناس عقلاً وديناً ومروءة وهو أعظم المصيبتين.

المقام الثاني: مقام الصبر إما لله وإما للمروءة الإنسانية.

المقام الثالث: مقام الرضا وهو أعلى من مقام الصبر وفي وجوبه نزاع والسير متفق على وجوبه.

المقام الرابع: مقام الشكر وهو أعلى من مقام الرضا فإنه يشهد البلية نعمة فيشكر المبتلى عليها. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٦٦).

اختص الله آدم ﷺ على غيره بأربع أشياء

قال رسول الله: عند قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فأضاف النفخ

إلى نفسه وهذا يقتضي المباشرة منه تعالى كما في قوله: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ولهذا فرق بينهما في الذكر في الحديث الصحيح في قوله: «فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ»^(١).

فذكروا لآدم أربع خصائص اختص بها عن غيره، ولو كانت الروح التي فيه إنما هي من نفخة الملك لم يكن له خصيصة بذلك وكان بمنزلة المسيح بل وسائر أولاده فإن الروح حصلت فيهم من نفخة الملك وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ

رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فهو الذي سواه بيده وهو الذي نفخ فيه من روحه. الروح (ص: ١٥٥).

أربع مقامات في إقامة الحجة

قال رحمه الله: وَهَذَا أَرْبَعُ مَقَامَاتٍ:

أحدها: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اسْتَخْرَجَ صُورَهُمْ وَأَمْثَالَهُمْ، فَمَيَّزَ شَقِيهِمْ وَسَعِيدَهُمْ، وَمَعَا فَاهِمٍ مِنْ مَبْتَلَاهُمْ.

الثاني: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ حِينَئِذٍ، وَأَشْهَدَهُمْ بِرَبوبيته، وَاسْتَشْهَدَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتُهُ.

الثالث: أَنَّ هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الرابع: أَنَّهُ أَقَرَّ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا بَعْدَ إِخْرَاجِهَا بِمَكَانٍ وَفَرَّغَ مِنْ خَلْقِهَا، وَإِنَّمَا يَتَجَدَّدُ كُلُّ وَقْتٍ، إِرْسَالُ جَمَلَةٍ مِنْهَا بَعْدَ جَمَلَةٍ إِلَى أَبْدَانِهَا، فَأَمَّا الْمَقَامُ الْأَوَّلُ؛ فَلَا تَأْثَرُ مَتَظَاهِرُهُ بِهِ مَرْفُوعَةٌ وَمَوْقُوفَةٌ.

فَأَمَّا الْمَقَامُ الثَّانِي، فَإِنَّمَا أَخَذَ مِنْ أَخْذِهِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْآيَةِ وَظَنُوا أَنَّهُ تَفْسِيرُهَا وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَثَرِ. **الروح (ص: ١٦٣).**

الدين كله يقوم على أربع قواعد

قال رحمه الله: الدِّينُ كُلُّهُ يَدُورُ عَلَى أَرْبَعِ قَوَاعِدَ:

حب، وبغض، ويترتب عليهما، فعل، وترك، فَمَنْ كَانَ حُبُّهُ وَبَغْضُهُ وَفَعْلُهُ وَتَرْكُهُ لِلَّهِ؛ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، بِحَيْثُ إِذَا أَحَبَّ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَإِذَا أَبْغَضَ أَبْغَضَ لِلَّهِ، وَإِذَا فَعَلَ فَعَلَ لِلَّهِ، وَإِذَا تَرَكَ تَرَكَ لِلَّهِ، وَمَا نَقَصَ مِنْ أَصْنَافِهِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ؛ نَقَصَ مِنْ إِيْمَانِهِ وَدِينِهِ بِحَسْبِهِ. **الروح (ص: ٢٥٣).**

السؤال على أربع مراتب

قال رحمه الله: السؤال على أربع مراتب في هذا الباب:

الأول: السؤال بالهمزة منفردة نحو: أعندك شيء مما يحتاج إليه فتقول نعم.

فينتقل إلى **المرتبة الثانية:** فتقول ما هو فتقول متاع.

فينتقل إلى **المرتبة الثالثة:** بأي فتقول أي متاع فتقول ثياب.

فتنتقل إلى **المرتبة الرابعة:** فتقول: أكتان هي أم قطن أم صوف، وهذه أخص المراتب وأشدّها طلبا التعيين فلا يحسن الجواب إلا بالتعيين، وأشدّها إبهاما؛ السؤال الأول؛ لأنه لم يدع فيه أن عنده شيئا، ثم الثاني أقل إبهاما منه؛ لأن فيه إدعاء شيء عنده وطلب ماهيته، ثم الثالث أقل إبهاما وهو السؤال ب أي؛ لأن فيه طلب تعيين ما عرف حقيقته، ثم السؤال الرابع بأخص من ذلك كله؛ لأن فيه طلب تعيين فرد من أفراد قد عرفها وميزها. **بدائع** الفوائد (١/ ٢٠٣).

أربع فوائد في زيادة « لا » بين المعطوف والمعطوف عليه

قال رحمه الله: وأما المسألة الخامسة عشرة: وهي ما فائدة زيادة « لا » بين المعطوف

والمعطوف عليه ففي ذلك أربع فوائد:

أحدها: أن ذكرها تأكيد للنفي الذي تضمنه غير فلولاً ما فيها من معنى النفي لما عطف عليها ب « لا » مع الواو، فهو في قوة « لا » المغضوب عليهم ولا الضالين، أو غير المغضوب عليهم وغير الضالين.

الفائدة الثانية: أن المراد المغايرة الواقعة بين النوعين وبين كل نوع بمفرده، فلو لم

يذكر « لا » وقيل: **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**، أو هم أن المراد ما غير المجموع

المركب من النوعين لا ما غير كل نوع بمفرده، فإذا قيل ﴿وَلَا أَصْأَلِينَ﴾، كان صريحا في أن المراد صراط غير هؤلاء وغير هؤلاء، وبيان ذلك أنك إذا قلت: ما قام زيد وعمرو فإنما نفيت القيام عنهما، ولا يلزم من ذلك نفيه عن كل واحد منهما بمفرده.

الفائدة الثالثة: رفع توهم أن الضالين وصف للمغضوب عليهم وأنهما صنف واحد وصفوا بالغضب والضلال، ودخل العطف بينهما كما يدخل في عطف الصفات بعضها على بعض، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ١ - ٣] إلى آخرها، فإن هذه صفات المؤمنين.

ومثل قوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣﴾ ونظائره، فلما دخلت « لا » علم أنها صنفان متغايران مقصودان بالذكر، وكانت « لا » أولى بهذا المعنى من غير لوجه: أحدها: أنها أقل حروفا، الثاني: التفادي من تكرار اللفظ، الثالث: الثقل الحاصل بالنطق بغير مرتين من غير فصل إلا بكلمة مفردة ولا ريب أنه ثقل على اللسان.

الرابع: أن « لا » إنما يعطف بها بعد النفي فالإتيان بها مؤذن بنفي الغضب عن أصحاب الصراط المستقيم كما نفى عنهم الضلال وغير وإن أفهمت هذا فلا أدخل في النفي منها وقد عرف بهذا جواب المسألة السادسة عشرة وهي أن « لا » إنما يعطف بها في النفي. بدائع الفوائد (٢ / ٣٤).

الألف واللام إذا دخلت على اسم السلام تضمنت أربع فوائد

قال رحمه الله: الألف واللام إذا دخلت على اسم السلام تضمنت أربع فوائد:

إحداها: الإشعار بذكر الله تعالى؛ لأن السلام المعروف من أسمائه كما تقدم تقريره.

الفائدة الثانية: إشعارها بطلب معنى السلامة منه للمسلم عليه؛ لأنك متى ذكرت اسما من أسمائه فقد تعرضت به وتوسلت به إلى تحصيل المعنى الذي اشتق منه ذلك الاسم.

الفائدة الثالثة: إن الألف واللام يلحقها معنى العموم في مصحوبها والشمول فيه في بعض المواضع.

الفائدة الرابعة: أنها تقوم مقام الإشارة إلى المعين كما تقول: ناولني الكتاب واسقني الماء وأعطني الثوب لما هو حاضر بين يديك فإنك تستغني بها عن قولك هذا فهي مؤدية معنى الإشارة.

وإذا عرفت هذه الفوائد الأربع، فقول الراد وعليك السلام بالتعريف متضمن للدلالة على أن مقصوده من الرد مثل ما ابتدئ به وهو بعينه، فكأنه قال ذلك السلام الذي طلبته لي مردود عليك وواقع عليك، فلو أتى بالرد منكرا؛ لم يكن فيه إشعار بذلك؛ لأن المعروف وإن تعدد ذكره واتحد لفظه؛ فهو شيء واحد بخلاف المنكر. بدائع الفوائد (٢/ ١٥٥).

لا بد للمتكلم في مقام التفاضل من أربعة أمور

قال رحمه الله: فعلى المتكلم في هذا الباب -المفاضلة-:

أولا: أن يعرف أسباب الفضل، ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض والموازنة بينها.

ثانيا: ثم نسبتها إلى من قامت به.

ثالثا: كثرة وقوة ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها.

رابعا: قرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالات لغيره بل كمال غيره بسواها فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحروبه وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا.

فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل، وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص وأبعد من الهوى والغرض. وههنا نكتة خفية لا ينتبه لها إلا من بصره الله وهي أن كثيرا ممن يتكلم في التفضيل يستشعر نسيته وتعلقه بمن يفضل له ولو على بعد ثم يأخذ في تقييده وتفضيله وتكون تلك النسبة والتعلق مهيجة له على التفضيل والمبالغة فيه واستقصاء محاسن المفضل والإعضاء عما سواها ويكون نظره في المفضل عليه بالعكس. بدائع الفوائد (٣/ ١٦٣).

لشهادة أربع مراتب

قال رحمه الله: الشَّهَادَةُ تَتَضَمَّنُ كَلَامَ الشَّاهِدِ وَخَبْرَهُ، وَقَوْلَهُ، وَتَتَضَمَّنُ إِعْلَامَهُ، وَإِخْبَارَهُ وَبَيَانَهُ، فَلَهَا أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

فَأَوَّلُ مَرَاتِبِهَا: عِلْمٌ، وَمَعْرِفَةٌ، وَاعْتِقَادٌ لِصِحَّةِ الْمَشْهُودِ بِهِ، وَثُبُوتِهِ.

وَتَانِيهَا: تَكَلُّمُهُ بِذَلِكَ، وَنُطْقُهُ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ بِهِ غَيْرُهُ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِهِ مَعَ نَفْسِهِ وَيَذْكُرُهَا، وَيَنْطِقُ بِهَا أَوْ يَكْتُبُهَا.

وَتَالِثُهَا: أَنْ يُعْلَمَ غَيْرُهُ بِمَا شَهِدَ بِهِ، وَيُخْبِرَهُ بِهِ، وَيُبَيِّنَهُ لَهُ.

وَرَابِعُهَا: أَنْ يُلْزِمَهُ بِمَضْمُونِهَا وَيَأْمُرَهُ بِهِ.

فَشَهَادَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْقِيَامِ بِالْقِسْطِ: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَةَ: عِلْمَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ، وَتَكَلُّمَهُ بِهِ، وَإِعْلَامَهُ، وَإِخْبَارَهُ لِحَلْقِهِ بِهِ، وَأَمْرَهُمْ وَإِلْزَامَهُمْ بِهِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤١٨).

التصوير والتخليق على أربع مراتب

قال رحمه الله: ولكن هنا تصويران: أحدهما تصوير خفي لا يظهر وهو تصوير تقديري كما تصور حين تفصل الثوب أو تنجر الباب مواضع القطع والتفصيل فيعلم عليها ويضع مواضع الفصل والوصل، وكذلك كل من يضع صورة في مادة لا سيما مثل هذه الصورة ينشئ فيها التصوير والتخليق على التدريب شيئاً بعد شيء، لا وهلة واحدة كما يشاهد بالعيان في التخليق الظاهر في البيضة، فهنا أربع مراتب:

أحدها: تصوير وتخليق علمي لم يخرج إلى الخارج.

الثانية: مبدأ تصوير خفي يعجز الحس عن إدراكه.

الثالثة: تصوير يناله الحس ولكنه لم يتم بعد.

الرابعة: تمام التصوير الذي ليس بعد إلا نفخ الروح.

فالمرتبة الأولى علمية، والثلاث الأخر خارجية عينية، وهذا التصوير بعد التصوير، نظير التقدير بعد التقدير، فالرب تعالى قدر مقادير الخلائق تقديراً عاماً قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهنا كتب السعادة والشقاوة والأعمال

والأرزاق والآجال. التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٤٨).

من عارض الشرع بالعقل فإنه ينتهي أمره إلى أحد أمور أربعة

قال رحمه الله: غَايَةُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ مَنْ ادَّعَى مُعَارَضَةَ الْعَقْلِ لِلْوَحْيِ أَحَدُ أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ لَا بُدَّ

لَهُ مِنْهَا:

إِمَّا تَكْذِيبُهَا وَجَحْدُهَا.

وَأِمَّا اعْتِقَادُ أَنَّ الرُّسُلَ خَاطَبُوا الْخَلْقَ خِطَابًا جُمُهَوْرِيًّا لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا مِنْهُمْ التَّخِيلَ وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ.

وَأِمَّا اعْتِقَادُ أَنَّ الْمُرَادَ تَأْوِيلُهَا وَصَرَفُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا بِالْمَجَازَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ.

وَأِمَّا الْإِعْرَاضُ عَنْهَا وَعَنْ فَهْمِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَاعْتِقَادُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا أُرِيدَ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَهَذِهِ أَرْبَعُ مَقَامَاتٍ، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ مِنْهَا طَوَائِفٌ مِنْ بَنِي آدَمَ. مختصر الصواعق المرسلة على

الجهمية والمعطلة (ص: ١٣٠).

الذين قالوا إن الله يتكلم بصوت أربع فرق

قال رحمه الله: فَإِذَا قِيلَ: الْمَسْمُوعُ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ قِيلَ إِنَّ أَرَدْتَ الْمَسْمُوعَ عَنْ

اللَّهِ فَهُوَ كَلَامُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْمَسْمُوعَ مِنَ الْمُبَلَّغِ فِيهِ تَفْصِيلٌ، فَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الصَّوْتِ الَّذِي رُويَ بِهِ كَلَامُ اللَّهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْكَلَامِ الْمُوَدَّى بِالصَّوْتِ

فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَالَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ أَرْبَعُ فِرَقٍ:

فِرْقَةٌ قَالَتْ: يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ مَخْلُوقٍ مُنْفَصِلٍ عَنْهُ، وَهُمْ الْمُعْتَزِلَةُ.

وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ قَدِيمٍ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَهُمْ السَّالِمِيَّةُ وَالْإِقْتِرَانِيَّةُ.

وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ قَدِيمٍ حَادِثٍ فِي ذَاتِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَهُمْ الْكَرَامِيَّةُ.

وَقَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا بِصَوْتِهِ إِذَا شَاءَ.

وَالَّذِينَ قَالُوا: لَا يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ فِرْقَتَانِ: أَصْحَابُ الْفَيْضِ، وَالْقَائِلُونَ إِنَّ الْكَلَامَ مَعْنَى قَائِمٌ
بِالنَّفْسِ. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (ص: ٥٢٨).

تضمنت سورة الفلق الاستعاذة من أمور أربعة

قال رحمه الله: فإن سورة الفلق تضمنت الاستعاذة من أمور أربعة:

أحدها: شر المخلوقات التي لها شر عموماً.

الثاني: شر الغاسق إذا وقب.

الثالث: شر النفاثات في العقد.

الرابع: شر الحاسد إذا حسد.

فتكلم على هذه الشرور الأربعة، ومواقعها، واتصالها بالعبد، والتحرز منها، قبل

وقوعها، وبماذا تدفع، بعد وقوعها. بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٥).

أركان التابعين أربعة

قال رحمه الله: فهؤلاء الأئمة الأربعة أركان التابعين، وهم:

الحسن «البصري».

وسعيد بن المسيب.

وعطاء بن أبي رباح.

وإبراهيم النخعي.

إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (١/ ٢٧٤).

مراتب الكمال أربعة

قال رحمه الله: فأما مَرَاتِبُ الْكَمَالِ فأربع:

النُّبُوَّةُ، والصِّدِّيقِيَّةُ، وَالشَّهَادَةُ، وَالْوَلَايَةُ، وقد ذكرها الله سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠] وذكر تعالى: هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعُ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ فَذَكَرَ تَعَالَى: الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ ثُمَّ نَدَبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِكِتَابِهِ وَوَحْيِهِ ثُمَّ ذَكَرَ مَرَاتِبَ الْخَلَائِقِ شَقِيهِمْ وَسَعِيدِهِمْ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذَقَاتِ وَأَفْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعَّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ [الحديد: ١٨ - ١٩].

وذكر المُنَافِقِينَ قَبْلَ ذَلِكَ فَاسْتَوْعَبَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَقْسَامَ الْعِبَادِ شَقِيهِمْ، وَسَعِيدِهِمْ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ ذَكَرَ فِيهَا الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَةَ: الرِّسَالَةَ، وَالصِّدِّيقِيَّةَ، وَالشَّهَادَةَ، وَالْوَلَايَةَ.

فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ، وَيَلِيهَا الصِّدِّيقِيَّةُ، فَالصِّدِّيقُونَ هُمْ أُمَّةٌ اتَّبَعَ الرُّسُلَ وَدَرَجَتُهُمْ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ فَإِنْ جَرَى قَلَمُ الْعَالَمِ بِالصِّدِّيقِيَّةِ وَسَالَ مَدَادُهُ بِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ الَّذِي لَمْ يَحْلُقْهُ فِي رُتْبَةِ الصِّدِّيقِيَّةِ، وَإِنْ سَالَ دَمُ الشَّهِيدِ بِالصِّدِّيقِيَّةِ وَقَطَرَ عَلَيْهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مَدَادِ الْعَالَمِ الَّذِي قَصَرَ عَنْهَا، فَافْضَلُهُمَا صَدِيقُهُمَا فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي الصِّدِّيقِيَّةِ اسْتَوَيَا فِي الْمَرْتَبَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

والصديقية هي كمال الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ علما وتصديقا وقيامًا، فهي راجعة إلى نفس العلم فكل من كان أعلم بما جاء به الرسول ﷺ وأكمل تصديقًا له؛ كان أتم صديقية، فالصديقية شجرة أصولها العلم وفروعها التصديق وثمرتها العمل فهذه كلمات جامعة في مسألة العالم والشهيد وأيهما أفضل مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١) / (٨٠).

أربعة أوجه لاختصاص النعمة بالحادث بالشكر دون الدائمة

قال رحمه الله: فإن قيل فنعم الله دائما مستمرة على العبد فما الذي اقتضى تخصيص النعمة بالحادث بالشكر دون الدائمة، وقد تكون المستدامة أعظم، قيل الجواب من وجوه: **أحدها:** أن النعمة المتجددة تذكر بالمستدامة، والإنسان موكل بالأدنى.

الثاني: أن هذه النعمة المتجددة تستدعي عبودية مجددة، وكان أسهلها على الإنسان وأحبها إلى الله السجود شكرًا له.

الثالث: أن المتجددة لها وقع في النفوس والقلوب بها أعلق؛ ولهذا يهنى بها ويعزى بفقدها.

الرابع: أن حدوث النعم توجب فرح النفس وانبساطها، وكثيرا ما يجر ذلك إلى الأشر والبطر، والسجود ذل لله وعبودية وخضوع، فإذا تلقى به نعمته لسروره وفرح النفس وانبساطها فكان جديرا بدوام تلك النعمة، وإذا تلقاها بالفرح الذي لا يحبه الله والأشر والبطر كما يفعله الجهال عندما يحدث الله لهم من النعم؛ كانت سريعة الزوال وشيكة الانتقال، وانقلبت نعمة وعادت استدراجا.

ومن دقيق نعم الله على العبد التي لا يكاد يفطن لها، أنه يغلق عليه بابه فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئاً من القوت ليعرفه نعمته عليه.

وقال سلام بن أبي مطيع: دخلت على مريض أعوده فإذا هو يئن فقلت له أذكر المطروحين على الطريق أذكر الذين لا مأوى لهم ولا لهم من يخدمهم، قال: ثم دخلت عليه بعد ذلك فسمعتة يقول لنفسه: أذكر المطروحين في الطريق أذكر من لا مأوى له ولا له من يخدمه. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٣٦).

الناس في العلم مع الحلم على أربعة أقسام

قال رحمه الله: فَلَيْسَ صَاحِبُ الْعِلْمِ وَالْفُتْيَا إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُ إِلَى الْحِلْمِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ فَإِنَّهَا كِسْوَةُ عِلْمِهِ وَجَمَالِهِ، وَإِذَا فَقَدَهَا كَانَ عِلْمُهُ كَالْبَدَنِ الْعَارِي مِنَ اللَّبَاسِ، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا قَرَنَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ عِلْمٍ إِلَى حِلْمٍ.

وَالنَّاسُ هَهُنَا أَرْبَعَةٌ أَقْسَامٍ، فَخِيَارُهُمْ مِنْ أَوْتِي الْحِلْمِ وَالْعِلْمِ، وَشَرَارُهُمْ مِنْ عَدَمِهِمَا، **الثَّالِثُ:** مَنْ أُوتِيَ عِلْمًا بِلَا حِلْمٍ، **الرَّابِعُ:** عَكْسُهُ فَالْحِلْمُ زِينَةُ الْعِلْمِ وَبَهَاؤُهُ وَجَمَالُهُ.

وَصِدُّ الطَّيِّسِ وَالْعَجَلَةِ وَالْحِدَّةِ وَالتَّسْرُعِ وَعَدَمِ الثَّبَاتِ؛ فَالْحِلْمُ لَا يَسْتَفِزُّهُ الْبَدَوَاتُ، وَلَا يَسْتَخِفُّهُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا يُقْلِقُهُ أَهْلُ الطَّيِّسِ وَالْخِفَّةِ وَالْجَهْلِ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٥٣).

الأسباب الجالبة للتأويل أربعة

قال رحمه الله: الأسباب الجالبة للتأويل أربعة: **إثنان** من المتكلم، و**إثنان** من السامع.

فالسببان اللذان من المتكلم: إما نقصان بيانه، وإما سوء قصده.

واللذان من السامع: إما سوء فهمه، وإما سوء قصده.

فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة؛ انتفى التأويل الباطل، وإذا وجدت أو بعضها وقع التأويل فنقول وبالله التوفيق.

لما كان المقصود من التخاطب التقاء قصد المتكلم وفهم المخاطب على محز واحد، كان أصح الإفهام وأسعد الناس بالخطاب ما التقى فيه فهم السامع ومراد المتكلم، وهذا هو حقيقة الفقه الذي أثنى الله ورسوله ﷺ به على أهله، وذم من فقده

فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمَتَفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۖ﴾ [المنافقون ٧] وقال: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ

لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۖ﴾ [النساء ٧٨] وقال في الشناء على أهله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۖ﴾ [الأنعام ٩٨] وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي

الدِّينِ»^(١). الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة (٢/ ٥٠٠).

لتكرار السؤال أربع من فوائد

قال رحمه الله: فَوَائِدُ تَكْرِيرِ السُّؤَالِ:

وَكَانَ أَتْيُوبُ إِذَا سَأَلَهُ السَّائِلُ قَالَ لَهُ: أَعِدْ، فَإِنْ أَعَادَ السُّؤَالَ كَمَا سَأَلَهُ عَنْهُ أَوَّلًا أَجَابَهُ، وَإِلَّا لَمْ يُجِبْهُ، وَهَذَا مِنْ فَهْمِهِ وَفِطْنَتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، وَفِي ذَلِكَ فَوَائِدُ عَدِيدَةٌ:

مِنْهَا: أَنَّ الْمَسْأَلَةَ تَزْدَادُ وَضُوحًا وَبَيَانًا بِتَفْهَمِ السُّؤَالِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ السَّائِلَ لَعَلَّهُ أَهْمَلَ فِيهَا أَمْرًا يَتَغَيَّرُ بِهِ الْحُكْمُ فَإِذَا أَعَادَهَا رُبَّمَا بَيَّنَّهُ لَهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَسْئُولَ قَدْ يَكُونُ ذَاهِلًا عَنِ السُّؤَالِ أَوَّلًا، ثُمَّ يَحْضُرُ ذَهْنُهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

«١» رواه البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٠) عن معاوية رضي الله عنه.

ومنها: أَنَّهُ رُبَّمَا بَانَ لَهُ تَعَنُّتُ السَّائِلِ وَأَنَّهُ وَضَعَ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِذَا غَيَّرَ السُّؤَالَ وَزَادَ فِيهِ وَنَقَصَ فَرُبَّمَا ظَهَرَ لَهُ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَأَنَّهَا مِنْ الْأَغْلُوطَاتِ أَوْ غَيْرِ الْوَاقِعَاتِ الَّتِي لَا يَجِبُ الْجَوَابُ عَنْهَا؛ فَإِنَّ الْجَوَابَ بِالظَّنِّ إِنَّمَا يَجُوزُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، فَإِذَا وَقَعَتْ الْمَسْأَلَةُ صَارَتْ حَالُ ضَرُورَةٍ فَيَكُونُ التَّوْفِيقُ إِلَى الصَّوَابِ أَقْرَبَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. إعلام الموقعين

عن رب العالمين (٢/ ١٢٩).

أربع حكم في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

قال ﷺ: وَكَانَ لِلَّهِ فِي جَعْلِ الْقِبْلَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ تَحْوِيلِهَا إِلَى الْكَعْبَةِ حِكْمٌ عَظِيمَةٌ، وَمِحْنَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودَ وَالْمُنَافِقِينَ.

فَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَقَالُوا: ﴿**أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧] وَهُمْ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ، وَلَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَقَالُوا: كَمَا رَجَعَ إِلَى قِبْلَتِنَا، يُوشِكُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى دِينِنَا، وَمَا رَجَعَ إِلَيْهَا إِلَّا أَنَّهُ الْحَقُّ.

وَأَمَّا الْيَهُودُ فَقَالُوا: خَالَفَ قِبْلَةَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا لَكَانَ يُصَلِّي إِلَى قِبْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَقَالُوا: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ أَيْنَ يَتَوَجَّهْ، إِنْ كَانَتْ الْأُولَى حَقًّا فَقَدْ تَرَكَهَا، وَإِنْ كَانَتْ الثَّانِيَةُ هِيَ الْحَقُّ فَقَدْ كَانَ عَلَى بَاطِلٍ، وَكَثُرَتْ أَقَاوِيلُ السُّفَهَاءِ مِنَ النَّاسِ،

وَكَانَتْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**﴾ [البقرة: ١٤٣]

[البقرة: ١٤٣] وَكَانَتْ مِحْنَةً مِنَ اللَّهِ امْتَحَنَ بِهَا عِبَادَهُ لِيَرَى مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِنْهُمْ مِمَّنْ

يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٦٠).

خلق الإنسان على أربعة أطوار

قال رَحِمَهُ اللهُ: عند قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ [البقرة: ٢٨] فهذا استدلال قاطع على أن

الإيمان بالله تعالى أمر مستقر في الفطر والعقول وأنه لا عذر لأحد في الكفر به البتة.

فذكر تعالى أربعة أمور ثلاثة منها مشهودة في هذا العالم والرابع منتظر موعود به وعد

الحق:

الأول: كونهم كانوا أمواتا لا أرواح فيهم بل نطفًا وعلقًا ومضغة مواتا لا حياة فيها.

الثاني: أنه تعالى أحياهم بعد هذه الإماتة.

الثالث: أنه تعالى يميتهم بعد هذه الحياة.

الرابع: أنه يحييهم بعد هذه الإماتة فيرجعون إليه.

فما بال العاقل يشهد الثلاثة الأطوار الأول ويكذب بالرابع، وهل الرابع إلا طور من

أطوار التخليق، فالذي أحياكم بعد أن كنتم مواتا ثم أماتكم بعد أن أحياكم، ما الذي

يعجزه عن إحياكم بعد ما يميتكم. بدائع الفوائد (٤ / ١٣٧).

أربعة أشياء تهدم البدن

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ الْحَارِثُ: أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ تَهْدِمُ الْبَدَنَ:

الْجَمَاعُ عَلَى الْبُطْنَةِ.

وَدُخُولُ الْحَمَامِ عَلَى الْإِمْتِلَاءِ.

وَأَكْلُ الْقَدِيدِ.

وَجَمَاعُ الْعَجُوزِ.

الطب النبوي (ص: ٣١١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: أَرْبَعَةٌ تَهْدِمُ الْبَدَنَ: الْهَمُّ، وَالْحُزْنُ، وَالْجُوعُ، وَالسَّهَرُ. الطب النبوي (ص: ٣١٤).

وأربعة تضرح

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَرْبَعَةٌ تُفْرِحُ:

النَّظَرُ إِلَى الْخَضِرَةِ.

وَالِإِلَى الْمَاءِ الْجَارِي.

وَالْمَحْبُوبِ.

وَالثَّمَارِ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).

أربعة تقوي الجسم

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَرْبَعَةٌ تُقَوِّي الْجِسْمَ:

لُبْسُ الثَّوبِ النَّاعِمِ.

وَدُخُولُ الْحَمَامِ الْمَعْتَدِلِ.

وَأَكْلُ الطَّعَامِ الْحَلْوِ الدَّسَمِ.

وَشَمُّ الرِّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).

أربعة تيبس الوجه

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَرْبَعَةٌ تُبَيِّسُ الْوَجْهَ، وَتُذْهِبُ مَاءَهُ وَبَهْجَتَهُ وَطَلَاوَتَهُ:

الْكَذِبُ.

وَالْوَقَاحَةُ.

وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ.

وَكَثْرَةُ الْفُجُورِ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).

أربعة تزيد في ماء الوجه وبهجته

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَرْبَعَةٌ تَزِيدُ فِي مَاءِ الْوَجْهِ وَبَهْجَتِهِ:

الْمُرُوءَةُ.

وَالْوَفَاءُ.

وَالْكَرَمُ.

وَالْتَّقْوَى.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).

أربعة تجلب البغضاء والمقت

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَرْبَعَةٌ تَجْلِبُ الْبَغْضَاءَ وَالْمَقْتَ:

الْكِبَرُ.

وَالْحَسَدُ.

وَالْكَذِبُ.

وَالنَّمِيمَةُ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).

أربعة تجلب الرزق

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَرْبَعَةٌ تَجْلِبُ الرِّزْقُ:

قِيَامُ اللَّيْلِ.

وَكَثْرَةُ الْإِسْتِغْفَارِ بِالْأَسْحَارِ.

وَتَعَاهُدُ الصَّدَقَةِ.

وَالذِّكْرُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).

أربعة تمنع الرزق

وقال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَرْبَعَةٌ تَمْنَعُ الرِّزْقُ:

نَوْمُ الصُّبْحَةِ.

وَقِلَّةُ الصَّلَاةِ.

وَالْكَسْلُ.

وَالْخِيَانَةُ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).

أربعة تضر بالضم والذهن

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَأَرْبَعَةٌ تَضُرُّ بِالْفَهْمِ وَالذَّهْنِ:

إِدْمَانُ أَكْلِ الْحَامِضِ وَالْفَوَاحِ.

وَالنَّوْمُ عَلَى الْقَفَا.

وَالْهَمُّ.

وَالْغَمُّ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).

أربعة تزيد في الفهم

قال **رَحِمَهُ اللهُ**: وَأَرْبَعَةٌ تَزِيدُ فِي الْفَهْمِ:

فَرَاغُ الْقَلْبِ.

وَقَلَّةُ التَّمَلُّي مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

وَحُسْنُ تَدْبِيرِ الْغِذَاءِ بِالْأَشْيَاءِ الْحُلُوةِ وَالْدَّسِمَةِ.

وإِخْرَاجُ الْفَضَلَاتِ الْمُثْقَلَةِ لِلْبَدَنِ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٤).

أربعة أشياء تمرض الجسم

قال **رَحِمَهُ اللهُ**: وَأَرْبَعَةٌ أَشْيَاءُ تُمَرِّضُ الْجِسْمَ:

الْكَلَامُ الْكَثِيرُ، وَالنَّوْمُ الْكَثِيرُ، وَالْأَكْلُ الْكَثِيرُ، وَالْجَمَاعُ الْكَثِيرُ.

فَالْكَلَامُ الْكَثِيرُ: يَقْلِلُ مَخَّ الدِّمَاغِ وَيُضْعِفُهُ، وَيَعْجَلُ الشَّيْبَ.

وَالنَّوْمُ الْكَثِيرُ: يَصْفَرُّ الْوَجْهَ، وَيُعْمِي الْقَلْبَ، وَيَهَيِّجُ الْعَيْنَ، وَيُكْسِلُ عَنِ الْعَمَلِ، وَيُولِّدُ

الرُّطُوبَاتِ فِي الْبَدَنِ.

وَالْأَكْلُ الْكَثِيرُ: يُفْسِدُ فَمَ الْمَعِدَةِ، وَيُضْعِفُ الْجِسْمَ، وَيُولِّدُ الرِّيَّاحَ الْغَلِيظَةَ، وَالْأَدْوَاءَ

الْعَسِرَةَ.

وَالْجَمَاعُ الْكَثِيرُ: يَهْدُّ الْبَدْنَ، وَيُضْعِفُ الْقُوَى، وَيَجْفَفُ رُطُوبَاتِ الْبَدَنِ، وَيُرْخِي

الْعَصَبَ، وَيُورِثُ السَّدَدَ، وَيَعْمُ ضَرَرُهُ جَمِيعَ الْبَدَنِ، وَيَخْصُ الدِّمَاغَ لِكَثْرَةِ مَا يَتَحَلَّلُ بِهِ

مِنَ الرُّوحِ النَّفْسَانِيَّ، وَإِضْعَافُهُ أَكْثَرُ مِنْ إِضْعَافِ جَمِيعِ الْمُسْتَفْرِغَاتِ، وَيَسْتَفْرِغُ مِنْ جَوْهَرِ الرُّوحِ شَيْئًا كَثِيرًا.

وَأَنْفَعُ مَا يَكُونُ إِذَا صَادَفَ شَهْوَةً صَادِقَةً مِنْ صُورَةٍ جَمِيلَةٍ حَدِيثَةِ السِّنِّ حَلَالًا مَعَ سِنِّ الشُّبُوبَةِ، وَحَرَارَةِ الْمِزَاجِ وَرُطُوبَتِهِ، وَبَعْدَ الْعَهْدِ بِهِ وَخَلَاءِ الْقَلْبِ مِنَ الشَّوَاغِلِ النَّفْسَانِيَّةِ، وَلَمْ يُفْرِطْ فِيهِ، وَلَمْ يُقَارِنْهُ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ مَعَهُ مِنْ امْتِلَاءٍ مُفْرِطٍ، أَوْ خَوَاءٍ، أَوْ اسْتِفْرَاحٍ، أَوْ رِيَاضَةٍ تَامَّةٍ، أَوْ حَرٍّ مُفْرِطٍ، أَوْ بَرْدٍ مُفْرِطٍ، فَإِذَا رَاعَى فِيهِ هَذِهِ الْأُمُورَ الْعَشْرَةَ، انْتَفَعَ بِهِ جَدًّا، وَأَيُّهَا فَقَدْ؛ فَقَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ الضَّرَرِ بِحَسَبِهِ، وَإِنْ فَقَدَتْ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا، فَهُوَ الْهَلَاكُ الْمَعْجَلُ. الطب النبوي (ص: ٣١٣).

أربعة تقوي البدن

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: أَرْبَعَةٌ تُقَوِّي الْبَدَنَ:

أَكْلُ اللَّحْمِ.

وَسَمُّ الطَّيِّبِ.

وَكَثْرَةُ الْغُسْلِ مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ.

وَلُبْسُ الْكَتَّانِ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥).

أربعة توهن البدن

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وَأَرْبَعَةٌ تَوْهِنُ الْبَدَنَ:

كَثْرَةُ الْجَمَاعِ.

وَكَثْرَةُ الْهَمِّ.

وَكَثْرَةُ شُرْبِ الْمَاءِ عَلَى الرَّيْقِ.

وَكَثْرَةُ أَكْلِ الْحَامِضِ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥).

أربعة توهن البصر

قال **رَحِمَهُ اللهُ** : وَأَرْبَعَةٌ تُوهِنُ الْبَصَرَ :

النَّظَرُ إِلَى الْقَدَرِ .

وَالِى الْمَصْلُوبِ .

وَالِى فَرْجِ الْمَرْأَةِ .

وَالْقُعُودُ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ .

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥).

أربعة تقوي البصر

قال **رَحِمَهُ اللهُ** : وَأَرْبَعَةٌ تُقَوِّي الْبَصَرَ :

الْجُلُوسُ حِيَالَ الْكَعْبَةِ .

وَالْكُحْلُ عِنْدَ النَّوْمِ .

وَالنَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ .

وَتَنْظِيفُ الْمَجْلِسِ .

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥).

أربعة تظلم البصر

قال **رَحِمَهُ اللهُ**: وَأَرْبَعَةٌ تُظْلِمُ الْبَصَرَ:

الْمَشْيُ حَافِيًا.

وَالْتَّصَبُّحُ وَالتَّمَسُّي بِوَجْهِ الْبَغِيضِ وَالثَّقِيلِ، وَالْعَدُوَّ.

وَكَثْرَةُ الْبُكَاءِ.

وَكَثْرَةُ النَّظَرِ فِي الْخَطِّ الدَّقِيقِ.

الطب النبوي (ص: ٣١٤).

أربعة تزيد في الجماع

قال **رَحِمَهُ اللهُ**: وَأَرْبَعَةٌ تَزِيدُ فِي الْجِمَاعِ:

أَكْلُ الْعَصَافِيرِ.

وَالْإِطْرِيفِلِ.

وَالْفُسْتُقِ.

وَالْخَرْوَبِ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥).

أربعة تزيد في العقل

قال **رَحِمَهُ اللهُ**: وَأَرْبَعَةٌ تَزِيدُ فِي الْعَقْلِ:

تَرْكُ الْفُضُولِ مِنَ الْكَلَامِ.

وَالسَّوَاكُ.

وَمُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ.

وَمُجَالَسَةُ الْعُلَمَاءِ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٧٥).

للمرض أربعة أحوال

قال رحمه الله: وَلَمَّا كَانَ لِلْمَرَضِ أَرْبَعَةُ أَحْوَالٍ: **ابْتِدَاءٌ، وَصُعُودٌ، وَانْتِهَاءٌ، وَانْحِطَاطٌ،** تَعَيَّنَ عَلَى الطَّبِيبِ مُرَاعَاةُ كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الْمَرَضِ، بِمَا يُنَاسِبُهَا وَيَلِيقُ بِهَا، وَيَسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ حَالٍ مَا يَجِبُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهَا. زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ١٣٣).

المرض يدور على أربعة أشياء

قال رحمه الله: والمرض يدور على أربعة أشياء:

فساد، وضعف، ونقصان، وظلمة، ومنه مرض الرجل في الأمر إذا ضعف فيه ولم يبالغ وعين مريضة النظر أي فاترة ضعيفة وريح مريضة إذا هب هبوبها كما قال: راحت لأربعك الرياح مريضة.

أي لينة ضعيفة حتى لا يعفى أثرها. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٩٩).

جعل سبحانه في المعدة أربع قوى

قال رحمه الله: جعل سبحانه في المعدة أربع قوى:

قوة جاذبة للملائم.

وقوة منضجة له.

وقوة ممسكة له.

وقوة دافعة للفضلة المستغنى عنها منه.

ورئيس هذه القوى، هي القوة المنضجة، وسائرها خدم لها. التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٦٦).

إذا اجتمع في الطعام أربعاً فقد كمل

قال رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: إِذَا جَمَعَ الطَّعَامُ أَرْبَعًا، فَقَدْ كَمُلَ:

إِذَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ.

وَحُمِدَ اللَّهُ فِي آخِرِهِ.

وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي.

وَكَانَ مِنْ حِلِّ.

الطب النبوي (ص: ١٧٣).

أربع آفات للشرب قائماً

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَلِلشُّرْبِ قَائِمًا آفَاتٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا:

أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ بِهِ الرِّيُّ التَّامُّ.

وَلَا يَسْتَقِرُّ فِي الْمَعْدَةِ حَتَّى يَقْسِمَهُ الْكِبْدُ عَلَى الْأَعْضَاءِ.

وَيَنْزِلُ بِسُرْعَةٍ وَحِدَةٍ إِلَى الْمَعْدَةِ فَيُخْشَى مِنْهُ أَنْ يُرَدَّ حَرَارَتُهَا.

وَيُسَوِّشُهَا، وَيُسْرِعَ النُّفُوزَ إِلَى أَسْفَلِ الْبَدَنِ بِغَيْرِ تَدْرِيجٍ.

وَكُلُّ هَذَا يَضُرُّ بِالشَّارِبِ، وَأَمَّا إِذَا فَعَلَهُ نَادِرًا أَوْ لِحَاجَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ، وَلَا يُعْتَرِضُ بِالْعَوَائِدِ

عَلَى هَذَا، فَإِنَّ الْعَوَائِدَ طَبَائِعُ ثَوَانٍ، وَلَهَا أَحْكَامٌ أُخْرَى، وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْخَارِجِ عَنِ الْقِيَاسِ

عِنْدَ الْفُقَهَاءِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٢١٠).

أسباب الفطر أربعة

قال رَحِمَهُ اللهُ: أسباب الفطر أربعة: **السفر، والمرض، والحيض، والخوف** على هلاك من يخشى عليه بصوم؛ كالمرضع، والحامل، إذا خافتا على ولديهما، ومثله مسألة الغريق.

وأجاز شيخنا ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: الفطر للتقوي على الجهاد وفعله، وأفتى به لما نازل العدو دمشق في رمضان، فأنكر عليه بعض المتفقهين وقال: ليس سفرا طويلا، فقال الشيخ: هذا فطر للتقوي على جهاد العدو وهو أولى من الفطر للسفر، والمسلمون إذا قاتلوا عدوهم وهم صيام لم يمكنهم النكاية فيهم، وربما أضعفهم الصوم عن القتال؛ فاستباح العدو بيضة الإسلام.

وهل يشك فقيه أن الفطر ههنا أولى من فطر المسافر وقد أمرهم النبي رَحِمَهُ اللهُ في غزوة الفتح بالإفطار ليتقوا على عدوهم، فعلل ذلك للقوة على العدو لا للسفر والله أعلم.

قلت: إذا جاز فطر الحامل والمرضع لخوفهما على ولديهما وفطر من يخلص الغريق؛ ففطر المقاتلين أولى بالجواز، ومن جعل هذا من المصالح المرسلة؛ فقد غلط بل هذا أمر من باب قياس الأولى ومن باب دلالة النص وإيمائه. بدائع الفوائد (٤ / ٤٥).

القرع أربعة أنواع

قال رَحِمَهُ اللهُ: والقرع أربعة أنواع:

أحدها: أن يحلق من رأسه مواضع من ها هنا وها هنا مأخوذ من تقزع السحاب وهو

تقطعه

الثاني: أن يحلق وسطه ويترك جوانبه كما يفعل شمامسة النصارى

الثالث: أن يحلق جوانبه ويترك وسطه كما يفعل كثير من الأوباش والسفل

الرابع: أن يحلق مقدمه ويترك مؤخره وهذا كله من القرع. والله أعلم. تحفة المودود بأحكام

المولود (ص: ١٠٠).

حلق الرأس أربعة أقسام

قال رَحِمَهُ اللهُ: لَمْ يَكُنْ هَدْيُهُ ﷺ حَلَقَ رَأْسِهِ فِي غَيْرِ نُسْكِ، بَلْ لَمْ يُحْفَظْ عَنْهُ أَنَّهُ حَلَقَ رَأْسَهُ إِلَّا فِي حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، وَحَلَقَ الرَّأْسِ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ: **شَرْعِيٌّ، وَشُرْكَيٌّ، وَبِدْعِيٌّ، وَرُخْصَةٌ.**

فَالشَّرْعِيُّ: الْحَلَقُ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ.

وَالشُّرْكَيُّ: حَلَقَ الرَّأْسِ لِلشُّيُوخِ فَإِنَّهُمْ يَخْلُقُونَ رُءُوسَ الْمُرِيدِينَ لِلشَّيْخِ، وَيَقُولُونَ: اخْلُقْ رَأْسَكَ لِلشَّيْخِ فُلَانٍ، وَهَذَا مِنْ جِنْسِ السُّجُودِ لَهُ، فَإِنَّ حَلَقَ الرَّأْسِ عِبُودِيَّةٌ مُذَلَّةٌ.

وَأَمَّا الْحَلَقُ الْبِدْعِيُّ فَهُوَ: كَحَلَقِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُطَوَّعَةِ وَالْفُقَرَاءِ يَجْعَلُونَهُ شَرْطًا فِي الْفَقْرِ، وَزَيًّا يَتَمَيِّزُونَ بِهِ عَنْ أَهْلِ الشُّعُورِ مِنَ الْجُنْدِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْقُضَاةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخَوَارِجِ أَنَّهُ قَالَ: «سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ»^(١).

(١) رواه البخاري برقم (٧٥٦٢) ومسلم برقم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رَحِمَهُ اللهُ.

وَمِنْ حَلَقِ الْبِدْعَةِ الْحَلَقُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ بِمَوْتِ الْقَرِيبِ وَنَحْوِهِ، فَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَيَحْرُمُ عَلَيْهَا ذَلِكَ، وَقَدْ بَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْحَالِقَةِ وَالصَّالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ.
وَأَمَّا حَلَقُ الْحَاجَةِ وَالرُّخْصَةِ فَهُوَ كَالْحَلَقِ لَوَجَعَ أَوْ قَمَلَ أَوْ أَذَى فِي رَأْسِهِ مِنْ بُثُورٍ وَنَحْوِهَا فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ. أحكام أهل الذمة (٣/ ١٢٩١).



الفوائد الخماسية

الكفر الأكبر على خمسة أنواع

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وَأَمَّا الْكُفْرُ الْأَكْبَرُ، فَخَمْسَةُ أَنْوَاعٍ:

كُفْرٌ تَكْذِيبٌ، وَكُفْرٌ اسْتِكْبَارٌ وَإِبَاءٌ مَعَ التَّصَدِيقِ، وَكُفْرٌ إِعْرَاضٍ، وَكُفْرٌ شَكٌّ، وَكُفْرٌ

نِفَاقٌ.

فَأَمَّا كُفْرُ التَّكْذِيبِ: فَهُوَ اعْتِقَادُ كَذِبِ الرُّسُلِ، وَهَذَا الْقِسْمُ قَلِيلٌ فِي الْكُفَّارِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيْدَ رُسُلِهِ، وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْآيَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ مَا أَقَامَ بِهِ الْحُجَّةَ، وَأَزَالَ بِهِ

الْمَعْذِرَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتَهَا أَنْفُسُكُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾

[النمل: ١٤] وَقَالَ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ إِنَّا نَبَأُ اللَّهِ يَجْحَدُونَ

[الأأنعام: ٣٣].

وَإِنْ سُمِّيَ هَذَا كُفْرٌ تَكْذِيبٌ أَيْضًا فَصَحِيحٌ، إِذْ هُوَ تَكْذِيبٌ بِاللِّسَانِ.

وَأَمَّا كُفْرُ الْإِبَاءِ وَالِاسْتِكْبَارِ: فَنَحْوُ كُفْرِ إِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْحَدْ أَمْرَ اللَّهِ وَلَا قَابِلَهُ بِالْإِنْكَارِ، وَإِنَّمَا تَلَقَّاهُ بِالْإِبَاءِ وَالِاسْتِكْبَارِ، وَمِنْ هَذَا كُفْرٌ مَنْ عَرَفَ صِدْقَ الرَّسُولِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْقُذْ لَهُ إِبَاءً وَاسْتِكْبَارًا، وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى كُفْرِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ،

كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: ﴿أَتُؤْمِنُ بِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ﴾

[المؤمنون: ٤٧].

وَقَوْلِ الْأُمِّ لِرُسُلِهِمْ: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] وَقَوْلِهِ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ

بَطْعُونَهَا ۝﴾ [الشمس: ١١] وَهُوَ كُفْرُ الْيَهُودِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا

عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] وَقَالَ: ﴿يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] وَهُوَ كُفْرُ

أَبِي طَالِبٍ أَيْضًا، فَإِنَّهُ صَدَقَهُ وَلَمْ يَشْكُ فِي صِدْقِهِ، وَلَكِنْ أَخَذَتْهُ الْحَمِيَّةُ، وَتَعْظِيمُ آبَائِهِ أَنْ يَرْغَبَ عَنْ مِلَّتِهِمْ، وَيَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ.

وَأَمَّا كُفْرُ الْإِعْرَاضِ: فَإِنْ يُعْرِضُ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ عَنِ الرَّسُولِ، لَا يُصَدِّقُهُ وَلَا يُكَذِّبُهُ، وَلَا

يُؤَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ، وَلَا يُضْغِي إِلَى مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ، كَمَا قَالَ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ يَالِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

وَاللَّهِ أَقُولُ لَكَ كَلِمَةً، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَأَنْتَ أَجَلُ فِي عَيْنِي مِنْ أَنْ أُرَدَّ عَلَيْكَ، وَإِنْ كُنْتَ

كَاذِبًا، فَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ أَنْ أَكَلِّمَكَ.

وَأَمَّا كُفْرُ الشَّكِّ: فَإِنَّهُ لَا يَجْزِمُ بِصِدْقِهِ وَلَا يُكَذِّبُهُ، بَلْ يَشْكُ فِي أَمْرِهِ، وَهَذَا لَا يَسْتَمِرُّ

شَكُّهُ إِلَّا إِذَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْإِعْرَاضَ عَنِ النَّظَرِ فِي آيَاتِ صَدَقِ الرَّسُولِ ﷺ جُمْلَةً، فَلَا

يَسْمَعُهَا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَأَمَّا مَعَ الْتِفَاتِهِ إِلَيْهَا، وَنَظَرِهِ فِيهَا فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى مَعَهُ شَكٌّ، لِأَنَّهَا

مُسْتَلْزِمَةٌ لِلصِّدْقِ، وَلَا سِيَّمَا بِمَجْمُوعِهَا، فَإِنَّ دَلَالَتَهَا عَلَى الصِّدْقِ كَدَلَالَةِ الشَّمْسِ عَلَى

النَّهَارِ.

وَأَمَّا كُفْرُ النِّفَاقِ: فَهُوَ أَنْ يُظْهَرَ بِلِسَانِهِ الْإِيمَانُ، وَيَنْطَوِيَ بِقَلْبِهِ عَلَى التَّكْذِيبِ، فَهَذَا هُوَ

النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٣٤٦).

الناس في الصلاة على مراتب خمسة

قال رَحِمَهُ اللهُ: النَّاسُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مَرَاتِبَ خَمْسٍ:

أَحَدُهَا: مَرْتَبَةُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمَفْرُطِ وَهُوَ الَّذِي انْتَقَصَ مِنْ وُضُوئِهَا وَمَوَاقِيتِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا.

الثاني: مَنْ يُحَافِظُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا الظَّاهِرَةِ وَوُضُوئِهَا لَكِنْ قَدْ ضَاعَ مُجَاهِدَةُ نَفْسِهِ فِي الْوَسْوَسةِ فَذَهَبَ مَعَ الْوَسَاوِسِ وَالْأَفْكَارِ.

الثالث: مَنْ حَافَظَ عَلَى حُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا وَجَاهَدَ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ الْوَسَاوِسِ وَالْأَفْكَارِ فَهُوَ مَشْغُولٌ بِمُجَاهِدَةِ عَدُوِّهِ لِئَلَّا يَسْرِقَ صَلَاتَهُ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ وَجِهَادٍ.

والرَّابِعُ: مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وَأَرْكَانَهَا وَحُدُودَهَا وَاسْتَغْرَقَ قَلْبُهُ مُرَاعَاةَ حُدُودِهَا وَحُقُوقَهَا لِئَلَّا يَضِيعَ شَيْءٌ مِنْهَا بَلْ هَمُّهُ كُلُّهُ مَصْرُوفٌ إِلَى إِقَامَتِهَا كَمَا يَنْبَغِي إِكْمَالِهَا وَإِتْمَامِهَا، قَدْ اسْتَغْرَقَ قَلْبُهُ شَأْنَ الصَّلَاةِ عُبُودِيَّةً رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا.

الخامِسُ: مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَامَ إِلَيْهَا كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ أَخَذَ قَلْبُهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ ﷻ نَاطِرًا بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ مُرَاقِبًا لَهُ مُمْتَلِئًا مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدُهُ، وَقَدْ اُضْمَحَلَّتْ تِلْكَ الْوَسَاوِسُ وَالْخَطَرَاتُ وَارْتَفَعَتْ حُجُبُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الصَّلَاةِ أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهَذَا فِي صَلَاتِهِ مَشْغُولٌ بِرَبِّهِ ﷻ قَرِيرُ الْعَيْنِ.

فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ: مُعَاقِبٌ. وَالثَّانِي: مُحَاسِبٌ. وَالثَّلَاثُ: مُكَفِّرٌ عَنْهُ. وَالرَّابِعُ: مُثَابٌّ. وَالْخَامِسُ: مُقَرَّبٌ مِنْ رَبِّهِ؛ لِأَنَّ لَهُ نَصِيبًا مِمَّنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ.

فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا؛ قرت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حشرات. الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٢٣).

مراتب الشجاعة والشجاعة خمسة

قال رحمه الله: مَرَاتِبُ الشَّجَاعَةِ وَالشَّجَاعَةُ:

أول: مَرَاتِبُهُمُ الْهَمَامُ وَاسْمِي بِذَلِكَ لَهُمَّةٌ وَعَزْمُهُ وَجَاءَ عَلَى بِنَاءِ فَعَالٍ كَشَجَاعٍ.

الثاني: الْمِقْدَامُ وَاسْمِي بِذَلِكَ مِنَ الْإِقْدَامِ وَهُوَ ضِدُّ الْإِحْجَامِ وَجَاءَ عَلَى أَوْزَانِ الْمُبَالَغَةِ كَمُعْطَاءٍ وَمِنْحَارٍ لِكَثِيرِ الْعَطَاءِ وَالنَّحْرِ وَهَذَا الْبِنَاءُ يَسْتَوِي فِيهِ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ كَامْرَأَةٍ مِعْطَارٍ كَثِيرَةٍ التَّعْطَرُ وَمَذْكَارٍ تَلْدُ الذُّكُورُ.

الثالث: الْبَاسِلُ وَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ بَسَلَ يَبْسِلُ كَشَرَفٍ يَشْرَفُ وَالْبَسَالَةُ الشَّجَاعَةُ وَالشَّدَّةُ وَضِدُّهَا فَشَلٌ يَفْشَلُ فَشَالَةً وَهِيَ عَلَى وَزْنِهَا فَعَلًا وَمَصْدَرًا وَهِيَ الرِّذَالَةُ.

الرابع: الْبَطْلُ وَجَمْعُهُ أَبْطَالٌ وَفِي تَسْمِيَّتِهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: لِأَنَّهُ يَبْطُلُ فَعْلُ الْأَقْرَانِ فَتَبْطُلُ عِنْدَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ فَيَكُونُ بَطْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ فِي الْمَعْنَى لِأَنَّ هَذَا الْفِعْلَ غَيْرُ مُتَعَدٍّ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ بِمَعْنَى فَاعِلٍ لَفْظًا وَمَعْنَى لِأَنَّهُ الَّذِي يَبْطُلُ شَجَاعَةً غَيْرَهُ فَيَجْعَلُهَا بِمَنْزِلَةِ الْعَدَمِ فَهُوَ بَطْلٌ بِمَعْنَى مُبْطُلٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَطْلٌ بِمَعْنَى مُبْطُلٍ بِوَزْنٍ مَكْرَمٍ وَهُوَ الَّذِي قَدْ بَطَلَهُ غَيْرُهُ فَلشجاعته تحاماه النَّاسُ فَبَطَلُوا فَعْلَهُ بِاسْتِسْلَامِهِمْ لَهُ وَتَرْكِ مُحَارَبَتِهِمْ إِيَّاهُ.

الخامس: الصنديد بكسر الصاد والعامّة تلحن فيقولون ويجوز أن يكون بطل بمعنى مُبطل بوزن مكرم وهو الذي قد بطله غيره فلشجاعته تحاماه الناس فبطلوا فعله باستسلامهم له وترك محاربتهم إياه «صنديد» بفتحها وليس في كلامهم فعليل بفتح الفاء وإنما هو بالكسر في الأسماء كقنديل وحلّيت وفي الصفات كشمليل والصنديد الذي لا يقوم له شيء. الفروسيّة (ص: ٥٠٣).

خمسة أشياء تبتنى عليها قبة النصر

قال رحمه الله: ونختم هذا الكتاب بآية من كتاب الله تعالى جمع فيها تدبير الحروف بأحسن تدبير وهي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٤٥ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ٤٦ [الأنفال: ٤٥ - ٤٦].

فأمر المجاهدين فيها بخمسة أشياء ما اجتمعت في فئة قط إلا نصرت وإن قلت وكثر عدوها:

أحدها: الثبات.

الثاني: كثرة ذكره سبحانه وتعالى.

الثالث: طاعته وطاعة رسوله.

الرابع: اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن وهو جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرهما فإذا فرقها وصار كل منها وحده كسرهما كلها.

الخامس: ملاك ذلك كله وقوامه وأساسه وهو الصبر.

فهذه خمسة أشياء، تبنى عليها قبة النصر، ومتى زالت أو بعضها زال من النصر بحسب ما نقص منها، وإذا اجتمعت قوى بعضها بعضاً وصار لها أثر عظيم في النصر ولما اجتمعت في الصحابة لم تقم لهم أمة من الأمم وفتحوا الدنيا ودانت لهم العباد والبلاد ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت آل الأمر إلى ما آل. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل. الفروسيه (ص: ٥٠٥).

للصبر خمس مراتب

قال رحمه الله: مراتب الصابرين خمسة:

صابر، ومضطرب، ومُتصبر، وصبور، وصبار.

فالصابر: أعمها.

والمضطرب: المكتسب الصبر المليء به.

والمُتصبر: المتكلف حامل نفسه عليه.

والصبور: العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره.

والصبار: الكثير الصبر. فهذا في القدر والكم. والذي قبله في الوصف والكيف. مدارج

للدعوة خمس مراتب

قال ﷺ: الدَّعْوَةُ لَهَا مَرَاتِبُ:

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: النُّبُوَّةُ.

الثَّانِيَّةُ: إِنْذَارُ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ.

الثَّالِثَةُ: إِنْذَارُ قَوْمِهِ.

الرَّابِعَةُ: إِنْذَارُ قَوْمٍ مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِهِ وَهُمْ الْعَرَبُ قَاطِبَةً.

الْخَامِسَةُ: إِنْذَارُ جَمِيعِ مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَتُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ. زاد المعاد في هدي

خير العباد (١/ ٨٤).

ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّدَقَ فِي الْقُرْآنِ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ

قال ﷺ: أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ: أَنْ يَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ مُدْخَلَهُ وَمُخْرَجَهُ عَلَى

الصَّدَقِ. فَقَالَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠] وَأَخْبَرَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، أَنَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ

لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ. فَقَالَ: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]

وَبَشَّرَ عِبَادَهُ بِأَنْ لَهُمْ عِنْدَهُ قَدَمَ صِدْقٍ، وَمَقْعَدَ صِدْقٍ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ

لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] وَقَالَ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدٍ

صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ﴾ [٥٥] [القمر: ٥٤ - ٥٥].

فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: مُدْخَلُ الصَّدَقِ، وَمُخْرَجُ الصَّدَقِ. وَلِسَانُ الصَّدَقِ، وَقَدَمُ الصَّدَقِ،

وَمَقْعَدُ الصَّدَقِ.

وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ: هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ، الْمُتَّصِلُ بِاللَّهِ، الْمُوَصَّلُ إِلَى اللَّهِ. وَهُوَ مَا كَانَ بِهِ وَلَهُ، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ. وَجَزَاءُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. مدارج السالكين بين

منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٥٩).

المرأة على النصف من الرجل في خمسة أشياء

قال رحمه الله: عند حديث أبي أمامة وغيره رضي الله عنهم، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَيُّمَا امْرِئٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، كَانَ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزَى كُلُّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ، وَأَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ كَانَتَا فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزَى كُلُّ عَضْوَيْنِ مِنْهُمَا عَضْوًا مِنْهُ»^(١). وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِتْقَ الْعَبْدِ أَفْضَلُ، وَأَنَّ عِتْقَ الْعَبْدِ يَعْدِلُ عِتْقَ أَمَتَيْنِ، فَكَانَ أَكْثَرُ عِتْقَائِهِ ﷺ مِنَ الْعَبِيدِ، وَهَذَا أَحَدُ الْمَوَاضِعِ الْخَمْسَةِ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْأُنْثَى عَلَى النِّصْفِ مِنَ الذَّكَرِ.

والثاني: الْعَقِيقَةُ، فَإِنَّهُ عَنِ الْأُنْثَى شَاةٌ، وَعَنِ الذَّكَرِ شَاتَانِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَفِيهِ عِدَّةُ أَحَادِيثَ صَحَّاحٍ وَحَسَّانٍ.

والثالث: الشَّهَادَةُ فَإِنَّ شَهَادَةَ امْرَأَتَيْنِ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ.

والرابع: الْمِيرَاثُ.

والخامس: الدِّيَّةُ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٥٤). وانظر: بدائع الفوائد (٣/ ٦٧٣) الطرق الحكمية (ص: ١٢٦). إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١١٤).

(١) رواه الترمذي وغيره، وهو في الصحيحة للعلامة الألباني (٢٦١١).

لا تكون الطريق صراطاً حتى تتضمن خمسة أمور

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَلَا تَكُنْ الطَّرِيقُ صِرَاطًا حَتَّى تَتَّصِفَ خَمْسَةً أُمُورًا:

الِاسْتِقَامَةَ.

وَالِإِيصَالَ إِلَى الْمَقْصُودِ.

وَالْقُرْبَ.

وَسَعَتَهُ لِلْمَارِّينَ عَلَيْهِ.

وَتَعْيْنَهُ طَرِيقًا لِلْمَقْصُودِ.

وَلَا يَخْفَى تَضَمُّنُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الْخَمْسَةِ.

فَوَصْفُهُ بِالِاسْتِقَامَةِ يَتَضَمَّنُ قُرْبَهُ، لِأَنَّ الْخَطَّ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ أَقْرَبُ خَطٍّ فَاصِلٍ بَيْنَ نَقْطَتَيْنِ، وَكُلَّمَا تَوَجَّحَ طَالَ وَبَعُدَ، وَاسْتِقَامَتُهُ تَتَضَمَّنُ إِيْصَالَهُ إِلَى الْمَقْصُودِ، وَنُصْبُهُ لِجَمِيعِ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ يَسْتَلْزِمُ سَعَتَهُ، وَإِضَافَتُهُ إِلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ وَوَصْفُهُ بِمُخَالَفَةِ صِرَاطِ أَهْلِ الْغَضَبِ وَالضَّلَالِ يَسْتَلْزِمُ تَعْيْنَهُ طَرِيقًا. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٣).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: وَأما المسألة الثالثة: وهى اشتقاق الصراط؛ فالمشهور أنه من "صرطتُ

الشيء أضطره" إذا بلعته بلعاً سهلاً، فسمى الطريق: صراطاً؛ لأنه يسترط المارّة فيه.

والصراط ما جمع خمسة أوصاف:

أن يكون طريقاً مستقيماً.

سهلاً.

مسلوكاً.

واسعاً.

موصلاً إلى المقصود.

فلا تسمي العرب الطريق المعوج: صراطاً، ولا الصعب المشق، ولا المسدود غير الموصّل، ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك قال جرير:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ * إِذَا اغْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ

بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٢/ ٤١٦).

صاحب البصيرة إذا وقع في الخطيئة فله نظر إلى خمسة أمور

قال رحمه الله: أَعْلَمُ أَنَّ صَاحِبَ الْبَصِيرَةِ إِذَا صَدَرَتْ مِنْهُ الْخَطِيئَةُ فَلَهُ نَظَرٌ إِلَى خَمْسَةِ أُمُورٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَيُحَدِّثَ لَهُ ذَلِكَ الْإِعْتِرَافَ بِكَوْنِهَا خَطِيئَةً، وَالْإِقْرَارَ عَلَى نَفْسِهِ بِالذَّنْبِ.

الثَّانِي: أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، فَيُحَدِّثَ لَهُ ذَلِكَ خَوْفًا وَخَشْيَةً، تَحْمِلُهُ عَلَى التَّوْبَةِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَنْظُرَ إِلَى تَمَكِينِ اللَّهِ لَهُ مِنْهَا، وَتَخْلِيَتِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، وَتَقْدِيرِهَا عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَعَصَمَهُ مِنْهَا.

فَيُحَدِّثُ لَهُ ذَلِكَ أَنْوَاعًا مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَحِكْمَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَمَغْفِرَتِهِ وَعَفْوِهِ، وَحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ، وَتُوجِبُ لَهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ عُبُودِيَّةً بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، لَا تَحْصُلُ بِدُونِ لَوَازِمِهَا الْبَتَّةَ، وَيَعْلَمُ ارْتِبَاطَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالْجَزَاءِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُوجِبُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَأَثَرُهَا فِي الْوُجُودِ، وَأَنَّ كُلَّ اسْمٍ وَصِفَةٍ مُقْتَضٍ لِأَثَرِهِ وَمُوجِبِهِ، مُتَعَلِّقٌ بِهِ لَا بُدَّ مِنْهُ.

وَهَذَا الْمَشْهَدُ يُطْلَعُهُ عَلَى رِيَاضٍ مُونِقَةٍ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْإِيمَانِ، وَأَسْرَارِ الْقَدْرِ وَالْحِكْمَةِ يَضِيقُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا نِطَاقُ الْكَلِمِ.

فَمِنْ بَعْضِهَا: مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ **أَنْ يَعْرِفَ** الْعَبْدُ عِزَّتَهُ فِي قَضَائِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَزِيزُ الَّذِي يَقْضِي بِمَا يَشَاءُ، **وَأَنَّهُ لِكَمَالٍ** عِزَّتِهِ حَكَمَ عَلَى الْعَبْدِ وَقَضَى عَلَيْهِ، بِأَنْ قَلَبَ قَلْبَهُ وَصَرَّفَ إِرَادَتَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَحَالَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَهُ مُرِيدًا شَائِيًّا لِمَا شَاءَ مِنْهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ الْعِزَّةِ، إِذْ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ، وَغَايَةُ الْمَخْلُوقِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي بَدَنِكَ وَظَاهِرِكَ، وَأَمَّا جَعْلُكَ مُرِيدًا شَائِيًّا لِمَا يَشَاءُ مِنْكَ وَيُرِيدُهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ذُو الْعِزَّةِ الْبَاهِرَةِ.

فَإِذَا عَرَفَ الْعَبْدُ عِزَّ سَيِّدِهِ وَلَا حَظَّهُ بِقَلْبِهِ، وَتَمَكَّنَ شُهُودُهُ مِنْهُ، كَانَ الْإِشْتِعَالُ بِهِ عَنْ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ أَوْلَى بِهِ وَأَنْفَعَ لَهُ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَعَ اللَّهِ لَا مَعَ نَفْسِهِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٢٢١).

القضايا لا تخلو من خمسة أنواع

قال رحمه الله: الرِّضَا مَعْقِدُ نِظَامِ الدِّينِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ. فَإِنَّ الْقَضَايَا لَا تَخْلُو مِنْ خَمْسَةِ أَنْوَاعٍ:

فَتَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: دِينِيَّةٍ، وَكَوْنِيَّةٍ. وَهِيَ **مَأْمُورَاتٌ، وَمَنْهِيَّاتٌ، وَمُبَاحَاتٌ، وَنَعَمٌ مُلَدَّةٌ، وَبَلَايَا مُؤَلَّمَةٌ.**

فَإِذَا اسْتَعْمَلَ الْعَبْدُ الرِّضَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فَقَدْ أَخَذَ بِالْحِظِّ الْوَافِرِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَفَازَ بِالْقِدْحِ الْمُعْلَى. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٢٠٤).

سعادة العبد وكمال لذته ونعيمه موقوف على خمس مقامات

قال رحمه الله: ومعلوم أن كمال العبد هو بأن يكون عارفا بالنعيم الذي يطلبه، والعمل الذي يوصل إليه، وأن يكون مع ذلك فيه إرادة جازمة لذلك العمل، ومحبة صادقة لذلك النعيم، وإلا فالعلم بالمطلوب وطريقه لا يحصله إن لم يقترن بذلك العمل، والإرادة الجازمة لا توجب وجود المراد إلا إذا لازمها الصبر.

فصارت سعادة العبد وكمال لذته ونعيمه موقوفا على هذه المقامات الخمسة: **علمه** بالنعيم المطلوب، **ومحبته** له، **وعلمه** بالطريق الموصول إليه، **وعمله** به، **وصبره** على ذلك. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٧٩).**

لوازم المحبة خمسة

قال رحمه الله: لَا تُحَدُّ الْمَحَبَّةُ بِحَدٍّ أَوْضَحَ مِنْهَا. فَالْحُدُودُ لَا تَزِيدُهَا إِلَّا خَفَاءً وَجَفَاءً. فَحَدُّهَا وَجُودُهَا. وَلَا تُوصَفُ الْمَحَبَّةُ بِوَصْفٍ أَظْهَرَ مِنَ الْمَحَبَّةِ. وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ النَّاسُ فِي أَسْبَابِهَا وَمُوجِبَاتِهَا، وَعَلَامَاتِهَا وَشَوَاهِدِهَا، وَثَمَرَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا. فَحُدُودُهُمْ وَرُسُومُهُمْ دَارَتْ عَلَى هَذِهِ السِّتَةِ. وَتَنَوَّعَتْ بِهِمُ الْعِبَارَاتُ. وَكَثُرَتْ الْإِشَارَاتُ، بِحَسَبِ إِذْرَاكِ الشَّخْصِ وَمَقَامِهِ وَحَالِهِ، وَمِلْكِهِ لِلْعِبَارَةِ. وَهَذِهِ الْمَادَّةُ تَدُورُ فِي اللُّغَةِ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: الصَّفَاءُ وَالْبَيَاضُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لَصَفَاءِ بَيَاضِ الْأَسْنَانِ وَنَضَارَتِهَا: حَبَبُ الْأَسْنَانِ.

الثَّانِي: الْعُلُوُّ وَالظُّهُورُ. وَمِنْهُ حَبَبُ الْمَاءِ وَحُبَابُهُ. وَهُوَ مَا يَعْلُوهُ عِنْدَ الْمَطَرِ الشَّدِيدِ. وَحَبَبُ الْكَأْسِ مِنْهُ.

الثالث: اللزوم والثبات. ومنه: حب البعير وأحب، إذا برک ولم يقم. قال الشاعر:

حُلتَ عَلَيْهِ بِالْفَلَاةِ ضَرْبًا * * ضَرْبَ بَعِيرِ السُّوءِ إِذْ أَحَبَّا

الرابع: اللب. ومنه: حبة القلب، للبه وداخله. ومنه الحبة لواحدة الحبوب. إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه.

الخامس: الحفظ والإمساك. ومنه حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه وفيه معنى الثبوت أيضا.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ الْخَمْسَةَ مِنْ لَوَازِمِ الْمَحَبَّةِ. فَإِنَّهَا صَفَاءُ الْمَوَدَّةِ، وَهَيْجَانُ إِرَادَاتِ الْقَلْبِ لِلْمَحْبُوبِ. وَعُلُوُّهَا وَظُهُورُهَا مِنْهُ لِتَعَلُّقِهَا بِالْمَحْبُوبِ الْمُرَادِ. وَثُبُوتُ إِرَادَةِ الْقَلْبِ لِلْمَحْبُوبِ. وَلُزُومُهَا لُزُومًا لَا تَفَارِقُهُ، وَلَا عَطَاءُ الْمُحِبِّ مَحْبُوبَهُ لَبَّهُ، وَأَشْرَفَ مَا عِنْدَهُ. وَهُوَ قَلْبُهُ، وَلَا جَمَاعَ عَزَمَاتِهِ وَإِرَادَاتِهِ وَهُمُومِهِ عَلَى مَحْبُوبِهِ.

فَاجْتَمَعَتْ فِيهَا الْمَعَانِي الْخَمْسَةُ. وَوَضَعُوا لِمَعْنَاهَا حَرْفَيْنِ مُنَاسِبَيْنِ لِلْمُسَمَّى غَايَةَ الْمُنَاسَبَةِ " الْحَاءُ " الَّتِي هِيَ مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ، وَ " الْبَاءُ " الشَّفَوِيَّةُ الَّتِي هِيَ نِهَائِيَّةُ فَلِلْحَاءِ الْإِبْتِدَاءُ، وَلِلْبَاءِ الْإِنْتِهَاءُ. وَهَذَا شَأْنُ الْمَحَبَّةِ وَتَعَلُّقُهَا بِالْمَحْبُوبِ. فَإِنَّ ابْتِدَاءَهَا مِنْهُ وَانْتِهَاءَهَا إِلَيْهِ. وَقَالُوا فِي فِعْلِهَا: حَبَّهُ وَأَحَبَّهُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

أَحَبُّ أَبَا ثَرْوَانَ مِنْ حُبِّ تَمَرِهِ * * وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الرَّفْقَ بِالْجَارِ أَرْفَقُ

فَوَاللَّهِ لَوْ لَا تَمَرُهُ مَا حَبَيْتُهُ * * وَلَا كَانَ أَدْنَى مِنْ عُيُودٍ وَمَشْرِقِ

التدبر والتفكير يثمر خمسة أمور

قال رحمه الله: التفكير والتذكر بذار العلم، وسقيه مطارحته، ومذاكرته تلقيحه، كما قال بعض السلف: "ملاقاة الرجال تلقيح لألبابها"؛ فالمذاكرة به لِقَاحُ العقل. فالخير والسعادة في خزانة مفتاحها التفكير؛ فإنه لا بد من تفكير وعلم يكون نتيجة الفكر، وحال يحدث للقلب من ذلك العلم؛ فإنَّ كلَّ من عِلِمَ شيئاً من المحبوب أو المكروه لا بدَّ أن يبقى لقلبه حالةٌ وينصبغ بصبغة من علمه، وتلك الحال توجب له إرادة، وتلك الإرادة توجب وقوع العمل.

فها هنا خمسة أمور: **الفكر**، و**ثمرته العلم**، و**ثمرتهما الحالة التي تحدث للقلب**، و**ثمرة ذلك الإرادة**، و**ثمرتها العمل**.

فالفكر إذاً هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها. وهذا يكشف لك عن فضل التفكير وشرفه، وأنه من أفضل أعمال القلب وأنفعها له، حتى قيل: "تفكر ساعة خير من عبادة سنة".

فالفكر هو الذي ينقل من موت الغفلة إلى حياة اليقظة، ومن المكاره إلى المحاب، ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة، ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة، ومن ضيق الجهل إلى سعة العلم ورحبه، ومن مرض الشهوة والإخلاق إلى هذه الدار إلى شفاء الإنابة إلى الله والتجافي عن دار الغرور، ومن مصيبة العمى والصَّمَم والبكَم إلى نعمة البصر والسمع والفهم عن الله والعقل عنه، ومن أمراض الشبهات إلى برد اليقين وتلج الصدر.

وبالجملة؛ فأصل كل طاعة إنما هو الفكر.

وكذلك أصل كل معصية إنما يحدث من جانب الفكرة؛ فإنَّ الشيطان يصادفُ أرضَ القلب خاليةً فارغة، فيبذرُ فيها حبَّ الأفكار الرديّة، فيتولّدُ منه الإراداتُ والعُزوم، فيتولّدُ منها العمل. فإذا صادفَ أرضَ القلب مشغولةً ببذر الأفكار النافعة فيما خُلِقَ له وفيما أُمرَ به وفيما هُيئَ له وأعدَّ له من النعيم المقيم أو العذاب الأليم لم يجد لبذره موضعًا، وهذا كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * * فصادف قلبًا فارغًا فتمكّنا

مفتاح دار السعادة لابن القيم ط عالم الفوائد (١/ ٥٢٥).

بعث الله نبيه ﷺ إلى أهل الأرض وهم على خمسة أصناف

قال ﷺ: وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَهُمْ خَمْسَةُ أَصْنَافٍ قَدْ طَبَقُوا الْأَرْضَ:

يَهُودٌ.

وَنَصَارَى.

وَمَجُوسٌ.

وَصَابِئُونَ.

وَمُشْرِكُونَ.

وَهَذِهِ الْأَصْنَافُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ قَدْ اسْتَوْلَتْ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ مَشَارِقِهَا إِلَى مَغَارِبِهَا. هداية

الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١/ ٢٣٥).

انقسم الناس في نصوص الوحي إلى خمسة أقسام

قال رَحِمَهُ اللهُ: إنقسم الناس في نصوص الوحي إلى: أصحاب تأويل، وأصحاب

تخييل، وأصحاب تجهيل، وأصحاب تمثيل، وأصحاب سواء السبيل.

هذه خمسة أصناف انقسم الناس إليها في هذا الباب بحسب اعتقادهم ما أريد

بالنصوص:

الصنف الأول: أصحاب التأويل وهم أشد الأصناف اضطرابا إذ لم يثبت لهم قدم في الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول ولا ضابط مطرد منعكس تجب مراعاته وتمنع مخالفته بخلاف سائر الفرق فإنهم جروا على ضابط واحد وإن كان فيهم من هو أشد خطأ من أصحاب التأويل كما سنذكره.

الصنف الثاني: أصحاب التخييل وهم الذين اعتقدوا أن الرسل لم تفصح للخلق بالحقائق إذ ليس في قواهم إدراكها وإنما خيلت لهم وأبرزت المعقول في صورة المحسوس.

والصنف الثالث: أصحاب التجهيل الذين قالوا نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها ولكن نقرأها ألفاظا لا معاني لها ونعلم أن لها تأويلا لا يعلمه إلا الله وهي عندنا بمنزلة: ﴿كَهَيْعَصَ ١﴾ [مريم ١] و ﴿حَمَّ ١﴾

﴿عَسَقَ ٢﴾ [الشورى ١-٢] و ﴿الْمَصَّ ١﴾ [الأعراف ١] فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلا ولا تشبيها ولم نعرف معناه وننكر على من تأوله ونكل علمه إلى الله وذن هؤلاء أن هذه طريقة السلف وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات

ولا يفهمون معنى قوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص ٧٥] وقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر ٦٧].

الصنف الرابع: وهم أصحاب التشبيه والتمثيل ففهموا منها مثل ما للمخلوقين وظنوا أن لا حقيقة لها سوى ذلك وقالوا محال أن يخاطبنا الله سبحانه بما لا نعقله ثم يقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ٧٣] ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة ٢١٩] ﴿لِيَذَّبَرُوا عَيْنَيْهِ﴾ [ص ٢٩] ونظائر ذلك وهؤلاء هم المشبهة.

فهذه الفرق لا تزال تبدع بعضهم بعضا وتضلله وتجهله وقد تصادمت كما ترى فهم كزمرة من العميان تلاقوا فتصادموا كما قال أعمى البصر والبصيرة منهم:

ونظيري في العلم مثلي أعمى * * فترانا في حنـدس نتصـادم
وهدى الله أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلى فلم يتلوثوا بشيء من أضرار هذه الفرق وأدناسها وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهبا بين مذهبين وهدى بين ضلالتين خرج من بين مذاهب المعطلين والمخيلين والمجهلين والمشبهين كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وقالوا نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات ونفي مشابهة المخلوقات فلا نعطل ولا نؤول ولا نمثل ولا نجعل ولا نقول ليس لله يدان ولا وجه ولا سمع ولا بصر ولا حياة ولا قدرة ولا استوى على عرشه ولا نقول له يدان كأيدي المخلوق ووجه كوجوههم وسمع وبصر وحياة وقدرة واستوى كأسماعهم

وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم بل نقول له ذات حقيقة ليست كالذوات وله صفات حقيقة لا مجازا ليست كصفات المخلوقين وكذلك قولنا في وجهه تبارك وتعالى ويديه وسمعه وبصره وكلامه واستوائه ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة (٢ / ٤١٨).

أعلى الفكر وأجله ما كان لله وهو على أنواع خمسة

قال رحمه الله: أَعْلَى الْفِكْرِ وَأَجْلُّهَا وَأَنْفَعُهَا: مَا كَانَ لِلَّهِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ، فَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ أَنْوَاعٌ:

أَحَدُهَا: الْفِكْرَةُ فِي آيَاتِهِ الْمُنَزَّلَةِ وَتَعَقُّلُهَا، وَفَهْمُهَا وَفَهْمُ مُرَادِهِ مِنْهَا، وَلِذَلِكَ أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى، لَا لِمُجَرَّدِ تِلَاوَتِهَا، بَلِ التَّلَاوَةُ وَسِيلَةٌ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا.

الثَّانِي: الْفِكْرَةُ فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُودَةِ وَالْإِعْتِبَارُ بِهَا، وَالِاسْتِدْلَالُ بِهَا عَلَى أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَحُكْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَبِرِّهِ وَجُودِهِ، وَقَدْ حَصَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ وَتَدَبُّرِهَا وَتَعَقُّلِهَا، وَذَمَّ الْغَافِلَ عَنْ ذَلِكَ.

الثَّالِثُ: الْفِكْرَةُ فِي آيَاتِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَإِنْعَامِهِ عَلَى خَلْقِهِ بِأَصْنَافِ النِّعَمِ، وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَحِلْمِهِ.

وَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ تَسْتَخْرِجُ مِنَ الْقَلْبِ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَمَحَبَّتَهُ وَخَوْفَهُ وَرَجَاءَهُ. وَدَوَامُ الْفِكْرَةِ فِي ذَلِكَ مَعَ الذِّكْرِ يَصْبُغُ الْقَلْبَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ صِبْغَةً تَامَةً.

الرَّابِعُ: الْفِكْرَةُ فِي عُيُوبِ النَّفْسِ وَأَفَاتِهَا، وَفِي عُيُوبِ الْعَمَلِ، وَهَذِهِ الْفِكْرَةُ عَظِيمَةُ النَّفْعِ، وَهَذَا بَابٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَتَأْثِيرُهَا فِي كَسْرِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَمَتَى كُسِرَتْ

عَاشَتِ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ وَانْبَعَثَتْ وَصَارَ الْحُكْمُ لَهَا، فَحَيَّي الْقَلْبُ، وَدَارَتْ كَلِمَتُهُ فِي مَمْلَكَتِهِ، وَبَثَّ أَمْرَاءُهُ وَجُنُودُهُ فِي مَصَالِحِهِ.

الخامس: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهمة كله عليه، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيعه لم يستدركه أبداً.

قال الشافعي **رحمته الله:** صَحِبْتُ الصُّوفِيَّةَ فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْهُمْ سِوَى حَرْفَيْنِ: أَحَدُهُمَا قَوْلُهُمْ: الْوَقْتُ سَيْفٌ، فَإِنْ قَطَعْتَهُ وَإِلَّا قَطَعَكَ.

وَذَكَرَ الْكَلِمَةَ الْأُخْرَى: " وَنَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ وَإِلَّا شَغَلَتْكَ بِالْبَاطِلِ ".
فَوَقْتُ الْإِنْسَانِ هُوَ عُمُرُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ مَادَّةُ حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَمَادَّةُ الْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَهُوَ يَمُرُّ أَسْرَعَ مِنَ السَّحَابِ، فَمَا كَانَ مِنْ وَقْتِهِ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ فَهُوَ حَيَاتُهُ وَعُمُرُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ لَيْسَ مُحْسُوبًا مِنْ حَيَاتِهِ، وَإِنْ عَاشَ فِيهِ عَاشَ عَيْشَ الْبَهَائِمِ، فَإِذَا قَطَعَ وَقْتُهُ فِي الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ، وَكَانَ خَيْرٌ مَا قَطَعَهُ بِهِ النَّوْمُ وَالْبِطَالَةُ، فَمَوْتُ هَذَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ.

وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ - وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ - لَيْسَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا فَلَيْسَ لَهُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا مَا كَانَ فِيهِ بِاللَّهِ وَلِلَّهِ.

وَمَا عَدَا هَذِهِ الْأَقْسَامِ مِنَ الْخَطَرَاتِ وَالْفِكَرِ، فِيمَا وَسَّوَسَ شَيْطَانِيَّةً وَإِمَّا أَمَانِيَّ بَاطِلَةً، وَخَدَعُ كَاذِبَةً، بِمَنْزِلَةِ خَوَاطِرِ الْمُصَابِينِ فِي عُقُولِهِمْ مِنَ السُّكَارَى وَالْمَحْشُوشِينَ وَالْمُوسُوسِينَ، وَلِسَانِ حَالٍ هُوَ لَا يَقُولُ عِنْدَ انْكِشَافِ الْحَقَائِقِ:

إِنْ كَانَ مَنْزِلَتِي فِي الْحَشْرِ عِنْدَكُمْ * * مَا قَدْ لَقِيتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِي
 أُمْنِيَّةٌ ظَفَرْتُ نَفْسِي بِهَا زَمَنًا * * وَالْيَوْمَ أَحْسَبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ
 وَاعْلَمْ أَنَّ وُرُودَ الْخَاطِرِ لَا يَضُرُّ، وَإِنَّمَا يَضُرُّ اسْتِدْعَاؤُهُ وَمُحَادَثَتُهُ، فَالْخَاطِرُ كَالْمَارِّ عَلَى
 الطَّرِيقِ، فَإِنْ تَرَكْتَهُ مَرًّا وَانْصَرَفَ عَنْكَ، وَإِنْ اسْتَدْعَيْتَهُ سَحَرَكَ بِحَدِيثِهِ وَغُرُورِهِ، وَهُوَ أَخَفُّ
 شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ الْفَارِغَةِ الْبَاطِلَةِ، وَأَثْقَلُ شَيْءٍ عَلَى الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ السَّمَاوِيَّةِ
 الْمُطْمَئِنَّةِ. الداء والدواء (ص: ١٥٦).

جمع أهل الكتاب بين التحريف والكتمان من خمسة أوجه

قال رحمه الله: وَأَمَّا التَّحْرِيفُ: فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ،
 وَكَذَلِكَ لِيِ اللِّسَانِ بِالْكِتَابِ لِيَحْسَبَهُ السَّامِعُ مِنْهُ وَمَا هُوَ مِنْهُ. فَهَذِهِ خَمْسَةُ أُمُورٍ:
أَحَدُهَا: لَبَسُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَهُوَ خَلْطُهُ بِهِ بِحَيْثُ لَا يَتَمَيَّزُ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ.
الثَّانِي: كِتْمَانُ الْحَقِّ.
الثَّالِثُ: إِخْفَاؤُهُ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ كِتْمَانِهِ.
الرَّابِعُ: تَحْرِيفُ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَهُوَ نَوْعَانِ: تَحْرِيفُ لَفْظِهِ، وَتَحْرِيفُ مَعْنَاهُ.
الخَامِسُ: لِيِ اللِّسَانِ بِهِ لِيَلْتَبَسَ عَلَى السَّامِعِ اللَّفْظُ الْمُنَزَّلُ بغيرِهِ.
 وَهَذِهِ الْأُمُورُ إِنَّمَا ارْتَكَبُوهَا لِأَغْرَاضٍ لَهُمْ دَعَتْهُمْ إِلَى ذَلِكَ. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١)

هجر القرآن على خمسة أنواع

قال رَحِمَهُ اللهُ: هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سَماعه وَالإيمان بِهِ وَالإصغاء إِلَيْهِ.

وَالثاني: هجر الْعَمَل بِهِ وَالْوُقُوف عِنْد حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَإِنْ قَرَأَهُ وَآمَنَ بِهِ.

وَالثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إِلَيْهِ فِي أَصُول الدِّين وفروعه واعتقاد أَنَّهُ لَا يُفِيد اليَقين وَأَن أدلته لفظية لَا تحصّل الْعلم.

وَالرابع: هجر تدبّره وتفهمه وَمَعْرِفَة مَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّم بِهِ مِنْهُ.

وَالخامس: هجر الاستشفاء والتداوي بِهِ فِي جَمِيع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غَيره ويهجر التّدَاوي بِهِ.

وكل هَذَا دَاخِل فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

❦ [الفرقان: ٣٠] وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْهَجْرِ أَهْوَنَ مِنْ بَعْضٍ. **الفوائد (ص: ٨٢).**

للشهقة التي تعرض عند سماع القرآن خمسة أسباب

قال رَحِمَهُ اللهُ: الشهقة الَّتِي تعرض عِنْد سَماع الْقُرْآن أَوْ غَيره لَهَا أسباب:

أحدها: يلوح لَهُ عِنْد سَماع دَرَجَة لَيْسَتْ لَهُ فِيرتاح إِلَيْهَا فَتحدث لَهُ الشّهقة فَهَذِهِ شَهقة شوق.

وَنائبها: أَن يلوح لَهُ ذَنْب ارتكَبَهُ فيشهى خوفاً وحزناً على نَفْسِهِ وَهَذِهِ شَهقة خشيّة.

وَنائبها: أَن يلوح لَهُ نقص فِيهِ لَا يقدر على دَفْعِهِ فيحدث لَهُ ذَلِكَ حَزناً فيشهى شَهقة حزن.

ورابعها: أن يلوح له كمال محبوبه ويرى الطريق إليه مسدودة عنه فيحدث ذلك شهقة أسف وحزن.

وخامسها: أن يكون قد توارى عنه محبوبه واشتغل بغيره فذكره السماع محبوبه فلاح له جماله ورأى الباب مفتوحاً والطريق ظاهرة فشقه فرحاً وسروراً بما لآح. وبكل حال فسبب الشهقة قوّة الوارد وضعف المحل عن الإحتمال والقوّة أن يعمل ذلك الوارد عمله داخلاً ولا يظهر عليه وذلك أقوى له وأدوم فإنه إذا أظهره ضعف أثره وأوشك انقطاعه.

هذا حكم الشهقة من الصادق فإن الشاهق إمّا صادق وإمّا سارق وإمّا مُنافِق. الفوائد (ص: ١٩٧).

الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام

قال رحمه الله: الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه

الرابع: تعلقها به في البرزخ فإنّها وإن فارقت وتجردت عنه فإنّها لم تُفارقهُ فراقاً كلياً

بحيث لا يبقى لها التّفات إليه البتّة وقد ذكرنا في أول الجواب من الأحاديث والآثار ما يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم وهذا الرّد إعادة خاصّة لا يُوجب حياة البدن قبل يوم القيامة

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التّعلق إليه إذ تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فسّاداً. الروح (ص: ٤٣).

في إجابة المؤذن خمس سنن عن رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(١).

في إجابة المؤذن خمس سنن عن رسول الله ﷺ قد اشتمل حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه على ثلاثة منها.

والرابعة: أن يقول ما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»^(٢).

والخامسة: أن يدعو الله بعد إجابة المؤذن وصلاته على رسوله ﷺ وسؤاله له الوسيلة لما في سنن أبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رجلاً، قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ يَفْضُلُونَنَّا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ كَمَا يَقُولُونَ فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهُ»^(٣). جلاء الأفهام (ص: ٣٧٢). وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٥٦).

«١» رواه مسلم (٣٨٤).

«٢» رواه أبو داود والنسائي، وقال العلامة الألباني في صحيح أبي داود (٥٣٧) حسن صحيح.

«٣» رواه أبو داود (٥٢٤) وحسنه العلامة الألباني في صحيح أبي داود، وتخريج الكلم الطيب (٧٤).

حسن الخلق يقوم على أركان خمسة

قال رسول الله ﷺ: وَالْقِسْمُ الثَّانِي حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ، وَجَمَاعَةِ أُمْرَانِ: بِذَلِكَ الْمَعْرُوفِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَكَفِّ الْأَذَى قَوْلًا وَفِعْلًا، وَهَذَا إِنَّمَا يَقُومُ عَلَى أَرْكَانٍ خَمْسَةٍ:

الْعِلْمُ، وَالْجُودُ، وَالصَّبْرُ، وَطِيبُ الْعُودِ، وَصِحَّةُ الْإِسْلَامِ.

أَمَّا الْعِلْمُ: فَلِأَنَّهُ يَعْرِفُ مَعَانِيَ الْأَخْلَاقِ وَسَفَسَافِهَا فَيُمْكِنُهُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَذَا وَيَتَحَلَّى بِهِ وَيَتْرُكَ هَذَا وَيَتَخَلَّى عَنْهُ.

وَأَمَّا الْجُودُ: فَسَمَاحَةُ نَفْسِهِ وَبَذْلُهَا وَانْقِيَادُهَا لِذَلِكَ إِذَا أَرَادَهُ مِنْهَا

وَأَمَّا الصَّبْرُ: فَلِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى إِحْتِمَالِ ذَلِكَ وَالْقِيَامِ بِأَعْبَائِهَا لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ

وَأَمَّا طِيبُ الْعُودِ: فَإِنْ يَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَهُ عَلَى طَبِيعَةٍ مُنْقَادَةٍ سَهْلَةِ الْقِيَادِ وَسَرِيعَةِ

الِاسْتِجَابَةِ لِدَاعِيِ الْخَيْرَاتِ.

وَالطَّبَائِعُ ثَلَاثَةٌ: طَبِيعَةُ حَجَرِيَّةٍ صُلْبَةٍ قَاسِيَةٍ لَا تَلِينُ وَلَا تَنْقَادُ، وَطَبِيعَةُ مَائِيَّةٍ هَوَائِيَّةٍ

سَرِيعَةِ الْإِنْقِيَادِ مُسْتَجِيبَةٍ لِكُلِّ دَاعٍ، كَالْغُصْنِ أَيْ نَسِيمٍ مَرَّ يَعْصِفُهُ، وَهَاتَانِ مُنْحَرِفَتَانِ،

الْأُولَى: لَا تَقْبَلُ، وَالثَّانِيَّةُ: لَا تَحْفَظُ.

وَطَبِيعَةٌ قَدْ جَمَعَتْ اللَّيْنَ وَالصَّلَابَةَ وَالصَّفَاءَ فَهِيَ تَقْبَلُ بِلِينِهَا وَتَحْفَظُ بِصَلَابَتِهَا وَتُذَرِّكُ

حَقَائِقَ الْأُمُورِ بِصَفَائِهَا؛ فَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ الْكَامِلَةُ الَّتِي يَنْشَأُ عَنْهَا كُلُّ خَلْقٍ صَحِيحٍ. عون المعبود

وحاشية ابن القيم (٩١ / ١٣).

إحياء الأرض بعد موتها دليل على أمور خمسة

قال رحمه الله: جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِحْيَاءَ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا نَظِيرَ إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ، وَإِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنْهَا نَظِيرَ إِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ، وَدَلَّ بِالنَّظِيرِ عَلَى نَظِيرِهِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ آيَةً وَدَلِيلًا عَلَى خَمْسَةِ مَطَالِبَ:

أَحَدُهَا: وَجُودُ الصَّانِعِ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ إثْبَاتَ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَحَيَاتِهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى.

الثَّالِثُ: عُمُومُ قُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

الرَّابِعُ: إِتْيَانُ السَّاعَةِ وَأَنَّهَا لَا رَيْبَ فِيهَا.

الخَامِسُ: أَنَّهُ يُخْرِجُ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ كَمَا أَخْرَجَ النَّبَاتَ مِنَ الْأَرْضِ.

وَقَدْ كَرَّرَ سُبْحَانَهُ ذِكْرَ هَذَا الدَّلِيلِ فِي كِتَابِهِ مِرَارًا؛ لِصِحَّةِ مُقَدِّمَاتِهِ، وَوُضُوحِ دَلَالَتِهِ، وَقُرْبِ تَنَاوُلِهِ، وَبُعْدِهِ مِنْ كُلِّ مُعَارِضَةٍ وَشُبْهَةٍ، وَجَعَلَهُ تَبَصُّرَةً وَذِكْرَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ

مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهِيمٍ﴾ [ق: ٧] ﴿تَبَصُّرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ

عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٨] فَالْمُنِيبُ إِلَى رَبِّهِ يَتَذَكَّرُ بِذَلِكَ، فَإِذَا تَذَكَّرَ تَبَصَّرَ بِهِ، فَالتَّذَكُّرُ قَبْلَ

التَّبَصُّرِ، وَإِنْ قُدِّمَ عَلَيْهِ فِي اللَّفْظِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ

الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وَالتَّذَكُّرُ: تَفَعُّلٌ مِنَ الذِّكْرِ،

وَهُوَ حُضُورُ صُورَةٍ مِنَ الْمَذْكُورِ فِي الْقَلْبِ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَهُ الْقَلْبُ وَشَاهَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ

أَوْجَبَ لَهُ الْبَصِيرَةَ، فَأَبْصَرَ مَا جُعِلَ دَلِيلًا عَلَيْهِ، فَكَانَ فِي حَقِّهِ تَبَصُّرَةً وَذِكْرَى، وَالْهُدَى

مَدَّارُهُ عَلَى هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ: التَّذَكُّرُ، وَالتَّبَصُّرُ وَقَدْ دَعَا سُبْحَانَهُ الْإِنْسَانَ إِلَى أَنْ يَنْظُرَ فِي مَبْدَأِ خَلْقِهِ وَرِزْقِهِ، وَيَسْتَدِلَّ بِذَلِكَ عَلَى مَعَادِهِ وَصِدْقِ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ؛ فَقَالَ فِي الْأَوَّلِ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۚ﴾ [الطارق: ٥] ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۚ﴾ [الطارق: ٧] ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨] يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ ۚ﴾ [الطارق: ٩] فَالْدَّفِيقُ عَلَى بَابِهِ، لَيْسَ فَاعِلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُهُمْ، بَلْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ مَاءٍ جَارٍ وَوَاقِفٍ وَسَاكِنٍ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١١٢).

للمطر خمسة رياح

قال رَحِمَهُ اللهُ: فللمطر خمسة رياح:

ريح ينشر سحابه.

وريح يؤلف بينه.

وريح تلقحه.

وريح تسوقه حيث يريد الله.

وريح تذكرو أمامه وتفرقه.

وللنبات ريح، وللسفن ريح، وللرحمة ريح، وللعذاب ريح، إلى غير ذلك من أنواع

الرياح. التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٨٠).

أصحاب الرأي والقياس وقعوا في الخطأ من خمسة أوجه

قال رَحِمَهُ اللهُ: وأما أصحاب الرأي والقياس فإنهم لما لم يعتنوا بالنصوص، ولم يعتقدوها وافية بالأحكام، ولا شاملة لها، وغلاتهم على أنها لم تف بعشر معشارها، فوسعوا طرق الرأي والقياس، وقالوا بقياس الشبه، وعلقوا الأحكام بأوصاف لا يعلم أن الشارع علقها بها، واستنبطوا عللا لا يعلم أن الشارع شرع الأحكام لأجلها. ثم اضطربهم ذلك إلى أن عارضوا بين كثير من النصوص والقياس، ثم اضطربوا فتارة يقدمون القياس، وتارة يقدمون النص، وتارة يفرقون بين النص المشهور وغير المشهور، واضطربهم ذلك أيضا إلى أن اعتقدوا في كثير من الأحكام أنها شرعت على خلاف القياس، فكان خطؤهم من خمسة أوجه:

أحدها: ظنهم قصور النصوص عن بيان جميع الحوادث.

الثاني: معارضة كثير من النصوص بالرأي والقياس.

الثالث: اعتقادهم في كثير من أحكام الشريعة أنها على خلاف الميزان والقياس، والميزان هو العدل، فظنوا أن العدل خلاف ما جاءت به من هذه الأحكام.

الرابع: اعتبارهم عللا وأوصافا لم يعلم اعتبار الشارع لها وإلغاؤهم عللا وأوصافا اعتبرها الشارع كما تقدم بيانه.

الخامس: تناقضهم في نفس القياس كما تقدم أيضا. إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٢٦٣).

الحجب عن الله تعالى خمسة

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَلَا تَتِمُّ لَهُ سَلَامَتُهُ مُطْلَقًا حَتَّى يَسْلَمَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ:

مِنْ شِرْكٍ يُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ.

وِبِدْعَةٍ تُخَالِفُ السُّنَّةَ.

وَشَهْوَةٍ تُخَالِفُ الْأَمْرَ.

وَعَفْلَةٍ تُنَاقِضُ الذِّكْرَ.

وَهَوًى يُنَاقِضُ التَّجَرِيدَ وَالْإِخْلَاصَ.

وَهَذِهِ الْخَمْسَةُ حُجُبٌ عَنِ اللَّهِ، وَتَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، تَتَضَمَّنُ أَفْرَادًا لَا

تَنْحَصِرُ. الداء والدواء (ص: ١٢٢).

من عارض النصوص بالعقل لزمه لازم من خمسة أمور

قال رَحِمَهُ اللهُ: من عارض نصوص الوحي بالعقل لزمه لازم من خمسة لا محيد له البتة:

إِمَّا تَكْذِيبُهَا، أَوْ كُتْمَانُهَا، وَإِمَّا تَحْرِيفُهَا، وَإِمَّا تَخْيِيلُهَا، وَإِمَّا تَجْهِيلُهَا، وَهُوَ نِسْبَةُ الْمَصْدِقِينَ لَهَا إِلَى الْجَهْلِ، إِمَّا الْبَسِيطَ، وَإِمَّا الْمَرْكَبَ، وَفَسَادُ اللَّازِمِ يَدُلُّ عَلَى فُسَادِ الْمَلْزُومِ.

وبيان الملازمة أنه إذا اعتقد أن العقل يخالف ظاهرها؛ فقد اعتقد أن ظاهرها باطل ومحال، فإما أن يقر بلفظها وأن الرسول ﷺ جاء به أو لا، فإن لم يقر بذلك؛ فهو مكذب، وإن أقر بآلفاظها، فإما أن يقر بأنه أراد معانيها وحقائقها، أم لا فإن أقر بذلك، لزمه اعتقاد التخيل فيها والخطاب الجمهوري، وإن لم يقر بأنه أراد حقائقها وما دلت

عليه، فإما أن يقول إنه أراد خلاف ظواهرها وحقائقها أو لا، فإن قال أراد خلاف حقائقها وظواهرها لزمه التحريف والتأويل. الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة (٣/ ١٠٤٨).

يلزم ذات الجنب الحقيقي خمسة أعراض

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَيَلْزَمُ ذَاتَ الْجَنْبِ الْحَقِيقِيِّ خَمْسَةُ أَعْرَاضٍ:

وَهِيَ الْحُمَى.

وَالسُّعَالُ.

وَالْوَجَعُ النَّاخِصُ.

وَضِيقُ النَّفْسِ.

وَالنَّبْضُ الْمِنْشَارِيُّ.

الطب النبوي (ص: ٦٢).

الوصلات في الكلام التي يتوصل بها إلى غيرها خمسة أقسام

قال رَحِمَهُ اللهُ: فائدة بديعة: الوصلات في كلامهم التي وضعوها للتوصل بها إلى غيرها

خمس أقسام:

أحدها: حروف الجرّ التي وضعوها ليتوصلوا بالأفعال إلى المجرور بها، ولولاها، لما

نفذ الفعل إليها ولا باشرها.

الثاني: حرف «ها» التي للتنبيه، وضعت ليتوصل بها إلى نداء ذي الألف واللام.

الثالث: «ذو» وضعوه وصلة إلى وصلة النكرات بأسماء الأجناس غير المشتقة،

كـ «رجل ذي مال».

الرابع: «الذي» وضعوه وَصْلةً إلى وصف المعارف بالجمل، ولولاها لما جرت صفاتها عليها.

الخامس: «الضمير» الذي جُعِلَ وَصْلةً إلى ارتباط الجمل بالمفردات خبراً وصفة وصلة وحالاً، فأتوا بالضمير وصلةً إلى جريان الجمل على هذه المفردات أجوالاً وأخباراً، وصفاتٍ وصلات.

ولم يصفوا المعرفة بالجملة مع وجود هذه الوصلة المصححة، كما وصفوا بها النكرة لوجهين:

أحدهما: أَنَّ النكرة مفتقرة إلى الوصف والتبيين، فعُلِمَ أَنَّ الجملة بعدها تبيينٌ لها وتكملة: لفائدتها.

الوجه الثاني: أَنَّ الجملة تنزل منزلة النكرة؛ لأنها خبر، ولا يخبر المخاطب إلا بما يجهله لا بما يعرفه، فصح أن يوصف بها النكرة، بخلاف المعرفة، فإنك لو قلت: «جاءني زيد قائم أبوه»، على جهة الوصف، لَمَا ارتبط الكلام بعبءه ببعض؛ لاستقلال كل واحد منهما بنفسه، فجاءوا بالوصلة التي توصلوا بها إلى وصف النكرة باسم الجنس وهي: «ذو»، فقالوا: «جاءني زيد ذو قام أبوه»، وهذه لغة طيء وهي الأصل.

ثم إن أكثر العرب لما رأوها اسمًا قد وصف بها المعرفة، أرادوا تعريفه ليتفق الوصف والموصوف في التعريف، فأدخلوا الألف واللام عليه، ثم ضاعفوا اللام، كيلا يذهب لفظها بالإدغام ويذهب ألف الوصل في الدَّرَج، فلا يظهر التعريف، فجاء منه هذا اللفظ تقديرًا: «الذو» فلما رأوا الاسم قد انفصل عن الإضافة حيث صار معرفة قلبوا «الواو»

منه «ياء»، إذ ليس في كلامهم «وأو» متطرّفة مضموم ما قبلها إلا وتنقلب «ياء» ك «أدلي وأحق»، فصار «الذي».

وإنما صحّت الواو في قولهم: «ذو»؛ لأنها كانت في حكم التوسط؛ إذ المضاف مع المضاف إليه كالشيء الواحد.

وفي معنى «ذو» بمعنى «الذي» طرف من معنى «ذا» التي للإشارة، لأن كلاّ منهما يبيّن بأسماء الأجناس، كقولك: « هذا الغلام وهذا الرجل »، فيتصل بها على وجه البيان، كما يتصل بها «ذو» على جهة الإضافة، ولذلك قالوا في المؤنث من الذي: «التي»، بالتاء، كما قالوا في المؤنث من «هذا»: هاتا وهاتين. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (١/ ٢٢٥-٢٣٠).

النعْت مع المنعوت على أقسام خمسة

قال رحمه الله: ولَمَّا عَلِمَ من افتقاره إلى الضمير فإنه لا يجوز إقامة النعت مقام

المنعوت لوجهين:

أحدهما: احتمال الضمير؛ فإذا حذفت المنعوت لم يبق للضمير ما يعود عليه.

الثاني: عموم الصفة، فلا بد من بيان الموصوف بها ما هو؟ .

فإن أجريت الصفة مجرى الاسم مثل: جاءني الفقيه، و: جالست العالم، خرج عن الأصل الممتنع وصار كسائر الأسماء. وإن جئت بفعل يختص بنوع من الأسماء وأعملته في نوع يختص بذلك النوع، كان حذف المنعوت حسناً، كقولك: أكلت طيباً، ولبست ليناً، وركبتُ فارهاً، ونحوه.... فمضمون هذا الفصل ينقسم خمسة أقسام:

نعتٌ لا يجوز حذف منعوته، كقولك: لقيت سريعاً، و: ركبْتُ خفيفاً.

ونعت يجوز حذف منعوته على قُبْح، نحو: لقيتُ ضاحكًا، و: رأيتُ جاهلاً، فجوازه لاختصاص الصفة بنوع واحد من الأسماء.

وقسم يستوي فيه الأمران، نحو: أكلتُ طيبًا، و: ركبتُ فارهاً، و: لبستُ لِينًا، و: شربت عذبًا؛ لاختصاص الفعل بنوع من المفعولات.

وقسم يقبح فيه ذكر الموصوف؛ لكونه حشواً في الكلام، نحو: أكرم الشيخ، ووقّر العالم، وأرفق بالضعيف، وارحم المسكين، وأعط الفقير، وأكرم البر، وجانب الفاجر، ونظائره؛ لتعليق الأحكام بالصفات واعتمادها عليها بالذكر.

وقسم لا يجوز فيه ألّبتة ذكر الموصوف، كقولك: "دابة، وأبطح: وأجرع، وأبرق - للمكان - وأسود - للحية - وأدهم - للقيد - وأخيل. - للطائر -". فهذه في الأصول نعوتٌ، ولكنهم لا يجرونها نعتًا على منعوت، فنَقِفْ عندما وقفوا، ونترك القياس إذا تركوا. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (١ / ٣٠٢).

كلمة: «استطاع»: فيها خمس لغات

قال رحمه الله: «استطاع»: وفيها خمس لغات:

هذه إحداها.

الثانية: اسْطَاعَ، بحذف تاء الافتعال تخفيفاً ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾

[الكهف: ٩٧].

الثالثة: اصْطَاعَ، بالصّاد، وفيه أمران؛ أحدهما: حذفُ التاء، والثاني: إبدال السين صادًا

لأجل مجاورتها الطاء.

الرابعة: اسِطَاعٌ، بإدغام التاء في الطاء، وهو إدغامٌ على خلاف القياس؛ لأنَّ فيه التقاء الساكنين على غير حدِّهما.

الخامسة: أسْطَاعٌ، بفتح الهمزة وقطعها وهي أشكلُها، فقال سيويه: السين عوضٌ عن ذهاب حركة العين؛ لأنَّ أصله «أطَوَع».

فنفَلت فتحة الواو إلى الطاء، ثمَّ أعلَّ بقلب واوه ألفاً لتحركها أصلاً وانتفاح ما قبلها لفظاً، فزیدت السين عوضاً من ذهاب حركة العين. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٤/ ١٦٢٤).

عاب الله تعالى نبيه في خمسة مواضع من كتابه

قال رَحِمَهُ اللهُ: عاب الله تعالى نبيَّه في خمسة مواضع من كتابه في:

الأنفال^(١).

وبراءة^(٢).

والأحزاب^(٣).

وسورة التحريم^(٤).

وسورة عبس^(٥).

بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٤/ ١٣١٢).

﴿١﴾ مَا كَانَتْ لِيَنْبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْجِزَ فِي الْأَرْضِ فُيُؤْتِ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٧﴾ [الأنفال].

﴿٢﴾ وَلَا تُضِلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَرْيَةٍ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ [البراءة: ٨٤].

﴿٣﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ

تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِيَكُنِيَ لَكَ يَدٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٣﴾

﴿٤﴾ يٰأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْضَاتٍ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ [التحريم].

﴿٥﴾ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٣﴾ [العبس].

الذكر على خمسة أنواع

قال رحمه الله: فالذكر للقلب كالماء للزرع بل كالماء للسّمك لا حياة له إلا به وهو

أنواع:

ذكره بأسمائه وصفاته والثناء عليه بها.

الثاني: تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله وتمجيده والغالب من استعمال لفظ الذكر عند المتأخرين هذا.

الثالث: ذكره بأحكامه وأوامره ونواهيه وهو ذكر العالم بل الأنواع الثلاثة هي ذكرهم

لربهم.

ومن أفضل ذكره ذكره بكلامه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً

ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤] فذكره هنا كلامه الذي أنزله على

رَسُوله صلى الله عليه وسلم

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ

﴾ [الرعد: ٢٨].

ومن ذكره سبحانه دعاؤه واستغفاره والتضرع إليه، فهذه خمسة أنواع من الذكر. **جلاء**

الأفهام (ص: ٤٥١).

الزهد خمسة أقسام

قال رحمه الله: فالزهد خمسة أقسام:

زهد في الدنيا.

وزهد في النفس.

وزهد في الجاه والرئاسة.

وزهد فيما سوى المحبوب.

وزهد في كل إرادة تخالف مراد المحبوب.

وهذا إنما يحصل بكمال المتابعة لرسول الحبيب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

اللَّهُ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

فجعل سبحانه متابعة رسوله سببا لمحبتهم له وكون العبد محبوبا لله أعلى من كونه محبا لله فليس الشأن أن تحب الله ولكن الشأن أن يحبك الله فالطاعة للمحبوب عنوان محبته كما قيل:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه * هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته * إن المحب لمن يحب مطيع

روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٦٦).

كانت له ﷺ خمسة أرماح

قال رحمته الله: وَكَانَتْ لَهُ - ﷺ - خَمْسَةُ أَرْمَاحٍ:

يُقَالُ لِأَحَدِهِمْ: الْمُثْوِي.

وَالْآخَرُ: الْمُثْنِي.

وَحَرْبَةُ يُقَالُ لَهَا: النَّبْعَةُ.

وَأُخْرَى كَبِيرَةٌ تُدْعَى: الْبَيْضَاءُ.

وَأُخْرَى صَغِيرَةٌ شَبَهُ الْعُكَازِ يُقَالُ لَهَا: الْعَنْزَةُ يَمْشِي بِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْأَعْيَادِ، تُرَكِّزُ

أَمَامَهُ، فَيَتَّخِذُهَا سُرَّةً يُصَلِّي إِلَيْهَا، وَكَانَ يَمْشِي بِهَا أَحْيَانًا. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٢٧).

مجموع ما حفظ عنه ﷺ من سهوه في الصلاة في خمسة مواضع

قال رحمته الله: مجموع ما حفظ عنه من سهوه ﷺ:

«سَلَّمَ ﷺ مِنْ رَكَعَتَيْنِ فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعِشِيِّ، إِمَّا الظُّهْرُ وَإِمَّا الْعَصْرُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ، ثُمَّ أَتَمَّهَا، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ السَّلَامِ وَالْكَلامِ، يُكَبِّرُ حِينَ يَسْجُدُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ»^(١).

وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «صَلَّى بِهِمْ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، - ثُمَّ تَشَهَّدَ -، ثُمَّ سَلَّمَ»^(٢).

(١) رواه البخاري (٤٨٢) ومسلم (٥٧٣). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قال الإمام الألباني في ضعيف سنن أبي داود (١٩٣) الحديث صحيح؛ دون قوله: **ثم تشهد...** فإنه شاذ؛ تفرد به أشعث وهو: ابن عبد

الملك الحُمُراني - دون جماعة من الثقات، رَوَاهُ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ دُونَ هَذِهِ الزِّيَادَةِ. وبذلك أعله البيهقي والعسقلاني، ومن قبله ابن تيمية.

«وَصَلَّى يَوْمًا فَسَلَّمَ وَأَنْصَرَفَ، وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الصَّلَاةِ رَكْعَةٌ، فَأَذْرَكَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهَ، فَقَالَ: نَسِيتَ مِنَ الصَّلَاةِ رَكْعَةً، فَرَجَعَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى لِلنَّاسِ رَكْعَةً»^(١)

«وَصَلَّى الظُّهْرَ خَمْسًا، فَقِيلَ لَهُ: زِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: صَلَّيْتَ خَمْسًا، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ مَا سَلَّمَ»^(٢)

«وَصَلَّى الْعَصْرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ فَذَكَرَهُ النَّاسُ، فَخَرَجَ فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ»^(٣).

فَهَذَا مَجْمُوعُ مَا حُفِظَ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ سَهْوِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَهُوَ **خَمْسَةُ مَوَاضِعَ**، وَقَدْ تَضَمَّنَ سُجُودُهُ فِي بَعْضِهِ قَبْلَ السَّلَامِ، وَفِي بَعْضِهِ بَعْدَهُ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٢٨٠).

فائدة: مدار سجود السهو على ستة أحاديث:

[١]- سلم رسول الله ﷺ من اثنتين، ثم أتم ما بقي وسجد بعد السلام:

كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه في قصة ذي اليمين، قال: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعِشِيِّ - قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: سَمَّاها أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَكِنْ نَسِيتُ أَنَا - قَالَ: فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضْبَانٌ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَوَضَعَ خَدَّهُ الْيُمْنَى عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى، وَخَرَجَتِ السَّرْعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالُوا: قَصُرَتِ الصَّلَاةُ؟ وَفِي

«١» رواه أبو داود، وصححه العلامة الألباني في صحيح أبي داود (٩٣٨). وفي الثمر المستطاب (١٣).

«٢» رواه البخاري (١٢٢٦) ومسلم (٥٧٢). عن عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«٣» رواه مسلم (٥٧٤) عن عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طُوْلٌ، يُقَالُ لَهُ: ذُو الْيَدَيْنِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْسَيْتَ أَمْ فَصَّرْتَ الصَّلَاةُ؟ قَالَ: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصِرْ، فَقَالَ: أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ، فَرَبَّمَا سَأَلُوهُ: ثُمَّ سَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: نُبِّئْتُ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ، قَالَ: ثُمَّ سَلَّمَ».

[٢]- سلم رسول ﷺ من ثلاث، فأتم الركعة الباقية ثم سجد سجود السهو بعد

السلام:

كما جاء من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه في مسلم: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ فِي ثَلَاثِ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْخِرْبَاقُ، وَكَانَ فِي يَدَيْهِ طُوْلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَكَرَ لَهُ صَنِيعَهُ، وَخَرَجَ غَضْبَانَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَصَدَقَ هَذَا قَالُوا: نَعَمْ، فَصَلَّى رَكَعَةً، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ».

[٣]- قام الرسول ﷺ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر، ولم يجلس للشهد،

حتى قضى صلاته، ثم سجد سجود السهو قبل السلام:

كما في حديث عبد الله بن بحنة رضي الله عنه المتفق عليه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِهِمُ الظُّهْرَ، فَقَامَ فِي الرَّكَعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ لَمْ يَجْلِسْ، فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا قَضَى الصَّلَاةَ وَانْتَظَرَ النَّاسُ تَسْلِيمَهُ كَبَّرَ وَهُوَ جَالِسٌ، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ، ثُمَّ سَلَّمَ».

[٤]- صلى الظهر خمسا ، فنبه فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم:
كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المتفق عليه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ
خَمْسًا، فَقِيلَ لَهُ: أَزِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟، قَالَ: صَلَّيْتُ خَمْسًا، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ
بَعْدَ مَا سَلَّمَ».

أما الشك فلم يعرض له ﷺ، ولكن أمر فيه بأمرين على حسب حال الشك:
الأول: أن يترجح عنده أحد الأمرين فيعمل بما ترجح عنده فيتم عليه صلاته ويسلم، ثم
يسجد للسهو ويسلم.

مثال ذلك: شخص يصلي الظهر فشك في الركعة هل هي الثانية أو الثالثة لكن ترجح
عنده أنها الثالثة فإنه يجعلها الثالثة فيأتي بعدها بركعة ويسلم، ثم يسجد للسهو ويسلم.
[٥]- لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي
صَلَاتِهِ، فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ». متفق عليه.

الثاني: أن لا يترجح عنده أحد الأمرين فيعمل باليقين وهو الأقل فيتم عليه صلاته،
ويسجد للسهو قبل أن يسلم ثم يسلم.

مثال ذلك: شخص يصلي العصر فشك في الركعة هل هي الثانية أو الثالثة ولم يترجح
عنده أنها الثانية أو الثالثة فإنه يجعلها الثانية فيتشهد التشهد الأول، ويأتي بعده بركعتين،
ويسجد للسهو ويسلم.

[٦]- لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ،
فَلَمْ يَذَرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا، فَلْيُطْرَحِ الشَّكُّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ

قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ، فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعْنَ لَهُ صَلَاتَهُ، وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لِأَرْبَعٍ كَانَتْ تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ». رواه مسلم. انظر: رسالتي: «ملخص أحكام سجود السهو».

الفرق بين النفقة والكفارة من خمسة أوجه

قال رحمه الله: فَأَمَّا الْفُرُوقُ الَّتِي ذَكَرْتُمُوهَا - بَيْنَ النَّفَقَةِ وَالْكَفَّارَةِ -، فَلَيْسَ فِيهَا مَا يَسْتَلْزِمُ تَقْدِيرَ طَعَامِ الْكَفَّارَةِ، وَحَاصِلُهَا خَمْسَةُ فُرُوقٍ:

أَنَّهَا لَا تَخْتَلِفُ بِالْيَسَارِ وَالْإِعْسَارِ.

وَأَنَّهَا لَا تَتَقَدَّرُ بِالْكِفَايَةِ.

وَلَا أَوْجَبَهَا الشَّارِعُ بِالْمَعْرُوفِ.

وَلَا يَجُوزُ إِخْرَاجُ الْعَوَظِ عَنْهَا.

وَهِيَ حَقٌّ لِلَّهِ لَا تَسْقُطُ بِالْإِسْقَاطِ بِخِلَافِ نَفَقَةِ الزَّوْجَةِ.

فَيَقَالُ: نَعَمْ لَا شَكَّ فِي صِحَّةِ هَذِهِ الْفُرُوقِ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ يَسْتَلْزِمُ وَجُوبُ تَقْدِيرِهَا بِمُدٍّ وَمُدَّتَيْنِ؟ بَلْ هِيَ إِطْعَامٌ وَاجِبٌ مِنْ جِنْسِ مَا يُطْعَمُ أَهْلَهُ، وَمَعَ ثُبُوتِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ لَا يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيرِهَا بِوَجْهِهِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٥/٤٤٣ - ٤٤٦).

الذل خمسة أنواع

قال رحمه الله: والذل أنواع:

أكملها ذل المحب لمحبوبه.

الثاني: ذل المملوك لمالكه.

الثالث: ذل البجاني بين يدي المنعم عليه المحسن إليه المالك له.

الرابع: ذل العاجز عن جميع مصالحه وحاجاته بين يدي القادر عليها التي هي في يده وبأمره.

وتحت هذا قسمان: أحدهما: ذل له في أن يجلب له ما ينفعه. والثاني: ذل له في أن يدفع عنه ما يضره على الدوام.

ويدخل في هذا ذل المصائب كال فقر والمرض وأنواع البلاء والمحن.

فهذه خمسة أنواع من الذل، إذا وفاها العبد حقها وشهدها كما ينبغي وعرف ما يراد به منه وقام بين يدي ربه مستصحبا لها شاهداً لذله من كل وجه ولعزة ربه وعظمته وجلاله كان قليل أعماله قائماً مقام الكثير من أعمال غيره.

قالوا: وهذه أسرار لا تدرك بمجرد الكلام، فمن لا نصيب له منها فلا يضره أن يخلي المطى وحاديها، ويعطى القوس باريها.

للكثافة أقوام لها خلقوا * * وللمحبة أكباد وأجفان

خمس من المعارف بها يحصل كمال القوة العلمية

قال رحمه الله: فائدة للإنسان قوتان: قُوَّة علمية نظرية، وقُوَّة عملية إرادية، وسعاده التامة موقوفة على استكمال قوته العلمية الارادية، واستكمال القُوَّة العلمية إنَّما يكون:

بِمَعْرِفَةِ فطره وبارئه، وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَمَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ الَّتِي تُوصلُ إِلَيْهِ.

وَمَعْرِفَةِ آفَاتِهَا.

وَمَعْرِفَةِ نَفْسِهِ.

وَمَعْرِفَة عيوبها، فبهذه المعارف الخمسة؛ يحصل كمال قوته العلمية، وأعلم الناس أعرفهم بها وأفقههم فيها. **الفوائد (ص: ١٨).**

انقسم الناس في القدر والأمر إلى خمسة أقسام

قال رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، فأخبر سبحانه عن خلق العالم والموت والحياة وتزيين الأرض بما عليها أنه للابتلاء والامتحان ليختبر خلقه أيهم أحسن عملا فيكون عمله موافقا لمحباب الرب تعالى فيوافق الغاية التي خلق هو لها وخلق لأجلها العالم وهي عبوديته المتضمنة لمحبه وطاعته وهي العمل الأحسن وهو مواقع محبه ورضاه وقدر سبحانه مقادير تخالفها بحكمته في تقديرها وامتنحن خلقه بين أمره وقدره ليلوهم أيهم أحسن عملا.

فانقسم الخلق في هذا الابتلاء فريقين: **فريقا** داروا مع أوامره ومحابه ووقفوا حيث وقف بهم الأمر وتحركوا حيث حركهم الأمر واستعملوا الأمر في القدر وركبو سفينة الأمر في بحر القدر وحكموا الأمر على القدر ونازعوا القدر بالقدر امتثالا لأمره واتباعا لمرضاته فهؤلاء هم الناجون.

والفريق الثاني: عارضوا بين الأمر والقدر وبين ما يحبه ويرضاه وبين ما قدره وقضاه ثم افترقوا أربع فرق **فرقة** كذبت بالقدر محافظة على الأمر فأبطلت الأمر من حيث

حافظت على القدر فإن الإيمان بالقدر أصل الإيمان بالأمر وهو نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه إيمانه.

وفرقة ردت الأمر بالقدر: وهؤلاء من أكفر الخلق وهم الذين حكى الله قولهم في القرآن إذ قالوا: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] وقالوا أيضا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥] وقالوا أيضا: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠] وقالوا أيضا: ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ [يس: ٤٧] فجعلهم الله سبحانه وتعالى بذلك مكذبين خارصين ليس لهم علم وأخبر أنهم في ضلال مبين.

وفرقة دارت مع القدر فسارت بسيره ونزلت بنزوله ودانت به ولم تبال وافق الأمر أو خالفه بل دينها القدر فالحلال ما حل بيدها قدرا والحرام ما حرّمته قدرا وهم مع من غلب قدرا من مسلم أو كافر برا كان أو فاجرا وخواص هؤلاء وعبادهم لما شهدوا الحقيقة الكونية القدريّة صاروا مع الكفار المسلطين بالقدر وهم خفراؤهم فهؤلاء أيضا كفار.

وفرقة وقفت مع القدر مع اعترافها بأنه خلاف الأمر ولم تدن به ولكنها استرسلت معه ولم تحكم عليه الأمر وعجزت عن دفع القدر بالقدر اتباعا للأمر فهؤلاء مفرطون وهم بين عاجز وعاص لله.

وهؤلاء الفرق كلهم مؤتمون بشيخهم إبليس فإنه أول من قدم القدر على الأمر وعارضه به وقال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩] وقال: ﴿ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: ١٦] فرد أمر الله بقدره واحتج على ربه بالقدر وانقسم أتباعه أربع فرق كما رأيت فإبليس وجنوده أرسلوا بالقدر إرسالاً كونياً فالقدر دينهم قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣] فدينهم القدر ومصيرهم سقر فبعث الله الرسل بالأمر وأمرهم أن يحاربوا به أهل القدر وشرع لهم من أمره سفناً وأمرهم أن يركبوا فيها هم وأتباعهم في بحر القدر وخص بالنجاة من ركبها كما خص بالنجاة أصحاب السفينة وجعل ذلك آية للعالمين فأصحاب الأمر حرب لأصحاب القدر حتى يردوهم إلى الأمر وأصحاب القدر يحاربون أصحاب الأمر حتى يخرجوهم منه فالرسل دينهم الأمر مع إيمانهم بالقدر وتحكيم الأمر عليه، وإبليس وأتباعه دينهم القدر ودفع الأمر به فتأمل هذه المسألة في القدر والأمر وانقسام العالم فيها إلى هذه الأقسام الخمسة وبالله التوفيق. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٦١-٦٣).

مفسدات القلب خمسة

قال رحمه الله: وَأَمَّا مُفْسِدَاتُ الْقُلُوبِ الْخَمْسَةُ فَهِيَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا:

مِنْ كَثْرَةِ الْخُلُطَةِ.

وَالْتَمَنِّي.

وَالْتَعَلُّقُ بِغَيْرِ اللَّهِ.

وَالشَّبَعِ.

وَالْمَنَامِ.

فَهَذِهِ الْخَمْسَةُ مِنْ أَكْبَرِ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥١).

جعل الله تعالى الحواسَّ خمساً في مقابلة المحسوسات الخمس

قال رحمه الله: ثُمَّ تَأَمَّلِ الْحِكْمَةَ فِي أَنْ جَعَلَ الْحَوَاسَّ خَمْسًا فِي مَقَابِلَةِ الْمَحْسُوسَاتِ

الْخَمْسِ؛ لِيَلْقَى خَمْسًا بِخَمْسٍ، كَيْ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ لَا يَنَالُهُ بِحَاسَّةٌ.

فَجَعَلَ الْبَصَرَ فِي مَقَابِلَةِ الْمُبْصَرَاتِ.

وَالسَّمْعَ فِي مَقَابِلَةِ الْأَصْوَاتِ.

وَالشَّمَّ فِي مَقَابِلَةِ أَنْوَاعِ الرِّوَاحِ الْمَخْتَلِفَاتِ.

وَالذَّوْقَ فِي مَقَابِلَةِ الْكَيْفِيَّاتِ الْمَذُوقَاتِ.

وَاللَّمْسَ فِي مَقَابِلَةِ الْمَلْمُوسَاتِ.

فَأَيُّ مُحْسُوسٍ بَقِيَ بِلَا حَاسَّةٍ؟ ! وَلَوْ كَانَ فِي الْمَحْسُوسَاتِ شَيْءٌ غَيْرُ هَذِهِ لَاعْطَاكَ لَهُ حَاسَّةٌ سَادِسَةٌ.

وَلَمَّا كَانَ مَا عِداهَا إِنَّمَا يُدْرَكُ بِالْبَاطِنِ أَعْطَاكَ الْحَوَاسَّ الْبَاطِنَةَ؛ وَهِيَ هَذِهِ الْأَخْمَاسُ الَّتِي جَرَتْ عَلَيْهَا أَلْسِنَةُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، حَيْثُ يَقُولُونَ لِلْمَفَكِّرِ الْمُتَأَمِّلِ: "ضَرَبَ أَخْمَاسَهُ فِي أَسَدَاسِهِ"؛ فَأَخْمَاسُهُ حَوَاسُّهُ الْخَمْسُ، وَأَسَدَاسُهُ جِهَاتُهُ السِّتُّ، وَأَرَادُوا بِذَلِكَ أَنَّهُ جَذَبَهُ الْقَلْبُ وَسَارَ بِهِ فِي الْأَقْطَارِ وَالْجِهَاتِ حَتَّى قَلَّبَ حَوَاسَّهُ الْخَمْسَ فِي جِهَاتِهِ السِّتِّ وَضَرَبَهَا فِيهَا لَشِدَّةَ فِكْرِهِ.

ثُمَّ أُعِينَتْ هَذِهِ الْحَوَاسُّ بِمَخْلُوقَاتٍ أُخَرٍ مُنْفَصِلَةٍ عَنْهَا تَكُونُ وَاسِطَةً فِي إِحْسَاسِهَا؛ فَأُعِينَتْ حَاسَّةُ الْبَصَرِ بِالضِّيَاءِ وَالشُّعَاعِ، فَلَوْلَا هَـ لَمْ يَنْتَفِعِ النَّازِرُ بِبَصَرِهِ، فَلَوْ مُنِعَ الضِّيَاءُ وَالشُّعَاعُ لَمْ تَنْفَعِ الْعَيْنُ شَيْئًا.

وَأُعِينَتْ حَاسَّةُ السَّمْعِ بِالْهَوَاءِ يَحْمِلُ الْأَصْوَاتَ فِي الْجَوِّ، ثُمَّ يَلْقِيهِ إِلَى الْأُذُنِ فَتَحْوِيهِ ثُمَّ تَلْقِيهِ إِلَى الْقُوَّةِ السَّامِعَةِ، وَلَوْلَا الْهَوَاءُ لَمْ يَسْمَعْ الرَّجُلُ شَيْئًا.

وَأُعِينَتْ حَاسَّةُ الشَّمِّ بِالنَّسِيمِ اللَّطِيفِ يَحْمِلُ الرَّائِحَةَ، ثُمَّ يُوَدِّيْهَا إِلَيْهَا، فَيَدْرِكُهَا، فَلَوْلَا هُوَ لَمْ يَشْمَ شَيْئًا.

وَأُعِينَتْ حَاسَّةُ الذَّوْقِ بِالرَّيْقِ الْمُتَحَلِّلِ فِي الْفَمِ، تُدْرِكُ الْقُوَّةَ الذَّاثِقَةَ بِهِ طُعُومَ الْأَشْيَاءِ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ طَعْمٌ لَا حَلْوٌ وَلَا حَامِضٌ وَلَا مَالِحٌ وَلَا حَرِيفٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُحِيلُ تِلْكَ الطُّعُومَ إِلَى طَعْمِهِ فَلَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودُهُ.

وَأُعِينَتْ حَاسَّةُ اللَّمَسِ بِقُوَّةٍ جَعَلَهَا اللَّهُ فِيهَا تُدْرِكُ بِهَا الْمَلْمُوسَاتِ، وَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ خَارِجٍ، بِخِلَافِ غَيْرِهَا مِنَ الْحَوَاسِّ، بَلْ تُدْرِكُ الْمَلْمُوسَاتِ بِلَا وَاسِطَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا تَدْرِكُهَا بِالْاجْتِمَاعِ وَالْمَلَامَسَةِ، فَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى وَاسِطَةٍ. **مفتاح دار السعادة لابن القيم ط عالم**

الفوائد (٢/ ٧٥٠).

للحب خمس مراتب

قال رحمه الله: فَإِنَّ الْمَحْبُوبَاتِ لَغَيْرِ اللَّهِ قَدْ أَثْبَتَ الشَّارِعُ فِيهَا اسْمَ التَّعْبُدِ. كَقَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ»^(١).

«١» رواه البخاري (٢٨٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فسمى هؤلاء الذين إن أعطوا رضوا، وإن منعوا سخطوا عبيدا لهذه الأشياء، لانتهاه محبتهم ورضاهم ورغبتهم إليها.

فإذا شغف الإنسان بمحبة صورة لغير الله، بحيث يرضيه وصوله إليها وظفره بها، ويسخطه فوات ذلك كان فيه من التعبد لها بقدر ذلك.

ولهذا يجعلون الحب مراتب: **أوله**: العلاقة، **ثم** الصبابة، **ثم** الغرام، **ثم** العشق. **وآخر** ذلك: التيمم. وهو التعبد للمعشوق. فيصير العاشق عبدا لمعشوقه.

والله سبحانه إنما حكى عشق الصور في القرآن عن المشركين.

فحكاه عن امرأة العزيز، وكانت مشركة على دين زوجها. وكانوا مشركين، وحكاه عن

اللوطية، وكانوا مشركين، فقال تعالى في قصتهم: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

أخبر سبحانه أنه يصرفه عن أهل الإخلاص، فقال: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ

وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] وقال عن عدوه إبليس أنه

قال: ﴿قَالَ فِعْزَنِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٨٢] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ [ص: ٨٢]

— [٨٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

والغاوى ضد الراشد، والعشق المحرم من أعظم الغي. إغائة اللفهان من مصادب الشيطان (٢)/

شبه قاتل النفس الواحدة بقاتل الناس جميعا من خمسة أوجه

قال رحمه الله: وَلَمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ الْقَتْلِ هَذِهِ الْمَفْسَدَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ

كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا

قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٣٢].

وَقَدْ أَشْكَلَ فَهْمُ هَذَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ: مَعْلُومٌ أَنَّ إِثْمَ قَاتِلِ مِائَةٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِثْمِ قَاتِلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّمَا أَتَوْهُ مِنْ ظَنِّهِمْ أَنَّ التَّشْبِيهَ فِي مِقْدَارِ الْإِثْمِ وَالْعُقُوبَةِ، وَاللَّفْظُ لَمْ يَدُلَّ عَلَى هَذَا، وَلَا يُلْزَمُ مِنْ تَشْبِيهِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ أَخْذُهُ بِجَمِيعِ أَحْكَامِهِ.... فَإِنْ قِيلَ: فَفِي أَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ التَّشْبِيهُ بَيْنَ قَاتِلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَقَاتِلِ النَّاسِ جَمِيعًا؟ قِيلَ: فِي وُجُوهِ مُتَعَدِّدَةٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا عَاصٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ مُخَالِفٌ لِأَمْرِهِ مُتَعَرِّضٌ لِعُقُوبَتِهِ، وَكُلُّ مِنْهُمَا قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَلَعْنَتِهِ، وَاسْتِحْقَاقِ الْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَإِعْدَادِهِ عَذَابًا عَظِيمًا، وَإِنَّمَا التَّفَاوُتُ فِي دَرَجَاتِ الْعَذَابِ، فَلَيْسَ إِثْمُ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ إِمَامًا عَادِلًا أَوْ عَالِمًا يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْقِسْطِ، كِإِثْمِ مَنْ قَتَلَ مَنْ لَا مَرِيَّةَ لَهُ مِنْ آحَادِ النَّاسِ.

الثَّانِي: أَنَّهُمَا سَوَاءٌ فِي اسْتِحْقَاقِ إِزْهَاقِ النَّفْسِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُمَا سَوَاءٌ فِي الْجَرَاءَةِ عَلَى سَفْكِ الدِّمِ الْحَرَامِ، فَإِنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، بَلْ لِمُجَرَّدِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، أَوْ لِأَخْذِ مَالِهِ: فَإِنَّهُ يَجْتَرِئُ عَلَى قَتْلِ كُلِّ مَنْ ظَفَرَ بِهِ وَأَمْكَنَهُ قَتْلَهُ، فَهُوَ مُعَادٍ لِلنَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَمَّى قَاتِلًا أَوْ فَاسِقًا أَوْ ظَالِمًا أَوْ عَاصِيًا بِقَتْلِهِ وَاحِدًا، كَمَا يُسَمَّى كَذَلِكَ بِقَتْلِهِ النَّاسَ جَمِيعًا.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهَرِ، فَإِذَا أَتَلَفَ الْقَاتِلُ مِنْ هَذَا الْجَسَدِ عُضْوًا، فَكَأَنَّمَا أَتَلَفَ سَائِرَ الْجَسَدِ، وَالْمَ جَمِيعَ أَعْضَائِهِ، فَمَنْ آذَى مُؤْمِنًا وَاحِدًا فَكَأَنَّمَا آذَى جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي آذَى جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ آذَى جَمِيعِ النَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يُدَافِعُ عَنِ النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ، فَإِذَا خَفِيَ إِذَا الْمَخْفُورِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»^(١).

وَلَمْ يَجِئْ هَذَا الْوَعِيدُ فِي أَوَّلِ زَانٍ وَلَا أَوَّلِ سَارِقٍ وَلَا أَوَّلِ شَارِبٍ مُسْكِرٍ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلُ الْمُشْرِكِينَ قَدْ يَكُونُ أَوَّلِي بَذْلِكَ مِنْ أَوَّلِ قَاتِلٍ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الشَّرْكَ؛ وَلِهَذَا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عَمْرُو بْنُ لَحِي الْخُرَاعِيِّ يُعَذَّبُ أَعْظَمَ الْعَذَابِ فِي النَّارِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ ﷻ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٤١].

أَيُّ فَيَقْتَدِي بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، فَيَكُونُ إِثْمُ كُفْرِهِ عَلَيْكُمْ، وَكَذَلِكَ حُكْمُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا. الداء والدواء (ص: ١٤٨).

الدليل على حشر الوحوش وجوه خمسة

قال رَحِمَهُ اللهُ: الدليل على حشر الوحوش وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥].

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَقْنَاهَا

فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

الثالث: حديث مانع صدقة الإبل والبقر والغنم، وأنها «تجيء يوم القيامة أعظم ما كانت، وأسمه تنطحه بقرونها وتطوؤه بأظلافها»^(١)، وهو متفق على صحته.

الرابع: حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «رَأَى شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا»^(٢)، رواه أحمد في "مسنده".

الخامس: الآثار الواردة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي

كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، وأن الله تعالى يجمع الوحوش، ثم يقتص من بعضها لبعض،

ثم يقول لها: كوني ترابا، فتكون ترابا، فعندها يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [٤٠]. بدائع

الفوائد ط عالم الفوائد (٣/ ١١٣٢).

«١» أخرجه البخاري رقم (١٤٦٠)، ومسلم رقم (٩٩٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

«٢» رواه الإمام أحمد (٢١٤٣٨) وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٨٠).

خمس خصال ينبغي أن يتحلى بها المفتي

قال رحمه الله: خِصَالٌ يَجِبُ تَحَقُّقُهَا فِيمَنْ يُنْصَبُ نَفْسَهُ لِلْفَتْيَا.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ بَطَّةَ فِي كِتَابِهِ فِي الْخُلْعِ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ **رَحِمَهُ اللَّهُ** أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يُنْصَبَ نَفْسَهُ لِلْفَتْيَا حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ».

أَوَّلُهَا: أَنْ تَكُونَ لَهُ نِيَّةٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نِيَّةٌ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ نُورٌ وَلَا عَلَى كَلَامِهِ نُورٌ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَوَقَارٌ وَسَكِينَةٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا عَلَى مَا هُوَ فِيهِ وَعَلَى مَعْرِفَتِهِ.

الرَّابِعَةُ: الْكِفَايَةُ وَإِلَّا مَضَعَهُ النَّاسُ.

الْحَامِسَةُ: مَعْرِفَةُ النَّاسِ.

وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى جَلَالَةِ أَحْمَدَ **رَحِمَهُ اللَّهُ** وَمَحَلُّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْخَمْسَةَ

هِيَ دَعَائِمُ الْفَتْوَى، وَأَيُّ شَيْءٍ نَقَصَ مِنْهَا ظَهَرَ الْخَلَلُ فِي الْمُفْتِي بِحَسْبِهِ. **إعلام الموقعين عن رب**

العالمين (٤/ ١٥٢).

غلط في عمر النبي ﷺ خمس طوائف

قال رحمه الله: غَلِطَ فِي عُمَرِ النَّبِيِّ **ﷺ** خَمْسُ طَوَائِفَ:

إِحْدَاهَا: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ، وَهَذَا غَلَطٌ، فَإِنَّ عُمَرُ مَضْبُوطَةٌ مَحْفُوظَةٌ، لَمْ يَخْرُجْ فِي رَجَبٍ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا الْبَتَّةَ.

الثَّانِيَةُ: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ اعْتَمَرَ فِي شَوَّالٍ وَهَذَا أَيْضًا وَهْمٌ، وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ

بَعْضَ الرُّوَاةِ غَلِطَ فِي هَذَا، وَأَنَّهُ اعْتَكَفَ فِي شَوَّالٍ فَقَالَ: اعْتَمَرَ فِي شَوَّالٍ، لَكِنَّ سِيَاقَ

الْحَدِيثُ، وَقَوْلُهُ: «اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ عُمَرٍ: عُمْرَةً فِي شَوَّالٍ، وَعُمَرَتَيْنِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ»^(١)، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَائِشَةَ أَوْ مَنْ دُونَهَا، إِنَّمَا قَصَدَ الْعُمْرَةَ.

الثالثة: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ اعْتَمَرَ مِنَ التَّعْجِيمِ بَعْدَ حَجِّهِ، وَهَذَا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا يَظُنُّهُ الْعَوَامُّ، وَمَنْ لَا خِبْرَةَ لَهُ بِالسُّنَّةِ.

الرابعة: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَعْتَمِرْ فِي حَجَّتِهِ أَصْلًا، وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ رَدُّهَا تَبْطُلُ هَذَا الْقَوْلُ.

الخامسة: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ اعْتَمَرَ عُمْرَةً حَلَّ مِنْهَا، ثُمَّ أَحْرَمَ بَعْدَهَا بِالْحَجِّ مِنْ مَكَّةَ، وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ تَبْطُلُ هَذَا الْقَوْلَ وَتَرُدُّهُ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١١٦ / ٢).

❖ ثم رجع **رحمته الله** أَنَّ عُمْرَهُ كُلُّهَا كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ. انظر: الزاد (١١٨ / ٢).

وهو في حجه **رحمته الله** خمس طوائف

قال رحمته الله: وَوَهُمَ فِي حَجِّهِ **رحمته الله** خَمْسُ طَوَائِفَ.

الطائفة الأولى: الَّتِي قَالَتْ: حَجَّ حَجًّا مُفْرَدًا لَمْ يَعْتَمِرْ مَعَهُ.

الثانية: مَنْ قَالَ: حَجَّ مُتَمَتِّعًا تَمَتُّعًا حَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ أَحْرَمَ بَعْدَهُ بِالْحَجِّ، كَمَا قَالَهُ الْقَاضِي

أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ.

(١) قال الإمام ابن القيم **رحمته الله**: هَذَا الْحَدِيثُ مُرْسَلٌ، وَهُوَ غَلَطٌ أَيْضًا، إِمَّا مِنْ هِشَامٍ، وَإِمَّا مِنْ عُرْوَةَ أَصَابَهُ فِيهِ مَا أَصَابَ ابْنَ عُمَرَ. وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مَرْفُوعًا عَنْ عَائِشَةَ، وَهُوَ غَلَطٌ أَيْضًا لَا يَصِحُّ رَفْعُهُ. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: وَلَيْسَ رِوَايَتُهُ مُسْنَدًا مِمَّا يُذَكِّرُ عَنْ مَالِكٍ فِي صِحَّةِ النُّقْلِ. قُلْتُ: وَيَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ عَائِشَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ قَالُوا: «لَمْ يَعْتَمِرْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا فِي ذِي الْقَعْدَةِ» وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ. الزاد (١١٩ / ٢).

الثالثة: مَنْ قَالَ: حَجَّ مُتَمَتِّعًا تَمَتُّعًا لَمْ يَحِلَّ مِنْهُ لِأَجْلِ سَوْقِ الْهَدْيِ وَلَمْ يَكُنْ قَارِنًا، كَمَا قَالَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ قَدَامَةَ صَاحِبُ " الْمُغْنِيِّ " وَغَيْرُهُ.

الرابعة: مَنْ قَالَ: حَجَّ قَارِنًا قِرَانًا طَافَ لَهُ طَوَافَيْنِ، وَسَعَى لَهُ سَعْيَيْنِ.

الخامسة: مَنْ قَالَ: حَجَّ حَجًّا مُفْرَدًا، وَاعْتَمَرَ بَعْدَهُ مِنَ التَّنَعِيمِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ١١٧).

❖ ثم رجع **رحمته الله** رواية من روى القرآن، من أكثر من عشرة أوجه. انظر: الزاد (٢/ ١٢٦).

غلط في إحرامه **رحمته الله** خمس طوائف

قال **رحمته الله:** وَغَلِطَ فِي إِحْرَامِهِ **رحمته الله** خَمْسُ طَوَائِفَ:

إحداها: مَنْ قَالَ: لَبَّيْ بِالْعُمْرَةِ وَحْدَهَا، وَاسْتَمَرَ عَلَيْهَا.

الثانية: مَنْ قَالَ: لَبَّيْ بِالْحَجِّ وَحْدَهُ، وَاسْتَمَرَ عَلَيْهِ.

الثالثة: مَنْ قَالَ لَبَّيْ بِالْحَجِّ مُفْرَدًا، ثُمَّ أَدْخَلَ عَلَيْهِ الْعُمْرَةَ وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ خَاصٌّ بِهِ.

الرابعة: مَنْ قَالَ: لَبَّيْ بِالْعُمْرَةِ وَحْدَهَا، ثُمَّ أَدْخَلَ عَلَيْهَا الْحَجَّ فِي ثَانِي الْحَالِ.

الخامسة: مَنْ قَالَ: أَحْرَمَ إِحْرَامًا مُطْلَقًا لَمْ يُعَيَّنْ فِيهِ نُسْكًَا، ثُمَّ عَيَّنَهُ بَعْدَ إِحْرَامِهِ.

وَالصَّوَابُ: أَنَّهُ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ مَعًا مِنْ حِينَ أَنْشَأَ الْإِحْرَامَ، وَلَمْ يَحِلَّ حَتَّى حَلَّ مِنْهُمَا جَمِيعًا، فَطَافَ لَهُمَا طَوَافًا وَاحِدًا، وَسَعَى لَهُمَا سَعْيًا وَاحِدًا. وَسَاقَ الْهَدْيَ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النَّصُوصُ الْمُسْتَفِيضَةُ الَّتِي تَوَاتَرَتْ تَوَاتُرًا يَعْلَمُهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. زاد

أمر النبي ﷺ صاحب الرؤيا بخمسة أشياء

قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى رؤيا يكره منها شيئاً، فلينفث عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من الشيطان فإنها لا تضره ولا يخبر بها أحداً. وإن رأى رؤيا حسنة، فليستبشر، ولا يخبر بها إلا من يحب»^(١).

«وأمر من رأى ما يكرهه أن يتحوّل عن جنبه الذي كان عليه، وأمره أن يصلي».

فأمره بخمسة أشياء:

أَنْ يَنْفُثَ عَنْ يَسَارِهِ.

وَأَنْ يَسْتَعِذَّ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ.

وَأَنْ لَا يُخْبِرَ بِهَا أَحَدًا.

وَأَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ.

وَأَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ.

وَمَتَى فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ تَضُرَّهُ الرُّؤْيَا الْمَكْرُوهَةُ، بَلْ هَذَا يَدْفَعُ شَرَّهَا. زاد المعاد في هدي خير العباد

(٢/ ٤١٩).

خمسة آداب في النهي عن الشرب من في السقاء

قال رسول الله ﷺ: وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «نَهَى عَنِ الشُّرْبِ مِنْ فِي السَّقَاءِ»^(٢).

وَفِي هَذَا آدَابٌ عَدِيدَةٌ:

«١» رواه البخاري (٦٩٩٥) ومسلم (٢٢٦١) عن أبي قتادة رضي الله عنه.

«٢» رواه البخاري برقم (٥٦٢٩) عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما.

مِنْهَا: أَنْ تَرُدُّ أَنْفَاسَ الشَّارِبِ فِيهِ يُكْسِبُهُ زُهُومَةٌ وَرَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ يُعَافُ لِأَجْلِهَا.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ الدَّاخِلُ إِلَى جَوْفِهِ مِنَ الْمَاءِ، فَتَضَرَّرَ بِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ فِيهِ حَيَوَانٌ لَا يَشْعُرُ بِهِ، فَيُؤْذِيهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَاءَ رُبَّمَا كَانَ فِيهِ قَذَاةٌ أَوْ غَيْرُهَا لَا يَرَاهَا عِنْدَ الشُّرْبِ، فَتَلْجُ جَوْفَهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الشُّرْبَ كَذَلِكَ يَمْلَأُ الْبَطْنَ مِنَ الْهَوَاءِ، فَيَضِيقُ عَنْ أَخْذِ حَظِّهِ مِنَ الْمَاءِ، أَوْ

يُزَاحِمُهُ، أَوْ يُؤْذِيهِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحِكَمِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَصْنَعُونَ بِمَا فِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا بِإِدَاوَةٍ يَوْمَ أُحُدٍ،

فَقَالَ: «اخْنُثْ فَمَ الْإِدَاوَةُ»^(١)، ثُمَّ شَرِبَ مِنْهَا مِنْ فِيهَا؟ قُلْنَا:

نَكْتَفِي فِيهِ بِقَوْلِ التِّرْمِذِيِّ: هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِصَحِيحٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ

الْعُمَرِيُّ يُضَعِّفُ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ، وَلَا أَذْرِي سَمِعَ مِنْ عَيْسَى أَوْ لَا، انْتَهَى. يُرِيدُ عَيْسَى بْنُ

عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْهُ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢١٤).

خمس مفسدات في الشرب من ثلثة القدح

قال رحمه الله: وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: «نَهَى

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ ثُلْمَةِ الْقَدَحِ، وَأَنْ يَنْفُخَ فِي الشَّرَابِ»^(٢)، وَهَذَا مِنَ الْأَدَابِ

الَّتِي تَتِمُّ بِهَا مَصْلَحَةُ الشَّارِبِ، فَإِنَّ الشُّرْبَ مِنْ ثُلْمَةِ الْقَدَحِ فِيهِ عِدَّةُ مَفَاسِدَ:

أَحَدُهَا: أَنْ مَا يَكُونُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مِنْ قَذَى أَوْ غَيْرِهِ يَجْتَمِعُ إِلَى الثُّلْمَةِ بِخِلَافِ

الْجَانِبِ الصَّحِيحِ.

«١» رواه الترمذي (٣٧٢١)، وقال الإمام الألباني: منكر (١٩٧٠).

«٢» رواه أبو داود (٣٧٢٢) وهو في السلسلة الصحيحة برقم (٣٨٧).

الثاني: أَنَّهُ رُبَّمَا شَوَّشَ عَلَى الشَّارِبِ، وَلَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ حُسْنِ الشُّرْبِ مِنَ الثُّلْمَةِ.

الثالث: أَنَّ الْوَسَخَ وَالزُّهُومَةَ تَجْتَمِعُ فِي الثُّلْمَةِ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْغَسْلُ، كَمَا يَصِلُ إِلَى

الْجَانِبِ الصَّحِيحِ.

الرابع: أَنَّ الثُّلْمَةَ مَحَلُّ الْعَيْبِ فِي الْقَدَحِ، وَهِيَ أَرْدَأُ مَكَانٍ فِيهِ، فَيَنْبَغِي تَجَنُّبُهُ، وَقَصْدُ

الْجَانِبِ الصَّحِيحِ، فَإِنَّ الرَّدِيءَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَرَأَى بَعْضُ السَّلَفِ رَجُلًا يَشْتَرِي حَاجَةً رَدِيئَةً، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ نَزَعَ الْبَرَكَهَ مِنْ كُلِّ رَدِيءٍ.

الخامس: أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ فِي الثُّلْمَةِ شَقٌّ أَوْ تَحْدِيدٌ يَجْرُحُ فَمَ الشَّارِبِ، وَلِغَيْرِ هَذِهِ مِنْ

الْمَفَاسِدِ.

وَأَمَّا النَّفْخُ فِي الشَّرَابِ، فَإِنَّهُ يُكْسِبُهُ مِنْ فَمِ النَّافِخِ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ يُعَافُ لِأَجْلِهَا، وَلَا

سِيِّمًا إِنْ كَانَ مُتَغَيَّرَ الْفَمِ. وَبِالْجُمْلَةِ: فَأَنْفَاسُ النَّافِخِ تُخَالِطُهُ؛ وَلِهَذَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

بَيْنَ النَّهْيِ عَنِ التَّنَفُّسِ فِي الْإِنَاءِ وَالنَّفْخِ فِيهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ،

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ، أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ» .

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَصْنَعُونَ بِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «كَانَ

يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا» ؟ قِيلَ: نُقَابِلُهُ بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ، وَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَوَّلِ،

فَإِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي شُرْبِهِ ثَلَاثًا، وَذَكَرَ الْإِنَاءَ لِأَنَّهُ آلَةُ الشُّرْبِ، وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي

«١» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (١٨٨٨) وَصَحَّحَهُ الْعَلَمَةُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ، وَالْإِرَوَاءِ (١٩٧٧).

«٢» رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٥٦٣١) وَمُسْلِمٌ (٢٠٢٨).

الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَاتَ فِي الثَّدِي، أَيْ فِي مُدَّةِ الرَّضَاعِ»^(١)

. زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٢١٥).

أقسام الأطباء من جهة إتلاف الأعضاء خمسة

قال رحمه الله: وقال الخطابي: لَا أَعْلَمُ خِلَافًا فِي أَنَّ الْمُعَالَجَ إِذَا تَعَدَّى، فَتَلَفَ الْمَرِيضُ كَانَ ضَامِنًا، وَالْمُتَعَاطِي عِلْمًا أَوْ عَمَلًا لَا يَعْرِفُهُ مُتَعَدٍّ، فَإِذَا تَوَلَّدَ مِنْ فِعْلِهِ التَّلَفُ ضَمِنَ الدِّيَّةَ، وَسَقَطَ عَنْهُ الْقَوْدُ، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَبَدُّ بِذَلِكَ بِدُونِ إِذْنِ الْمَرِيضِ وَجِنَايَةِ الْمُتَطَبِّبِ فِي قَوْلِ عَامَّةِ الْفُقَهَاءِ عَلَى عَاقِلَتِهِ. قُلْتُ: الْأَقْسَامُ خَمْسَةٌ:

أَحَدُهَا: طَبِيبٌ حَازِقٌ أَعْطَى الصَّنْعَةَ حَقَّهَا وَلَمْ تَجُنْ يَدُهُ، فَتَوَلَّدَ مِنْ فِعْلِهِ الْمَأْذُونِ فِيهِ مِنْ جِهَةِ الشَّارِعِ، وَمِنْ جِهَةٍ مَن يَطْبُهُ تَلَفُ الْعُضْوِ أَوْ النَّفْسِ، أَوْ ذَهَابُ صِفَةٍ، فَهَذَا لَا ضَمَانَ عَلَيْهِ اتِّفَاقًا، فَإِنَّهَا سِرَايَةٌ مَأْذُونٌ فِيهِ، وَهَذَا كَمَا إِذَا خَتَنَ الصَّبِيَّ فِي وَقْتٍ، وَسِنَّهُ قَابِلٌ لِلْخِتَانِ، وَأَعْطَى الصَّنْعَةَ حَقَّهَا، فَتَلَفَ الْعُضْوُ أَوْ الصَّبِيُّ، لَمْ يَضْمَنْ، وَكَذَلِكَ إِذَا بَطَّ مِنْ عَاقِلٍ أَوْ غَيْرِهِ مَا يَنْبَغِي بَطُّهُ فِي وَقْتِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي فَتَلَفَ بِهِ، لَمْ يَضْمَنْ، وَهَكَذَا سِرَايَةٌ كُلُّ مَأْذُونٍ فِيهِ لَمْ يَتَعَدَّ الْفَاعِلُ فِي سَبَبِهَا، كَسِرَايَةِ الْحَدِّ بِاتِّفَاقٍ. وَسِرَايَةُ الْقِصَاصِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ فِي إِجَابَةِ الضَّمَانِ بِهَا، وَسِرَايَةُ التَّعْزِيزِ، وَضَرْبُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَالْمُعَلِّمُ الصَّبِيَّ، وَالْمُسْتَأْجِرُ الدَّابَّةَ، خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ فِي إِجَابِهِمَا الضَّمَانَ فِي ذَلِكَ، وَاسْتَشْنَى الشَّافِعِيُّ ضَرْبَ الدَّابَّةِ.

وَقَاعِدَةُ الْبَابِ إِجْمَاعًا وَنَزَاعًا: أَنَّ سِرَايَةَ الْجِنَايَةِ مَضْمُونَةٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَسِرَايَةُ الْوَاجِبِ مُهْدَرَةٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَمَا بَيْنَهُمَا فِيهِ النَّزَاعُ. فَأَبُو حَنِيفَةَ أَوْجَبَ ضَمَانَهُ مُطْلَقًا، وَأَحْمَدُ وَمَالِكُ أَهْدَرَا ضَمَانَهُ، وَفَرَّقَ الشَّافِعِيُّ بَيْنَ الْمُقَدَّرِ، فَأَهْدَرَ ضَمَانَهُ، وَبَيَّنَ غَيْرَ الْمُقَدَّرِ فَأَوْجَبَ ضَمَانَهُ. فَأَبُو حَنِيفَةَ نَظَرَ إِلَى أَنَّ الْإِذْنَ فِي الْفِعْلِ إِنَّمَا وَقَعَ مَشْرُوطًا بِالسَّلَامَةِ، وَأَحْمَدُ وَمَالِكُ نَظَرَا إِلَى أَنَّ الْإِذْنَ أَسْقَطَ الضَّمَانَ، وَالشَّافِعِيُّ نَظَرَ إِلَى أَنَّ الْمُقَدَّرَ لَا يُمَكِّنُ النُّقْصَانَ مِنْهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّصِّ، وَأَمَّا غَيْرُ الْمُقَدَّرِ كَالْتَعْزِيرَاتِ، وَالتَّأْدِيبَاتِ، فَاجْتِهَادِيَّةٌ، فَإِذَا تَلَفَ بِهَا، ضَمِنَ، لِأَنَّهُ فِي مِظَنَّةِ الْعُدْوَانِ.

القسم الثاني: متطبَّب جَاهِلٌ بَاشَرَتْ يَدُهُ مِنْ طِبِّهِ، فَتَلَفَ بِهِ، فَهَذَا إِنْ عَلِمَ الْمَجْنُونِيُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ جَاهِلٌ لَا عِلْمَ لَهُ، وَأَذِنَ لَهُ فِي طِبِّهِ لَمْ يَضْمَنْ، وَلَا تُخَالِفُ هَذِهِ الصُّورَةُ ظَاهِرَ الْحَدِيثِ، فَإِنَّ السِّيَاقَ وَقُوَّةَ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَرَّ الْعَلِيلَ، وَأَوْهَمَهُ أَنَّهُ طَبِيبٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنْ ظَنَّ الْمَرِيضُ أَنَّهُ طَبِيبٌ، وَأَذِنَ لَهُ فِي طِبِّهِ لِأَجْلِ مَعْرِفَتِهِ، ضَمِنَ الطَّبِيبُ مَا جَنَّتْ يَدُهُ، وَكَذَلِكَ إِنْ وَصَفَ لَهُ دَوَاءً يَسْتَعْمِلُهُ، وَالْعَلِيلُ يَظُنُّ أَنَّهُ وَصَفَهُ لِمَعْرِفَتِهِ وَحَدِّقَهُ فَتَلَفَ بِهِ، ضَمِنَهُ، وَالْحَدِيثُ ظَاهِرٌ فِيهِ أَوْ صَرِيحٌ.

القسم الثالث: طَبِيبٌ حَادِقٌ، أَذِنَ لَهُ، وَأَعْطَى الصَّنْعَةَ حَقَّهَا، لَكِنَّهُ أَخْطَأَتْ يَدُهُ، وَتَعَدَّتْ إِلَى عُضْوٍ صَحِيحٍ فَاتَّلَفَهُ، مِثْلُ: أَنْ سَبَقَتْ يَدُ الْخَاتَنِ إِلَى الْكَمَرَةِ، فَهَذَا يَضْمَنْ، لِأَنَّهَا جِنَايَةٌ خَطَأٌ، ثُمَّ إِنْ كَانَتِ الثُّلُثُ فَمَا زَادَ، فَهُوَ عَلَى عَاقِلَتِهِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَاقِلَةً، فَهَلْ تَكُونُ الدِّيَّةُ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي بَيْتِ الْمَالِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، هُمَا رَوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَدَ. وَقِيلَ: إِنْ كَانَ

الطَّيِّبُ ذِمِّيًّا، فَفِي مَالِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا، فَفِيهِ الرُّوَائِتانِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْتُ مَالٍ، أَوْ تَعَذَّرَ تَحْمِيلُهُ، فَهَلْ تَسْقُطُ الدِّيَّةُ، أَوْ تَجِبُ فِي مَالِ الْجَانِي؟ فِيهِ وَجْهَانِ أَشْهَرُهُمَا: سَقُوطُهَا.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: الطَّيِّبُ الْحَادِقُ الْمَاهِرُ بِصَنَاعَتِهِ، اجْتَهَدَ فَوَصَفَ لِلْمَرِيضِ دَوَاءً، فَأَخْطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ، فَقَتَلَهُ، فَهَذَا يُخْرَجُ عَلَى رِوَايَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: أَنَّ دِيَّةَ الْمَرِيضِ فِي بَيْتِ الْمَالِ. وَالثَّانِيَّةُ: أَنَّهَا عَلَى عَاقِلَةِ الطَّيِّبِ، وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِمَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي خَطِّ الْإِمَامِ وَالْحَاكِمِ.

الْقِسْمُ الْخَامِسُ: طَبِيبٌ حَادِقٌ، أَعْطَى الصَّنْعَةَ حَقَّهَا، فَقَطَعَ سِلْعَةً مِنْ رَجُلٍ أَوْ صَبِيٍّ، أَوْ مَجْنُونٍ بَغَيْرِ إِذْنِهِ، أَوْ إِذْنٍ وَلِيِّهِ، أَوْ خَتَنَ صَبِيًّا بَغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهِ فَتَلَفَ، فَقَالَ أَصْحَابُنَا: يَضْمَنُ، لِأَنَّهُ تَوَلَّدَ مِنْ فِعْلٍ غَيْرِ مَأْذُونٍ فِيهِ، وَإِنْ أَذِنَ لَهُ الْبَالِغُ، أَوْ وَلِيُّ الصَّبِيِّ وَالْمَجْنُونِ، لَمْ يَضْمَنْ، وَيَحْتَمِلُ الْأَيضُ مَنْ مَطْلَقًا لِأَنَّهُ مُحْسِنٌ، وَمَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ. وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُتَعَدِّيًّا، فَلَا أَثَرَ لِإِذْنِ الْوَلِيِّ فِي إِسْقَاطِ الضَّمَانِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَعَدِّيًّا، فَلَا وَجْهَ لِضَمَانِهِ. فَإِنْ قُلْتَ: هُوَ مُتَعَدِّ عِنْدَ عَدَمِ الْإِذْنِ، غَيْرُ مُتَعَدِّ عِنْدَ الْإِذْنِ، قُلْتَ: الْعُدْوَانُ وَعَدَمُهُ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى فِعْلِهِ هُوَ، فَلَا أَثَرَ لِلْإِذْنِ وَعَدَمِهِ فِيهِ، وَهَذَا مَوْضِعُ نَظَرٍ. **الطب النبوي (ص: ١٠٣ -**

١٠٥).

أصول الاستفراغ خمسة

قال رَحِمَهُ اللهُ: الْقِيءُ: أَحَدُ الْإِسْتِفْرَاجَاتِ الْخَمْسَةِ الَّتِي هِيَ أَصُولُ الْإِسْتِفْرَاجِ، وَهِيَ:

الِإِسْهَالُ، وَالْقَيْءُ، وَإِخْرَاجُ الدَّمِّ، وَخُرُوجُ الْأَبْخَرَةِ، وَالْعَرَقُ، وَقَدْ جَاءَتْ بِهَا السُّنَّةُ.

فَأَمَّا الْإِسْهَالُ: فَقَدْ مَرَّرَ فِي حَدِيثٍ: «خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْمَشْيُ»^(١) وَفِي حَدِيثٍ «السَّنَا»^(٢).

وَأَمَّا إِخْرَاجُ الدَّمِ، فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَحَادِيثِ الْحِجَامَةِ.
وَأَمَّا اسْتِفْرَاغُ الْأَبْحَرَةِ، فَتَذَكُّرُهُ عَقِيبَ هَذَا الْفَصْلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
وَأَمَّا الاسْتِفْرَاغُ بِالْعَرَقِ، فَلَا يَكُونُ غَالِبًا بِالْقَصْدِ، بَلْ بِدَفْعِ الطَّبِيعَةِ لَهُ إِلَى ظَاهِرِ الْجَسَدِ،
فِيَصَادِفُ الْمَسَامَ مُفْتَحَةً، فَيَخْرُجُ مِنْهَا.
والقيء استفراغ من أعلا المعدة، وَالْحُقْنَةُ مِنْ أَسْفَلِهَا، وَالِدَوَاءُ مِنْ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلِهَا،
وَالْقَيْءُ: نَوْعَانِ: نَوْعٌ بِالْغَلْبَةِ وَالْهَيْجَانِ، وَنَوْعٌ بِالِاسْتِدْعَاءِ وَالطَّلَبِ.
فَأَمَّا الْأَوَّلُ: فَلَا يَسُوعُ حَبْسُهُ وَدَفْعُهُ إِلَّا إِذَا أَفْرَطَ وَخِيفَ مِنْهُ التَّلَفُ، فَيَقْطَعُ بِالْأَشْيَاءِ
الَّتِي تُمْسِكُهُ. وَأَمَّا الثَّانِي: فَانْفَعُهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِذَا رُوِيَ زَمَانُهُ وَشُرُوطُهُ الَّتِي تُذَكَّرُ. الطب
النبوي (ص: ٩٦).



«١» رواه ابن ماجه، عن عبد الله بن أم حرام: «عَلَيْكُمْ بِالسَّنَى، وَالسَّنَوَاتِ، فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا السَّامَ»، وهو في الصحيحة (١٧٩٨) للعلامة الألباني.

السنى: نبات كأنه الحناء زهره إلى الزرقه وحبه مفرطح إلى الطول وأجوده الحجازي ويعرف بالسنى المكي . كما في الوسيط .
والسنوت: العسل . وقيل الرب . وقيل الكمون . كما في النهاية وبالأخير جزم في الوسيط .

الفوائد السادسة

من تدبر القرآن عرّفه على ستة أمور

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وَأَمَّا التَّأَمُّلُ فِي الْقُرْآنِ، فَهُوَ تَحْدِيقُ نَاطِرِ الْقَلْبِ إِلَى مَعَانِيهِ، وَجَمْعُ الْفِكْرِ عَلَى تَدْبِيرِهِ وَتَعَقُّلِهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنْزَالِهِ، لَا مُجَرَّدُ تِلَاوَتِهِ بِلَا فَهْمٍ وَلَا تَدْبِيرٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ﴿٢٤﴾ [محمد: ٢٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٣﴾ [الزخرف: ٣] وَقَالَ الْحَسَنُ: نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيَتَدَبَّرَ وَيُعْمَلَ بِهِ. فَاتَّخَذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا.

فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا تُطْلَعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَذَائِرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَغَايَاتِهِمَا وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَالَ أَهْلِهِمَا، وَتَتَلَّ فِي يَدِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَتُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشِيدُ بُيُنَانَهُ وَتُوطِّدُ أَرْكَانَهُ، وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ، وَتُخَضِّرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتُرِيهِ أَيَّامَ اللَّهِ فِيهِمْ، وَتُبَصِّرُهُ مَوَاقِعَ الْعِبرِ، وَتُشْهِدُهُ عَدْلَ اللَّهِ وَفَضْلَهُ، وَتُعَرِّفُهُ ذَاتَهُ،

وَأَسْمَاءُهُ وَصِفَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وَصِرَاطُهُ الْمُوصِلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ
الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَقَوَاطِعِ الطَّرِيقِ وَأَفَاتِهَا، وَتُعَرِّفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا، وَمُفْسِدَاتِ
الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا وَتُعَرِّفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَأَعْمَالَهُمْ، وَأَحْوَالَهُمْ
وَسِيمَاهُمْ، وَمَرَاتِبَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَقْسَامَ الْخَلْقِ وَاجْتِمَاعَهُمْ فِيمَا
يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَافْتِرَاقَهُمْ فِيمَا يَفْتَرِقُونَ فِيهِ.

وَبِالْجُمْلَةِ **تُعَرِّفُهُ الرَّبَّ الْمَدْعُوَّ إِلَيْهِ، وَطَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَمَا لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ إِذَا قَدِمَ
عَلَيْهِ.**

وَتُعَرِّفُهُ فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أُخْرَى: **مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ، وَالطَّرِيقَ الْمَوْصِلَةَ إِلَيْهِ، وَمَا
لِلْمُسْتَجِيبِ لِدَعْوَتِهِ مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْعَذَابِ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ.**

فَهَذِهِ سِتَّةُ أُمُورٍ ضَرُورِيٍّ لِلْعَبْدِ مَعْرِفَتُهَا، وَمُشَاهَدَتُهَا وَمُطَالَعَتُهَا، فَتَشْهَدُ الْآخِرَةُ حَتَّى
كَانَهُ فِيهَا، وَتَعْيِيهِ عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى كَانَ لَيْسَ فِيهَا، وَتُمَيِّزُ لَهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي كُلِّ مَا
اخْتَلَفَ فِيهِ الْعَالَمُ. فَتُرِيهِ الْحَقَّ حَقًّا، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا، وَتُعْطِيهِ فُرْقَانًا وَنُورًا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ
الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَتُعْطِيهِ قُوَّةً فِي قَلْبِهِ، وَحَيَاةً، وَسَعَةً وَأَنْشِرَاحًا وَبَهْجَةً
وَسُرُورًا، فَيَصِيرُ فِي شَأْنِ النَّاسِ فِي شَأْنٍ آخَرَ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٠).

للعلم ستُّ مراتب

قال رحمه الله: وللعلم ستُّ مراتب:

أولها: حُسْنُ السُّؤَالِ.

الثانية: حُسْنُ الْإِنْصَاتِ وَالِاسْتِمَاعِ.

الثالثة: حُسْنُ الْفَهْمِ.

الرابعة: الحفظ.

الخامسة: التعليم.

السادسة- وهي ثمرته-: وهي العملُ به ومراعاةُ حدوده.

فمن الناس من يُحرِّمُه لعدم حُسْنِ سؤاله؛ إمَّا أنه لا يسأل بحال، أو يسأل عن شيءٍ وغيره أهْمُ إليه منه؛ كمن يسأل عن فضوله التي لا يضرُّ جهله بها، ويدعُ ما لا غنى له عن معرفته. وهذه حال كثيرٍ من الجهَّال المتعالِمين.

ومن الناس من يُحرِّمُه لسوء إنصاته، فيكونُ الكلامُ والمماراةُ أثرَ عنده من حُسْنِ الاستماع. وهذه آفةٌ كامنَةٌ في أكثر النفوس الطالبة للعلم، وهي تمنعهم علماً ولو كان حَسَنَ الفهم.

ذكر ابنُ عبد البر عن بعض السَّلف أنه قال: "من كان حسنَ الفهم رديءَ الاستماع لم يَقمْ خيرُه بشرِّه". مفتاح دار السعادة لابن القيم ط عالم الفوائد (١/ ٤٨٢).

يُحرم المرء العلم من ستة أوجه

قال رَحِمَهُ اللهُ: حرمان العلم من هذه الوجوه الستة:

أحدها: تركُ السؤال.

الثاني: سوءُ الإنصات وعدمُ إلقاء السمع.

الثالث: سوءُ الفهم.

الرابع: عدمُ الحفظ.

الخامس: عدمُ نشره وتعليمه؛ فإنَّ من خَزَنَ علمه ولم ينشره ولم يعلمه ابتلاه الله بنسيانه وذهابه منه؛ جزاءً من جنس عمله، وهذا أمرٌ يشهدُ به الحسُّ والوجود.

السادس: عدمُ العمل به؛ فإنَّ العملَ به يوجبُ تذكُّره وتدبُّره ومراعاته والنظرَ فيه، فإذا أهملَ العملَ به نسيه.

قال بعضُ السلف: "كنا نستعينُ على حفظ العلم بالعمل به".

وقال بعضُ السلف أيضًا: "العلم يهتفُ بالعمل، فإن أجابه حلٌّ وإلا ارتحل".

فالعملُ به من أعظم أسباب حفظه وثباته، وتضييعُ العمل به إضاعةٌ له؛ فما استدرَّ

العلمُ ولا استجلبَ بمثل العمل. مفتاح دار السعادة لابن القيم ط عالم الفوائد (١/ ٤٩٢).

مجالسة العالم تدعوك من ست إلى ست

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَقِيلَ: مُجَالَسَةُ الْعَارِفِ تَدْعُوكَ مِنْ سِتٍّ إِلَى سِتٍّ:

مِنْ الشُّكِّ إِلَى الْيَقِينِ.

وَمِنْ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ.

وَمِنْ الْغَفْلَةِ إِلَى الذِّكْرِ.

وَمِنْ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ.

وَمِنْ الْكِبَرِ إِلَى التَّوَاضُّعِ.

وَمِنْ سُوءِ الطَّوِيَّةِ إِلَى النَّصِيحَةِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٣٢٢).

للقب ستة مواطن يجول فيها

قال رحمه الله: للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها ثلاثة سافلة، وثلاثة عالية:

فالسافلة:

دنيا تزين له.

ونفس تحدثه.

وعدو يوسوس له.

فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها.

والثلاثة العالية:

علم يتبين له.

وعقل يرشده.

وإله يعبد.

والقلوب جولة في هذه المواطن. (الفوائد (ص: ٩٩).

للقب الصحيح ست علامات

قال رحمه الله: ومن علامات صحة القلب: أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته،

ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدلّه عليه، ويذكره به، ويذكره بهذا الأمر.

ومن علامات صحته: أنه إذا فاته ورّده وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات

ماله وفقده.

ومن علامات صحته: أنه يشاق إلى الخدمة، كما يشاق الجائع إلى الطعام والشرب.

ومن علامات صحته: أن يكون همه واحداً، وأن يكون في الله.

ومن علامات صحته: أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه، وقرة عينه وسرور قلبه.

ومن علامات صحته: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعاً من أشد الناس شحاً بماله.

ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه وتقصيره في حق الله. فهذه ست مشاهد لا يشهدا إلا القلب الحى السليم.

وبالجملة فالقلب الصحيح: هو الذى همه كله فى الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على مرضيه ومحابه، والخلوة به أثر عنده من الخلطة إلا حيث تكون الخلطة أحب إليه وأرضى له، قرة عينه به، وطمأنينته وسكونه إليه، فهو كلما وجد من

نفسه التفاتا إلى غيره تلا عليها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨)﴾

[الفجر: ٢٧-٢٨]. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٧٢).

شفاء القلوب في ستة أمور

قال رحمه الله: فَضُلٌّ فِي بَيَانِ اسْتِمَالِ الْفَاتِحَةِ عَلَى الشِّفَاءَيْنِ شِفَاءِ الْقُلُوبِ وَشِفَاءِ الْأَبْدَانِ، فَأَمَّا اسْتِمَالُهَا عَلَى شِفَاءِ الْقُلُوبِ: فَإِنَّهَا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَتَمَّ اسْتِمَالٍ، فَإِنَّ مَدَارَ اعْتِلَالِ الْقُلُوبِ وَأَسْقَامِهَا عَلَى أَصْلَيْنِ: فَسَادِ الْعِلْمِ، وَفَسَادِ الْقَصْدِ.

وَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهِمَا دَاءَانِ قَاتِلَانِ، وَهُمَا الضَّلَالُ وَالْغَضَبُ، فَالضَّلَالُ نَتِيجَةُ فَسَادِ الْعِلْمِ، وَالْغَضَبُ نَتِيجَةُ فَسَادِ الْقَصْدِ، وَهَذَانِ الْمَرَضَانِ هُمَا مِلَاكُ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ جَمِيعِهَا، فَهِدَايَةُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ تَتَضَمَّنُ الشِّفَاءَ مِنْ مَرَضِ الضَّلَالِ، وَلِذَلِكَ كَانَ سُؤْلُ هَذِهِ

الهِدَايَةِ أَفْرَضَ دُعَاءٍ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ، وَأَوْجَبَهُ عَلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، لَشِدَّةِ ضَرُورَتِهِ وَفَاقَتِهِ إِلَى الْهِدَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ، وَلَا يَقُومُ غَيْرُ هَذَا السُّؤَالِ مَقَامَهُ.

وَالْتَّحَقُّ بِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] عِلْمًا وَمَعْرِفَةً، وَعَمَلًا وَحَالًا يَتَضَمَّنُ الشِّفَاءَ مِنْ مَرَضِ فَسَادِ الْقَلْبِ وَالْقَصْدِ، فَإِنَّ فَسَادَ الْقَصْدِ يَتَعَلَّقُ بِالْغَايَاتِ وَالْوَسَائِلِ، فَمَنْ طَلَبَ غَايَةً مُنْقَطِعَةً مُضْمَحِلَّةً فَانِيَةً، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهَا بِأَنْوَاعِ الْوَسَائِلِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَيْهَا كَانَ كِلَا نَوْعِي قَصْدِهِ فَاسِدًا، وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مَنْ كَانَ غَايَةً مَطْلُوبَةً غَيْرَ اللَّهِ وَعُبودِيَّتِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمُتَّبِعِي الشَّهَوَاتِ، الَّذِينَ لَا غَايَةَ لَهُمْ وَرَاءَهَا، وَأَصْحَابِ الرِّيَاسَاتِ الْمُتَّبِعِينَ لِإِقَامَةِ رِيَاسَتِهِمْ بِأَيِّ طَرِيقٍ كَانَ مِنْ حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ، فَإِذَا جَاءَ الْحَقُّ مُعَارِضًا فِي طَرِيقِ رِيَاسَتِهِمْ طَحَنُوهُ وَدَاسُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ، فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ دَفَعُوهُ دَفْعَ الصَّائِلِ، فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ حَبَسُوهُ فِي الطَّرِيقِ، وَحَادُّوا عَنْهُ إِلَى طَرِيقٍ أُخْرَى، وَهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِدَفْعِهِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، فَإِذَا لَمْ يَجِدُوا مِنْهُ بُدًّا أَعْطَوْهُ السَّكَّةَ وَالْخُطْبَةَ وَعَزَلُوهُ عَنِ التَّصَرُّفِ وَالْحُكْمِ وَالتَّنْفِيزِ، وَإِنْ جَاءَ الْحَقُّ نَاصِرًا لَهُمْ وَكَانَ لَهُمْ صَالُوا بِهِ وَجَالُوا، وَاتَّوَا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، لَا لِأَنَّهُ حَقٌّ، بَلْ لِمُوَافَقَتِهِ غَرَضَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ، وَانْتِصَارِهِمْ بِهِ: ﴿وَإِذَا

دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ. بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٥٠)

[النور: ٤٨ - ٥٠].

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ قَصْدَ هَؤُلَاءِ فَاسِدٌ فِي غَايَاتِهِمْ وَوَسَائِلِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ إِذَا بَطَلَتِ الْغَايَاتُ الَّتِي طَلَبُوهَا، وَاضْمَحَلَّتْ وَفَنِيَتْ، حَصَلُوا عَلَى أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ وَالْحَسَرَاتِ، وَهُمْ أَعْظَمُ

النَّاسِ نَدَامَةً وَتَحَسُّرًا إِذَا حَقَّ الْحَقُّ وَبَطَلَ الْبَاطِلُ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ أَسْبَابُ الْوَصْلِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ، وَتَيَقَّنُوا انْقِطَاعَهُمْ عَنْ رَكْبِ الْفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ، وَهَذَا يَظْهَرُ كَثِيرًا فِي الدُّنْيَا، وَيَظْهَرُ أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ الرَّحِيلِ مِنْهَا وَالْقُدُومِ عَلَى اللَّهِ، وَيَشْتَدُّ ظُهُورُهُ وَتَحَقُّقُهُ فِي الْبَرْزَخِ، وَيُنْكَشِفُ كُلَّ الْإِنْكَشَافِ يَوْمَ اللَّقَاءِ، إِذَا حَقَّتِ الْحَقَائِقُ، وَفَارَ الْمُحِقُّونَ وَخَسِرَ الْمُبْطِلُونَ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ، وَكَانُوا مَخْدُوعِينَ مَغْرُورِينَ، فَيَالَهُ هُنَاكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ عَالِمُهُ، وَيَقِينٍ لَا يُنْجِي مُسْتَيَقِّنُهُ.

وَكَذَلِكَ مَنْ طَلَبَ الْغَايَةَ الْعُلْيَا وَالْمَطْلَبَ الْأَسْمَى، وَلَكِنْ لَمْ يَتَوَسَّلْ إِلَيْهِ بِالْوَسِيلَةِ الْمُوَصَّلَةِ لَهُ وَإِلَيْهِ، بَلْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِوَسِيلَةٍ ظَنَّنَهَا مُوَصَّلَةً إِلَيْهِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْقَوَاطِعِ عَنْهُ، فَحَالُهُ أَيْضًا كَحَالِ هَذَا، وَكِلَاهُمَا فَاسِدُ الْقَصْدِ، وَلَا شِفَاءَ مِنْ هَذَا الْمَرَضِ إِلَّا بِدَوَاءٍ: ﴿

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ [الفاتحة: ٥].

فَإِنَّ هَذَا الدَّوَاءَ مُرَكَّبٌ مِنْ سِتَّةِ أَجْزَاءٍ

عُبُودِيَّةِ اللَّهِ لَا غَيْرَهُ.

بِأَمْرِهِ وَشَرْعِهِ.

لَا بِالْهَوَى.

وَلَا بِأَرَاءِ الرِّجَالِ وَأَوْصَاعِهِمْ، وَرُسُومِهِمْ، وَأَفْكَارِهِمْ.

بِالِاسْتِعَانَةِ عَلَى عُبُودِيَّتِهِ بِهِ.

لَا بِنَفْسِ الْعَبْدِ وَقُوَّتِهِ وَحَوْلِهِ وَلَا بِغَيْرِهِ.

فَهَذِهِ هِيَ أَجْزَاءُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فَإِذَا رَكَّبَهَا الطَّبِيبُ اللَّطِيفُ، الْعَالِمُ بِالْمَرَضِ، وَاسْتَعْمَلَهَا الْمَرِيضُ، حَصَلَ بِهَا الشِّفَاءُ التَّامُّ، وَمَا نَقَصَ مِنَ الشِّفَاءِ فَهُوَ لِفَوَاتِ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا، أَوْ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١)

(٧٧).

أغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء

قال رسول الله: قَالَ شَقِيقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَغْلَقَ بَابَ التَّوْفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ:

اشتغالهم بِالنِّعْمَةِ عَنْ شُكْرِهَا.

ورغبتهم فِي الْعِلْمِ وَتَرْكُهُمُ الْعَمَلَ.

والمسارعة إِلَى الذَّنْبِ وَتَأْخِيرُ التَّوْبَةِ.

والاغترار بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وَتَرْكُ الْإِقْتِدَاءِ بِفَعَالِهِمْ.

وإدبار الدُّنْيَا عَنْهُمْ وَهُمْ يَتَّبِعُونَهَا.

وإقبال الْآخِرَةِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهَا.

قلت: وَأَصْلُ ذَلِكَ عَدَمُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَأَصْلُهُ ضَعْفُ الْيَقِينِ وَأَصْلُهُ ضَعْفُ الْبَصِيرَةِ وَأَصْلُهُ مَهَانَةُ النَّفْسِ وَدَنَاءَتُهَا وَاسْتِدْبَالُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَإِلَّا فَلَوْ كَانَتِ النَّفْسُ شَرِيفَةً كَبِيرَةً لَمْ تَرْضَ بِالْدُونِ فَأَصْلُ الْخَيْرِ كُلِّهِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَمَشِيتِهِ وَشَرَفِ النَّفْسِ وَنَبْلِهَا وَكِبَرِهَا وَأَصْلُ الشَّرِّ خِسَّتُهَا وَدَنَاءَتُهَا وَصَغَرُهَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾

﴿الشَّمْسُ: ٩ - ١٠﴾ أَيَّ أَفْلَحَ مَنْ كَبَرَهَا وَكَثَرَهَا وَنَمَاهَا بِطَاعَةِ

اللَّهِ، وَخَابَ مَنْ صَغَرَهَا وَحَقَرَهَا بِمَعَاصِي اللَّهِ.

فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدتها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدنئات، وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقدار، فالنفس الشريفة العلية لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقه والخيانة؛ لأنها أكبر من ذلك وأجل، والنفس المهينة الحقيرة والخسيسة بالضد من ذلك، فكل نفس تميل إلى ما يناسبها ويشاكلها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ ۖ ﴾ [الإسراء: ٨٤] أي على ما يشاكله ويناسبه.

فهو يعمل على طريقته التي تناسب أخلاقه وطبيعته، وكل إنسان يجري على طريقته ومذهبه وعادته التي ألفها وجبل عليها، فالفاجر يعمل بما يشبه طريقته من مقابلة النعم بالمعاصي والإعراض عن النعم، والمؤمن يعمل بما يشاكله من شكر النعم ومحبة والثناء عليه والتودد إليه والحياء منه والمراقبة له وتعظيمه وإجلاله. (الفوائد (ص: ١٧٧).

ينحصر شر الشيطان في ستة أجناس

قال رحمه الله: فإذا كان هذا شأنه وهيمته في الشر، فكيف الخلاص منه إلا بمعونة الله وتأيدته وإعادته! ولا يمكن حصر أجناس شره فضلاً عن أحاديها، إذ كل شر في العالم فهو السبب فيه، ولكن ينحصر شره في ستة أجناس، لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحداً منها أو أكثر:

الشر الأول: شر الكفر والشرك ومعادة الله ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنيته، واستراح من تعبته معه، وهو أول ما يريده من العبد، فلا يزال به حتى يناله منه، فإذا نال ذلك منه صيره من جنده وعسكره، واستنابه على أمثاله وأشكاله، فصار من دعاة إبليس ونوابه.

فإن يَسَّ منه من ذلك، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه، نقله إلى **المرتبة الثانية** من الشر، وهي البدعة، وهي أحبُّ إليه من الفسوق والمعاصي؛ لأن ضررها في نفس الدين وهو ضرر متعدّد، وهي ذنبٌ لا يتابُ منه، وهي مخالفةٌ لدعوة الرُّسل، ودعاء إلى خلاف ما جاءوا به، وهي باب الكفر والشرك، فإذا نال منه البدعة وجعله من أهلها بقي أيضًا نائبه وداعيًا من دعايته.

فإن أعجزه من هذه المرتبة، وكان العبدُ ممن سَبَقَتْ له من الله موهبةُ السُّنة ومعاداة أهل البدع والضلال، نقله إلى **المرتبة الثالثة** من الشرّ، وهي الكبائر على اختلاف أنواعها، فهو أشدُّ حرصًا على أن يوقعه فيها، ولا سيّما إن كان عالمًا متبوعًا، فهو حريصٌ على ذلك لينفّر الناس عنه، ثم يشيعُ من ذنوبه ومعاصيه في الناس ويستنبِئ منهم من يشيعُها ويذيعُها تدينًا وتقربًا بزعمه إلى الله تعالى، وهو نائب إبليس ولا يشعر، ﴿ **إِنَّ**

الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ١٩] ، هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها، فكيف إذا تولّوا هم إشاعتها وإذاعتها لا نصيحة منهم، ولكن طاعة لإبليس ونيابة عنه؟ ! كل ذلك لينفّر الناس عنه، وعن الانتفاع به، وذنوب هذا ولو بلغت عنان السماء أهونُ عند الله من ذنوب هؤلاء، فإنها ظلمٌ منه لنفسه، إذا استغفر الله وتاب إليه قبل الله وتوبته، وبدلَ سيئاته حسنات، وأما ذنوبُ أولئك فظلم للمؤمنين وتبعٌ لعورتهم وقصدٌ لفضيحتهم، والله - سبحانه - بالمرصاد لا تخفى عليه كمائنُ الصدور ودسائسُ النفوس.

فإن أعجزَ الشيطانَ عن هذه المرتبة، نقله إلى **المرتبة الرابعة** وهي: الصَّغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلك صاحبها، كما قال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ قَوْمٍ نَزَلُوا بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ...»^١، وذكر حديثاً معناه: أن كل واحد منهم جاء بَعُودَ حَطَبٍ حَتَّى أَوْقَدُوا نَارًا عَظِيمَةً فَطَبَخُوا وَاشْتَوَوْا، وَلَا يَزَالُ يُسَهَّلُ عَلَيْهِ أَمْرَ الصَّغَائِرِ حَتَّى يَسْتَهِينَ بِهَا، فَيَكُونُ صَاحِبُ الْكَبِيرَةِ الْخَائِفُ مِنْهَا أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ.

فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة، نقله إلى **المرتبة الخامسة**، وهي إشغاله بالمُبَاهَات التي لا ثوابَ فيها ولا عِقَابَ، بل عقابها فَوَاتُ الثَّوَابِ الذي ضاع عليه باشتغاله بها.

فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة وكان حافظاً لوقته شحيحاً به، يعلم مقدار أنفاسِهِ وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب، نقله إلى **المرتبة السادسة**، وهو: أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل، فيأمره بفعل الخير المفضول، ويحضه عليه، ويحسنه له، إذا تَضَمَّنَ ترك ما هو أفضل وأعلى منه، وَقَلَّ مِنْ يَتَنَبَّهَ لِهَذَا مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّهُ إِذَا رَأَى فِيهِ دَاعِيًا قَوِيًّا وَمَحْرُكًا إِلَى نَوْعٍ مِنَ الطَّاعَةِ لَا يَشْكُ أَنَّهُ طَاعَةٌ وَقَرَبَةٌ، فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا الدَّاعِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ، وَيَرَى أَنَّ هَذَا خَيْرٌ، فيقول: هَذَا الدَّاعِيَ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ مَعْدُورٌ، وَلَمْ يَصِلْ عِلْمُهُ إِلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ يَأْمُرُهُ بِسَبْعِينَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، إِمَّا لِيَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى بَابٍ وَاحِدٍ مِنَ الشَّرِّ، وَإِمَّا لِيُقَوِّتَ بِهَا خَيْرًا أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ السَّبْعِينَ بَابًا وَأَجَلَّ وَأَفْضَلَ.

«١» رواه الإمام أحمد، وهو في السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني برقم (٣١٠٢). عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب العبد يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله وأحبها إليه وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحةً لله تعالى ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف هذا إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ ونوابه في الأمة وخلفائه في الأرض، وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك فلا يخطر بقلوبهم، والله تعالى يمن بفضله على من يشاء من عباده.

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست وأعيا عليه سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير له والتضليل والتبديع والتحذير منه، وقصد إخماله وإطفائه ليُشَوَّش عليه قلبه ويشغل بحربه فكره، وليمنع الناس من الانتفاع به، فيبقى سعيه في تسليط المُبْطِلِينَ من شياطين الإنس والجن عليه، لا يَقْتَرُ ولا يَبْنِي، فحينئذ يلبس المؤمن لأمة الحرب ولا يضعها عنه إلى الموت، ومتى وضعها أُسِرَ أو أُصِيب، فلا يزال في جهاد حتى يلقي الله.

فتأمل هذا الفصل وتدبر موقعه وعظيم منفعته، واجعله ميزاناً لك تزن به الناس وتزن به الأعمال، فإنه يُطْلِعُكَ على حقائق الوجود ومراتب الخلق، والله المستعان، وعليه التكلان، ولو لم يكن في هذا التعليق إلا هذا الفصل لكان نافعاً لمن تدبره ووعاه. بدائع

الفوائد ط عالم الفوائد (٢ / ٧٩٩).

وانظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١ / ١١٢). ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٢٣٧).

انظر: الفوائد السباعية.

المواساة للمؤمن أنواع ستة

قال رحمه الله: الْمَوَاسَاةُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْوَاعٌ:

مَوَاسَاةٌ بِالْمَالِ .

ومواساة الجاه .

ومواساة بالبدن والخدمة .

ومواساة بالنصيحة والإرشاد .

ومواساة بالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ .

ومواساة بالتوجع لَهُمْ .

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المَوَاسَاةُ فكلما ضعف الإيمان ضعفت المَوَاسَاةُ وكلما قوي قويت وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه رضي الله عنهم بذلك كله فلا تباعه من المَوَاسَاةِ بِحَسَبِ اتِّبَاعِهِمْ لَهُ .

ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا مَا هَذَا يَا أَبَا نَصْرٍ فَقَالَ ذَكَرْتُ الْفُقَرَاءَ وَبَرَدَهُمْ وَلَيْسَ لِي مَا أُوَاسِيهِمْ بِهِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُوَاسِيَهُمْ فِي بَرَدِهِمْ

. الفوائد (ص: ١٧١).

ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ السَّكِينَةَ فِي كِتَابِهِ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ

قال رحمه الله: وَمِنْ مَنَازِلِ: ﴿يَاكَ نَعْبُدُ وَيَاكَ نَسْتَعِثُ﴾ [الفاتحة: ٥] مَنَزَلُهُ

السَّكِينَةِ.

هَذِهِ الْمَنَزَلَةُ مِنْ مَنَازِلِ الْمَوَاهِبِ. لَا مِنْ مَنَازِلِ الْمَكَاسِبِ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ السَّكِينَةَ

فِي كِتَابِهِ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ.

الأوّل: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ

فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

الثاني: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦].

الثالث: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

الرابع: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ

جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

الخامس: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

السادس: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ

اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٦]. الآية.

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ: قَرَأَ آيَاتِ السَّكِينَةِ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي وَاقِعَةٍ عَظِيمَةٍ جَرَتْ لَهُ فِي مَرَضِهِ، تَعَجُّزُ الْعُقُولِ عَنْ حَمْلِهَا - مِنْ مُحَارَبَةِ أَرْوَاحِ شَيْطَانِيَّةٍ، ظَهَرَتْ لَهُ إِذْ ذَاكَ فِي حَالِ ضَعْفِ الْقُوَّةِ - قَالَ: فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيَّ الْأَمْرُ، قُلْتُ لِأَقَارِبِي وَمَنْ حَوْلِي: اقْرَءُوا آيَاتِ السَّكِينَةِ، قَالَ: ثُمَّ أَفْلَعَ عَنِّي ذَلِكَ الْحَالُ، وَجَلَسْتُ وَمَا بِي قَلْبَةٌ.

وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنَا أَيْضًا قِرَاءَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْقَلْبِ بِمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ. فَرَأَيْتُ لَهَا تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي سُكُونِهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ.

وَأَصْلُ السَّكِينَةِ هِيَ الطَّمَأْنِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَالسُّكُونُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، عِنْدَ اضْطِرَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَخَافِ. فَلَا يَنْزَعُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ. وَيُوجِبُ لَهُ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ وَالثَّبَاتِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٤٧٠).

الفرق بين لام الجحود ولام كي من ستة أوجه

قال رحمه الله: فائدة بديعة "لام كي والجحود" حرفان ناصبان بإضمار "أن"، إلا أن "لام كي" هي لام العلة، فلا يقع قبلها إلا فعل يكون علة لما بعدها، فإن كان ذلك الفعل منفياً لم يخرجها عن أن تكون "لام كي"، كما ذهب إليه الصيمري؛ لأن معنى العلة فيها باق، وإنما الفرق بين "لام الجحود" و"لام كي" وذلك من ستة أوجه:

أحدها: أن لام الجحود يكون قبلها كون منفي بشرط الماضي؛ إما "ما كان" أو "لم يكن"، لا مستقبلاً، فلا تقول: "ما أكون لأزورك"، **وتكون** زمانية ناقصة لا تامة، **ولا يقع** بعد اسمها ظرف **ولا** مجرور، لا تقول: "ما كان زيد عندك ليذهب" ولا: "... أمس ليخرج". فهذه أربعة فروق.

والذي يكشف لك قناع المعنى ويهجم بك على الغرض: أن "كان" الزمانية عبارة عن زمان ماضٍ، فلا تكون علة لحادث، ولا تتعدى إلى المفعول من أجله، ولا إلى الحال وظروف المكان، وفي تعديها إلى ظروف الزمان نظراً فهذا الذي منعها أن تقع قبلها لام العلة، أو يقع بعدها المجرور أو الظرف.

وأما الفرق **الخامس** بين اللامين فهو: أن الفعل بعد "لام الجحود" لا يكون فاعله إلا عائداً على اسم "كان"؛ لأن الفعل بعدها في موضع الخبر، فلا تقول: "ما كان زيد ليذهب

عمرو"، كما تقول: "يا زيد ليذهب عمرو أو لتذهب أنت"، ولكن تقول: "ما كان ليذهب" و"ما كنت لأفعل".

والفرق السادس: جواز إظهار "أن" بعد "لام كي"، ولا يجوز إظهارها بعد لام الجحود؛ لأنها جرت في كلامهم نفيًا للفعل المستقبل بـ "السين" أو "سوف"، فصارت لام الجحود بإزائهما: فلم يظهر بعدها ما لا يكون بعدهما. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (١/ ١٧٣).

في «إبراهيم» ست لغات

قال رَحِمَهُ اللهُ: فائدة: في «إبراهيم» ست لغات:

أحدها: إبراهيم، وهي اللغة الفاشية.

والثانية: إبراهيم.

والثالثة: إبراهيم.

والرابعة: إبراهيم.

والخامسة: إبراهيم.

والسادسة: إبراهيم.

بدائع الفوائد (٤ / ٢١٢).

الذي يجري صفةً أو خبراً على الرب تعالى على ستة أقسام

قال رَحِمَهُ اللهُ: فائدة جليّة: ما يجري صفةً أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسامٌ:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذاتٌ، وموجودٌ، وشيءٌ.

الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية؛ كالعليم، والقدير، والسميع.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله؛ نحو: الخالق والرزاق.

الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتاً؛ إذ لا كمال في العدم المحض؛ كالقدوس السلام.

الخامس: ولم يذكره أكثر الناس، وهو: الاسم الدالُّ على جملة أوصافٍ عديدة لا تختص بصفة معينة، بل هو دال على معانٍ لا على معنى مفرد، نحو: المجيد، العظيم، الصمد، فإنَّ المجيد: من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدلُّ على هذا، فإنه موضوع للسَّعة والكثرة والزيادة، فمنه: "اسْتَمَجَدَ المَرْخُ والعَفَّارُ"، وأمجد الناقة علفاً. ومنه: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (١٥) [البروج: ١٥] صفة للعرش لِسَعَتِهِ وَعِظْمِهِ وَشَرَفِهِ.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو: الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغنيَّ صفة كمالٍ، والحمد كذلك، واجتماع الغني مع الحمد كمالٌ آخر، فله ثناءٌ من غناه، وثناءٌ من حمده، وثناءٌ من اجتماعهما. وكذلك: العفو القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم؛ فتأمله فإنه من أشرف

المعارف. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (١/ ٢٨٠). فائدة جلية في قواعد الأسماء الحسنى (ص: ١٧).

لا يشرع اشتقاق الأسماء لله عزوجل من الأفعال من ستة أوجه

قال رحمه الله: ولهذا المعنى - والله أعلم - لم يجئ في الأسماء الحسنى المرید كما جاء فيها السميع البصير، ولا المتكلم ولا الأمر الناهي لانقسام مسمى هذه الأسماء بل وصف نفسه بكمالاتها وأشرف أنواعها.

ومن هنا يعلم غلط بعض المتأخرين وزلقة الفاحش في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسماً مطلقاً فأدخله في أسمائه الحسنى، فاشتق له اسم الماكر، والخادع، والفاتن، والمضل، والكاتب، ونحوها من قوله: ﴿وَيَمَكُرُ اللَّهُ^ط﴾ [الأنفال: ٣٠]، ومن قوله: ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ومن قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، ومن قوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٢٧] [النحل: ٩٣] [فاطر: ٨]، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ [المجادلة: ٢١]، وهذا خطأ من وجوه:

أحدها: أنه سبحانه لم يطلق على نفسه هذه السماء، فإطلاقها عليه لا يجوز.

الثاني: أنه سبحانه أخبر عن نفسه بأفعال مختصة مقيدة، فلا يجوز أن ينسب إليه مسمى الاسم عند الإطلاق.

الثالث: أن مسمى هذه الأسماء منقسم إلى ما يمدح عليه المسمى به، وإلى ما يذم، فيحسن في موضع، ويقبح في موضع، فيمتنع إطلاقه عليه سبحانه من غير تفصيل.

الرابع: أن هذه ليست من الأسماء الحسنى التي يسمى بها سبحانه، فلا يجوز أن يسمى بها فإن أسماء الرب تعالى كلها حسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهى التي يحب سبحانه أن يثنى عليه ويحمد بها دون غيرها.

الخامس: أن هذا القائل لو سُمي بهذه الأسماء، وقيل له هذه مدحتك وثناء عليك، فأنت الماكر الفاتن المخادع المضل اللاعن الفاعل الصانع ونحوها لما كان يرضى بإطلاق هذه الأسماء عليه ويعدّها مدحة، والله المثل الأعلى سبحانه وتعالى عما يقول الجاهلون به علواً كبيراً.

السادس: أن هذا القائل يلزمه أن يجعل من أسمائه اللاعن والجائي والآتي والذاهب والتارك والمقاتل والصادق والمنزل والنازل والمذموم والمدمر وأضعاف أضعاف ذلك، فيشتق له اسماً من كل فعل أخبر به عن نفسه، وإلا تناقض تناقضاً بيناً، ولا أحد من العقلاء طرد ذلك، فعلم بطلان قوله والحمد لله رب العالمين. طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٣٠).

جعل الله سبحانه وتعالى العقوبات دائرة على ستة أصول

قال رحمه الله: جَعَلَ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ دَائِرَةً عَلَى سِتَّةِ أَصُولٍ: قَتْلٍ، وَقَطْعٍ، وَجَلْدٍ، وَنَفْيٍ، وَتَغْرِيمِ مَالٍ، وَتَغْزِيرٍ.

فَأَمَّا الْقَتْلُ فَجَعَلَهُ عُقُوبَةً أَعْظَمَ الْجِنَايَاتِ، كَالْجِنَايَةِ عَلَى الْإِنْفُسِ؛ فَكَانَتْ عُقُوبَتُهُ مِنْ جَنْسِهِ، وَكَالْجِنَايَةِ عَلَى الدِّينِ بِالطَّعْنِ فِيهِ وَالْإِزْدَادِ عَنْهُ، وَهَذِهِ الْجِنَايَةُ أَوْلَى بِالْقَتْلِ وَكَفَّ عُدْوَانَ الْجَانِي عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ عُقُوبَةٍ؛ إِذْ بَقَاؤُهُ بَيْنَ أَظْهَرِ عِبَادِهِ مَفْسَدَةٌ لَهُمْ، وَلَا خَيْرَ يُرْجَى فِي بَقَائِهِ وَلَا مَصْلَحَةٍ؛ فَإِذَا حَبَسَ شَرُّهُ وَأَمْسَكَ لِسَانُهُ وَكَفَّ أَذَاهُ وَالتَزَمَ الذُّلَّ وَالصَّغَارَ وَجَرِيَانَ أَحْكَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ وَأَدَاءَ الْحِزْبَةِ لَمْ يَكُنْ فِي بَقَائِهِ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُسْلِمِينَ ضَرَرٌ عَلَيْهِمْ، وَالدُّنْيَا بَلَغٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، وَجَعَلَهُ أَيْضًا عُقُوبَةً الْجِنَايَةِ عَلَى الْفُرُوجِ الْمُحَرَّمَةِ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَظِيمَةِ وَاجْتِلَاطِ الْأَنْسَابِ وَالْفَسَادِ الْعَامِّ.

وَأَمَّا الْقَطْعُ فَجَعَلَهُ عُقُوبَةً مِثْلَهُ عَدْلًا، وَعُقُوبَةُ السَّارِقِ؛ فَكَانَتْ عُقُوبَتُهُ بِهِ أَبْلَغَ وَأَرْدَعَ مِنْ عُقُوبَتِهِ بِالْجَلْدِ، وَلَمْ تَبْلُغْ جِنَايَتُهُ حَدَّ الْعُقُوبَةِ بِالْقَتْلِ؛ فَكَانَ أَلْيَقَ الْعُقُوبَاتِ بِهِ إِبَانَةُ الْعُضْوِ الَّذِي جَعَلَهُ وَسِيلَةً إِلَى أَذَى النَّاسِ، وَأَخَذَ أَمْوَالِهِمْ، وَلَمَّا كَانَ ضَرَرُ الْمُحَارِبِ أَشَدَّ مِنْ ضَرَرِ السَّارِقِ وَعُدْوَانُهُ أَعْظَمَ؛ ضَمَّ إِلَى قَطْعِ يَدِهِ قَطْعَ رِجْلِهِ؛ لِيَكُفَّ عُدْوَانَهُ، وَشَرَّ يَدِهِ الَّتِي

بَطَشَ بِهَا، وَرَجَلَهُ الَّتِي سَعَى بِهَا، وَشَرَعَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ خِلَافٍ لِكُلِّ يَفُوتَ عَلَيْهِ مَنَفَعَةٌ الشَّقِّ بِكَمَالِهِ، فَكَفَّ ضَرَرَهُ وَعُدْوَانَهُ، وَرَحِمَهُ بِأَنْ أَبْقَى لَهُ يَدًا مِنْ شَقِّ وَرَجُلًا مِنْ شَقِّ.

وَأَمَّا الْجُلْدُ فَجَعَلَهُ عُقُوبَةً الْجِنَايَةِ عَلَى الْأَعْرَاضِ، وَعَلَى الْعُقُولِ، وَعَلَى الْأَبْضَاعِ، وَلَمْ تَبْلُغْ هَذِهِ الْجِنَايَاتُ مَبْلَغًا يُوجِبُ الْقَتْلَ وَلَا إِبَانَةَ طَرْفٍ، إِلَّا الْجِنَايَةُ عَلَى الْأَبْضَاعِ فَإِنَّ مَفْسَدَتَهَا قَدْ انْتَهَضَتْ سَبَبًا لِأَشْنَعِ الْقِتْلَاتِ، وَلَكِنْ عَارَضَهَا فِي الْبَكْرِ شِدَّةُ الدَّاعِي وَعَدَمُ الْمُعْوَضِ، فَانْتَهَضَ ذَلِكَ الْمُعَارِضُ سَبَبًا لِإِسْقَاطِ الْقَتْلِ، وَلَمْ يَكُنِ الْجُلْدُ وَحْدَهُ كَافِيًا فِي الزَّجْرِ فَعَلَّظَ بِالنَّفْيِ وَالتَّغْرِيبِ؛ لِيَذُوقَ مِنْ أَلَمِ الْغُرْبَةِ وَمُفَارَقَةِ الْوَطَنِ وَمُجَانِبَةِ الْأَهْلِ وَالْخُلَطَاءِ مَا يَزْجُرُهُ عَنِ الْمُعَاوَدَةِ؛ وَأَمَّا الْجِنَايَةُ عَلَى الْعُقُولِ بِالسُّكْرِ فَكَانَتْ مَفْسَدَتُهَا لَا تَتَعَدَّى السُّكْرَانَ غَالِبًا وَلِهَذَا لَمْ يُحَرِّمِ السُّكْرُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ كَمَا حُرِّمَتْ الْفَوَاحِشُ وَالظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ فِي كُلِّ مِلَّةٍ وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ، وَكَانَتْ عُقُوبَةُ هَذِهِ الْجِنَايَةِ غَيْرَ مُقَدَّرَةٍ مِنَ الشَّارِعِ، بَلْ ضَرَبَ فِيهَا بِالْأَيْدِي وَالنَّعَالِ وَأَطْرَافِ الثِّيَابِ وَالْجَرِيدِ، وَضَرَبَ فِيهَا أَرْبَعِينَ، فَلَمَّا اسْتَحَفَّ النَّاسُ بِأَمْرِهَا وَتَتَابَعُوا فِي ارْتِكَابِهَا غَلَّظَهَا الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه الَّذِي أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَسُنَّتُهُ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم فَجَعَلَهَا ثَمَانِينَ بِالسُّوْطِ، وَنَفَى فِيهَا، وَحَلَقَ الرَّأْسَ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ فِقْهِ السُّنَّةِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صلی الله علیه وسلم أَمَرَ بِقَتْلِ الشَّارِبِ فِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ، وَلَمْ يَنْسَخْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ حَدًّا لَا بُدَّ مِنْهُ؛ فَهُوَ عُقُوبَةٌ تَرْجِعُ إِلَى اجْتِهَادِ الْإِمَامِ فِي الْمَصْلَحَةِ، فَرِيَادَةُ أَرْبَعِينَ وَالنَّفْيُ وَالْحَلْقُ أَسْهَلُ مِنَ الْقَتْلِ.

وَأَمَّا تَغْرِيمُ الْمَالِ - وَهُوَ الْعُقُوبَةُ الْمَالِيَّةُ - فَشَرَعَهَا فِي مَوَاضِعَ: مِنْهَا تَحْرِيقُ مَتَاعِ الْغَالِّ مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَمِنْهَا حَرَمَانُ سَهْمِهِ، وَمِنْهَا إَضْعَافُ الْغُرْمِ عَلَى سَارِقِ الثَّمَارِ الْمُعَلَّقَةِ، وَمِنْهَا

إِضْعَافُهُ عَلَى كَاتِمِ الضَّالَّةِ الْمُتَقَطَّةِ، وَمِنْهَا أَخْذُ شَطْرِ مَالِ مَانِعِ الزَّكَاةِ، وَمِنْهَا عَزْمُهُ ﷺ عَلَى تَحْرِيقِ دُورٍ مَنْ لَا يُصَلِّي فِي الْجَمَاعَةِ لَوْلَا مَا مَنَعَهُ مِنْ إِنْفَادِهِ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ كَوْنِ الذَّرِيَّةِ وَالنِّسَاءِ فِيهَا فَتَتَعَدَّى الْعُقُوبَةُ إِلَى غَيْرِ الْجَانِي، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ كَمَا لَا يَجُوزُ عُقُوبَةُ الْحَامِلِ، وَمِنْهَا عُقُوبَةُ مَنْ أَسَاءَ عَلَى الْأَمِيرِ فِي الْغَزْوِ بِحَرَمَانِ سَلْبِ الْقَتِيلِ لِمَنْ قَتَلَهُ، حَيْثُ شَفَعَ فِيهِ هَذَا الْمُسِيءُ، وَأَمَرَ الْأَمِيرُ بِإِعْطَائِهِ، فَحَرَّمَ الْمَشْفُوعُ لَهُ عُقُوبَةَ لِلشَّافِعِ الْأَمِيرِ.

وَهَذَا الْجِنْسُ مِنَ الْعُقُوبَاتِ نَوْعَانِ: نَوْعٌ مَضْبُوطٌ، وَنَوْعٌ غَيْرُ مَضْبُوطٍ؛ فَالْمَضْبُوطُ مَا قَبَلَ الْمُتَلَفَ إِمَّا لِحَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَاتِلَافِ الصَّيْدِ فِي الْإِحْرَامِ أَوْ لِحَقِّ الْآدَمِيِّ كَاتِلَافِ مَالِهِ، وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى أَنَّ تَضْمِينَ الصَّيْدِ مُتَضَمِّنٌ لِلْعُقُوبَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ

أَمْرِهِ﴾ [المائدة: ٩٥] وَمِنْهُ مُقَابَلَةُ الْجَانِي بِنَقِيضِ قَصْدِهِ مِنَ الْحَرَمَانِ، كَعُقُوبَةِ الْقَاتِلِ لِمُورِّثِهِ بِحَرَمَانِ مِيرَاثِهِ، وَعُقُوبَةُ الْمُدَبِّرِ إِذَا قَتَلَ سَيِّدَهُ بِبُطْلَانِ تَدْبِيرِهِ، وَعُقُوبَةُ الْمُوصَى لَهُ بِبُطْلَانِ وَصِيَّتِهِ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ عُقُوبَةُ الزَّوْجَةِ النَّاشِزَةِ بِسُقُوطِ نَفَقَتِهَا وَكِسْوَتِهَا.

وَأَمَّا النَّوعُ الثَّانِي: غَيْرُ الْمُقَدَّرِ فَهَذَا الَّذِي يَدْخُلُهُ اجْتِهَادُ الْأُئِمَّةِ بِحَسَبِ الْمَصَالِحِ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَأْتِ فِيهِ الشَّرِيعَةُ بِأَمْرِ عَامٍّ، وَقَدَرِ لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقُصُ كَالْحُدُودِ، وَلِهَذَا اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِيهِ: هَلْ حُكْمُهُ مَنْسُوخٌ أَوْ ثَابِتٌ؟ وَالصَّوَابُ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمَصَالِحِ، وَيَرْجِعُ فِيهِ إِلَى اجْتِهَادِ الْأُئِمَّةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ؛ إِذْ لَا دَلِيلَ عَلَى النَّسْخِ، وَقَدْ فَعَلَهُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُئِمَّةِ.

وَأَمَّا التَّعْزِيرُ فَفِي كُلِّ مَعْصِيَةٍ لَا حَدَّ فِيهَا وَلَا كَفَّارَةَ؛ فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ: نَوْعٌ فِيهِ الْحَدُّ وَلَا كَفَّارَةٌ فِيهِ، وَنَوْعٌ فِيهِ الْكَفَّارَةُ وَلَا حَدٌّ فِيهِ، وَنَوْعٌ لَا حَدَّ فِيهِ وَلَا كَفَّارَةَ؛ فَالْأَوَّلُ - كَالسَّرِقَةِ وَالشُّرْبِ وَالزُّنَا وَالْقَذْفِ، وَالثَّانِي: - كَالْوَطْءِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ وَالْوَطْءِ فِي الْإِحْرَامِ، وَالثَّلَاثُ - كَوَطْءِ الْأَمَةِ الْمُشْرَكَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ وَقُبْلَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ وَالْخُلُوةِ بِهَا وَدُخُولِ الْحَمَّامِ بِغَيْرِ مِئْزَرٍ وَأَكْلِ الْمَيْتَةِ وَالْدَّمِ وَلَحْمِ الْخَنَزِيرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا النَّوْعُ الْأَوَّلُ: فَالْحَدُّ فِيهِ مُغْنٍ عَنِ التَّعْزِيرِ، وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: فَهَلْ يَجِبُ مَعَ الْكَفَّارَةِ فِيهِ تَعْزِيرٌ أَمْ لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ: وَهُمَا فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ، وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّلَاثُ: فَفِيهِ التَّعْزِيرُ قَوْلًا وَاحِدًا، وَلَكِنْ هَلْ هُوَ كَالْحَدِّ؟ فَلَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ تَرْكُهُ، أَوْ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى اجْتِهَادِ الْإِمَامِ فِي إِقَامَتِهِ، وَتَرْكِهِ كَمَا يَرْجِعُ إِلَى اجْتِهَادِهِ فِي قَدْرِهِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ لِلْعُلَمَاءِ، الثَّانِي قَوْلُ الشَّافِعِيِّ، وَالْأَوَّلُ قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

وَمَا كَانَ مِنَ الْمَعَاصِي مُحَرَّمِ الْجِنْسِ كَالظُّلْمِ وَالْفَوَاحِشِ فَإِنَّ الشَّارِعَ لَمْ يَشْرَعْ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَلِهَذَا لَا كَفَّارَةَ فِي الزُّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ وَالسَّرِقَةِ، وَطَرَدَ هَذَا أَنَّهُ لَا كَفَّارَةَ فِي قَتْلِ الْعَمْدِ وَلَا فِي الْيَمِينِ الْغَمُوسِ كَمَا يَقُولُهُ أَحْمَدُ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَمَنْ وَافَقَهُمَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ تَخْفِيفًا عَنْ مُرْتَكِبَيْهِمَا، بَلْ لِأَنَّ الْكَفَّارَةَ لَا تَعْمَلُ فِي هَذَا الْجِنْسِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَإِنَّمَا عَمَلُهَا فِيهَا فِيمَا كَانَ مُبَاحًا فِي الْأَصْلِ وَحَرَّمَ لِعَارِضٍ كَالْوَطْءِ فِي الصِّيَامِ وَالْإِحْرَامِ، وَطَرَدَ هَذَا وَهُوَ الصَّحِيحُ وَجُوبُ الْكَفَّارَةِ فِي وَطْءِ الْحَائِضِ، وَهُوَ مُوجِبُ الْقِيَاسِ لَوْ لَمْ تَأْتِ الشَّرِيعَةُ بِهِ، فَكَيْفَ وَقَدْ جَاءَتْ بِهِ مَرْفُوعَةً وَمَوْقُوفَةً؟ ، وَعَكْسُ هَذَا الْوَطْءُ فِي الدُّبْرِ وَلَا كَفَّارَةَ فِيهِ، وَلَا يَصِحُّ قِيَاسُهُ عَلَى الْوَطْءِ فِي الْحَيْضِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْجِنْسَ

لَمْ يَيْحَ قَطُّ، وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ الْكَفَّارَةُ، وَلَوْ وَجَبَتْ فِيهِ الْكَفَّارَةُ لَوَجَبَتْ فِي الزَّنَا وَاللَّوَاطِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى؛ فَهَذِهِ قَاعِدَةُ الشَّارِعِ فِي الْكَفَّارَاتِ، وَهِيَ فِي غَايَةِ الْمُطَابَقَةِ لِلْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٧٤-٧٦).

إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد

قال رحمه الله: من خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره ومن خلقه للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات لما طلب آدم الخلود في الجنة من جانب الشجرة عوقب بالخروج منها ولما طلب يوسف الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا لبث فيه بضع سنين إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد:

أحدها: مشهد التوحيد، وأن الله هو الذي قدره وشاءه وخلقه وما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن.

الثاني: مشهد العدل، وأنه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه.

الثالث: مشهد الرحمة، وأن رحمته في هذا المقدور؛ غالبه لغضبه وانتقامه ورحمته وعفوه.

الرابع: مشهد الحكمة، وأن حكمته سبحانه اقتضت ذلك لم يقدره سدى ولا قضاؤه عبثاً.

الخامس: مشهد الحمد. وأن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه.

السَّادِس: مشَهد العبوديَّة، وَأَنَّهُ عبد مَحْض من كل وَجِه تجرِي عَلَيَّهِ أَحْكَام سيِّده وأَقْضِيته، بِحُكْم كونه ملكه وَعَبْدَه فيصرفه تَحْتَ أَحْكَامه القُدْرِيَّة كَمَا يَصرفُهُ تَحْتَ أَحْكَامه الدِّينيَّة، فَهُوَ مَحَل لَجَرَيَانِ هَذِهِ الْأَحْكَام عَلَيَّهِ. الفوائد لابن القيم (ص: ٣٢).

حق الله تعالى في الطاعة ستة أمور

قال رَحِمَهُ اللهُ: حق الله تعالى في الطاعة ستة أمور وهي:

الإخلاص في العمل.

والنصيحة لله فيه.

ومتابعة الرسول فيه.

وشهود مشهد الإحسان فيه.

وشهود منة الله عليه فيه.

وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.

إغاثة اللهفان من مصابد الشيطان (١ / ٨٢).

ستة أنواع، عليها مدار محاب الخلق

قال رَحِمَهُ اللهُ: فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع: **محبة الله، ومحبة في الله، ومحبة ما يعين على**

طاعة الله تعالى واجتناب معصيته.

والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: **المحبة مع الله، ومحبة ما يبغضه الله تعالى، ومحبة ما**

تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها.

فهذه ستة أنواع، عليها مدار محاب الخلق.

فمحبته الله عز وجل أصل المحاب المحموده، وأصل الإيمان والتوحيد، والنوعان الآخران تبع لها.

والمحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة، والنوعان الآخران تبع لها. **إغاثة اللهفان** من مصاديد الشيطان (٢/ ١٤٠).

ألفاظ الشوق على ستة أوجه

قال رحمه الله: فهائنا ألفاظ الشوق والاشتياق والتشوق والشائق والمشوق والشيقة.

فهذه ستة ألفاظ:

أحدها: الشوق، وهو في الأصل مصدر الفعل المتعدى شاقه يشوقه، ثم صار اسم مصدر الاشتياق.

اللفظ الثاني: الاشتياق، وهو مصدر اشتاق اشتياقاً، والفرق بينه وبين الشوق هو الفرق بين المصدر واسم المصدر.

اللفظ الثالث: التشوق، وهو مصدر تشوق إذا اشتاق مرة بعد مرة، كما يقال: تجرع وتعلم وتفهم. وهذا البناء مشعر بالتكلف وتناول الشيء على مهلة.

اللفظ الرابع: الشائق، وهو الداعى للمشوق إلى الاشتياق.

واللفظ الخامس: المشوق، وهو المشتاق الذى قد حصل له الشوق.

اللفظ السادس: الشيق، وهو فعل بمنزلة هين ولين، وهو المشتاق.

فهذه فروق ما بين هذه الألفاظ، وأما كون الاشتياق أبلغ من الشوق فهذا قد يقال فيه: إنه الأصل وهو أكثر حروفاً من الشوق، وهو يدل على المصدر الفاعل.

وأما المشوق ففرع عليه؛ لأنه اسم مصدر وأقل حروفاً وهو إنما يدل على المصدر المجرد، فهذه ثلاثة فروق بينهما. والله أعلم. طريق الهجرتين وباب السعادتین (ص: ٣٣٤).

مدار العلاج على ستة أصول

قال رحمه الله: مَلَاكُ أَمْرِ الطَّبِيبِ، أَنْ يَجْعَلَ عِلَاجَهُ وَتَدْبِيرَهُ دَائِرًا عَلَى سِتَّةٍ أَرْكَانٍ: حِفْظُ الصَّحَّةِ الْمَوْجُودَةِ.

وَرَدُّ الصَّحَّةِ الْمَفْقُودَةِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ.

وإِزَالَةُ الْعِلَّةِ، أَوْ تَقْلِيلُهَا بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ.

وَاحْتِمَالُ أَذَى الْمَفْسَدَتَيْنِ لِإِزَالَةِ أَعْظَمِهِمَا.

وَتَقْوِيَةُ أَذَى الْمَصْلَحَتَيْنِ لِتَحْصِيلِ أَعْظَمِهِمَا.

فَعَلَى هَذِهِ الْأُصُولِ السِّتَّةِ مَدَارُ الْعِلَاجِ، وَكُلُّ طَبِيبٍ لَا تَكُونُ هَذِهِ أَحْيَاةُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا، فَلَيْسَ بِطَبِيبٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. الطب النبوي لابن القيم (ص: ١٠٧).

ذكر الله سبحانه العنب في ستة مواضع من كتابه

قال رحمه الله: ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَنْبَ فِي سِتَّةٍ^(١) مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، فِي جُمْلَةٍ نَعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْفَوَاكِهِ وَأَكْثَرِهَا مَنَافِعَ، وَهُوَ

(١) ﴿يُؤْتِي أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الرعد: ٤].

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَنْبٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الكهف: ٣٢].

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتَيْنِ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [المؤمنون: ١٩]. =

يُكُلُّ رَطْبًا وَيَابِسًا، وَأَخْضَرَ وَيَانِعًا، وَهُوَ فَاكِهَةٌ مَعَ الْفَوَاكِهِ، وَقُوْتُ مَعَ الْأَقْوَاتِ، وَأُدْمٌ مَعَ الْإِدَامِ، وَدَوَاءٌ مَعَ الْأَدْوِيَةِ، وَشَرَابٌ مَعَ الْأَشْرِبَةِ. الطب النبوي (ص: ٢٥٧).

أسباب تحرك السهم من أول خروجه إلى حين وقوعه ستة أمور

قال رحمه الله: فَأَمَّا الَّذِي يَتَحَرَّكُ مِنْ أَوَّلِ خُرُوجِهِ إِلَى حِينِ وَقُوعِهِ فَيَكُونُ مِنْ سِتَّةِ أَسْبَابٍ:

أحدها: من عوج في السهم.

الثاني: أن يكون ريشه غير معتدل.

والثالث: أن يكون النصل خفيفا والريش كثيرا.

والرابع: أن يكون النصل ثقيلًا والريش قليلًا.

والخامس: أن يكون إحدى الريشات قَائِمَةً وَالْأُخْرَى رَاقِدَةً.

والسادس: أن يكون الفرق ضيقًا وَالْوَتَرُ خَشِنًا فَيُخْرِجُ مَضْغُوطًا. الفروسية (ص: ٤٦٨).

الصلاة التي تقربها العين هي التي تجمع ستة مشاهد

قال رحمه الله: وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي تَقْرُبُهَا الْعَيْنُ وَيَسْتَرِيحُ بِهَا الْقَلْبُ هِيَ الَّتِي تَجْمَعُ سِتَّةَ مَشَاهِدٍ:

المشهد الأول: الْإِخْلَاصُ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْحَامِلُ عَلَيْهَا وَالِدَاعِي إِلَيْهَا رَغْبَةَ الْعَبْدِ فِي اللَّهِ وَمَحَبَّةَ لَهُ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ، وَالْقَرَبَ مِنْهُ، وَالتَّوَدُّدَ إِلَيْهِ، وَامْتِثَالَ أَمْرِهِ، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ

= ويضاف إلى ذلك، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [يس: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿وَعِنَّا وَقُضِيَ﴾ [عبس: ٢٨].

الْبَاعِثُ لَهُ عَلَيْهَا حَظًا مِنْ حِظِّ الدُّنْيَا أَلْبَتَّةَ، بَلْ يَأْتِي بِهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى، مُحِبَّةً لَهُ وَخَوْفًا مِنْ عَذَابِهِ، وَرَجَاءَ لِمَغْفِرَتِهِ وَثَوَابِهِ.

المشهد الثاني: مشهد الصدق والنصح؛ وَهُوَ أَنْ يَفْرَغَ قَلْبُهُ لِلَّهِ فِيهَا، وَيَسْتَفْرِغَ جَهْدَهُ فِي إِقْبَالِهِ فِيهَا عَلَى اللَّهِ، وَجَمَعَ قَلْبُهُ عَلَيْهَا، وَإِيقَاعُهَا عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَإِنَّ الصَّلَاةَ لَهَا ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، فَظَاهِرُهَا الْأَفْعَالُ الْمُشَاهِدَةُ وَالْأَقْوَالُ الْمَسْمُوعَةُ، وَبَاطِنُهَا الْخُشُوعُ وَالْمِرَاقَبَةُ وَتَفْرِيقُ الْقَلْبِ لِلَّهِ وَالْإِقْبَالُ بِكَلِيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ فِيهَا، بِحَيْثُ لَا يَلْتَفِتُ قَلْبُهُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ لَهَا، وَالْأَفْعَالُ بِمَنْزِلَةِ الْبَدَنِ، فَإِذَا خَلَّتْ مِنَ الرُّوحِ؛ كَانَتْ كَبَدْنٍ لَا رُوحَ فِيهِ، أَفَلَا يَسْتَحْيِي الْعَبْدُ أَنْ يُوَاجِهَ سَيِّدَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَلِهَذَا تَلَفَ كَمَا يَلِفُ الثُّوبُ الْخَلْقَ وَيَضْرِبُ بِهَا وَجْهَ صَاحِبِهَا، وَتَقُولُ ضَيْعُكَ اللَّهُ كَمَا ضَيْعْتَنِي. وَالصَّلَاةُ الَّتِي كَمَلَ ظَاهِرُهَا وَبَاطِنُهَا؛ تَصْعَدُ وَلَهَا نُورٌ وَبِرْهَانٌ، كَنُورِ الشَّمْسِ، حَتَّى تَعْرُضَ عَلَى اللَّهِ فِيرِضَاهَا وَيَقْبَلَهَا، وَتَقُولُ حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي.

المشهد الثالث: مشهد المُتَابَعَةِ وَالْإِقْتِدَاءِ؛ وَهُوَ أَنْ يَحْرُسَ كُلُّ الْحِرْصِ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ فِي صَلَاتِهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَيُصَلِّيَ كَمَا كَانَ يُصَلِّي، وَيَعْرِضُ عَمَّا أَحْدَثَ النَّاسُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ وَالْأَوْضَاعِ الَّتِي لَمْ يَنْقُلْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْءٌ مِنْهَا وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَ أَقْوَالِ الْمُرْخِصِينَ الَّذِينَ يَقِفُونَ مَعَ أَقْلٍ مَا يَعْتَقِدُونَ وَجُوبَهُ وَيَكُونُ غَيْرُهُمْ قَدْ نَازَعَهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَوْجَبَ مَا أَسْقَطُوهُ، وَلَعَلَّ الْأَحَادِيثَ الثَّابِتَةَ وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ مِنْ جَانِبِهِ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى ذَلِكَ، وَيَقُولُونَ نَحْنُ مُقِلِدُونَ لِمَذْهَبِ فُلَانٍ، وَهَذَا لَا يَخْلُصُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا يَكُونُ عَذْرًا لِمَنْ تَخَلَّفَ عَمَّا عَلِمَهُ مِنَ السُّنَّةِ عِنْدَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ

إِنَّمَا أَمْرُ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَاتِّبَاعِهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِاتِّبَاعِ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا يُطَاعُ غَيْرُهُ إِذَا أَمَرَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَكُلُّ أَحَدٍ سِوَى الرَّسُولِ ﷺ فَمَا خُذَ مِنْ قَوْلِهِ وَمَتْرُوكٌ.

وَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ؛ أَنَا لَا نُؤْمِنُ حَتَّى نَحْكُمَ الرَّسُولَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَنَا وَنَنْقَادَ لِحُكْمِهِ وَنَسْلَمَ تَسْلِيمًا، فَلَا يَنْفَعُنَا تَحْكِيمُ غَيْرِهِ وَالْانْقِيَادُ لَهُ وَلَا يَنْجِينَا مِنْ عَذَابِ

اللَّهِ وَلَا يَقْبَلُ مِنَّا هَذَا الْجَوَابُ إِذَا سَمِعْنَا نِدَاءَهُ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ

﴾ [القصص: ٦٥]، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَسْأَلَنَا عَنْ ذَلِكَ وَيَطْلُبْنَا بِالْجَوَابِ قَالَ تَعَالَى: ﴿

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۖ﴾ [الأعراف: ٦] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَوْحِي إِلَيَّ أَنْكُمْ بِي تَفْتَنُونَ وَعَنِي تَسْأَلُونَ»^(١) يَعْنِي الْمَسْأَلَةَ فِي الْقَبْرِ، فَمِنْ انْتَهَتْ إِلَيْهِ سَنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ؛ فَسِيرَ دِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَعْلَمُ.

المشهد الرابع: مشهد الإحسان؛ وَهُوَ مَشْهَدُ الْمِرَاقِبَةِ، وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَهَذَا

المشهد إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ مُسْتَوِيًا عَلَى عَرْشِهِ، يَتَكَلَّمُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيُدَبِّرُ أَمْرَ الْخَلِيقَةِ، فَيَنْزِلُ الْأَمْرُ مِنْ

عِنْدِهِ وَيَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَتَعْرُضُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ وَأَرْوَاحُهُمْ عِنْدَ الْمَوَافَاةِ عَلَيْهِ، فَيَشْهَدُ ذَلِكَ كُلَّهُ

بِقَلْبِهِ، وَيَشْهَدُ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَيَشْهَدُ قِيَوْمًا حَيًّا سَمِيعًا بَصِيرًا عَزِيزًا حَكِيمًا أَمْرًا نَاهِيًا

يُحِبُّ وَيَبْغِضُ وَيَرْضَى وَيَغْضِبُ وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ لَا

(١) رواه أحمد، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للعلامة الألباني (٣٥٥٧) عن عائشة رضي الله عنها.

يخفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَلَا أَقْوَالِهِمْ وَلَا بِوَاطْنِهِمْ، بَلْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

ومشهد الإحسان؛ أصل أعمال القلوب كلها، فَإِنَّهُ يُوجِبُ الْحَيَاءَ وَالْإِجْلَالَ والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة والتوكل والخضوع لله سُبحَانَهُ والذل لَهُ وَيَقْطَعُ الْوَسْوَاسَ وَحَدِيثَ النَّفْسِ وَيَجْمَعُ الْقَلْبَ وَالْهَمَّ عَلَى اللَّهِ.

فحظ العبد من القرب من الله؛ على قدر حظّه من مقام الإحسان، وبحسبه تَفَاوَتِ الصَّلَاةِ، حَتَّى يَكُونَ بَيْنَ صَلَاةِ الرَّجُلَيْنِ مِنَ الْفَضْلِ؛ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وقيامهما وركوعهما وسجودهما وَاحِدًا.

المشهد الخامس: مشهد المِنَّة؛ وَهُوَ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ الْمِنَّةَ لِلَّهِ سُبحَانَهُ، كَوْنَهُ أَقَامَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَأَهْلَهُ لَهُ وَوَفَّقَهُ لِقِيَامِ قَلْبِهِ وَبَدَنِهِ فِي خِدْمَتِهِ، فَلَوْلَا اللَّهُ سُبحَانَهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم يحدون بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَقُولُونَ:

وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا * وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَالَيْنَا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ

لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧]، فَاللَّهُ سُبحَانَهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْمُسْلِمَ

مُسْلِمًا وَالْمُصْلِي مُصْلِيًا، كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً

مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] وَقَالَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

فالمنة لله وَحده فِي أَنْ جَعَلَ عَبْدَهُ قَائِمًا بِطَاعَتِهِ، وَكَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِهِ عَلَيْهِ، وَقَالَ

تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وَقَالَ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ

الْإِيْمَنَ وَرَبَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ [الحجرات: ٧]، وَهَذَا الْمَشْهَدُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَشَاهِدِ، وَأَنْفَعُهَا لِلْعَبْدِ، وَكَلِمَا كَانَ الْعَبْدُ أَعْظَمَ تَوْحِيدًا؛ كَانَ حَظُّهُ مِنْ هَذَا الْمَشْهَدِ أَتَمَّ.

وَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ أَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ الْعُجْبِ بِالْعَمَلِ وَرُؤْيَيْهِ، فَإِنَّهُ إِذَا شَهِدَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمَانِ بِهِ الْمُوْفَّقَ لَهُ الْهَادِيَ إِلَيْهِ؛ شَغَلَهُ شُهُودُ ذَلِكَ عَنْ رُؤْيَيْهِ، وَالْإِعْجَابِ بِهِ، وَأَنْ يَصُولَ بِهِ عَلَى النَّاسِ، فَيَرْفَعُ مِنْ قَلْبِهِ فَلَا يَعْجَبُ بِهِ، وَمَنْ لِسَانِهِ فَلَا يَمْنُ بِهِ، وَلَا يَتَكَبَّرُ بِهِ، وَهَذَا شَأْنُ الْعَمَلِ الْمَرْفُوعِ، وَمَنْ فَوَائِدُهُ أَنَّهُ يَضِيفُ الْحَمْدَ إِلَى وَلِيهِ وَمُسْتَحَقِّهِ، فَلَا يَشْهَدُ لِنَفْسِهِ حَمْدًا، بَلْ يَشْهَدُهُ كُلُّهُ لِلَّهِ كَمَا يَشْهَدُ النُّعْمَةُ كُلُّهَا مِنْهُ وَالْفَضْلُ كُلُّهُ لَهُ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْهِ، وَهَذَا مِنْ تَمَامِ التَّوْحِيدِ، فَلَا يَسْتَقَرُّ قَدَمُهُ فِي مَقَامِ التَّوْحِيدِ إِلَّا بِعِلْمِ ذَلِكَ وَشُهُودِهِ، فَإِذَا عَلِمَهُ وَرَسَخَ فِيهِ؛ صَارَ لَهُ مَشْهَدًا، وَإِذَا صَارَ لِقَلْبِهِ مَشْهَدًا؛ أَثْمَرَ لَهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْأَنْسِ بِاللَّهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ وَالتَّنَعُّمِ بِذِكْرِهِ وَطَاعَتِهِ مَا لَا نِسْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا أَلْبَتَّةَ.

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاتِهِ إِذَا كَانَ قَلْبُهُ عَنْ هَذَا مُصَدُّودًا، وَطَرِيقُ الْوُصُولِ إِلَيْهِ عَنْهُ مُسَدُّودًا، بَلْ هُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾

[الحجر: ٣].

المشهد السادس: مشهد التَّقْصِيرِ؛ وَأَنَّ الْعَبْدَ لَوْ اجْتَهِدَ فِي الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ غَايَةَ الْجَهْدِ، وَبَذَلَ وَسْعَهُ فَهُوَ مُقْصَرٌ وَحَقَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَابَلَ بِهِ مِنْ

الطَّاعَةُ وَالْعُبُودِيَّةُ وَالْخِدْمَةُ فَوْقَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، وَأَنَّ عَظَمَتَهُ وَجَلَالَهُ سُبْحَانَهُ يَقْتَضِي مِنَ الْعُبُودِيَّةِ مَا يَلِيْقُ بِهَا.

وَإِذَا كَانَ خَدَمُ الْمُلُوكِ وَعَبِيدُهُمْ يَعَامِلُونَهُمْ فِي خِدْمَتِهِمْ بِالْإِجْلَالِ لَهُمْ وَالتَّعْظِيمِ وَالاحْتِرَامِ وَالتَّوْقِيرِ وَالْحَيَاءِ وَالْمَهَابَةِ وَالْخَشْيَةِ وَالنَّصَحِ، بِحَيْثُ يَفْرغُونَ قُلُوبَهُمْ وَجَوَارِحَهُمْ لَهُمْ؛ فَمَالِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَوْلَى أَنْ يُعَامَلَ بِذَلِكَ بَلْ بِأَضْعَافِ ذَلِكَ.

وَإِذَا شَهِدَ الْعَبْدُ مِنَ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَمْ يَوْفِ رَبَّهُ فِي عِبُودِيَّتِهِ حَقَّهُ، وَلَا قَرِيبًا مِنْ حَقِّهِ؛ عِلْمَ تَقْصِيرِهِ وَلَمْ يَسْعُهُ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ الْاسْتِغْفَارِ وَالْإِعْتِذَارِ مِنْ تَقْصِيرِهِ وَتَفْرِيطِهِ، وَعَدَمِ الْقِيَامِ بِمَا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ حَقِّهِ، وَأَنَّهُ إِلَى أَنْ يَغْفَرَ لَهُ الْعُبُودِيَّةُ وَيَعْفُو عَنْهُ فِيهَا، أَخْجَجَ مِنْهُ إِلَى أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ عَلَيْهَا ثَوَابًا، وَهُوَ لَوْ وَفَّاهَا حَقَّهَا كَمَا يَنْبَغِي لَكَانَتْ مُسْتَحَقَّةً عَلَيْهِ بِمُقْتَضَى الْعُبُودِيَّةِ، فَإِنْ عَمِلَ الْعَبْدُ وَخِدْمَتَهُ لِسَيِّدِهِ مُسْتَحَقٌّ عَلَيْهِ بِحَكْمِ كَوْنِهِ عَبْدَهُ وَمَمْلُوكَهُ، فَلَوْ طَلَبَ مِنْهُ الْأُجْرَةَ عَلَى عَمَلِهِ وَخِدْمَتِهِ لَعَدَهُ النَّاسُ أَحْمَقَ وَأَخْرَقَ هَذَا وَلَيْسَ هُوَ عَبْدَهُ وَلَا مَمْلُوكَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَمَمْلُوكُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ.

فَعَمَلُهُ وَخِدْمَتُهُ مُسْتَحَقٌّ عَلَيْهِ بِحَكْمِ كَوْنِهِ عَبْدَهُ، فَإِذَا أَثَابَهُ عَلَيْهِ كَانَ ذَلِكَ مُجَرَّدَ فَضْلِ وَمَنَّةٍ وَإِحْسَانٍ إِلَيْهِ، لَا يَسْتَحَقُّهُ الْعَبْدُ عَلَيْهِ.

وَمِنْ هَهُنَا يَفْهَمُ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»^(١).

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: يَخْرُجُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةُ دَوَاوِينَ فِيهِ حَسَنَاتُهُ، وَدَوَاوِينَ فِيهِ سَيِّئَاتُهُ، وَدَوَاوِينَ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا، فَيَقُولُ الرَّبُّ تَعَالَى لِنِعْمَةِ خَدِي حَقِّكَ مِنْ حَسَنَاتِ عَبْدِي، فَيَقُومُ أَصْغَرُهَا فَتُسْتَنْفَذُ حَسَنَاتُهُ، ثُمَّ تَقُولُ وَعِزَّتِكَ مَا اسْتَوْفَيْتَ حَقِّي بَعْدَ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحِمَ عَبْدَهُ وَهَبَهُ نِعْمَةً عَلَيْهِ، وَغَفَرَ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، وَضَاعَفَ لَهُ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ، وَهُوَ أَدْلُ شَيْءٍ عَلَى كَمَالِ عِلْمِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم بِرَبِّهِمْ وَحَقُوقِهِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَنَّهُمْ أَعْلَمُ الْأُمَّةَ بِنَبِيِّهِمْ وَبِسُنتِهِ وَدِينِهِ، فَإِنَّ فِي هَذَا الْأَثَرِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْبَصَائِرِ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَحَقِّهِ، وَمَنْ هُنَا يَفْهَمُ قَوْلَ النَّبِيِّ صلوات الله وسلاماته عليه فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَحُذَيْفَةَ وَغَيْرِهِمَا رضي الله عنهم: «إِنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لِعَذْبِهِمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ»^(١).

وَمَلَكَ هَذَا الشَّأْنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ: نِيَّةٌ صَحِيحَةٌ، وَقُوَّةٌ عَالِيَةٌ، يَقَارِنُهُمَا رَغْبَةٌ، وَرَهْبَةٌ. فَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ هِيَ قَوَاعِدُ هَذَا الشَّأْنِ، وَمَهْمَا دَخَلَ عَلَى الْعَبْدِ مِنَ النَّقْصِ فِي إِيْمَانِهِ وَأَحْوَالِهِ وَظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَهُوَ مِنْ نُقْصَانِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، أَوْ نُقْصَانِ بَعْضِهَا. فَلْيَتَأَمَّلِ اللَّيِّيبُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ الْأَشْيَاءَ وَلِيَجْعَلْهَا سِيرَهُ وَسُلُوكَهُ، وَيَبْنِي عَلَيْهَا عِلْمَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ وَأَحْوَالَهُ، فَمَا نَتَجُ مِنْ نَتَجٍ إِلَّا مِنْهَا، وَلَا تَخْلُفُ مِنْ تَخْلُفٍ إِلَّا مِنْ فَقْدِهَا.

(١) رواه أبو داود، وصححه العلامة الألباني (٤٦٩٩). عن أبي عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانِ وَإِلَيْهِ الرَّغْبَةُ وَهُوَ الْمَسْئُولُ بِأَنْ يُوَفِّقَنَا وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ لَتَحْقِيقِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا، إِنَّهُ وَلِي ذَلِكَ وَالْمَانِ بِهِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ. رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص: ٣٤-٤٦).

ست علامات للمنافقين في صلاتهم

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. فهذه ست صفات في الصلاة من علامات النفاق:

الكسل عند القيام إليها.

ومراعاة الناس في فعلها.

وتأخيرها.

ونقرها.

وقلة ذكر الله فيها.

والتخلف عن جماعتها.

الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٢٣).

ست حيوانات تُهي عن التشبه بها في الصلاة

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي المسند والسنن من حديث عبد الرحمن بن شبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَقَرَةِ الْغُرَابِ، وَافْتِرَاشِ السَّبْعِ، وَأَنْ يُوطَّنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ

كَمَا يُوطَّنُ الْبَعِيرُ^(١). فتضمن الحديث النهي في الصلاة عن التشبه بالحيوانات: بالغراب في النقرة وبالسبع بافتراشه ذراعية في السجود وبالبعير في لزومه مكانا معينا من المسجد يتوطنه كما يتوطن البعير.

وفي حديث آخر نهى عن التفات كالتفات **الثعلب** وإقعاء كإقعاء **الكلب**^(٢)، ورفع الأيدي كأذنان **الخيول**^(٣). فهذه ست حيوانات نهى عن التشبه بها. الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٢٢).

لا يحصل للعبد الهدى التام المطلوب إلا بعد ستة أمور

قال رحمه الله: اعلم أن العبد لا يحصل له الهدى التام المطلوب إلا بعد ستة أمور، وهو محتاج إليها حاجة لا غنى له عنها.

الأمر الأول: معرفته في جميع ما يأتيه ويذره بكونه محبوباً للرب تعالى مَرْضِيّاً له فيؤثره، وكونه مبغوضاً له مسخوطاً له فيجتنبه، فإن نَقَصَ هذا العلم والمعرفة شيءٌ نَقَصَ الهداية التامة بحسبه.

الأمر الثاني: أن يكون مريداً لجميع ما يحب الله منه أن يفعله عازماً عليه، ومريداً لترك جميع ما نهى الله عنه، عازماً على تركه بعد خُطُوره بالبال مفصلاً، وعازماً على تركه من

(١) رواه أبو داود، والنسائي، وهو في السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني برقم (١١٦٨).

(٢) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثٍ، وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ: أَمَرَنِي بِرُكْعَتَيِ الصُّحَى كُلِّ يَوْمٍ، وَالْوُتْرَ قَبْلَ النَّوْمِ، وَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَنَهَانِي عَنْ نَقْرَةِ كَنْفَرَةِ الدَّيْكِ، وَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ، وَالتَّفَاتِ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ»، رواه أحمد، وهو في صحيح الترغيب للعلامة الألباني برقم (٥٥٥).

(٣) يشير إلى حديث جابر رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ قال: «مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شَمْسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ». رواه

حيث الجملة مجملًا، فإن نَقَص من إرادته لذلك شيء نَقَص من الهدى التام بحسب ما نَقَص من الإرادة.

الأمر الثالث: أن يكون قائمًا به فعلاً وتركًا، فإن نَقَص من فعله شيء نَقَص من هداه بحسبه. فهذه ثلاثة هي أصول في الهداية، ويتبعها ثلاثة هي من تمامها وكمالها:

أحدها: أمورٌ هُديَ إليها جملةً ولم يَهْتَدِ إلى تفاصيلها، فهو محتاج إلى هداية التفصيل فيها.

الثاني: أمورٌ هُديَ إليها من وجه دون وجه، فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها لتكمل له هدايتها.

الثالث: الأمور التي هُديَ إليها تفصيلًا من جميع وجوهها، فهو محتاج إلى الاستمرار على الهداية والدوام عليها.

فهذه ستة أصول تتعلق بما يُعْزَم على فعله وتركه، ويتعلق بالماضي أمر سابع، وهو: أمورٌ وقعت منه على غير جهة الاستقامة، فهو محتاج إلى تداركها بالتوبة منها وتبديلها بغيرها، وإذا كان كذلك فإنما يقال: كيف يَسْأَل الهداية وهي موجودة له، ثم يُجَاب عن ذلك: بأن المراد التثبيت والدوام عليها. إذا كانت هذه المراتب الست حاصلة له بالفعل، فحينئذ يكون سؤاله الهداية سؤال تثبيت ودوام، فأما إذا كان ما يجهره أضعاف ما يعلمه، وما لا يريد من رشده أكثر مما يريد، ولا سبيل له إلى فعله: إلا بأن يخلق الله فاعليته، فالمسؤول هو أصل الهداية على الدوام تعليمًا وتوفيقًا، وخلقًا للإرادة فيه، وإقدارًا له

وخلقاً لفاعليته وتثبيته. له على ذلك، فعلم أنه ليس أعظم ضرورة منه إلى سؤال الهداية: أصلها وتفصيلها، علماً وعملاً، والتثيت عليها، والدوام إلى الممات.

وسر ذلك: أن العبد مفتقر إلى الهداية في كل نفس، في جميع ما يأتيه ويذره، أصلاً وتفصيلاً وتثبيته، ومفتقر إلى مزيد العلم بالهدى على الدوام، فليس له أنفع ولا هو إلى شيء أحوج من سؤال الهداية، فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يثبت قلوبنا على دينه. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٢/ ٤٤٩).

والد سالم بن أبي الجعد كان له ستة أولاد على عقائد مختلفة

قال رحمه الله: قال علي بن المديني: كان أبو الجعد والد سالم بن أبي الجعد إذا تغذى

جمع بني، فكانوا ستة:

اثنان مرجئان.

واثنان شيعيان.

واثنان خارجيان.

فكان أبو الجعد يقول: لقد جمع الله بين أيديكم وفرق بين أهوائكم. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٣/ ١١٥١).

لا تتم للعبد لذة، وسرور، وفرح، وصلاح حال، إلا بستة أمور

قال رحمه الله: ومما ينبغي الاعتناء به علماً ومعرفة وقصدا وإرادة العلم بأن كل إنسان

بل كل حيوان إنما يسعى فيما يحصل له اللذة والنعيم وطيب العيش ويندفع به عنه أضرار ذلك وهذا مطلوب صحيح يتضمن ستة أمور.

أحدها: معرفة الشيء النافع للعبد الملائم له الذي بحصوله لذته وفرحه وسروره وطيب عيشه

الثاني: معرفة الطريق الموصلة إلى ذلك

الثالث: سلوك تلك الطريق

الرابع: معرفة الضار المؤذي المنافر الذي ينكد عليه حياته

الخامس: معرفة الطريق التي إذا سلكها أفضت به إلى ذلك

السادس: تجنب سلوكها.

فهذه ستة أمور لا تتم لذة العبد وسروره وفرحه وصلاحه حاله إلا باستكمالها وما نقص منها عاد بسوء حاله وتنكيد حياته.

وكل عاقل يسعى في هذه الأمور لكن أكثر الناس غلط في تحصيل هذا المطلوب المحبوب النافع إما في عدم تصوره ومعرفته وإما في عدم معرفته الطريق الموصلة إليه فهذان غلطان سببهما الجهل ويتخلص منهما بالعلم.

وقد يحصل له العلم بالمطلوب والعلم بطريقه لكن في قلبه إرادات وشهوات تحول بينه وبين قصد هذا المطلوب النافع وسلوك طريقه، فكلما أراد ذلك اعترضته تلك الشهوات والإرادات وحالت بينه وبينه وهو لا يمكنه تركها وتقديم هذا المطلوب عليها إلا بأحد أمرين:

إما حب متعلق، وإما فرق مزعج.

فَيَكُونُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْآخِرَةُ وَالْجَنَّةُ وَنَعِيمُهَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فَيُؤْثِرُ أَعْلَى الْمَحْبُوبِينَ عَلَى أَدْنَاهُمَا وَإِنَّمَا أَنْ يَحْصَلَ لَهُ عِلْمُ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى إِثَارِ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْمَخَافِ وَالْآلَامِ الَّتِي أَلَمَهَا أَشَدُّ مِنْ أَلَمِ فَوَاتِ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ وَأَبْقَى فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِهِ هَذَانِ الْعِلْمَانِ أُتِجَا لَهُ إِثَارُ مَا يَنْبَغِي إِثَارُهُ وَتَقْدِيمُهُ عَلَى مَا سِوَاهُ فَإِنَّ خَاصِيَةَ الْعَقْلِ إِثَارُ أَعْلَى الْمَحْبُوبِينَ عَلَى أَدْنَاهُمَا وَاحْتِمَالُ أَدْنَى الْمَكْرُوهِينَ لِيَتَخَلَّصَ بِهِ مِنْ أَعْلَاهُمَا.

وَبِهَذَا الْأَصْلِ تَعْرِفُ عَقُولَ النَّاسِ وَتَمِيزُ بَيْنَ الْعَاقِلِ وَغَيْرِهِ وَيُظْهِرُ تَفَاوُثَهُمْ فِي الْعُقُولِ فَأَيْنَ عَقْلٌ مِنْ آثَرِ لَذَّةٍ عَاجِلَةٍ مَنَغْصَةٍ مَنَكْدَةٍ إِنَّمَا هِيَ كَأَضْغَاثِ أَحْلَامٍ أَوْ كَطِيفٍ يَمْتَعُ بِهِ مِنْ زَائِرِهِ فِي الْمَنَامِ عَلَى لَذَّةٍ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ اللَّذَّاتِ وَفَرَحَةٍ وَمَسْرَةٍ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَسَرَاتِ دَائِمَةٌ لَا تَزُولُ وَلَا تَفْنَى وَلَا تَنْقَطِعُ فَبَاعَهَا بِهَذِهِ اللَّذَّةِ الْفَانِيَةِ الْمَضْمُحَلَةِ الَّتِي حَشَيْتَ بِالْآلَامِ وَإِنَّمَا حَصَلَتْ بِالْآلَامِ وَعَاقِبَتُهَا الْآلَامُ فَلَوْ قَاسَى الْعَاقِلُ بَيْنَ لَذَّتِهَا وَأَلَمِهَا وَمَضَرَّتِهَا وَمَنْفَعَتِهَا لَاسْتَحْيَا مِنْ نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ كَيْفَ يَسْعَى فِي طَلِبِهَا وَيُضِيعُ زَمَانَهُ فِي اشْتِغَالِهِ بِهَا فَضْلًا عَنْ إِثَارِهَا عَلَى مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

وَقَدْ اشْتَرَى سُبْحَانَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَجَعَلَ ثَمَنَهَا جَنَّتَهُ وَأَجْرَى هَذَا الْعَقْدَ عَلَى يَدِ رَسُولِهِ وَخَلِيلِهِ وَخَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ فَسَلَعَهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَشْتَرِيهَا وَالتَّمَتَّعَ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسَمَاعِ كَلَامِهِ مِنْهُ فِي دَارِهِ ثَمَنَهَا وَمَنْ جَرَى الْعَقْدَ عَلَى يَدِ رَسُولِهِ كَيْفَ يَلِيقُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يَضِيعَهَا وَيَهْمِلَهَا وَيَبِيعَهَا بِثَمَنٍ بَخْسٍ فِي دَارِ زَائِلَةٍ مَضْمُحَلَةٍ

فانية وهل هذا إلا من أعظم الغبن وإنما يظهر له هذا الغبن الفاحش يوم التغابن إذا ثقلت موازين المتقين وخفت موازين المبطلين. رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص: ٢٥-٢٩).

ستة صفات للمستحقين للصدقة

قال رحمه الله: ذكر سبحانه المصرف الذى توضع فيه الصدقة فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ

الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، فوصفهم بست صفات:

إحداها: الفقر، الثانية: حبسهم أنفسهم فى سبيله تعالى وجهاد أعدائه ونصر دينه، وأصل الحصر المنع، فمنعوا أنفسهم من تصرفها فى أشغال الدنيا، وقصروها على بذلها لله فى سبيله، **الثالثة:** عجزهم عن الأسفار للتكسب، والضرب فى الأرض هو السفر، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَأَآخِرُونَ يَصِرُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١].

الرابعة: شدة تعففهم، وهو حسن صبرهم، وإظهارهم الغنى حتى يحسبهم الجاهل أغنياء من تعففهم وعدم تعرضهم وكتمانهم حاجتهم.

الخامسة: أنهم يعرفون بسيماهم، وهى العلامة الدالة على حالتهم التى وصفهم الله بها، وهذا لا ينافى حسابان الجاهل أنهم أغنياء لأن الجاهل له ظاهر الأمر، والعارف هو المتوسم المتفرس الذى يعرف الناس بسيماهم، ولهذا وصف الجاهل أغنياء وقال

يعرفهم بسيماهم، فالمتوسمون خواص المؤمنين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

السادسة: تركهم مسألة الناس فلا يسألونهم شيئاً، والإلحاف هو الإلحاح والنفى متسلط عليهما معاً، أى لا يسألون ولا يلحفون، فليس يقع منهم سؤال يكون بسببه إلحاف. وهذا كقوله: "على لا حبٍ لا يهتدى لمناره" أى ليس فيه منار فيهتدى به، وفيه كالتنبيه على أن المذموم من السؤال هو سؤال الإلحاف، فأما السؤال بقدر الضرورة من غير إلحاف فالأفضل تركه ولا يحرم.

فهذه ستة صفات للمستحقين للصدقة، فألغاها أكثر الناس ولحظوا منها ظاهر الفقر وزيه من غير حقيقته، وأما سائر الصفات المذكورة فعزيز أهلها، ومن يعرفهم أعز، والله يختص بتوقيفه من يشاء. فهؤلاء هم المحسنون في أموالهم. طريق الهجرتين وباب السعادت (ص: ٣٧٧).

العبد في حال حياته ستة مطهرات من الذنوب

قال رحمه الله: إن باب المنهيات يمحوه الله سبحانه ويبطل أثره بأمور عديدة من فعل

العبد وغيره فإنه يبطله:

بالتوبة النصوح.

وبالاستغفار.

وبالحسنات الماحية.

وبالمصائب المكفرة.

وباستغفار الملائكة.

وبدعاء المؤمنين.

فهذه ستة في حال حياته، وبتشديد الموت وكربه وسياقه عليه، فهذا عند مفارقتة الدنيا، وبهول المطلع وروعة الملكين في القبر وضغطته وعصرته له، وشدة الموقف وعناؤه وصعوبته، وبشفاعة الشافعين فيه، وبرحمة أرحم الراحمين له.

فإن عجزت عنه هذه الأمور فلا بد له من دخول النار، ويكون لبثه فيها على قدر بقاء خبثه ودرنه، فإن الله حرم الجنة الا على كل طيب، فما دام درنه ووسخه وخبثه فيه؛ فهو في كير التطهير حتى يتصفى من ذلك الوسخ والخبث، وأما باب المأمورات فلا يبطله إلا الشرك. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٤١).

ستة مواضع في القرآن يجمع بين التوكل والعبادة

قال رسول الله: **وَالْتَوَكَّلْ** مَعْنَى يَلْتَمِسْ مِنْ أَصْلَيْنِ: مِنَ الثِّقَةِ، وَالْإِعْتِمَادِ، وَهُوَ حَقِيقَةٌ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وَهَذَانِ الْأَصْلَانِ وَهُمَا التَّوَكُّلُ، وَالْعِبَادَةُ قَدْ ذُكِرَا فِي الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، قَرَنَ بَيْنَهُمَا فِيهَا، هَذَا أَحَدُهَا.

الثاني: قَوْلُ شُعَيْبٍ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

الثالث: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ

وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

الرابع: قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [٤]

[الممتحنة: ٤].

الخامس: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٨ - ٩].

السادس: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [الرعد: ٣٠].

فَهَذِهِ سِتَّةُ مَوَاضِعَ يُجْمَعُ فِيهَا بَيْنَ الْأَصْلَيْنِ، وَهُمَا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٩٦).

مجال أفكار العقلاء على ستة أقسام

قال رحمه الله: الْفِكْرَةُ فِكْرَتَانِ: **فِكْرَةٌ** تَتَعَلَّقُ بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَ**فِكْرَةٌ** تَتَعَلَّقُ بِالطَّلَبِ وَالْإِرَادَةِ.

فَالَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، **فِكْرَةٌ** التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالثَّابِتِ وَالْمُنْفِيِّ، وَالَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالطَّلَبِ وَالْإِرَادَةِ هِيَ **الْفِكْرَةُ** الَّتِي تُمَيِّزُ بَيْنَ النَّافِعِ وَالضَّارِّ. ثُمَّ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا **فِكْرَةٌ** أُخْرَى فِي الطَّرِيقِ إِلَى حُصُولِ مَا يَنْفَعُ، فَيَسْلُكُهَا، **وَالطَّرِيقُ** إِلَى مَا يَضُرُّ فَيَتْرُكُهَا.

فَهَذِهِ سِتَّةُ أَقْسَامٍ لَا سَابِعَ لَهَا، هِيَ مَجَالُ أَفْكَارِ الْعُقَلَاءِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ١٦٦).

لا يستحق اسم الزاهد حتى يزهد في ستة أشياء

قال رحمه الله: وَالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعَارِفُونَ أَنَّ الزُّهْدَ سَفَرُ الْقَلْبِ مِنْ وَطَنِ الدُّنْيَا، وَأَخْذُهُ فِي مَنَازِلِ الْآخِرَةِ. وَعَلَى هَذَا صَنَّفَ الْمُتَقَدِّمُونَ كُتُبَ الزُّهْدِ. كَالزُّهْدِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَلِلْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَلَوْكِيعَ، وَلِهَنَادِ بْنِ السَّرِيِّ، وَلِغَيْرِهِمْ.

وَمُتَعَلِّقُهُ سِتَّةُ أَشْيَاءَ، لَا يَسْتَحِقُّ الْعَبْدُ اسْمَ الزُّهْدِ حَتَّى يَزْهَدَ فِيهَا، وَهِيَ:

الْمَالُ.

وَالصُّورُ.

وَالرِّيَاسَةُ.

وَالنَّاسُ.

وَالنَّفْسُ.

وَكُلُّ مَا دُونُ اللَّهِ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٥).

الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد ست درجات

قال رسول الله ﷺ: الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد، على ثلاث درجات. الدرجة

الأولى: الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد. لا عاديًا رسم العلم، ولا متجاوزًا حد الإخلاص، ولا مخالفًا نهج السنة.

هذه درجة تتضمن ستة أمور:

عملاً واجتهاداً فيه. وهو بذل المجهود.

واقْتِصَادًا، وهو السلوك بين طرفي الإفراط، وهو الجور على النفوس، والتفريط

بالإضاعة.

ووقوفاً مع ما يرسمه العلم، لا وقوفاً مع داعي الحال.

وإفراذ المعبود بالإرادة، وهو الإخلاص.

ووقوفاً الأعمال على الأمر، وهو متابعتها السنة.

فَبِهَذِهِ الْأُمُورِ السِّتَةُ تَتِمُّ لِأَهْلِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ اسْتِقَامَتُهُمْ. وَبِالْخُرُوجِ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهَا يَخْرُجُونَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ: إِمَّا خُرُوجًا كُلِّيًّا، وَإِمَّا خُرُوجًا جُزْئِيًّا. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ١٠٧).

تُحَصِّرُ الْأَفْكَارُ فِي سِتَّةِ أَجْناسٍ

قال رحمه الله: مجاري هذه الأفكار ومواقعها كثيرة جدًا لا تكادُ تنضبط، وإنما يحصرها ستة أجناس:

الطاعاتُ الظاهرةُ والباطنة.

والمعاصي الظاهرةُ والباطنة.

والصفاتُ، والأخلاقُ الحميدة.

والأخلاقُ، والصفاتُ الذميمة.

فهذه مجاري الفكرة في صفات نفسه وأفعالها. مفتاح دار السعادة لابن القيم ط عالم الفوائد (١ / ٥٣٢).

أَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ سِتَ فَوَائِدَ

قال رحمه الله: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ

صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴿[التوبة:

[١٤-١٥].

فأمر بقتال عدوهم، وأعلمهم أن فيه ست فوائد.

فالغيظ يؤلم القلب، ودواؤه في شفاء غيظه، فإن شفاه بحق اشتفى، وإن شفاه بظلم وباطل زاده مرضاً من حيث ظن أنه يشفيه، وهو كمن شفى مرض العشق بالفجور

بالمعشوق، فإن ذلك يزيد مرضه، ويوجب له أمراضاً آخر أصعب من مرض العشق كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

وكذلك الغم، والهَم، والحزن، أمراض للقلب، وشفائها بأضدادها: من الفرح والسرور، فإن كان ذلك بحق اشتفى القلب وصح وبرئ من مرضه، وإن كان بباطل توارى ذلك واستتر، ولم يزل، وأعقب أمراضاً هي أصعب وأخطر. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١٩).

ذكر الله سبحانه وتعالى ست صفات للذي يلقي في النار

قال رحمه الله: وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْآيَةَ - ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ [ق: ٢٣] - تتضمن الأمرين أي هذا الشخص الذي وكلت به وهذا عمله الذي أحصيته عليه فحيث يُقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤] وهذا إما أن يكون خطاباً للسائق والشهيد، أو خطاباً للملك الموكل بعذابه وإن كان واحداً وهو مذهب معروف من مذاهب العرب في خطابها أو تكون الألف منقلبة عن نون التأكيد الخفيفة ثم أجري الوصل مجرى الوقف ثم ذكر صفات هذا الملقى فذكر له ست صفات:

أحدها: أنه كفار لنعم الله وحقوقه كفار بدينه وتوحيده وأسمائه وصفاته كفار برسله وملائكته كفار بكتبه ولقائه.

الثانية: أنه معاند للحق بدفعه جحدا وعنادا.

الثالثة: أنه مناع للخير وهذا يعم منعه للخير الذي هو إحسان إلى نفسه من الطاعات والقرب إلى الله والخير الذي هو إحسان إلى الناس فليس فيه خير لنفسه ولا لبني جنسه كما هو الحال أكثر الخلق.

الرابعة: أنه مع منعه للخير مُعْتَد على الناس ظلوم غشوم مُعْتَد عَلَيْهِم بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ.

الخامسة: أنه مريب أي صاحب ريب وشك ومع هذا فهو آتٍ لكل ريبة يُقال فلان

مريب إذا كان صاحب ريبة.

السادسة: أنه مع ذلك مُشْرِك بالله قد اتَّخَذَ مع الله إِلَهًا آخر يعبدُهُ وَيُحِبُّهُ وَيَغْضِبُ لَهُ

ويرضى لَهُ وَيَحْلِفُ بِاسْمِهِ وَيَنْذِرُ لَهُ وَيُوَالِي فِيهِ وَيَعَادِي فِيهِ. الفوائد (ص: ١١).

ست من عقوبات الزنى

قال رحمه الله: والزنى فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة:

فأما اللواتي في الدنيا:

فذهاب البهاء.

ودوام الفقر.

وقصر العمر.

وأما اللواتي في الآخرة:

فسخط الله.

وسوء الحساب.

ودخول النار.

روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٣٥٧).

كانت للنبي ﷺ ست قسي

قال رسول الله ﷺ: وَكَانَتْ لَهُ سِتُّ قِسِيٍّ:

الرَّوْرَاءُ.

وَالرَّوْحَاءُ.

وَالصَّفْرَاءُ.

وَالْبَيْضَاءُ.

وَالْكُتُومُ، كُسِرَتْ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ.

وَالسَّدَادُ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (١ / ١٢٦). وانظر: الفروسية المحمدية ط عالم الفوائد (١ / ٣٨٤).

تضمنت حجه ﷺ ست وقفات للدعاء

قال رسول الله ﷺ: فَقَدْ تَضَمَّنَتْ حَجَّتُهُ سِتَّ وَقَفَاتٍ لِلدُّعَاءِ:

الْمَوْقِفُ الْأَوَّلُ: عَلَى الصَّفا. ^(١)

وَالثَّانِي: عَلَى الْمَرْوَةِ. ^(٢)

وَالثَّالِثُ: بِعَرَفَةَ. ^(٣)

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الصَّفا، فَعَلَا عَلَيْهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُو» رواه مسلم (١٧٨٠).

(٢) عن جابر رضي الله عنه وفيه أنه: «مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفا». رواه مسلم (١٢١٨).

(٣) الحديث السابق، أنه: «حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقُصُوءَ إِلَى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُسَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ» رواه مسلم (١٢١٨).

وَالرَّابِعُ: بِمُزْدَلَفَةٍ.^(١)

وَالْخَامِسُ: عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْأُولَى.^(٢)

وَالسَّادِسُ: عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّانِيَةِ.^(٣)

زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٢٦٥).

كيد يوسف عليه السلام من سترة أوجه

قال رحمه الله: يوسف صلوات الله عليه وسلامه أكيد، من وجوه عديدة:

أحدها: أن إخوته كادوه، حيث احتالوا في التفريق بينه وبين أبيه، كما قال له يعقوب

عليه السلام: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

وثانيها: أنهم كادوه حيث باعوه بيع العبيد، وقالوا: إنه غلام لنا أبق.

وثالثها: كيد امرأة العزيز له، بتغليق الأبواب، ودعائه إلى نفسها.

ورابعها: كيدها له بقولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٥)

[يوسف: ٢٥].

(١) الحديث السابق، وفيه: «ثُمَّ رَكِبَ الْقُضُوءَ، حَتَّىٰ أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَا وَكَبَّرَ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّىٰ أَصْفَرَ جِدًّا». رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّهُ كَانَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصْبَاتٍ، يُكَبِّرُ عَلَىٰ إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ حَتَّىٰ يُسْهَلَ، فَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا، وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ». الحديث. رواه البخاري (١٧٥١).

(٣) الحديث السابق، وفيه: «ثُمَّ يَرْمِي الْوُسْطَى، ثُمَّ يَأْخُذُ ذَاتَ الشِّمَالِ فَيَسْتَهْلُ، وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا، وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، وَيَقُومُ طَوِيلًا، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ ذَاتَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا». رواه البخاري (١٧٥١).

فكادته بالمرادة أولاً، وكادته بالكذب عليه ثانياً، ولهذا قال لها الشاهد لما تبين له براءة يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨].

وخامسها، كيدها له حيث جمعت له النسوة، وأخرجته عليهن، تستعين بهن عليه، وتستعذر إليهن من شغفها به.

وسادسها: كيد النسوة له، حتى استجار بالله تعالى من كيدهن فقال: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [٣٣] فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٣٤] [يوسف: ٣٣-٣٤].

ولهذا لما جاء الرسول بالخروج من السجن قال له: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأْ أَلَسَّوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠]. إغاثة اللفهان من مصادب الشيطان (٢) / (١١٤).

الفرق بين الشك والريب من وجوه ستة

قال رسول الله ﷺ: الفرق بين الشك والريب من وجوه:

أحدها: أنه يُقال: شكٌ مريبٌ، ولا يقال ريبٌ مُشككٌ.

الثاني: أنه يقال: رابني أمرٌ كذا، ولا يقال شككني.

الثالث: أنه يقال: رابه يريبه إذا أزعجه وأقلقه، ومنه قول النبي ﷺ وقد مرَّ بظبي حاقف في أصل شجرة: "لا يريبه أحدٌ"، ولا يحسنُ هنا: لا يُشكِّكه أحدٌ.

الرابع: أنه لا يقال للشاك في طلوع الشمس أو في غروبها أو دخول الشهر أو وقت الصلاة: هو مرتابٌ في ذلك، وإن كان شاكاً فيه.

الخامس: إن الرِّيبَ ضدُّ الطُّمَأْنِينَةِ واليقين، فهو قلقٌ واضطرابٌ وانزعاجٌ، كما أن اليقينَ والطُّمَأْنِينَةَ ثباتٌ واستقرارٌ.

السادس: أنه يُقال: رَابَنِي مَجِيئُهُ وَذَهَابُهُ وَفَعْلُهُ، ولا يقال: شَكَّكَنِي، فَالشُّكُّ سَبَبُ الرِّيبِ، فإنه يَشُكُّ أولاً، فيوقَعُهُ شَكُّهُ في الرِّيبِ، فَالشُّكُّ مَبْدَأُ الرِّيبِ، كما أن العِلْمَ مَبْدَأُ اليقينِ. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٤ / ١٤٨٩).

أوقات الإجابة الستة

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَإِذَا جَمَعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورَ الْقَلْبِ وَجَمْعِيَّتَهُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، وَصَادَفَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ السَّتَةِ، وَهِيَ:

الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ. ^١

وَعِنْدَ الْأَذَانِ. ^٢

وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ. ^٣

وَأَذْبَارُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ. ^٤

«١» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَنْقُضُ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» رواه البخاري (٦٣٢١) ومسلم (٧٥٨).

«٢» عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَمًا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا» رواه أبو داود (٢٥٤٠) وصححه العلامة الألباني.

«٣» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَرُدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ» رواه أبو داود (٥٢١) وصححه العلامة الألباني.

«٤» عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: «أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟» قَالَ: جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَذُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ». رواه الترمذي (٢٧٨٢)، وحسنه العلامة الألباني.

وَعِنْدَ صُعودِ الإمامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى تُقْضَى الصَّلَاةُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ.^(١)
وَأَخِرُ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ.^(٢)

الداء والدواء (ص: ١٢).

قوالب الأسماء في الستة المتبارزين

قال رحمه الله: لَمَّا كَانَتِ الْأَسْمَاءُ قَوَالِبَ لِلْمَعَانِي، وَدَالَّةً عَلَيْهَا، اقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا ارْتِبَاطٌ وَتَنَاسُبٌ، وَأَنْ لَا يَكُونَ الْمَعْنَى مَعَهَا بِمَنْزِلَةِ الْأَجَنَبِيِّ الْمَحْضِ الَّذِي لَا تَعْلُقُ لَهُ بِهِ، فَإِنَّ حِكْمَةَ الْحَكِيمِ تَأْبَى ذَلِكَ، وَالْوَاقِعُ يَشْهَدُ بِخِلَافِهِ، بَلْ لِلْأَسْمَاءِ تَأْثِيرٌ فِي الْمُسَمَّيَاتِ، وَلِلْمُسَمَّيَاتِ تَأْثَرٌ عَنْ أَسْمَائِهَا فِي الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ، وَالْخِفَةِ وَالثِقَلِ، وَاللَّطَافَةِ وَالْكَثَافَةِ كَمَا قِيلَ:

وَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ ذَا لَقَبٍ * إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنْ فَكَرْتُ فِي لَقَبِهِ
إِلَى أَنْ قَالَ **رحمه الله:** وَتَأَمَّلْ أَسْمَاءَ السِّتَةِ الْمُتَبَارِزِينَ يَوْمَ بَدْرٍ كَيْفَ اقْتَضَى الْقَدَرُ مُطَابَقَةَ أَسْمَائِهِمْ لِأَحْوَالِهِمْ يَوْمَئِذٍ، فَكَانَ الْكُفَّارُ شِيبَةً وَعَتَبَةً وَالْوَلِيدُ، ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ مِنَ الضَّعْفِ، فَالْوَلِيدُ لَهُ بَدَايَةُ الضَّعْفِ، وَشِيبَةُ لَهُ نِهَايَةُ الضَّعْفِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِيبَةً﴾ [الرُّوم: ٥٤]، وَعَتَبَةً مِنَ الْعَتَبِ، فَذَلَّتْ أَسْمَاؤُهُمْ عَلَى عَتَبٍ يَحِلُّ بِهِمْ، وَضَعْفٍ يَنَالُهُمْ، وَكَانَ أَقْرَانُهُمْ

«١» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رحمه الله**؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: «فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». رواه مسلم (٨٥٢).

«٢» عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ **رحمه الله**، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ - يُرِيدُ - سَاعَةً، لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا، إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ» رواه أبو داود (٩٦٣) وصححه العلامة الألباني.

مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلِيٌّ، وَعَبِيدَةُ، وَالْحَارِثُ ^{رضي الله عنه}، ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ تُنَاسِبُ أَوْصَافَهُمْ وَهِيَ الْعُلُوُّ،
وَالْعُبُودِيَّةُ، وَالسَّعْيُ الَّذِي هُوَ الْحَرْتُ، فَعَلُوا عَلَيْهِمْ بِعُبُودِيَّتِهِمْ وَسَعْيِهِمْ فِي حَرْثِ الْآخِرَةِ.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٢ / ٣٠٧-٣١٠).

الأديان ستة

قال ^{رحمه الله}: **الْأَدْيَانُ سِتَّةٌ: وَاحِدٌ لِلرَّحْمَنِ وَخَمْسَةٌ لِلشَّيْطَانِ.**

وَهَذِهِ الْأَدْيَانُ السَّتَّةُ مَذْكُورَةٌ فِي آيَةِ الْفَصْلِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج: ١٧]. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١ / ٢٣٧).



الفوائد السباعية

فائدة «١»: قال الإمام ابن القيم رحمته الله: وَأَمَّا خَاصِّيَةُ السَّبْعِ فَإِنَّهَا قَدْ وَقَعَتْ قَدْرًا وَشَرْعًا، فَخَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، وَالْأَرْضِينَ سَبْعًا، وَالْإِنْسَانَ كَمَلْ خَلْقُهُ فِي سَبْعَةِ أَطْوَارٍ، وَشَرَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ الطَّوَافَ سَبْعًا، وَالسَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا، وَرَمَى الْجِمَارِ سَبْعًا سَبْعًا، وَتَكْيِيرَاتِ الْعِيدَيْنِ سَبْعًا فِي الْأُولَى. وَقَالَ رحمته الله: «مُرُوهُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ»^(١)، «وَإِذَا صَارَ لِلْغُلَامِ سَبْعُ سِنِينَ خَيْرٌ بَيْنَ أَبَوَيْهِ»^(٢) فِي رِوَايَةٍ. وَأَمَرَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه فِي مَرَضِهِ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْهِ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ^(٣)، وَسَخَّرَ اللَّهُ الرِّيحَ عَلَى قَوْمِ عَادٍ سَبْعَ لَيَالٍ، وَدَعَا النَّبِيُّ صلوات الله عليه أَنْ يُعِينَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْمِهِ بِسَبْعِ كَسْبَعٍ يُوسُفَ^(٤)، وَمَثَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا يُضَاعَفُ بِهِ صَدَقَةُ الْمُتَصَدِّقِ بِحَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَالسَّنَابِلُ الَّتِي رَأَاهَا صَاحِبُ يُوسُفَ سَبْعًا، وَالسِّنِينَ الَّتِي زَرَعُوهَا دَابًّا سَبْعًا، وَتُضَاعَفُ الصَّدَقَةُ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ سَبْعُونَ أَلْفًا.

«١» رواه أبو داود (٤٩٥)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني.

«٢» رواه ابن ماجه (٢٣٥١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني.

«٣» رواه البخاري (١٩٨)، عن عائشة رضي الله عنها.

«٥» رواه البخاري (٤٨٢٢)، ومسلم (٢٧٩٨)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

فَلَا رَيْبَ أَنَّ لِهَذَا الْعَدَدِ خَاصِيَّةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ، وَالسَّبْعَةُ جَمَعَتْ مَعَانِي الْعَدَدِ كُلِّهِ وَخَوَاصَّهُ، فَإِنَّ الْعَدَدَ شَفْعٌ وَوَتَرٌ. وَالشَّفْعُ أَوَّلٌ وَثَانٍ. وَالْوَتَرُ كَذَلِكَ، فَهَذِهِ أَرْبَعُ مَرَاتِبٍ: شَفْعٌ أَوَّلٌ وَثَانٍ. وَوَتَرٌ أَوَّلٌ وَثَانٍ، وَلَا تَجْتَمِعُ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ فِي أَقَلِّ مِنْ سَبْعَةٍ، وَهِيَ عَدَدُ كَامِلٌ جَامِعٌ لِمَرَاتِبِ الْعَدَدِ الْأَرْبَعَةِ، أَغْنِي الشَّفْعُ وَالْوَتَرُ، وَالْأَوَائِلُ وَالثَوَانِي، وَنَعْنِي بِالْوَتَرِ الْأَوَّلِ الثَّلَاثَةَ، وَبِالثَّانِي الْخَمْسَةَ، وَبِالشَّفْعِ الْأَوَّلِ الْاِثْنَيْنِ، وَبِالثَّانِي الْأَرْبَعَةَ، وَلِلْأَطْبَاءِ اعْتِنَاءٌ عَظِيمٌ بِالسَّبْعَةِ، وَلَا سِيَّمَا فِي الْبَحَارِينَ.

وَقَدْ قَالَ بَقْرَاطُ: كُلُّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ فَهُوَ مُقَدَّرٌ عَلَى سَبْعَةِ أَجْزَاءٍ، وَالنُّجُومُ سَبْعَةٌ، وَالْأَيَّامُ سَبْعَةٌ، وَأَسْنَانُ النَّاسِ سَبْعَةٌ، أَوَّلُهَا طِفْلٌ إِلَى سَبْعٍ، ثُمَّ صَبِيٌّ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةٍ، ثُمَّ مُرَاهِقٌ ثُمَّ شَابٌّ ثُمَّ كَهْلٌ ثُمَّ شَيْخٌ ثُمَّ هَرَمٌ إِلَى مُتَهَيِّ الْعُمُرِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِحِكْمَتِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ فِي تَخْصِيصِ هَذَا الْعَدَدِ، هَلْ هُوَ لِهَذَا الْمَعْنَى أَوْ لِغَيْرِهِ؟ زَادَ الْمَعَادُ (٤/ ٩٠).

فائدة (٢): قال رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن عَقِيل: قولهم: إن الله جعل للمرأة شهوةً تزيدُ على شهوة الرجل بسبعة أجزاء. قال: لو كان كذلك ما جعل الله للرجل أن يتزوّج بأربع ويتسرّى بما شاء من الإماء، وضيق على المرأة فلا تزيدُ على رجلٍ واحد، ولها من القَسَمِ الرَّبْعُ، وحاشا حكمته أن تُضَيَّقَ على الأُحْرَجِ، وتُوسَّعَ على من دونَهُ في الحرج. أجابه حنبليٌّ آخرُ فقال: إن ذلك إنما كان لمعارض راجح، وهو خوف اشتباه الأنساب، وأيضاً: ففي التَّوسُّعِ للرجل تكثير النسل الذي هو من أهم مقاصد النِّكاح. وأيضاً: فإن الرجل والمرأة لما اشتركا في التذاذ كُلِّ منهما بصاحبه، وقضاء وطْرِه منه، وُخِّصَ الرجلُ بالنَّفَقَةِ والكسوة وكُلْفَةِ المرأة، عُوِّضَ بأن أُطْلِقَ له الاستمتاعُ بغيرها.

وأيضاً: فإن المرأة مقصورة في الخدر، لا تدخل ولا تخرج إلا لحاجة، حتى إن صلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، لم يقع نظرها من الرجال على ما يقع نظر الرجل عليه. فحاجته إلى أكثر من واحدة أشد من حاجتها.

وأيضاً: فإن طبيعة الذكر الحرارة، وطبيعة الأنثى البرودة، وصاحب الحرارة يحتاج من الجماع فوق ما يحتاج إليه صاحب البرودة.

وأيضاً: فإن الله تعالى فضل الذكر على الأنثى في الميراث والدية والشهادة والعقيقة، وغير ذلك، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ

نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء:

٣٢] فكان من تفضيله الذكر على الأنثى أن خصَّ بجواز نكاح أكثر من واحدة، والله

أعلم. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٤ / ١٣٨٢).

للشيطان سبع عقبات في اصطيد بني الإنسان

قال رسول الله: فَإِنَّهُ -أي الشيطان لعنه الله- يُرِيدُ أَنْ يَظْفَرَ بِهِ فِي عُقْبَةٍ مِنْ سَبْعِ عُقَبَاتٍ، بَعْضُهَا أَصْعَبُ مِنْ بَعْضٍ، لَا يَنْزِلُ مِنْهُ مِنَ الْعُقْبَةِ الشَّاقَّةِ إِلَى مَا دُونَهَا إِلَّا إِذَا عَجَزَ عَنِ الظَّفَرِ بِهِ فِيهَا.

العُقْبَةُ الْأُولَى: عُقْبَةُ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَبِدِينِهِ وَلِقَائِهِ، وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَبِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ رُسُلُهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَفَرَ بِهِ فِي هَذِهِ الْعُقْبَةِ بَرَدَتْ نَارُ عَدَاوَتِهِ وَاسْتَرَحَّ، فَإِنْ اقْتَحَمَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ وَنَجَا مِنْهَا بِبَصِيرَةِ الْهَدَايَةِ، وَسَلِمَ مَعَهُ نُورُ الْإِيمَانِ طَلَبَهُ عَلَى:

العُقْبَةُ الثَّانِيَّةُ: وَهِيَ عُقْبَةُ الْبِدْعَةِ، إِمَّا بِاعْتِقَادِ خِلَافِ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، وَإِمَّا بِالتَّعَبُّدِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ مِنَ الْأَوْضَاعِ وَالرُّسُومِ الْمُحَدَّثَةِ فِي الدِّينِ، الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهَا شَيْئًا، وَالْبِدْعَتَانِ فِي الْغَالِبِ مُتَلَازِمَتَانِ، قَلَّ أَنْ تَفْكَ إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: تَزَوَّجَتْ بِدْعَةُ الْأَقْوَالِ بِدْعَةِ الْأَعْمَالِ، فَاشْتَغَلَ الزَّوْجَانِ بِالْعُرْسِ، فَلَمْ يَفْجَأْهُمُ إِلَّا وَأَوْلَادُ الزَّنَا يَعِيشُونَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ، تَضُجُّ مِنْهُمْ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ شَيْخُنَا: تَزَوَّجَتْ الْحَقِيقَةُ الْكَافِرَةُ، بِالْبِدْعَةِ الْفَاجِرَةِ، فَتَوَلَّدَ بَيْنَهُمَا خُسْرَانُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْعُقْبَةُ، وَخَلَصَ مِنْهَا بَنُورُ السُّنَّةِ، وَاعْتَصَمَ مِنْهَا بِحَقِيقَةِ الْمُتَابَعَةِ، وَمَا مَضَى عَلَيْهِ السَّلَفُ الْأَخْيَارُ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ... طَلَبَهُ عَلَى:

العُقْبَةُ الثَّالِثَةُ: وَهِيَ عُقْبَةُ الْكِبَائِرِ، فَإِنْ ظَفَرَ بِهِ فِيهَا زَيْنُهَا لَهُ، وَحَسَّنَهَا فِي عَيْنِهِ، وَسَوَّفَ بِهِ، وَفَتَحَ لَهُ بَابَ الْإِرْجَاءِ، وَقَالَ لَهُ: الْإِيمَانُ هُوَ نَفْسُ التَّصَدِيقِ، فَلَا تَقْدَحْ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَرُبَّمَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ وَأُذِنَهُ كَلِمَةً طَالَمَا أَهْلَكَ بِهَا الْخَلْقَ، وَهِيَ قَوْلُهُ: لَا يَضُرُّ مَعَ التَّوْحِيدِ ذَنْبٌ، كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الشَّرْكِ حَسَنَةٌ... فَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْعُقْبَةُ بِعِصْمَةِ مِنَ اللَّهِ، أَوْ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ تُنْجِيهِ مِنْهَا، طَلَبَهُ عَلَى:

العُقْبَةُ الرَّابِعَةُ: وَهِيَ عُقْبَةُ الصَّغَائِرِ، فَكَالَ لَهُ مِنْهَا بِالْقَفْزَانِ، وَقَالَ: مَا عَلَيْكَ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ مَا غَشِيَتْ مِنَ اللَّمَمِ، أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهَا تُكْفِّرُ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ وَبِالْحَسَنَاتِ، وَلَا يَزَالُ يَهْوَنُ عَلَيْهِ أَمْرُهَا حَتَّى يُصِرَّ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ الْخَائِفُ الْوَجِلُ النَّادِمُ

أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ، فَلَا ضَرَارَ عَلَى الذَّنْبِ أَقْبَحَ مِنْهُ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِضْرَارِ...

العُقْبَةُ الْخَامِسَةُ: وَهِيَ عُقْبَةُ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا حَرَجَ عَلَى فَاعِلِهَا، فَشَغْلُهُ بِهَا عَنْ الْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَعَنْ الْاجْتِهَادِ فِي التَّزَوُّدِ لِمَعَادِهِ، ثُمَّ طَمَعَ فِيهِ أَنْ يَسْتَدْرِجَهُ مِنْهَا إِلَى تَرْكِ السُّنَنِ، ثُمَّ مِنْ تَرْكِ السُّنَنِ إِلَى تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَأَقْلَى مَا يُنَالُ مِنْهُ تَفْوِيتُهُ الْأَرْبَاحَ، وَالْمَكَاسِبَ الْعَظِيمَةَ، وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ، وَلَوْ عَرَفَ السَّعْرَ لَمَا فَوَّتَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْقُرْبَاتِ، وَلَكِنَّهُ جَاهِلٌ بِالسَّعْرِ.

فَإِنْ نَجَا مِنْ هَذِهِ الْعُقْبَةِ بِبَصِيرَةٍ تَامَّةٍ وَنُورٍ هَادٍ، وَمَعْرِفَةٍ بِقَدْرِ الطَّاعَاتِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا، وَقِلَّةِ الْمَقَامِ عَلَى الْمِينَاءِ، وَخَطَرِ التَّجَارَةِ، وَكَرَمِ الْمُشْتَرِي، وَقَدْرِ مَا يُعَوِّضُ بِهِ التَّجَارَ، فَبِخْلَ بِأَوْقَاتِهِ، وَضَنَّ بِأَنْفَاسِهِ أَنْ تَذْهَبَ فِي غَيْرِ رِبْحٍ، طَلَبَهُ الْعَدُوُّ عَلَى:

العُقْبَةُ السَّادِسَةُ: وَهِيَ عُقْبَةُ الْأَعْمَالِ الْمَرْجُوحَةِ الْمَفْضُولَةِ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَأَمَرُهُ بِهَا، وَحَسَنَهَا فِي عَيْنِهِ، وَزَيَّنَهَا لَهُ، وَأَرَاهُ مَا فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ وَالرِّبْحِ، لِيَشْغَلَهُ بِهَا عَمَّا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، وَأَعْظَمُ كَسْبًا وَرِبْحًا، لِأَنَّهُ لَمَّا عَجَزَ عَنْ تَخْسِيرِهِ أَصَلَ الثَّوَابَ، طَمَعَ فِي تَخْسِيرِهِ كَمَالَهُ وَفَضْلَهُ، وَدَرَجَاتِهِ الْعَالِيَةَ، فَشَغْلَهُ بِالْمَفْضُولِ عَنِ الْفَاضِلِ، وَبِالْمَرْجُوحِ عَنِ الرَّاجِحِ، وَبِالْمَحْبُوبِ لِلَّهِ عَنِ الْأَحَبِّ إِلَيْهِ، وَبِالْمَرْضِيِّ عَنِ الْأَرْضَى لَهُ.

وَلَكِنْ أَيْنَ أَصْحَابُ هَذِهِ الْعُقْبَةِ؟ فَهُمْ الْأَفْرَادُ فِي الْعَالَمِ، وَالْأَكْثَرُونَ قَدْ ظَفَرَ بِهِمْ فِي الْعُقَبَاتِ الْأُولِ.

فَإِنْ نَجَا مِنْهَا بِفِقْهِ فِي الْأَعْمَالِ وَمَرَاتِبِهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَمَنَازِلِهَا فِي الْفَضْلِ، وَمَعْرِفَةِ مَقَادِيرِهَا، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ عَالِيهَا وَسَافِلِهَا، وَمَفْضُولِهَا وَفَاضِلِهَا، وَرَئِيسِهَا وَمَرْءُوسِهَا، وَسَيِّدِهَا وَمَسُودِهَا.

فَإِذَا نَجَا مِنْهَا لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ عُقْبَةٌ يَطْلُبُهَا الْعَدُوُّ عَلَيْهَا سِوَى وَاحِدَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا، وَلَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا رُسُلُ اللَّهِ وَأَنْبِيَآؤُهُ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيْهِ، وَهِيَ:

عُقْبَةُ تَسْلِيطِ جُنْدِهِ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى، بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، عَلَى حَسَبِ مَرْتَبَتِهِ فِي الْخَيْرِ، فَكُلَّمَا عَلَتْ مَرْتَبَتُهُ أَجْلَبَ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، وَظَاهَرَ عَلَيْهِ بِجُنْدِهِ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِ حِزْبَهُ وَأَهْلَهُ بِأَنْوَاعِ التَّسْلِيطِ، وَهَذِهِ الْعُقْبَةُ لَا حِيلَةَ لَهُ فِي التَّخَلُّصِ مِنْهَا، فَإِنَّهُ كُلَّمَا جَدَّ فِي الْإِسْتِقَامَةِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالْقِيَامِ لَهُ بِأَمْرِهِ، جَدَّ الْعَدُوُّ فِي إِغْرَاءِ الشُّفَهَاءِ بِهِ، فَهُوَ فِي هَذِهِ الْعُقْبَةِ قَدْ لَبَسَ لَأَمَةَ الْحَرْبِ، وَأَخَذَ فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ، فَعُبُودِيَّتُهُ فِيهَا عُبُودِيَّةٌ خَوَاصُّ الْعَارِفِينَ، وَهِيَ تُسَمَّى عُبُودِيَّةَ الْمُرَاعَمَةِ، وَلَا يَتَّبِعُ لَهَا إِلَّا أَوْلُو الْبَصَائِرِ التَّامَّةِ، وَلَا شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ مُرَاعَمَةِ وَلِيِّهِ لِعَدُوِّهِ، وَإِعَاظَتِهِ لَهُ ^(١). اهـ مختصراً من [إغاثة اللهفان ١/ ٢٣٧-٢٤١]، وانظر: [بدائع الفوائد ٢/ ٢٦٠-٢٦١]. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١١٢).

حب الدنيا مفسدا للدين من وجوه سبعة

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: قالوا وانما كان حب الدنيا رأس الخطايا ومفسدا للدين من وجوه:

أحدها: أن حبها يقتضى تعظيمها وهى حقيرة عند الله ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقر الله.

وثانيها: أن الله لعنها ومقتها وأبغضها إلا ما كان له فيها ومن أحب ما لعنه الله ومقتته وأبغضه فقد تعرض للفتنة ومقتته وغضبه.

وثالثها: انه اذا أحبها صيرها غايته وتوسل اليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل اليه والى الدار الآخرة فعكس الأمر وقلب الحكمة فانعكس قلبه وانعكس سيره الى وراء فها هنا أمران أحدهما جعل الوسيلة غاية والثانى التوسل بأعمال الآخرة إلى الدنيا وهذا شر معكوس من كل وجه وقلب منكوس غاية الانتكاس.

ورابعها: أن محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود عليه نفعه فى الآخرة لاشتغاله عنه بمحبوبه والناس ها هنا مراتب فمنهم من يشغله محبوبه عن الايمان وشرائعه ومنهم من يشغله عن الواجبات التى تجب عليه لله ولخلقه فلا يقوم بها ظاهرا ولا باطنا ومنهم من يشغله حبها عن كثير من الواجبات ومنهم من يشغله عن واجب يعارض تحصيلها وان قام بغيره ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب فى الوقت الذى ينبغى على الوجه الذى ينبغى فيفطر فى وقته وفى حقوقه ومنهم من يشغله عن عبودية قلبه فى الواجب وتفريغه لله عند أدائه فيؤديه ظاهر الا باطنا وأين هذا من عشاق الدنيا ومحبيها هذا من أندرهم وأقل درجات حبها ان يشغل عن سعادة العبد وهو تفريغ القلب لحب الله ولسانه لذكره وجمع قلبه على لسانه وجمع لسانه وقلبه على ربه فعشقتها ومحبتها تضر بالآخرة ولا بد.

وخامسها: أن محبتها تجعلها أكثر هم العبد وقد روى الترمذى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ

شَمَلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمَلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(١).

وسادسها: أن محبها أشد الناس عذابا بها وهو معذب في دوره الثلاث يعذب في الدنيا بتحصيلها والسعى فيها ومنازعة أهلها، وفي دار البرزخ بفواتها والحسرة عليها وكونه قد حيل بينه وبين محبوبة على وجه لا يرجوا اجتماعه به ابدا .

والمقصود أن محب الدنيا يعذب في قبره ويعذب يوم لقاء ربه قال تعالى: ﴿فَلَا

تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥] قال بعض السلف: يعذبهم بجمعها وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها.

وسابعها: أن عاشقها ومحبها الذي يؤثرها على الآخرة من أسفه الخلق وأقلهم عقلا اذ أثر الخيال على الحقيقة والمنام على اليقظة والظل الزائل على النعيم الدائم والدار الفانية على الدار الباقية وباع حياة الأبد في ارغد عيش بحياة انما هي أحلام نوم أو كضل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٢١).

«١» رواه الترمذي (٢٤٦٥)، عن أنس رضي الله عنه، وهو في الصحيحة للعلامة الألباني.

المراد بقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الصحف التي بأيدي

الملائكة؛ لوجوه سبعة

قال رحمه الله: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]. قَالَ - أَيْ

شيخ الإسلام -: وَالصَّحِيفُ فِي الْآيَةِ، أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: الصُّحُفُ الَّتِي بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ. لَوْجُوهٌ عَدِيدَةٌ.

مِنْهَا: أَنَّهُ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ مَكْنُونٌ وَالْمَكْنُونُ: الْمَسْتُورُ عَنِ الْعُيُونِ. وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي الصُّحُفِ الَّتِي بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ قَالَ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ. وَلَوْ أَرَادَ الْمُتَوَضِّعِينَ

لَقَالَ: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُتَطَهَّرُونَ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

[البقرة: ٢٢٢] فَالْمَلَائِكَةُ مُطَهَّرُونَ. وَالْمُؤْمِنُونَ مُتَطَهَّرُونَ.

وَمِنْهَا: أَنَّ هَذَا إِخْبَارٌ. وَلَوْ كَانَ نَهْيًا لَقَالَ: لَا يَمَسُّهُ بِالْجَزْمِ، وَالْأَصْلُ فِي الْخَبَرِ: أَنَّ يَكُونُ خَبَرًا صُورَةً وَمَعْنَى.

وَمِنْهَا: أَنَّ هَذَا رَدُّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ جَاءَ بِهَذَا الْقُرْآنِ. فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ فِي كِتَابِ

مَكْنُونٍ لَا تَنَالُهُ الشَّيَاطِينُ. وَلَا وُصُولَ لَهَا إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ الشُّعْرَاءِ: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ

بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١١] وَإِنَّمَا تَنَالُهُ

الْأَرْوَاحُ الْمُطَهَّرَةُ. وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ هَذَا نَظِيرُ الْآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ عَبَسَ: ﴿مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ [١٢] فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ [١٣]

مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ [١٤] بِأَيْدِي سَفَرَةٍ [١٥] كِرَامٍ بَرَرَةٍ [١٦] [عبس: ١٢ - ١٦].

قَالَ مَالِكٌ فِي مَوَظَّعِهِ: أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩) أَنَّهَا مِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ عَبَسَ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ مِنْ سُورَةِ مَكِّيَّةٍ. تَتَضَمَّنُ تَقْرِيرَ التَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، وَإِثْبَاتِ الصَّانِعِ، وَالرَّدَّ عَلَى الْكُفَّارِ. وَهَذَا الْمَعْنَى أَلِيقٌ بِالْمَقْصُودِ مِنْ فَرْعِ عَمَلِيٍّ. وَهُوَ حُكْمُ مَسِّ الْمُحَدِّثِ الْمُصْحَفِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ أُريدَ بِهِ الْكِتَابُ الَّذِي بَأْيَدِي النَّاسِ: لَمْ يَكُنْ فِي الْإِقْسَامِ عَلَى ذَلِكَ بِهَذَا الْقِسْمِ الْعَظِيمِ كَثِيرٌ فَائِدَةٍ. إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ فَهُوَ قَابِلٌ لِأَنْ يَكُونَ فِي كِتَابٍ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا. بِخِلَافِ مَا إِذَا وَقَعَ الْقِسْمُ عَلَى أَنَّهُ فِي كِتَابٍ مَصُونٍ، مَسْتُورٍ عَنِ الْعُيُونِ عِنْدَ اللَّهِ. لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْطَانٌ. وَلَا يَنَالُ مِنْهُ. وَلَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأَرْوَاحُ الطَّاهِرَةُ الزَّكِيَّةُ. فَهَذَا الْمَعْنَى أَلِيقٌ وَأَجَلٌ وَأَخْلَقَ بِالْآيَةِ وَأُولَى بِلَا شَكٍّ.

فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - يَقُولُ: لَكِنْ تَدُلُّ الْآيَةَ بِإِشَارَتِهَا عَلَى أَنَّهُ لَا يَمَسُّ الْمُصْحَفُ إِلَّا طَاهِرٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الصُّحُفُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، لِكِرَامَتِهَا عَلَى اللَّهِ. فَهَذِهِ الصُّحُفُ أُولَى أَنْ لَا يَمَسَّهَا إِلَّا طَاهِرٌ. مدارج السالكين بين

منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٩٠).

حفظ الجوارح السبعة رأس المال

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد مثلت النفس مع صاحبها بالشريك في المال، فكما أنه لا يتم مقصود الشركة من الربح إلا بالمشاركة على ما يفعل الشريك أولاً، ثم بمطالعة ما يعمل، والإشراف عليه ومراقبته ثانياً، ثم بمحاسبته ثالثاً، ثم بمنعه من الخيانة إن اطلع عليه

رابعاً، فكذلك النفس: يشارطها أولاً على حفظ الجوارح السبعة التي حفظها هو رأس المال، والربح بعد ذلك. فمن ليس له رأس مال، فكيف يطمع في الربح؟

وهذه الجوارح السبعة وهي: **العين، والأذن، والفم، واللسان والفرج، واليد، والرجل:**

هي مراكب العطب والنجاة، فمنها عطب من عطب بإهمالها. وعدم حفظها، ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها فحفظها أساس كل خير، وإهمالها أساس كل شر. **إغاثة اللفهان من مصايد**

الشیطان (١/ ٧٩).

السبعة الذين يظلمهم الله عز وجل في ظل عرشه إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى

قال رحمه الله: إذا تأملت السبعة الذين يظلمهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله؛ وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى، فإن الإمام المسلط القادر لا يتمكن من العدل؛ إلا بمخالفة هواه، والشاب المؤثر لعبادة الله على داعي شبابه، لولا مخالفة هواه؛ لم يقدر على ذلك، والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد، إنما حمّله على ذلك مخالفة الهوى الداعي له، إلى أماكن اللذات، والمتصدق المخفي لصدقته عن شماله، لولا قهره لهواه؛ لم يقدر على ذلك، والذي دعت المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله عز وجل، وخالف هواه، والذي ذكر الله عز وجل خالياً ففاضت عيناه من خشيته، إنما أوصله إلى ذلك؛ مخالفة هواه، فلم يكن لحر الموقف وعرقه وشدته سبيل عليهم يوم القيامة.

وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحر والعرق كل مبلغ، وهم ينتظرون بعد هذا دخول سجن الهوى، فالله سبحانه وتعالى المسؤول أن يعيذنا من أهواء نفوسنا الأمارة بالسوء،

وأن يجعل هوانا تبعاً لما يحبه ويرضاه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير. روضة
المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٨٥).



الفوائد الثمانية

ثمان فوائد في ضرب الأمثال في القرآن

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: ضَرْبُ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ يُسْتَفَادُ مِنْهُ أُمُورٌ:

التَّذْكِيرُ والوعظ، والْحَثُّ والزَّجْرُ، والاعتبار والتَّقَرُّيرُ، وتقريب المُرَادِ للعقل، وتصويره في: صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للعقل كنسبته المحسوس إلى الحس. بدائع

الفوائد ط عالم الفوائد (٤ / ١٣١٤).

الوحي على مراتب ثمانية

قال رحمته الله: وَكَمَّلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ مَرَاتِبِ الْوَحْيِ مَرَاتِبَ عَدِيدَةً:

إِحْدَاهَا: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، وَكَانَتْ مَبْدَأً وَحِيهِ رحمته الله، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.

الثَّانِيَةُ: مَا كَانَ يُلْقِيهِ الْمَلَكُ فِي رَوْعِهِ وَقَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَاهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ رحمته الله: «إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(١).

الثالثة: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُخَاطِبُهُ حَتَّى يَعْجِي عَنْهُ مَا يَقُولُ لَهُ، وَفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ كَانَ يَرَاهُ الصَّحَابَةُ أَحْيَانًا.

الرابعة: أَنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي مِثْلِ صَلَاحَةِ الْجَرَسِ، وَكَانَ أَشَدَّهُ عَلَيْهِ، فَيَتَلَبَّسُ بِهِ الْمَلِكُ حَتَّى إِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، وَحَتَّى إِنَّ رَاحِلَتَهُ لَيَتَبَرَّكُ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ إِذَا كَانَ رَاكِبَهَا. وَلَقَدْ جَاءَ الْوَحْيُ مَرَّةً كَذَلِكَ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فَثَقُلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى كَادَتْ تَرُضُّهَا.

الخامسة: أَنَّهُ يَرَى الْمَلِكَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، فَيُوحِي إِلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَهُ، وَهَذَا وَقَعَ لَهُ مَرَّتَيْنِ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي [النَّجْم: ٧، ١٣].

السادسة: مَا أَوْحَاهُ اللَّهُ وَهُوَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ مِنْ فَرَضِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا.

السابعة: كَلَامُ اللَّهِ لَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ بَلَا وَاسْطَةِ مَلِكٍ، كَمَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ هِيَ ثَابِتَةُ لِمُوسَى قَطْعًا بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَثُبُوتُهَا لِنَبِيِّنَا ﷺ هُوَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ.

وَقَدْ زَادَ بَعْضُهُمْ مَرْتَبَةً **ثَامِنَةً**، وَهِيَ تَكْلِيمُ اللَّهِ لَهُ كِفَاحًا مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ، وَهَذَا عَلَى مَذْهَبٍ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ ﷺ رَأَى رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ خِلَافٍ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَإِنْ كَانَ جُمْهُورُ الصَّحَابَةِ بَلَّ كُلُّهُمْ مَعَ عَائِشَةَ كَمَا حَكَاهُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ إِجْمَاعًا لِلصَّحَابَةِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٧٧).

إبطال قول من زعم أن النهى عن الصلاة إلى القبور من أجل النجاسة من

ثمانية أوجه

قال رسول الله ﷺ: عند قوله **«لا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا»** ^(١).

وفي هذا إبطال قول من زعم أن النهى عن الصلاة فيها لأجل النجاسة، فهذا أبعد شيء عن مقاصد الرسول ﷺ، وهو باطل من عدة أوجه:

منها: أن الأحاديث كلها ليس فيها فرق بين المقبرة الحديثة والمنبوشة، كما يقوله المعللون بالنجاسة.

ومنها: أنه **ﷺ** لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد. ومعلوم قطعاً أن هذا ليس لأجل النجاسة. فإن ذلك لا يختص بقبور الأنبياء، ولأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع، وليس للنجاسة عليها طريق البتة، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم فهم في قبورهم طريون.

ومنها: أنه نهى عن الصلاة إليها.

ومنها: أنه أخبر أن الأرض كلها مسجد، إلا المقبرة والحمام. ولو كان ذلك لأجل النجاسة لكان ذكر الحشوش والمجازر ونحوها أولى من ذكر القبور.

ومنها: أن موضع مسجده **ﷺ** كان مقبرة للمشركين، فنبش قبورهم وسواها واتخذه مسجداً. ولم ينقل ذلك التراب، بل سوى الأرض ومهداها وصلى فيه، كما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك **رضي الله عنه**.

ومنها: أن فتنة الشرك بالصلاة في القبور ومشاهدة عباد الأوثان أعظم بكثير من مفسدة الصلاة بعد العصر والفجر. فإذا نهى عن ذلك سدا لذريعة التشبه التي لا تكاد تخطر ببال المصلي، فكيف بهذه الذريعة القريبة التي كثيرا ما تدعو صاحبها إلى الشرك ودعاء الموتى، واستغاثتهم، وطلب الحوائج منهم، واعتقاد أن الصلاة عند قبورهم أفضل منها في المساجد. وغير ذلك، مما هو محادة ظاهرة لله ورسوله ﷺ.

فأين التعليل بنجاسة البقعة من هذه المفسدة؟ ومما يدل على أن النبي ﷺ قصد منع هذه الأمة من الفتنة بالقبور كما افتتن بها قوم نوح ومن بعدهم.

ومنها: أنه لعن المتخذين عليها المساجد. ولو كان ذلك لأجل النجاسة لأمكن أن يتخذ عليها المسجد مع تطيينها بطين طاهر، فتزول اللعنة، وهو باطل قطعاً.

ومنها: أنه قرن في اللعن بين متخذى المساجد عليها وموقدي السرج عليها. فهما في اللعنة قرينان. وفي ارتكاب الكبيرة صنوان. فإن كل ما لعن رسول الله ﷺ فهو من الكبائر، ومعلوم أن إيقاد السرج عليها إنما لعن فاعله لكونه وسيلة إلى تعظيمها، وجعلها نصباً يوفض إليه المشركون، كما هو الواقع، فهكذا اتخاذ المساجد عليها. ولهذا قرن بينهما.

وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن الرسول ﷺ مقاصده، جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة منه باللعن والنهي بصيغتيه: صيغة "لا تفعلوا" وصيغة "إنى أنهاكم" ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عدم

في تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (١/ ١٨٧).

الجن مكلفون ومخاطبون كالإنس، من وجوه ثمانية

قال رحمه الله: ومما يدل على تكليفهم أيضاً قوله تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فلما اعترفوا بأنهم كانوا كافرين، وشهدوا على أنفسهم بالكفر دل ذلك على تكليفهم وتوجه الخطاب إليهم.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنَّ يَاسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢]، فهذا يدل على تكليفهم من وجوه متعددة:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى صرفهم إلى رسوله يستمعون القرآن ليؤمنوا به ويأتمروا بأوامره وينتھوا عن نواهيه.

الثاني: أنهم ولوا إلى قومهم منذرين والإنذار هو الإعلام بالخوف بعد انعقاد أسبابه، فعلم أنهم منذرون لهم بالنار إن عصوا الرسول.

الثالث: أنهم أخبروا أنهم سمعوا القرآن وعقلوه وفهموه وأنه يهدي إلى الحق، وهذا القول منهم يدل على أنهم عالمون بموسى وبالكتاب المنزل عليه، وأن القرآن مصدق له وأنه هاد إلى صراط مستقيم.

وهذا يدل على تمكينهم من العلم الذي تقوم به الحجة، وهم قادرون على امتثال ما فيه والتكليف إنما يستلزم العقل والقدرة.

الرابع: إنهم قالوا لقومهم: ﴿يَقُومَنَّ أَحِبُّوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] وهذا صريح في أنهم مكلفون بمأمورين بإجابة الرسول، وهى تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر.

الخامس: أنهم قالوا: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ والمغفرة لا تكون إلا عن ذنب وهو مخالفة الأمر.

السادس: أنهم قالوا: ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ والذنب مخالفة الأمر.

السابع: أنهم قالوا: ﴿وَيُجْزِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ، وهذا يدل على أن من لم يستجب منهم لداعي الله لم يجره من العذاب الأليم. وهذا صريح في تعلق الشريعة الإسلامية بهم.

الثامن: أنهم قالوا: ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ﴾

[الأحقاف: ٣٢] ، وهذا تهديد لمن تخلف عن إجابة داعي الله منهم.

وعلى هذا فيكون اختصاص النبي ﷺ بالبعثة إلى الثقلين إلى جميعهم لا إلى بعضهم، ومن قبله كان يبعث إلى طائفة مخصوصة، وأيضاً فقد قال تعالى عن نبيه سليمان: {وَمِنْ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ} [سبأ: ١٢] ، وهذا محض التكليف. طريق الهجرتين وباب السعادت (ص: ٤٢٠).

ثمانية أوجه لمفاسد عشق الصور

قال رحمه الله: وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي عَشْقِ الصُّورِ مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ وَلَا دُنْيَوِيَّةٌ، بَلْ مَفْسَدَتُهُ الدِّينِيَّةُ وَالْدُنْيَوِيَّةُ أَضْعَافٌ أَضْعَافٍ مَا يُقَدَّرُ فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ:

أَحَدُهَا: الْإِشْتَغَالُ بِحُبِّ الْمَخْلُوقِ وَذِكْرُهُ عَنْ حُبِّ الرَّبِّ تَعَالَى وَذِكْرِهِ، فَلَا يَجْتَمِعُ فِي الْقَلْبِ هَذَا وَهَذَا إِلَّا وَيَقْهَرُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، وَيَكُونُ السُّلْطَانُ وَالْغَلْبَةُ لَهُ.

الثَّانِي: عَذَابُ قَلْبِهِ بِهِ، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ عَذَّبَ بِهِ وَلَا بُدَّ، كَمَا قِيلَ:

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْ مُحِبٍّ * وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَذَاقِ

الثَّالِثُ: أَنَّ قَلْبَهُ أَسِيرُ قَبْضَةٍ غَيْرِهِ يَسُومُهُ الْهَوَانُ، وَلَكِنْ لِسُكْرَتِهِ لَا يَشْعُرُ بِمُصَابِهِ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ يَشْتَغِلُ بِهِ عَنْ مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَضْيَعُ لِمَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا مِنْ عِشْقِ الصُّورِ، أَمَّا مَصَالِحُ الدِّينِ فَإِنَّهَا مَنْوُطَةٌ بِلَمِّ شَعَثِ الْقَلْبِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى اللَّهِ، وَعِشْقُ الصُّورِ أَعْظَمُ شَيْءٍ تَشْعِيثًا وَتَشْتِيَةً لَهُ.

وَأَمَّا مَصَالِحُ الدُّنْيَا فَهِيَ تَابِعَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ لِمَصَالِحِ الدِّينِ، فَمَنْ انْفَرَطَتْ عَلَيْهِ مَصَالِحُ دِينِهِ وَضَاعَتْ عَلَيْهِ، فَمَصَالِحُ دُنْيَاهُ أَضْيَعُ وَأَضْيَعُ.

الخَامِسُ: أَنَّ آفَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَسْرَعُ إِلَى عُشَاقِ الصُّورِ مِنَ النَّارِ فِي يَابَسِ الْحَطَبِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ الْقَلْبَ كُلَّمَا قَرَّبَ مِنَ الْعِشْقِ وَقَوِيَ اتِّصَالُهُ بِهِ بَعُدَ مِنَ اللَّهِ، فَأَبْعَدُ الْقُلُوبِ مِنَ اللَّهِ قُلُوبُ عُشَاقِ الصُّورِ، وَإِذَا بَعُدَ الْقَلْبُ مِنَ اللَّهِ طَرَقَتْهُ الْآفَاتُ، وَتَوَلَّاهُ الشَّيْطَانُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ.

السَّادِسُ: أَنَّهُ إِذَا تَمَكَّنَ مِنَ الْقَلْبِ وَاسْتَحْكَمَ وَقَوِيَ سُلْطَانُهُ، أَفْسَدَ الذَّهْنَ، وَأَحْدَثَ الْوَسْوَاسَ، وَرُبَّمَا أَلْحَقَ صَاحِبَهُ بِالْمَجَانِينِ الَّذِينَ فَسَدَتْ عُقُولُهُمْ فَلَا يَتَفَعَّلُونَ بِهَا. وَأَخْبَارُ الْعُشَاقِ فِي ذَلِكَ مَوْجُودَةٌ فِي مَوَاضِعِهَا، بَلْ بَعْضُهَا مَشَاهِدٌ بِالْعِيَانِ.

السابع: أَنَّهُ رُبَّمَا أَفْسَدَ الْحَوَاسَّ أَوْ بَعْضَهَا، إِمَّا إِفْسَادًا مَعْنَوِيًّا أَوْ صُورِيًّا، أَمَّا الْفَسَادُ الْمَعْنَوِيُّ فَهُوَ تَابِعٌ لِفَسَادِ الْقَلْبِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا فَسَدَ فَسَدَتِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ وَاللِّسَانُ، فَيَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا مِنْهُ وَمِنْ مَعْشُوقِهِ .

الثامن: أَنَّ الْعِشْقَ كَمَا تَقَدَّمَ هُوَ الْإِفْرَاطُ فِي الْمَحَبَّةِ، بِحَيْثُ يَسْتَوْلِي الْمَعْشُوقُ عَلَى قَلْبِ الْعَاشِقِ، حَتَّى لَا يَخْلُو مِنْ تَخِيلِهِ وَذِكْرِهِ وَالْفِكْرِ فِيهِ، بِحَيْثُ لَا يَغِيبُ عَنْ خَاطِرِهِ وَذَهْنِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَشْتَغِلُ النَّفْسُ عَنِ اسْتِخْدَامِ الْقُوَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَالنَّفْسَانِيَّةِ فَتَعَطِّلُ تِلْكَ الْقُوَّةَ، فَيَحْدُثُ بِتَعْطِيلِهَا مِنَ الْآفَاتِ عَلَى الْبَدَنِ وَالرُّوحِ مَا يَعِزُّ دَوَاؤُهُ وَيَتَعَذَّرُ، فَتَتَغَيَّرُ أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ وَمَقَاصِدُهُ، وَيَخْتَلُ جَمِيعُ ذَلِكَ، فَتَعْجِزُ الْبَشَرُ عَنْ صَلَاحِهِ، كَمَا قِيلَ:

الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لِبَاجَةِ * يَأْتِي بِهَا وَتَسْوِقُهُ الْأَقْدَارُ
حَتَّى إِذَا خَاضَ الْفَتَى لُجَجَ الْهَوَى * جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ
وَالْعِشْقُ مَبَادِيهِ سَهْلَةٌ حُلُوءٌ، وَأَوْسَطُهُ هَمٌّ وَشُغْلٌ قَلْبٍ وَسَقَمٌ، وَآخِرُهُ عَطَبٌ وَقَتْلٌ، إِنْ لَمْ تَدَارِكْهُ عِنَايَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . **الداء والدواء (ص: ٢١٣).**

ثمان حكمه في تأخر موسى عليه السلام في رمي العصا مع السحرة

قال رحمه الله: الْحُكْمُ فِي التَّأَخُّرِ كَمَا فَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ السَّحَرَةِ وَالتَّأَخُّرِ أَحْسَنَ مَوْقِعًا وَأَعْظَمَ قَدْرًا وَلِهَذَا قَالَ مُوسَى لِلْسَّحَرَةِ وَقَدْ خَيَّرُوهُ بَيْنَ أَنْ يَتَدَيَّ هُوَ أَوْ أَنْ يَتَدَيُّوا قَبْلَهُ فَاخْتَارَ بَدَاءَتَهُمْ أَوَّلًا ثُمَّ أَلْقَى هُوَ بَعْدَهُمْ وَفِي ذَلِكَ وَجُوهٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْحِكْمَةِ

منها أَنَّ الْمُبْتَطِلَ يَسْتَفْرِغُ وَسَعَهُ وَيَسْتَنْفِذُ حِيلَهُ وَلَا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ يُقَالُ إِنَّهُ لَوْ أَتَى بِهِ لَغَلِبَ .
ومنها أَنَّ يَكُونُ هُوَ الْبَاغِي فَيَكُونُ ادَّعَى إِلَى نُصْرَةِ الْحَقِّ وَالْمَحْقُ عَلَيْهِ .

وَمِنْهَا أَنْ نفوس النَّاسِ دَائِمًا تستشرف إِلَى الْمُجِيبِ أَكْثَرَ مِنَ السَّائِلِ وَإِلَى الْمُتَأَخِّرِ فِي المغالبات والمقارعات أَكْثَرَ مِنْ استشرافها إِلَى الْأَوَّلِ فَيَكُونُ ظَفَرُهُ وَغَلْبُهُ أَعْظَمَ مَوْقِعًا.

وَمِنْهَا أَنَّ هِمَّةَ الْمُحِقِّ تَقْوَى وَتَتَضَاعَفُ إِذَا شَهِدَ خَصْمَهُ وَقَدْ وَضَعَ لَهُ أَسْبَابَ الْغَلْبَةِ وَاسْتَنْفَذَ سَهَامَهُ فَتَصِيرُ هِمَّتُهُ عَلَى مِقْدَارِ مَا شَهِدَ مِنْ كَيْدِ خَصْمِهِ.

وَمِنْهَا أَنَّ اللَّغْطَ يَصْفُو وَيَنْقَطِعُ هَيْجُ الْبَدَوَاتِ وَهَرَجُهَا.

وَمِنْهَا أَنَّ يَجْمَعُ هِمَّهُ وَعَزْمُهُ وَيَسْتَعِدُّ لِلْمُقَابَلَةِ.

وَمِنْهَا أَنَّهُ يَأْمَنُ رُجُوعَ خَصْمِهِ وَاسْتِقَالَته فَإِنْ خَصِمَهُ قَدْ يَرْجِعُ عَنْ مُقَارَعَتِهِ إِذَا رَأَى قُوَّتَهُ وَاسْتَظْهَارَهُ فَلَا تَظْهَرُ غَلْبَتُهُ فَإِذَا بَدَأَ خَصْمَهُ أَمِنَ مِنْ رُجُوعِهِ وَاسْتِقَالَته. الفروسية (ص: ٣٩٧).

ثمان حكم في الأمر بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْإِسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. وَفِي ذَلِكَ

وجوه:

منها: أَنَّ الْقُرْآنَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصَّدُورِ يَذْهَبُ لِمَا يَلْقِيهِ الشَّيْطَانُ فِيهَا مِنَ الْوَسَاوِسِ وَالشَّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ، فَهُوَ دَوَاءٌ لِمَا أَمَرَهُ فِيهَا الشَّيْطَانُ، فَأَمَرَ أَنْ يَطْرُدَ مَادَّةَ الدَّاءِ وَيَخْلِيَ مِنْهُ الْقَلْبَ لِيَصَادَفَ الدَّوَاءَ مُحَلًّا خَالِيًا.

ومنها: أَنَّ الْقُرْآنَ مَادَّةُ الْهُدَى وَالْعِلْمِ وَالْخَيْرِ فِي الْقَلْبِ، كَمَا أَنَّ الْمَاءَ مَادَّةُ النَّبَاتِ، وَالشَّيْطَانُ نَارٌ يَحْرِقُ النَّبَاتَ أَوَّلًا فَأَوَّلًا، فَكَلِمَا أَحْسَ بِنَبَاتِ الْخَيْرِ فِي الْقَلْبِ سَعَى فِي إِفْسَادِهِ وَإِحْرَاقِهِ، فَأَمَرَ أَنْ يَسْتَعِيزَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ لئَلَّا يَفْسُدَ عَلَيْهِ مَا يَحْصُلُ لَهُ بِالْقُرْآنِ.

والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله، أَنَّ الْإِسْتِعَاذَةَ فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ لِأَجْلِ حَصُولِ فَائِدَةِ الْقُرْآنِ، وَفِي الْوَجْهِ الثَّانِي لِأَجْلِ بَقَائِهَا وَحِفْظِهَا وَثَبَاتِهَا.

وكان من قال: إن الاستعاذة بعد القراءة لاحظ هذا المعنى، وهو لعمر الله ملحظ جيد، إلا أن السنة وآثار الصحابة إنما جاءت بالاستعاذة قبل الشروع في القراءة وهو قول جمهور الأمة من السلف والخلف، وهو محصل للأمرين.

ومنها: أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن وتستمع لقراءته. كما في حديث أسيد ابن حضير رضي الله عنه، لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح، فقال النبي ﷺ: «تلك الملائكة»^(١).

والشيطان ضد الملك وعدوه. فأمر القارئ أن يطلب من الله تعالى مباحدة عدوه عنه حتى يحضره خاصته وملائكته، فهذه وليمة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين.

ومنها: أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله، حتى يشغله عن المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه، فيحرص بجهدته على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل انتفاع القارئ به، فأمر عند الشروع أن يستعيز بالله عز وجل منه.

ومنها: أن القارئ مُناجٍ لله تعالى كلامه، والله تعالى أشد أذناً للقارئ الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته. والشيطان إنما قراءته الشعر والغناء. فأمر القارئ أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاته تعالى واستماع الرب قراءته.

«١» رواه البخاري (٥٠١٨)، ومسلم (٧٩٦).

ومنها: أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، والسلف كلهم على أن المعنى: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته. كما قال الشاعر في عثمان:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ * * * وَأَخْرَهُ لَأَقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ

فإذا كان هذا فعله مع الرسل عليهم الصلاة والسلام فكيف بغيرهم؟ ولهذا يغلط القارئ تارة ويخلط عليه القراءة، ويشوشها عليه، فيخبط عليه لسانه، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارئ هذا أو هذا، وربما جمعهما له، فكان من أهم الأمور: الاستعاذة بالله تعالى منه عند القراءة.

ومنها: أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهتم بالخير، أو يدخل فيه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إِنَّ شَيْطَانًا تَفَلَّتَ عَلَى الْبَارِحَةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ عَلَى صَلَاتِي»^(١) الحديث.

وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله تعالى كان اعتراض الشيطان له أكثر.

ومنها: أن الاستعاذة قبل القراءة عنوان وإعلام بأن المأتي به بعدها القرآن، ولهذا لم تشرع الاستعاذة بين يدي كلام غيره. فهذه بعض فوائد الاستعاذة. إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (١ / ٩١).

الذنوب توصل العبد إلى ثمانية أشياء استعاذ منها النبي ﷺ

قال رسول الله ﷺ: فالذنب إما يُميت القلب، أو يُمرِّضه مرضاً مُخَوِّفاً، أو يُضعِف قُوَّتَهُ وَلَا بُدَّ حَتَّى يَنْتَهِي ضَعْفُهُ إِلَى الْأَشْيَاءِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِي اسْتَعَاذَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ: «الْهَمُّ، وَالْحَزَنُ، وَالْعَجْزُ، وَالْكَسَلُ، وَالْجُبْنُ، وَالْبُخْلُ، وَضَلَعُ الدِّينِ، وَغَلَبَةُ الرِّجَالِ»^(١) وَكُلُّ اثْنَيْنِ مِنْهَا قَرِينَانِ.

فَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ قَرِينَانِ: فَإِنَّ الْمَكْرُوهَ الْوَارِدَ عَلَى الْقَلْبِ إِنْ كَانَ مِنْ أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ يَتَوَقَّعُهُ أَحَدُ الثَّانِيَيْنِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَمْرٍ مَاضٍ قَدْ وَقَعَ أَحَدُ الثَّانِيَيْنِ. وَالْعَجْزُ وَالْكَسَلُ قَرِينَانِ: فَإِنَّ تَخَلَّفَ الْعَبْدُ عَنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ، إِنْ كَانَ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ فَهُوَ الْعَجْزُ، وَإِنْ كَانَ لِعَدَمِ إِرَادَتِهِ فَهُوَ الْكَسَلُ. وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ قَرِينَانِ: فَإِنَّ عَدَمَ النَّفْعِ مِنْهُ إِنْ كَانَ بِيَدِنِهِ فَهُوَ الْجُبْنُ، وَإِنْ كَانَ بِمَالِهِ فَهُوَ الْبُخْلُ.

وَضَلَعُ الدِّينِ وَقَهْرُ الرِّجَالِ قَرِينَانِ: فَإِنَّ اسْتِعْلَاءَ الْغَيْرِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ بِحَقٍّ فَهُوَ مِنْ ضَلَعِ الدِّينِ، وَإِنْ كَانَ بِبَاطِلٍ فَهُوَ مِنْ قَهْرِ الرِّجَالِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الذُّنُوبَ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِهَذِهِ الثَّمَانِيَةِ، كَمَا أَنَّهَا مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِجَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لَزَوَالِ نِعَمِ اللَّهِ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَّتِهِ إِلَى نِقْمَتِهِ وَتَجَلُّبِ جَمِيعِ سُخْطِهِ. ^(١) الداء والدواء (ص: ٧٣).

ثمان فوائد في معرفة حال السابقين الأولين

قال رَحِمَهُ اللهُ: وأما السابقون المقربون فنستغفر الله الذي لا إله إلا هو، أولاً من وصف حالهم وعدم الاتصاف به، بل ما شممنا له رائحة، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها، وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم، ففي معرفة حال القوم فوائد عديدة:

منها: أن لا يزال المتخلف المسكين مزرياً على نفسه ذاماً لها.

ومنها: أنه لا يزال منكسر القلب بين يدي ربه تعالى ذليلاً له حقيراً يشهد منازل السابقين وهو في زمرة المنقطعين، ويشهد بضائع التجار وهو في رفقة المحرومين.

ومنها: أنه عساه أن تنهض همته يوماً إلى التشبث والتعلق بساقة القوم ولو من بعيد.

ومنها: أنه لعله أن يصدق في الرغبة واللجأ إلى من بيده الخير كله أن يلحقه بالقوم ويهيئه لأعمالهم فيصاف ساعة إجابة لا يسأل الله عز وجل فيها شيئاً إلا أعطاه.

ومنها: أن هذا العلم هو من أشرف علوم العبادة، وليس بعد علم التوحيد أشرف منه، وهو لا يناسب إلا النفوس الشريفة، ولا يناسب النفوس الدنيئة المهينة، فإذا رأى نفسه تناسب هذا العلم وتشتاق إليه وتحبه وتأنس بأقله فليبشر بالخير فقد أهل له، فليقل لنفسه: يا نفس، فقد حصل لك شطر السعادة فاحرصي على الشطر الآخر، فإن السعادة في العلم بهذا الشأن والعمل به، فقد قطعت نصف المسافة فهلا تقطعين باقياً فتفوزين فوزاً عظيماً.

ومنها: أن العلم بكل حال خير من الجهل، فإذا كان اثنان أحدهما عالم بهذا الشأن غير موصوف به ولا قائم به، وآخر جاهل به غير متصف به فهو خلو من الأمرين، فلا

ريب أن العالم به خير من الجاهل، وإن كان العالم المتصف به خيرا منهما فينبغي أن يعطي كل ذي حق حقه وينزل في مرتبته.

ومنها: أنه إذا كان العلم بهذا الشأن همه ومطلوبه فلا بد أن ينال منه بحسب استعداده ولو لحظة لو بارقة، ولو أنه يحدث نفسه بالنهضة إليه.

ومنها: أنه لعله يجري منه على لسانه ما ينتفع به غيره بقصده أو بغير قصده، والله لا يضيع مثقال ذرة، فعسى أن يرحم بذلك العامل.

وبالجملة ففوائد العلم بهذا الشأن لا تنحصر، فلا ينبغي أن تصغي إلى من يشطك عنه وتقول: إنه لا ينفع بل احذره واستعن بالله ولا تعجز ولكن لا تغتر، وفرق بين العلم والحال، وإياك أن تظن أن بمجرد علم هذا الشأن قد صرت من أهله، هيهات ما أظهر الفرق بين العلم بوجوه الغنى وهو فقير وبين الغنى بالفعل، وبين العالم بأسباب الصحة وحدودها وهو سقيم وبين الصحيح بالفعل. طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٠٥).



الفوائد التساعية

تسعة أمور في أسباب إنشراح الصدر

قال رحمه الله: أعظم أسباب شرح الصدر:

التَّوْحِيدُ، وَعَلَى حَسَبِ كَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ انْشِرَاحُ صَدْرِ صَاحِبِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزُّمَرِ ٢٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الْأَنْعَامِ ١٢٥].

فَالْهُدَى وَالتَّوْحِيدُ مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ، وَالشَّرْكَ وَالضَّلَالُ مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ ضَيِّقِ الصَّدْرِ وَانْحِرَاجِهِ.

وَمِنْهَا: النُّورُ الَّذِي يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيُوسِّعُهُ وَيُفْرِحُ الْقَلْبَ. فَإِذَا قُذِفَ هَذَا النُّورُ مِنْ قَلْبِ الْعَبْدِ ضَاقَ وَحَرَجَ، وَصَارَ فِي أَضْيَاقِ سِجْنٍ وَأَصْعَبِهِ.

وَمِنْهَا: الْعِلْمُ، فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَيُوسِّعُهُ حَتَّى يَكُونَ أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا، وَالْجَهْلُ يُورِثُهُ الضَّيْقَ وَالْحَضَرَ وَالْحَبْسَ، فَكَلَّمَا اتَّسَعَ عِلْمُ الْعَبْدِ انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَاتَّسَعَ، وَلَيْسَ هَذَا لِكُلِّ عِلْمٍ، بَلْ لِلْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، فَأَهْلُهُ أَشْرَحُ النَّاسِ صُدْرًا، وَأَوْسَعُهُمْ قُلُوبًا، وَأَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا، وَأَطْيَبُهُمْ عَيْشًا.

ومنها: الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، ومحبة بكل القلب والإقبال عليه والتنعيم بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك. حتى إنه ليقول أحياناً: إن كنت في الجنة في مثل هذه الحالة فإنني إذا في عيش طيب.

ومن أسباب شرح الصدر دوام ذكره على كل حال، وفي كل موطن، فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه.

ومنها: الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، والبخل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدراً، وأكدهم عيشاً، وأعظمهم همماً وغماً. وقد «ضرب رسول الله ﷺ في الصحيح مثلاً للبخل والمتصدق كمثلي رجلين عليهما جنتان من حديد، كلما هم المتصدق بصدقة اتسعت عليه وانبسطت حتى يجز ثيابه ويعفي أثره، وكلما هم البخل بالصدقة لزمت كل حلقة مكانها ولم تتسع عليه»^(١) فهذا مثل انشراح صدر المؤمن المتصدق، وانفساح قلبه، ومثل ضيق صدر البخل، وانحصار قلبه.

ومنها الشجاعة، فإن الشجاع مُشْرِح الصدر، واسع البطن، مُتَّسِع القلب، والجبان أضيق الناس صدراً، وأحصرهم قلباً، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له، ولا نعيم إلا من جنس ما للحيوان البهيمة، وأما سرور الروح ولذتها ونعيمها وابتهاجها فمحرم على كل

جَبَانٍ، كَمَا هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى كُلِّ بَخِيلٍ، وَعَلَى كُلِّ مُعْرِضٍ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، غَافِلٍ عَنْ ذِكْرِهِ، جَاهِلٍ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَدِينِهِ، مُتَعَلِّقٍ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ.

وَمِنْهَا بَلْ مِنْ أَعْظَمِهَا: إِخْرَاجُ دَغَلِ الْقَلْبِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي تُوجِبُ ضِيقَهُ وَعَذَابَهُ، وَتَحَوُّلُ بَيْنِهِ وَبَيْنَ حُصُولِ الْبُرِّ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَتَى الْأَسْبَابَ الَّتِي تَشْرَحُ صَدْرَهُ، وَلَمْ يُخْرِجْ تِلْكَ الْأَوْصَافَ الْمَذْمُومَةَ مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَحْظَ مِنْ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ بِطَائِلٍ، وَغَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَادَّتَانِ تَعْتَوِرَانِ عَلَى قَلْبِهِ، وَهُوَ لِلْمَادَّةِ الْغَالِبَةِ عَلَيْهِ مِنْهُمَا.

وَمِنْهَا: تَرَكُ فُضُولِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ وَالِاسْتِمَاعِ وَالْمُخَالَطَةِ وَالْأَكْلِ وَالنَّوْمِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْفُضُولَ تَسْتَحِيلُ آلَمًا وَغُمُومًا وَهُمُومًا فِي الْقَلْبِ، تَحْضُرُهُ وَتَحْبِسُهُ وَتَضِيقُهُ وَيَتَعَذَّبُ بِهَا، بَلْ غَالِبُ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهَا، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَضِيقَ صَدْرَ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلِّ آفَةٍ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ بِسَهْمٍ، وَمَا أَنْكَدَ عَيْشَهُ، وَمَا أَسْوَأَ حَالَهُ، وَمَا أَشَدَّ حَضْرِ قَلْبِهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَنْعَمَ عَيْشَ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ مِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ بِسَهْمٍ، وَكَانَتْ هِمَّتُهُ دَائِرَةً عَلَيْهَا، حَائِمَةً حَوْلَهَا، فَلِهَذَا نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ

لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣]، وَلِذَلِكَ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي

جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٤]، وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبٌ مُتَفَاوِتَةٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

زاد المعاد في هدي خير العباد (٢ / ٢٧).



الفوائد العشرية

فضل العلم وأهله من وجوه عشرة

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: استشهد سُبْحَانَهُ بأولي العلم على أجل مشهود

عَلَيْهِ وهو توحيده فَقَالَ: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] وَهَذَا يدل على فضل العلم

وأهله من وجوه:

أحدها: استشهداهم دون غيرهم من البشر.

والثاني: إقراران شهادتهم بِشهادته.

والثالث: إقرارها بِشهادة ملائكته.

والرابع: أن في ضمن هذا تركيتهم وتعديلهم، فإن الله لَا يستشهد من خلقه إِلَّا

الْعُدُولَ وَمِنْهُ الْأَثَرُ الْمَعْرُوفُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ « يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ

عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ »^(١).

الخامس: أنه وصفهم بكونهم أولي العلم، وهذا يدل على اختصاصهم بِهِ وأنهم أهله

وأصحابه لَيْسَ بمستعار لَهُمْ.

« ١ » رواه البيهقي، وصححه العلامة الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨).

السادس: أنه سُبْحَانَهُ اسْتَشْهَدَ بِنَفْسِهِ وَهُوَ أَجَلُ شَاهِدٍ، ثُمَّ بِخِيَارِ خَلْقِهِ وَهُمْ مَلَائِكَتُهُ وَالْعُلَمَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَكْفِيهِمْ بِهَذَا فَضْلاً وَشَرَفاً.

السابع: أنه اسْتَشْهَدَ بِهِمْ عَلَى أَجَلٍ مَشْهُودٍ بِهِ وَأَعْظَمَهُ وَأَكْبَرَهُ وَهُوَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالْعَظِيمُ الْقَدْرُ إِنَّمَا يَسْتَشْهَدُ عَلَى الْأَمْرِ الْعَظِيمِ أَكْبَارِ الْخَلْقِ وَسَادَاتِهِمْ.

الثامن: أنه سُبْحَانَهُ جَعَلَ شَهَادَتَهُمْ حُجَّةً عَلَى الْمُنْكَرِينَ فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَدْلَتِهِ وَأَيَاتِهِ وَبِرَاهِنِهِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ.

التاسع: أنه سُبْحَانَهُ أَفْرَدَ الْفِعْلَ الْمَتَضَمِّنَ لِهَذِهِ الشَّهَادَةِ الصَّادِرَةَ مِنْهُ وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ وَمِنْهُمْ وَلَمْ يَعْطِفْ شَهَادَتَهُمْ بِفِعْلِ آخَرَ غَيْرِ شَهَادَتِهِ؛ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ ارْتِبَاطِ شَهَادَتِهِمْ بِشَهَادَتِهِ، فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ شَهِدَ لِنَفْسِهِ بِالتَّوْحِيدِ عَلَى السَّنْتِمْ وَأَنْطَقَهُمْ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ؛ فَكَانَ هُوَ الشَّاهِدُ بِهَا لِنَفْسِهِ، إِقَامَةً وَإِنْطَاقاً وَتَعْلِيماً، وَهُمْ الشَّاهِدُونَ بِهَا لَهُ، إِقْرَاراً وَاعْتِرَافاً وَتَصْدِيقاً وَإِيمَاناً.

العاشر: أنه سُبْحَانَهُ جَعَلَهُمْ مُؤَدِّينَ لِحَقِّهِ عِنْدَ عِبَادِهِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ فَإِذَا أَدَوْهَا فَقَدْ أَدَوْا الْحَقَّ الْمَشْهُودَ بِهِ فَثَبَّتَ الْحَقَّ الْمَشْهُودَ بِهِ فَوَجَبَ عَلَى الْخَلْقِ الْإِقْرَارُ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ غَايَةَ سَعَادَتِهِمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ وَكُلٌّ مِنْ نَالِهِ الْهُدَى بِشَهَادَتِهِمْ وَأَقْرَبَ بِهَذَا الْحَقِّ بِسَبَبِ شَهَادَتِهِمْ فَلَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِهِ وَهَذَا فَضْلُ عَظِيمٍ لَا يَدْرِي قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَكَذَلِكَ كُلٌّ مِنْ شَهِدَ بِهَا عَنْ شَهَادَتِهِمْ فَلَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِهِ أَيْضاً فَهَذِهِ عَشْرَةُ أَوْجُهٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

عشر فوائد في إخفاء الدعاء

قال رحمه الله: إذا عُرِفَ هذا فقوله: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ﴾ [الأعراف: ٥٥] يتناول نوعي الدعاء، لكنه ظاهر في دعاء المسألة متضمنٌ لدعاء العبادة، ولهذا أمر بإخفائه وإسراره، قال الحسن: "بين دعوة السرِّ ودعوة العلانية سبعون ضعفًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمعُ لهم صوتٌ، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ﴾ وأن الله تعالى ذَكَرَ عبدًا صالحًا ورضي بفعله فقال: ﴿ **إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا** ﴾ [مريم: ٣]. وفي إخفاء الدعاء فوائدٌ عديدة:

أحدها: أنه أعظمُ إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله تعالى يسمعُ دعاءه الخفي، وليس كالذي قال: «إن الله يسمعُ إن جهرنا، ولا يسمعُ إن أخفينا»^١.

ثانيها: أنه أعظمُ في الأدب والتعظيم، ولهذا لا تُخاطبُ الملوك ولا تُسألُ برفع الأصوات، وإنما تُخَفَضُ عندهم الأصوات، ويُخْفَى عندهم الكلامُ بمقدار ما يسمعه، ومن رفع صوته لديهم مَقْتُوهُ، والله المثل الأعلى، فإذا كان يسمعُ الدعاء الخفي فلا يليقُ بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

ثالثها: أنه أبلغُ في التضرُّع والخُشوع الذي هو رُوحُ الدعاء وَلَبُّهُ ومقصودُهُ، فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسألُ مسألةً مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذَلَّتْ جوارحُه، وخشع صوته، حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكنته، وكسرتُه وضراعتُه، إلى أن ينكسر

«١» في حديث الثلاثة الذين اجتمعوا عند البيت، أخرجه البخاري رقم (٤٨١٧)، ومسلم رقم (٢٧٧٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

لسأته، فلا يُطاوِعه بالنطق، فقلبه سائل طالب مبتهل، ولسأته لشدة ذله وضراوته ومسكنته ساكت، وهذه الحال لا يتأتى معها رفع الصوت بالدعاء أصلاً.

رابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

خامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الله تعالى في الدعاء، فإن رفع الصوت يُفرِّقه ويشتته، فكلما خفض صوته كان أبلغ في صمده وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه وتعالى.

سادسها: وهو من النكت السريّة البديعة جداً: أنه دال على قرب صاحبه من الله، وأنه لا اقترابه منه وشدة حضوره يسأل مسألة: أقرب شيءٍ إليه، فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد.

ولهذا أثنى الله سبحانه على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [٣]، فكلما استحضر القلب قرب الله تعالى منه، وأنه أقرب إليه من كل قريب، وتصوّر ذلك أخفى دعاءه ما أمكنه، ولم يتأت له رفع الصوت به، بل يراه غير مستحسن، كما أن من خاطب جليسا له يسمع خفي كلامه، فبالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه والله المثل الأعلى سبحانه، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بعينه بقوله في الحديث الصحيح، لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر، فقال: «ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، أَقْرَبَ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ

عُنُق راحِلَتِهِ»^(١) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد جاء أن سبب نزولها أن الصحابة قالوا: يا رسول الله رَبُّنَا قَرِيبٌ فَنُجَاجِيهِ، أم بعيدٌ فَنُنَادِيهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(٢)، وهذا يدلُّ على إرشادهم للمناجاة في الدعاء لا للنداء الذي هو رفع الصوت، فإنهم عن هذا سألوا، فأجيبوا بأنَّ رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَرِيبٌ لَا يَحْتَاجُ فِي دَعَائِهِ وَسْؤَالِهِ إِلَى النِّدَاءِ، وَإِنَّمَا يُسْأَلُ مَسْأَلَةَ الْقَرِيبِ الْمُنَاجِي لَا مَسْأَلَةَ الْبَعِيدِ الْمُنَادِي، وَهَذَا الْقُرْبُ مِنَ الدَّاعِي هُوَ قُرْبٌ خَاصٌّ لَيْسَ قُرْبًا عَامًّا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ دَاعِيهِ وَقَرِيبٌ مِنْ عَابِدِهِ، « وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ »^(٣)، وَهُوَ أَخْصَصُ مِنْ قُرْبِ الْإِنَابَةِ وَقُرْبِ الْإِجَابَةِ، الَّذِي لَمْ يُثْبِتْ أَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ سِوَاهُ، بَلْ هُوَ قُرْبٌ خَاصٌّ مِنَ الدَّاعِي وَالْعَابِدِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ رَاوِيًا عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: « مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا »^(٤)، فَهَذَا قُرْبُهُ مِنْ عَابِدِهِ.

«١» رواه البخاري (٢٩٩٢) ومسلم (٢٧٠٤)، عن أبي موسى ﷺ.

«٢» أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة: (١/ ٢٧٧)، وسفيان بن عيينة في تفسيره - كما في الدر المنثور: ١/ ٣٥٢ - عن أبي، بسند منقطع. وأخرجه ابن جرير: (٢/ ١٦٤)، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ - كما في الدر: ١/ ٣٥٢ - من طريق الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال ... الحديث. والصلت ضعيف.

«٣» أخرجه مسلم رقم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

«٤» رواه البخاري (٧٥٣٦) ومسلم (٢٦٨٧)، عن أبي هريرة ﷺ.

وأما قرْبُهُ من داعيه وسائلِهِ، فكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ فيه الإشارةُ والإعلامُ بهذا القُرب.

وأما قرْبُهُ -تبارك وتعالى- من مُجِبِّهِ فنوعٌ آخَرُ، وبناءً آخَرُ، وشأنٌ آخَرُ، كما قد ذكرناه في كتاب "التحفة المكية"، على أن العبارة تَبَوُّعُهُ، ولا تحصلُ في القلب حقيقةٌ معناه أبداً، لكن بحسب قوَّةِ المحبَّةِ وضعفِها يكونُ تصديقُ العبدِ بهذا القربِ، وإيَّاكَ ثمَّ إيَّاكَ أن تعبِّرَ عنه بغيرِ العبارةِ النبويةِ، أو يَقَعَ في قلبِكَ غيرُ معناها ومرادها، فَتَزَلَّ قَدَمٌ بعد ثبوتها. وقد ضَعُفَ تمييزُ خلائقٍ في هذا المقامِ، وساءَ تعبيرُهم، فوقعوا في أنواعٍ من الطَّامَّاتِ والسطحِ، وقابلهم من غَلْظِ حجابِهِ فأنكرَ محبَّةَ العبدِ لربِّهِ جملةً، وقرْبَهُ منه، وأعاد ذلك إلى مجرد الثواب المخلوق، فهو عنده المحبوب القريب ليس إلّا.

وقد ذكرنا من طرق الرد على هؤلاء وهؤلاء في كتاب "التحفة" أكثر من مائة طريق، والمقصود هاهنا الكلام على هذه الآية.

سابعها: أَنَّهُ ادَّعَى إلى دوام الطلب والسؤال، فَإِنَّ اللِّسَانَ لَا يَمَلُّ والجوارِحُ لَا تَتَعَبُ، بخلاف ما إذا رفع صوتهُ به، فإنه قد يَكِلُّ لسانَهُ وتضعفُ بعضُ قواه، وهذا نظيرٌ من يقرأ ويكرِّرُ رافعاً صوتهُ، فإنه لا يطولُ له ذلك بخلاف من يخفضُ صوتهُ.

ثامنها: أن إخفاء الدُّعاء أبعدُ له من القواطع والمشوشات والمُضْعَفَاتِ، فإن الدَّاعِيَ إذا أخفى دعاءَهُ لم يَدْرِ به أحدٌ، فلا يحصلُ هناك تشويشٌ ولا غيره، وإذا جَهَرَ به تَفَطَّنَتْ له الأرواحُ الشرِّيرةُ والباطوليَّةُ والخبيثةُ من الجنِّ والإنسِ، فشَوَّشت عليه ولا بُدَّ،

وماعته وعارضته، ولو لم يكن إلا أن تعلقها به يفرق عليه همته فيضعف أثر الدعاء، ومن له تجربة يعرف هذا، فإذا أسر الدعاء وأخفاه من هذه المفسدة.

تاسعها: أن أعظم النعم: الإقبال على الله، والتعبد له، والانقطاع إليه، والتبذل إليه، ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلّت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة، فأنفس الحاسدين المنقطعين متعلقة بها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد، وأن لا يقصد إظهارها له.

وقد قال يعقوب ليوسف **عليه السلام**: **﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾** [يوسف: ٥] وكم من صاحب قلب وجمعية وحال مع الله قد تحدّث بها وأخبر بها، فسلبه إيّاها الأغيار، فأصبح يقلّب كفيه، ولهذا يوصي العارفون والشيخ بحفظ السرّ مع الله، وأن لا يُطلعوا عليه أحداً، ويتكتمون به غاية التّكتم، كما أنشد بعضهم في ذلك:

من سارّوه فأبدى السرّ مجتهداً * لم يأمّنه على الأسرار ما عاشا
وأبعدوه فلم يظفر بقرّبهم * وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا
لا يأمنون مُذيعاً بعض سرّهم * حاشا ودادهم من ذلكم حاشا
والقوم أعظم شيء كتماناً لأحوالهم مع الله، وما وهب الله لهم من محبته، والأنس به، وجمعية القلب عليه، ولا سيما للمبتدئ والسالك، فإذا تمكّن أحدهم وقوي وثبت أصول تلك الشجرة الطيبة، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء في قلبه، بحيث لا يخشى

عليه من العواصف، فإنه إذا أبدى حاله وشأنه مع الله لِيَقْتَدِيَ به وَيُؤْتَمَّ به لم يُبَالِ. وهذا بابٌ عظيمُ النفع إنما يعرفه أهله.

وإذا كان الدعاء المأمورُ بإخفائه يتضمَّن دعاءَ الطلب والثناء والمحبة والإقبال على الله، فهو عن أعظم الكنوز التي هي أحقُّ بالإخفاء والسُّتر عن أعين الحاسدين، وهذه فائدةٌ شريفة نافعة.

عاشرها: أن الدعاء هو ذكرٌ للمدعوِّ سبحانه، متضمَّن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه، فهو ذِكرٌ وزيادة، كما أن الذكر يسمَّى دعاءً لتضمُّنه الطلب كما قال النبي ﷺ: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(١) فسمَّى "الحمدُ لله" دعاءً، وهو ثناء محض؛ لأن الحمد يتضمَّن الحبَّ والثناء، والحبُّ أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامدُ طالبٌ لمحبوبه، فهو أحقُّ أن يسمَّى داعياً من السائل الطالب من ربِّه حاجةً ما، فتأمل هذا الموضع ولا تحتاج إلى ما قيل: إن الذاكر متعرِّضٌ للنوال، وإن لم يكن مصرِّحاً بالسؤال، فهو داعٍ بما تضمَّنه ثناؤه من التعرُّض، كما قال أمية بن أبي الصلت:

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا * كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّاءُ

وعلى هذه الطريقة التي ذكرناها فنفسُ الحمد والثناء متضمَّن لأعظم الطلب، وهو طلب المحب، فهو دعاءٌ حقيقة، بل أحقُّ أن يسمَّى دعاءً من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه، والمقصود أن كلَّ واحد من الدعاء والذكر يتضمَّن الآخر ويدخل فيه، وقد قال

«١» حسنه العلامة الألباني كما في صحيح الجامع (١١٠٤)، عن جابر رضي الله عنه.

تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، فأمر تعالى نبيه أن يذكره في نفسه.

قال مجاهد وابن جريج: «أمر أن يذكره في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح»، وتأمل كيف قال في آية الذكر: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وفي آية الدعاء ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ فذكر التضرع فيهما معا وهو التذل والتمسكن والانكسار، وهو روح الذكر والدعاء، وخص الدعاء بالخفيه؛ لما ذكرنا من الحكم وغيرها، وخص الذكر بالخفيه؛ لحاجة الذاكر إلى الخوف. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٣/ ٨٤٢-٨٤٩).

يعتصم العبد من الشيطان بعشرة أسباب

قال رحمه الله: قاعدة نافعة: فما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره ويحترز به منه وذلك في عشرة أسباب:

الحرص الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان قال تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ

نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقد تقدم أن السمع المراد به هاهنا سمع الإجابة لا مجرد السمع العام.

وتأمل سر القرآن الكريم كيف أكد الوصف بالسميع العليم بذكر صيغة "هو": الدال على تأكيد النسبة واختصاصها، وعرف الوصف بالألف واللام في سورة (حم) لاقتضاء المقام لهذا التأكيد، وتركه في سورة (الأعراف) لاستغناء المقام عنه، فإن الأمر بالاستعاذة في سورة (حم) وقع بعد الأمر بأشق الأشياء على النفس، وهو مقابلة إساءة

المسيء بالإحسان إليه، وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الصابرون، ولا يُلقاه إلا ذو حظٍ عظيم، كما قال الله تعالى.

والشيطان لا يدع العبد يفعل هذا، بل يُريه أن هذا ذلٌ وعجزٌ، ويسلط عليه عدوه، فيدعوه إلى الانتقام ويؤيِّنه له، فإن عجز عنه دعاه إلى الإعراض عنه، وأن لا يسيء إليه ولا يُحسن، فلا يؤثر الإحسان إلى المسيء إلا من خالفه وآثر الله تعالى وما عنده على حظه العاجل، فكان المقام مقام تأكيد وتحريض، فقال فيه: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ

نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٠٠﴾ وأما في سورة (الأعراف) فإنه أمره أن يُعرض عن الجاهلين، وليس فيها الأمر بمقابلة إساءتهم بالإحسان بل بالإعراض، وهذا سهل على النفوس غير مُستعصٍ عليها، فليس حرص الشيطان وسعيه في دفع هذا كحرصه على دفع المقابلة بالإحسان، فقال: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٠٠﴾ وقد تقدّم ذكر الفرق بين هذين الموضعين، وبين قوله في (حم) المؤمن: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٥٦﴾ وفي "صحيح البخاري" عن عدي بن ثابت، عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يَسْتَبَّان، فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد»^(١).

«١» أخرجه البخاري رقم (٣٢٨٢)، ومسلم رقم (٢٦١٠) من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه.

الحرز الثاني: قراءة هاتين السورتين، فإن لهما تأثيراً عجيباً في الاستعاذة بالله تعالى من شره ودفعه والتحصن منه، ولهذا قال النبي ﷺ: «أما تَعَوَّذُ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِمَا»، وقد تقدم أنه كان يتعوَّذ بهما كل ليلة عند النوم، وأمر عقبه أن يقرأ بهما دبر كل صلاة. وتقدم قوله ﷺ: «إِنَّ مَنْ قَرَأَهُمَا مَعَ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ ثَلَاثًا حِينَ يُمْسِي وَثَلَاثًا حِينَ يُصْبِحُ كَفَتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(١).

الحرز الثالث: قراءة آية الكرسي ففي الصحيح من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأنتى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ صدقك وهو كذوب ذاك الشيطان»^(٢) رواه البخاري وسنذكر إن شاء الله تعالى السر الذي لأجله كان لهذه الآية العظيمة هذا التأثير العظيم في التحرز من الشيطان واعتصام قارئها بها في كلام مفرد عليها وعلى أسرارها وكنوزها بعون الله تعالى وتأيدته.

الحرز الرابع: قراءة سورة البقرة ففي الصحيح من حديث سهل عن عبد الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقْرَةُ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ»^(٣) رواه مسلم والترمذي.

«١» صححه العلامة الألباني كما في صحيح أبي داود (١٣١٦)، عن عقبه بن عامر رضي الله عنه.

«٢» صححه العلامة الألباني كما في صحيح الجامع (٤٤٠٦)، عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه.

«٣» أخرجه البخاري رقم (٢٣١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«٤» أخرجه مسلم رقم (٧٨٠) والترمذي (٢٨٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الحرز الخامس: قراءة خاتمة سورة البقرة فقد ثبت في الصحيح من حديث أبي موسى الأنصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفَّتَاهُ»^(١) رواه البخاري ومسلم، وفي الترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِي عَامٍ أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَلَا يُقْرَأُ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرُبُهَا شَيْطَانٌ»^(٢).

الحرز السادس: أول سورة (حم) المؤمن إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ مع آية الكرسي في الترمذي من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ قَرَأَ حَمَّ الْمُؤْمِنِ إِلَى إِلَيْهِ الْمَصِيرِ وَآيَةَ الْكَرْسِيِّ حِينَ يَصْبِحُ حَفِظَ بِهِمَا حَتَّى يَمْسِيَ وَمَنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يَمْسِي حَفِظَ بِهِمَا حَتَّى يَصْبِحَ»^(٣) ضعيف وعبد الرحمن المليكي وإن كان قد تكلم فيه من قبل حفظه، فالحديث له شواهد في قراءة آية الكرسي، وهو محتمل على غرابته.

الحرز السابع: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةِ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ

«١» أخرجه البخاري رقم (٥٠٠٩) ومسلم (٨٠٨) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

«٢» صححه العلامة الألباني في كتابه صحيح الجامع برقم (١٧٩٩).

«٣» انظر: ضعيف الترمذي (٥٤٤). وضعيف الجامع الصغير (٥٧٦٩) للإمام الألباني.

أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(١) فهذا حرز عظيم النفع جليل الفائدة يسير سهل على من يسره الله تعالى عليه.

الحرز الثامن: وهو من أنفع الحُرُوز من الشيطان - كثرة ذكر الله عز وجل، ففي الترمذي من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِذَا أَنْ يَأْمُرَهُمْ وَإِذَا أَنْ أَمَرَهُمْ.

فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى أَنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يَخْشَفَ بِي، أَوْ أَعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَاثْتِلَاءً وَقَعَدُوا عَلَى الشَّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِنْ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصٍ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟

وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ.

وَأَمَرَكَ بِالصَّيَامِ، فَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عَصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنْ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عَنِ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

«١» أخرجه البخاري رقم (٣٢٩٣) ومسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ فَقَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ.

وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ، فَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ.

قال النبي ﷺ: وَأَنَا أَمَرْتُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهَجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنْ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجَعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنَى جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ ^(١).

فقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أن العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله، وهذا بعينه هو الذي دلَّت عليه سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ^(١)، فإنه وصف الشيطان فيها بأنه الخناس، والخناس، الذي إذا ذكر العبد الله انخنس وتجمّع وانقبص، وإذا غفل عن ذكر الله التقم القلب، وألقى إليه الوسوس التي هي مبادئ الشر كله، فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل.

^(١) أخرجه أحمد: (٢٨/ ٤٠٤ رقم ١٧١٧٠)، والترمذي رقم (٢٨٦٣) وصححه العلامة الألباني في صحيح، المشكاة (٣٦٩٤) صحيح

الحرز التاسع: الوضوء والصلاة: وهذا من أعظم ما يتحرّز به منه، ولا سيّما عند ثوران قوّة الغضب والشهوة، فإنها نارٌ تغلي في قلب ابن آدم، كما في الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلَا وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَمَّا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ، فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصِقْ بِالْأَرْضِ»^(١). وفي أثر آخر: «إِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنْ نَارٍ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ»^(٢)، فما أطفأ العبدُ جمرة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة، فإنها نارٌ والوضوء يُطْفِئُهَا، والصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال فيها على الله أذهبت أثر ذلك كُلُّهُ، وهذا أمرٌ تجربته تُغني عن إقامة الدليل عليه.

الحرز العاشر: إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة، فإن فضول النظر يدعوه إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور إليه في القلب، والاشتغال به، والفكرة في الظفر به، فمبدأ الفتنة من فضول النظر، كما في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «النَّظَرُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سَهَامِ إِبْلِيسَ، فَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ لِلَّهِ أَوْرَثَهُ اللَّهُ حَلَاوَةً يَحِجُّهَا فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ»^(٣)، أو كما قال ﷺ. فالحوادث العظام إنما كُلُّهَا من فضول النظر، فكم نظرة أعقت حشرات لا حسرة، كما قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظَرِ * * وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

«١» ضعفه العلامة الألباني، في ضعيف الترغيب والترهيب (١٦٤١) وضعيف سنن الترمذي (٢١٩١).

«٢» ضعفه العلامة الألباني، في السلسلة الضعيفة (٥٨٢) وضعيف الجامع (١٥١٠).

«٣» قال الإمام الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١١٩٤) ضعيف جداً.

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها * فتك السهام بلا قوس ولا وتر
وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابا من الشر كلها مداخل للشيطان فإمساك
فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها وكم من حرب جرتها كلمة واحدة وقد قال
النبي ﷺ لمعاذ: « وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَيَّ مَنَاخِرُهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ »^(١).
وأكثر المعاصي إنما تولدها من فضول الكلام والنظر وهما أوسع مداخل الشيطان فإن
جارحتيهما لا يملأن ولا يسأمان.

وأما فضول الطعام، فهو داعٍ إلى أنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى
المعاصي، ويثقلها عن الطاعات، وحسبك بهذين شرا! فكم من معصية جلبها الشبع
وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وقى شر بطنه فقد وقى شرا عظيما.
وأما فضول المخالطة؛ فهي الداء العضال الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة
والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات، تزول
الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول، ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا
والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة، ويجعل الناس فيها
أربعة أقسام، متى خلط أحد الأقسام بالآخر، ولم يميز بينهما دخل عليه الشر:

أحدها: من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترك
الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعز من الكبريت

الأحمر، وهم العلماء بالله وأمره ومكايد عدوه، وأمراض القلوب وأدويتها، الناصحون لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولخلقه، فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كله.

القسم الثاني: مَنْ مخالطته كالدواء يُحتاج إليه عند المرض، فما دمت صحيحًا فلا حاجة لك في خلطته، وهم مَنْ لا يُستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها، فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من:

القسم الثالث: وهم مَنْ مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه، وقوته وضعفه، فمنهم من مخالطته كالداء العضال، والمرض المزمن، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا، ومع ذلك فلا بد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت مخالطته واتصلت فهي مرض الموت المخوف.

ومنهم: مَنْ مخالطته كوجع الضرس يشتدّ صرَبانه عليك، فإذا فارَقَكَ سكن الألم.

ومنهم: مَنْ مخالطته حُمى الروح وهو الثَّقیلُ البغيضُ العِثْلُ، الذي لا يُحسِنُ أن يتكلَّم فيفيدك، ولا يُحسِنُ أن يُنصتَ فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها، بل إن تكلم فكلامه كالعصيّ تنزل على قلوب السامعين، مع إعجابه بكلامه، وفرحه به، فهو يُحدِّث من فيه كلما تحدّث، ويظنُّ أنه مسكٌ يطيبُ به المجلس، وإن سكت فأثقل من نصف الرّحى العظيمة التي لا يُطاق حملها ولا جرّها على الأرض.

ويذكر عن الشافعي رحمّه الله أنه قال: ما جلّس إلى جانبي ثقیلاً إلا وجدتُ الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر.

ورأيت يوماً عند شيخنا-قدّس الله روحه- رجلاً من هذا الضرب، والشيخ يحتمله، وقد ضعفت القوى عن حمله، فالتفت إليّ وقال: مُجالسة الثقل حمى الرّبع، ثم قال: لكن قد أذمنت أرواحنا على الحمى، فصارت لها عادةً أو كما قال. وبالجملّة؛ فمخالطة كلّ مخالف حمى للروح فعرضيه ولازمة.

ومن نكد الدنيا على العبد أن يُبتلى بواحد من هذا الضرب، وليس له بُدّ من معاشرته ومخالطته، فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

القسم الرابع: من مخالطته الهلك كُله، ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإن اتفق لآكله ترياق، وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس -لا كثرهم الله- وهم أهل البدع والضلالة، والصّادون عن سنّة رسول الله ﷺ، الدّاعون إلى خلافها، الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، فيجعلون البدعة سنّة، والسُنّة بدعة، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً، إن جرّدت التوحيد بينهم قالوا: تنقّصت جناب الأولياء والصالحين، وإن جرّدت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين.

وإن وصفت الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا: أنت من المشبهين، وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر، قالوا: أنت من المُفْتَنِينَ. وإن اتبعت السُنّة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من أهل البدع المُضِلِّين. وإن انقطعت إلى الله تعالى وخلّيت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا: أنت من المُلبِّسين، وإن تركت ما أنت عليه، واتبعت أهواءهم فأنت عند الله تعالى من الخاسرين، وعندهم من المنافقين.

فالحزمُ كُلُّ الحزمِ التماسُ مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم، وأن لا تشتغل بإعتابهم ولا باستعتابهم، ولا تبالِ بدمهم ولا بغضهم، فإنه عينُ كَمَالِكَ، كما قال المتنبي:

وإذا أتتكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ * * فهي الشَّهَادَةُ لي بأني كاملُ

فمن كان بَوَّابَ قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصلُ بلاء العالم، وهي فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة، واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة التي تحرّزه من الشيطان؛ فقد أخذ بنصيبه من التوفيق، وسدَّ على نفسه أبواب جهنم، وفتح عليها أبواب الرحمة، وانعمر ظاهره وباطنه، ويوشكُ أن يحمدَ عند الممات عاقبة هذا الدواء، فعند الممات يحمدُ القومُ التقي وفي الصباح يحمدُ القومُ السري، والله الموفق لا ربَّ غيره، ولا إله سواه. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٢/ ٨٠٩-٨٢٥).

للهداية العامة والخاصة عشر مراتب

قال رحمه الله: مَرَاتِبُ الْهَدَايَةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، عَشْرُ مَرَاتِبٍ:

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: مَرْتَبَةُ تَكْلِيمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِعَبْدِهِ يَقْظَةً بِلاَ وَاسْطَةٍ، بَلْ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَهَذِهِ أَعْلَى مَرَاتِبِهَا، كَمَا كَلَّمَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤) فَذَكَرَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ وَحْيَهُ إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ خَصَّ مُوسَى مِنْ بَيْنِهِمْ بِالْإِخْبَارِ بِأَنَّهُ كَلَّمَهُ، وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ التَّكْلِيمَ الَّذِي حَصَلَ لَهُ أَخْصَصُ مِنْ مُطْلَقِ الْوَحْيِ الَّذِي ذَكَرَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ، ثُمَّ أَكَّدهُ بِالْمَصْدَرِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ كَلَّمَ وَهُوَ التَّكْلِيمُ رَفْعًا لِمَا يَتَوَهَّمُ الْمُعْطَلَّةُ وَالْجَهْمِيَّةُ

وَالْمُعْتَزَلَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَنَّهُ إِنْ هَامَ، أَوْ إِشَارَةُ، أَوْ تَعْرِيفٌ لِلْمَعْنَى النَّفْسِيَّةِ بِشَيْءٍ غَيْرِ التَّكْلِيمِ، فَأَكَّدَهُ بِالْمُصَدَّرِ الْمُفِيدِ تَحْقِيقَ النَّسَبَةِ وَرَفَعَ تَوْهُمَ الْمَجَازِ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: مَرْتَبَةُ الْوَحْيِ الْمُخْتَصِّ بِالْأَنْبِيَاءِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء:

١٦٣] وَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْقِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:

٥١] الْآيَةُ، فَجَعَلَ الْوَحْيَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قِسْمًا مِنْ أَقْسَامِ التَّكْلِيمِ، وَجَعَلَهُ فِي آيَةِ النَّسَاءِ قَسِيمًا لِلتَّكْلِيمِ، وَذَلِكَ بِاعْتِبَارَيْنِ، فَإِنَّهُ قَسِمُ التَّكْلِيمِ الْخَاصُّ الَّذِي هُوَ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَقِسْمُ مِنَ التَّكْلِيمِ الْعَامِّ الَّذِي هُوَ إِصْصَالُ الْمَعْنَى بِطَرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

وَالْوَحْيُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْإِعْلَامُ السَّرِيعُ الْخَفِيُّ، وَيُقَالُ فِي فِعْلِهِ: وَحَى، وَأَوْحَى، قَالَ رُوْبَةُ: وَحَى لَهَا الْقَرَارُ فَاسْتَقَرَّتْ، وَهُوَ أَقْسَامُ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: إِرْسَالُ الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ إِلَى الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ:

فَيُوحَى إِلَيْهِ عَنِ اللَّهِ مَا أَمَرَهُ أَنْ يُوصِّلَهُ إِلَيْهِ.

فَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ الثَّلَاثُ خَاصَّةٌ بِالْأَنْبِيَاءِ لَا تَكُونُ لِغَيْرِهِمْ.

ثُمَّ هَذَا الرَّسُولُ الْمَلَكِيُّ قَدْ يَتِمَثَّلُ لِلرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ رَجُلًا، يَرَاهُ عِيَانًا وَيُخَاطِبُهُ، وَقَدْ يَرَاهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، وَقَدْ يَدْخُلُ فِيهِ الْمَلَكُ، وَيُوحَى إِلَيْهِ مَا يُوحِيهِ، ثُمَّ يَنْصِبُ عَنْهُ، أَيْ يُقْلَعُ، وَالثَّلَاثَةُ حَصَلَتْ لِنَبِيِّنا ﷺ.

الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: مَرْتَبَةُ التَّحْدِيثِ:

وَهَذِهِ دُونَ مَرْتَبَةِ الْوَحْيِ الْخَاصِّ، وَتَكُونُ دُونَ مَرْتَبَةِ الصَّدِيقِينَ، كَمَا كَانَتْ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّهُ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»^(١).

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رحمته الله يَقُولُ: جَزَمَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا، وَعَلَّقَ وَجُودَهُمْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِ "إِنْ" الشَّرْطِيَّةِ، مَعَ أَنَّهَا أَفْضَلُ الْأُمَمِ، لِأَحْتِيَاجِ الْأُمَمِ قَبْلَنَا إِلَيْهِمْ، وَاسْتِغْنَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْهُمْ بِكَمَالِ نَبِيِّهَا وَرِسَالَتِهِ، فَلَمْ يُخْرِجِ اللَّهُ الْأُمَّةَ بَعْدَهُ إِلَى مُحَدِّثٍ وَلَا مُلْهِمٍ، وَلَا صَاحِبِ كَشْفٍ وَلَا مَنَامٍ، فَهَذَا التَّعْلِيقُ لِكَمَالِ الْأُمَّةِ وَاسْتِغْنَائِهَا لَا لِنَقْصِهَا.

وَالْمُحَدِّثُ: هُوَ الَّذِي يُحَدِّثُ فِي سِرِّهِ وَقَلْبِهِ بِالشَّيْءِ، فَيَكُونُ كَمَا يُحَدِّثُ بِهِ.

قَالَ شَيْخُنَا: وَالصَّدِيقُ أَكْمَلُ مِنَ الْمُحَدِّثِ، لِأَنَّهُ اسْتَعْنَى بِكَمَالِ صَدِيقَيْهِ وَمُتَابَعَتِهِ عَنِ التَّحْدِيثِ وَالْإِلْهَامِ وَالْكَشْفِ، فَإِنَّهُ قَدْ سَلَّمَ قَلْبُهُ كُلَّهُ وَسِرَّهُ وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ لِلرَّسُولِ، فَاسْتَعْنَى بِهِ عَمَّا مِنْهُ.

قَالَ: وَكَانَ هَذَا الْمُحَدِّثُ يَعْرِضُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، فَإِنْ وَافَقَهُ قَبْلَهُ، وَإِلَّا رَدَّهُ، فَعُلِمَ أَنَّ مَرْتَبَةَ الصَّدِيقِيَّةِ فَوْقَ مَرْتَبَةِ التَّحْدِيثِ.

قَالَ: وَأَمَّا مَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْخَيَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ: حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ رَبِّي، فَصَحِيحٌ أَنَّ قَلْبَهُ حَدَّثَهُ، وَلَكِنْ عَمَّنْ؟ عَنْ شَيْطَانِهِ، أَوْ عَنْ رَبِّهِ؟ فَإِذَا قَالَ: حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ

«١» رواه مسلم (٢٣٩٨) عن عائشة رضي الله عنها. وجاء في البخاري (٣٤٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

رَبِّي، كَانَ مُسْنِدًا الْحَدِيثِ إِلَى مَنْ لَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ حَدَّثَهُ بِهِ، وَذَلِكَ كَذِبٌ، قَالَ: وَمُحَدَّثُ الْأُمَّةِ لَمْ يَكُنْ يَقُولُ ذَلِكَ، وَلَا تَفَوَّهَ بِهِ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَقَدْ أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ، بَلْ كَتَبَ كَاتِبُهُ يَوْمًا: هَذَا مَا أَرَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: لَا، امْحُوهْ وَاكْتُبْ: هَذَا مَا رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ كَانَ صَوَابًا فَمِنْ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَطَأً فَمِنْ عُمَرَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرِيءٌ، وَقَالَ فِي الْكَلَالَةِ: أَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي، فَإِنْ يَكُنْ صَوَابًا فَمِنْ اللَّهِ، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنِّْي وَمِنْ الشَّيْطَانِ، فَهَذَا قَوْلُ الْمُحَدَّثِ بِشَهَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَنْتَ تَرَى الْإِتِّحَادِيَّ وَالْحُلُولِيَّ وَالْإِبَاحِيَّ الشُّطَّاحَ، وَالسَّمَاعِيَّ مُجَاهِرًا بِالْفَحْهَةِ وَالْفِرْيَةِ، يَقُولُ: " حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ رَبِّي " .

فَانْظُرْ إِلَى مَا بَيْنَ الْقَائِلِينَ وَالْمَرْتَبَتَيْنِ وَالْقَوْلَيْنِ وَالْحَالَيْنِ، وَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا تَجْعَلِ الزَّغَلَ وَالْخَالِصَ شَيْئًا وَاحِدًا.

الْمَرْتَبَةُ الْخَامِسَةُ: مَرْتَبَةُ الْإِفْهَامِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانٌ وَكُلًّا ءَايِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿[الأنبياء: ٧٨ - ٧٩] فَذَكَرَ هَذَيْنِ النَّبِيِّينَ الْكَرِيمَيْنِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا بِالْعِلْمِ وَالْحُكْمِ، وَخَصَّ سُلَيْمَانَ بِالْفَهْمِ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الْمُعَيَّنَةِ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ سُئِلَ: « هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ دُونَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِلَّا فَهَمَّا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَكَانَ فِيهَا الْعَقْلُ، وَهُوَ الدِّيَاتُ، وَفِكَاءُ الْأَسِيرِ،

وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ^(١)، وَفِي كِتَابِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه:
وَالْفَهْمُ الْفَهْمُ فِيمَا أُذِلِّي إِلَيْكَ، فَالْفَهْمُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ، وَنُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ،
يَعْرِفُ بِهِ، وَيُذْرِكُ مَا لَا يُذْرِكُهُ غَيْرُهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، فَيَفْهَمُ مِنَ النَّصِّ مَا لَا يَفْهَمُهُ غَيْرُهُ، مَعَ
اسْتَوَائِهِمَا فِي حِفْظِهِ، وَفَهْمِ أَصْلٍ مَعْنَاهُ.

فَالْفَهْمُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَنْوَانُ الصَّدِيقِيَّةِ، وَمَنْشُورُ الْوِلَايَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَفِيهِ تَفَاوَتٌ مَرَاتِبُ
الْعُلَمَاءِ، حَتَّى عُدَّ أَلْفُ بَوَاحِدٍ، فَانْظُرْ إِلَى فَهْمِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَقَدْ سَأَلَهُ عُمَرُ، وَمَنْ حَضَرَ
مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَغَيْرِهِمْ عَنْ سُورَةِ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وَمَا
خُصَّ بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ فَهْمِهِ مِنْهَا أَنَّهَا نَعِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهٗ إِلَى نَفْسِهِ وَإِعْلَامُهُ بِحُضُورِ
أَجَلِهِ، وَمُوَافَقَةُ عُمَرَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَخَفَائِهِ عَنْ غَيْرِهِمَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَابْنِ عَبَّاسٍ إِذْ ذَاكَ
أَحْدَثُهُمْ سِنًا، وَأَيْنَ تَجِدُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْإِعْلَامَ بِأَجَلِهِ، لَوْلَا الْفَهْمُ الْخَاصُّ؟ وَيَدِقُّ هَذَا
حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَرَاتِبَ تَقَاصَّرُ عَنْهَا أَفْهَامُ أَكْثَرِ النَّاسِ، فَيُحْتَاجُ مَعَ النَّصِّ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا
يَقَعُ الْإِسْتِغْنَاءُ بِالنُّصُوصِ فِي حَقِّهِ، وَأَمَّا فِي حَقِّ صَاحِبِ الْفَهْمِ فَلَا يُحْتَاجُ مَعَ النَّصُوصِ
إِلَى غَيْرِهَا.

الْمَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ: مَرْتَبَةُ الْبَيَانِ الْعَامِّ:

وَهُوَ تَبْيِينُ الْحَقِّ وَتَمْيِيزُهُ مِنَ الْبَاطِلِ بِأَدَلَّتِهِ وَشَوَاهِدِهِ وَأَعْلَامِهِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ مَشْهُودًا
لِلْقَلْبِ، كَشْهُودِ الْعَيْنِ لِلْمُرْتَبَاتِ.

وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ هِيَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، الَّتِي لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا وَلَا يُضِلُّهُ إِلَّا بَعْدَ وَصُولِهِ إِلَيْهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ اللَّهِ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] فَهَذَا الْإِضْلَالُ عُقُوبَةٌ مِنْهُ لَهُمْ، حِينَ بَيَّنَّ لَهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مَا بَيَّنَّهُ لَهُمْ، وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، فَعَاقِبَهُمْ بِأَنْ أَضَلَّهُمْ عَنِ الْهُدَى، وَمَا أَضَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ سِرَّ الْقَدَرِ، وَزَالَتْ عَنْكَ سُكُوكُ كَثِيرَةٍ، وَشُبُهَاتٌ فِي هَذَا الْبَابِ، وَعَلِمْتَ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي إِضْلَالِهِ مَنْ يُضِلُّهُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْقُرْآنُ يُصَرِّحُ بِهَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

فَالْأَوَّلُ: كُفْرُ عِنَادٍ، وَالثَّانِي: كُفْرُ طَبْعٍ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] فَعَاقِبَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ بِهِ حِينَ تَيَقَّنُوهُ وَتَحَقَّقُوهُ، بِأَنْ قَلَّبَ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ فَلَمْ يَهْتَدُوا لَهُ. فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ حَقَّ التَّأَمُّلِ، فَإِنَّهُ مَوْضِعٌ عَظِيمٌ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧] فَهَذَا هُدًى بَعْدَ الْبَيَانِ وَالِدَّلَالَةِ، وَهُوَ شَرْطٌ لَا مُوجِبَ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ هُدًى آخَرَ بَعْدَهُ لَمْ يَخْصُلْ بِهِ كَمَالُ الْإِهْتِدَاءِ، وَهُوَ هُدًى التَّوْفِيقِ وَالْإِلْهَامِ.

وَهَذَا الْبَيَانُ نَوْعَانِ: بَيَانٌ بِالْآيَاتِ الْمَسْمُوعَةِ الْمُتَلَوَّةِ، وَبَيَانٌ بِالْآيَاتِ الْمَشْهُودَةِ الْمَرئيةِ، وَكِلَاهُمَا أَدِلَّةٌ وَآيَاتٌ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَكَمَالِهِ، وَصِدْقِ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ

رُسِّلَهُ عَنْهُ، وَلِهَذَا يَدْعُو عِبَادَهُ بِآيَاتِهِ الْمَتْلُوءَةِ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُودَةِ وَيَحْضُهُمْ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ وَهَذِهِ، وَهَذَا الْبَيَانُ هُوَ الَّذِي بُعِثَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَجُعِلَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى الْعُلَمَاءِ بَعْدَهُمْ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٤] [إبراهيم: ٤] فَالرُّسُلُ تُبَيِّنُ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِعِزَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ.

الْمَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ: الْبَيَانُ الْخَاصُّ:

وَهُوَ الْبَيَانُ الْمُسْتَلَزِمُ لِلْهِدَايَةِ الْخَاصَّةِ، وَهُوَ بَيَانٌ تُقَارِنُهُ الْعِنَايَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْاجْتِبَاءُ، وَقَطْعُ أَسْبَابِ الْخِذْلَانِ وَمَوَادَّهَا عَنِ الْقَلْبِ، فَلَا تَتَخَلَّفُ عَنْهُ الْهِدَايَةُ الْبَتَّةَ، قَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧] وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] فَالْبَيَانُ الْأَوَّلُ شَرْطٌ، وَهَذَا مُوجِبٌ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّامِنَةُ: مَرْتَبَةُ الْإِسْمَاعِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [٢٣] [الأنفال: ٢٣] وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [١١] وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ [٢٠] وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ [٢١] وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ [٢٢] إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ [٢٣] [فاطر: ١٩٠ - ٢٣].

وَهَذَا السَّمَاعُ أَخْصُّ مِنْ إِسْمَاعِ الْحُجَّةِ وَالتَّبْلِيغِ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَاصِلٌ لَهُمْ، وَبِهِ قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، لَكِنَّ ذَلِكَ إِسْمَاعُ الْأَذَانِ، وَهَذَا إِسْمَاعُ الْقُلُوبِ، فَإِنَّ الْكَلَامَ لَهُ لَفْظٌ وَمَعْنَى، وَلَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْأُذُنِ وَالْقَلْبِ وَتَعَلَّقَ بِهِمَا، فَسَمَاعُ لَفْظِهِ حَظُّ الْأُذُنِ، وَسَمَاعُ حَقِيقَةِ مَعْنَاهُ وَمَقْصُودِهِ حَظُّ الْقَلْبِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ نَفَى عَنِ الْكُفَّارِ سَمَاعَ الْمَقْصُودِ وَالْمُرَادِ الَّذِي هُوَ حَظُّ الْقَلْبِ، وَاثْبَتَ لَهُمْ سَمَاعَ الْأَلْفَاظِ الَّذِي هُوَ حَظُّ الْأُذُنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ

ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ يُخَذِّبُ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٢ - ٣].

وَهَذَا السَّمَاعُ لَا يُفِيدُ السَّامِعَ إِلَّا قِيَامَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، أَوْ تُمْكِنَهُ مِنْهَا، وَأَمَّا مَقْصُودُ السَّمَاعِ وَثَمَرَتُهُ، وَالْمَطْلُوبُ مِنْهُ فَلَا يَحْصُلُ مَعَ لَهْوِ الْقَلْبِ وَغَفْلَتِهِ وَإِعْرَاضِهِ، بَلْ يَخْرُجُ السَّامِعُ قَائِلًا لِلْحَاضِرِ مَعَهُ: ﴿مَاذَا قَالَ إِنْفَاءً أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [محمد: ١٦].

وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ وَمَرْتَبَةِ الْإِفْهَامِ؛ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِوَاسِطَةِ الْأُذُنِ، وَمَرْتَبَةُ الْإِفْهَامِ أَعَمُّ، فَهِيَ أَخْصُّ مِنْ مَرْتَبَةِ الْفَهْمِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَمَرْتَبَةُ الْفَهْمِ أَخْصُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وَهِيَ أَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَعْنَى الْمُرَادِ وَلَوَازِمِهِ وَمُتَعَلِّقَاتِهِ وَإِشَارَاتِهِ، وَمَرْتَبَةُ السَّمَاعِ مَدَارُهَا عَلَى إِصَالِ الْمَقْصُودِ بِالْخِطَابِ إِلَى الْقَلْبِ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا السَّمَاعِ سَمَاعُ الْقَبُولِ.

فَهُوَ إِذْنٌ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: سَمَاعُ الْأُذُنِ، وَسَمَاعُ الْقَلْبِ، وَسَمَاعُ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ.

الْمَرْتَبَةُ التَّاسِعَةُ: مَرْتَبَةُ الْإِلَهَامِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ (٨) [الشمس: ٧ - ٨]
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحُصَيْنِ بْنِ مُنْذِرِ الْخَزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَسْلَمَ «قُلِ: اللَّهُمَّ الْهَمْنِي رُشْدِي،
وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي»^(١).

وَقَدْ جَعَلَ صَاحِبُ الْمَنَازِلِ الْإِلَهَامَ هُوَ مَقَامُ الْمُحَدِّثِينَ، قَالَ: وَهُوَ فَوْقَ مَقَامِ الْفِرَاسَةِ،
لِأَنَّ الْفِرَاسَةَ رُبَّمَا وَقَعَتْ نَادِرَةً، وَاسْتُصْعِبَتْ عَلَى صَاحِبِهَا وَقَتًا، أَوْ اسْتَعَصَتْ عَلَيْهِ،
وَالْإِلَهَامُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي مَقَامٍ عَتِيدٍ.

قُلْتُ: التَّحْدِيثُ أَحْصَى مِنَ الْإِلَهَامِ، فَإِنَّ الْإِلَهَامَ عَامٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ إِيْمَانِهِمْ فَكُلُّ
مُؤْمِنٍ فَقَدْ أَلْهَمَهُ اللَّهُ رُشْدَهُ الَّذِي حَصَلَ لَهُ بِهِ الْإِيْمَانُ، فَأَمَّا التَّحْدِيثُ فَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ فِيهِ
«إِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ فَعُمُرُ»^(٢) يَعْنِي مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، فَالتَّحْدِيثُ إِلَهَامٌ خَاصٌّ، وَهُوَ

الْوَحْيُ إِلَى غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ إِمَّا مِنَ الْمُكَلِّفِينَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ

﴾ [القصص: ٧] وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ۖ﴾ [المائدة:

١١١] وَإِمَّا مِنْ غَيْرِ الْمُكَلِّفِينَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا

وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۖ﴾ [النحل: ٦٨] فَهَذَا كُلُّهُ وَحْيٌ إِلَهَامٍ.

«١» ضعف العلامة الألباني في المشكاة (٢٤٧٦) وضعيف الجامع الصغير (٤٠٩٨).

«٢» رواه مسلم (٢٣٩٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وجاء في البخاري (٣٤٦٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا جَعْلُهُ فَوْقَ مَقَامِ الْفِرَاسَةِ فَقَدْ اِحتَجَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ الْفِرَاسَةَ رُبَّمَا وَقَعَتْ نَادِرَةً كَمَا تَقَدَّمَ، وَالنَّادِرُ لَا حُكْمَ لَهُ، وَرُبَّمَا اسْتَعَصَتْ عَلَى صَاحِبِهَا وَاسْتُصِيبَتْ عَلَيْهِ فَلَمْ تُطَاوِعْهُ، وَالْإِلَهَامُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي مَقَامٍ عَتِيدٍ، يَعْنِي فِي مَقَامِ الْقُرْبِ وَالْحُضُورِ. وَالتَّحْقِيقُ فِي هَذَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ " الْفِرَاسَةِ " وَ " الْإِلَهَامِ " يَنْقَسِمُ إِلَى عَامٍّ وَخَاصٍّ، وَخَاصُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَوْقَ عَامِّ الْآخَرِ، وَعَامُّ كُلِّ وَاحِدٍ قَدْ يَقَعُ كَثِيرًا، وَخَاصُّهُ قَدْ يَقَعُ نَادِرًا، وَلَكِنَّ الْفَرْقَ الصَّحِيحَ أَنَّ الْفِرَاسَةَ قَدْ تَعَلَّقَ بِنَوْعٍ كَسْبٍ وَتَحْصِيلٍ، وَأَمَّا الْإِلَهَامُ فَمَوْهَبَةٌ مُجَرَّدَةٌ، لَا تُنَالُ بِكَسْبِ الْبَتَّةِ.

الْمَرْتَبَةُ الْعَاشِرَةُ: مِنْ مَرَاتِبِ الْهَدَايَةِ: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ:

وَهِيَ مِنْ أَجْزَاءِ النَّبُوءَةِ كَمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»^(١).

وَقَدْ قِيلَ فِي سَبَبِ هَذَا التَّخْصِصِ الْمَذْكُورِ: إِنَّ أَوَّلَ مُبْتَدَأِ الْوَحْيِ كَانَ هُوَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، وَذَلِكَ نِصْفُ سَنَةٍ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى وَحْيِ الْيَقَظَةِ مُدَّةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، مِنْ حِينِ بُعِثَ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَنِسْبَةُ مُدَّةِ الْوَحْيِ فِي الْمَنَامِ مِنْ ذَلِكَ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا، وَهَذَا حَسَنٌ، لَوْلَا مَا جَاءَ فِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى الصَّحِيحَةِ «إِنَّهَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا»^(٢).

«١» رواه البخاري (٦٩٨٨) ومسلم (٢٢٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«٢» رواه مسلم (٢٢٦٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وَقَدْ قِيلَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا: إِنَّ ذَلِكَ بِحَسَبِ حَالِ الرَّائِي، فَإِنْ رُؤِيَ الصَّدِيقِينَ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ، وَرُؤِيَ عُمُومُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقَةِ مِنْ سَبْعِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالرُّؤْيَا مَبْدَأُ الْوَحْيِ، وَصَدَقَهَا بِحَسَبِ صِدْقِ الرَّائِي، وَأَصْدَقُ النَّاسِ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا، وَهِيَ عِنْدَ اقْتِرَابِ الزَّمَانِ لَا تَكَاذُ تُخْطِئُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، «وَذَلِكَ لِبُعْدِ الْعَهْدِ بِالنُّبُوَّةِ وَأَثَارِهَا، فَيَتَعَوَّضُ الْمُؤْمِنُونَ بِالرُّؤْيَا، وَأَمَّا فِي زَمَنِ قُوَّةِ نُورِ النُّبُوَّةِ فَنُورُ ظُهُورِ نُورِهَا وَقُوَّتُهُ مَا يُغْنِي عَنِ الرُّؤْيَا.

وَنَظِيرُ هَذَا الْكَرَامَاتُ الَّتِي ظَهَرَتْ بَعْدَ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهِمْ، لِاسْتِغْنَائِهِمْ عَنْهَا بِقُوَّةِ إِيْمَانِهِمْ، وَاحْتِيَاجِ مَنْ بَعْدَهُمْ إِلَيْهَا لِضَعْفِ إِيْمَانِهِمْ، وَقَدْ نَصَّ أَحْمَدُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قِيلَ: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تَرَى لَهُ»^(١) وَإِذَا تَوَاطَّاتُ رُؤْيَا الْمُسْلِمِينَ لَمْ تَكْذِبْ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ لَمَّا أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، قَالَ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَّاتُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَتَحَرِّبَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»^(٢).

«١» يشير إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما لمتقدم: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذِبْ تُكْذِبُ، رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

«٢» رواه البخاري (٦٩٩٠). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«٣» رواه البخاري (٢٠١٥) ومسلم (١١٦٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وَالرُّؤْيَا كَالْكَشْفِ، مِنْهَا رَحْمَانِي، وَمِنْهَا نَفْسَانِي، وَمِنْهَا شَيْطَانِي، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ
«الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: رُؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ الرَّجُلُ نَفْسَهُ
فِي الْيَقَظَةِ، فَيَرَاهُ فِي الْمَنَامِ»^(١).

وَالَّذِي هُوَ مِنْ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ: هُوَ الرُّؤْيَا الَّتِي مِنَ اللَّهِ خَاصَّةً.
وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَخِيٍّ، فَإِنَّهَا مَعْصُومَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَهَذَا بِاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ، وَلِهَذَا أَقْدَمَ
الْخَلِيلُ عَلَى ذَنْبِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِالرُّؤْيَا.
وَأَمَّا رُؤْيَا غَيْرِهِمْ فَتَعَرَّضَ عَلَى الْوَحْيِ الصَّرِيحِ، فَإِنْ وَافَقَتْهُ وَإِلَّا لَمْ يُعْمَلْ بِهَا.
فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَقُولُونَ إِذَا كَانَتْ رُؤْيَا صَادِقَةً، أَوْ تَوَاطَأَتْ؟

قُلْنَا: مَتَى كَانَتْ كَذَلِكَ اسْتَحَالَ مُخَالَفَتُهَا لِلْوَحْيِ، بَلْ لَا تَكُونُ إِلَّا مُطَابِقَةً لَهُ، مُنَبِّهَةً
عَلَيْهِ، أَوْ مُنَبِّهَةً عَلَى انْدِرَاجِ قَضِيَّةٍ خَاصَّةٍ فِي حُكْمِهِ، لَمْ يَعْرِفِ الرَّائِي انْدِرَاجَهَا فِيهِ، فَيَتَنَبَّهُ
بِالرُّؤْيَا عَلَى ذَلِكَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ تُصَدَّقَ رُؤْيَاهُ فَلْيَتَحَرَّ الصَّدَقَ وَأَكْلَ الْحَلَالِ، وَالْمُحَافَظَةَ
عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلْيَنْمَ عَلَى طَهَارَةٍ كَامِلَةٍ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَيَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنَاهُ،
فَإِنْ رُؤْيَاهُ لَا تَكَادُ تَكْذِبُ الْبَتَّةَ.

وَأَصْدَقُ الرُّؤْيَا: رُؤْيَا الْأَسْحَارِ، فَإِنَّهُ وَقْتُ النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ، وَاقْتِرَابِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ،
وَسُكُونِ الشَّيَاطِينِ، وَعَكْسُهُ رُؤْيَا الْعَتَمَةِ، عِنْدَ انْتِشَارِ الشَّيَاطِينِ وَالْأَرْوَاحِ الشَّيْطَانِيَّةِ.
وَلِذِكْرِ الرُّؤْيَا وَأَحْكَامِهَا وَتَفَاصِيلِهَا وَطُرُقِ تَأْوِيلِهَا مَظَانٌّ مَخْصُوصَةٌ بِهَا، يُخْرِجُنَا
ذِكْرُهَا عَنِ الْمَقْصُودِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٦٠-٧٦).

يندفع شرُّ الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ويندفع شرُّ الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب:

أحدها: التَّعَوُّذُ بالله تعالى من شرِّه، والتَّحَصُّنُ به، واللَّجَأُ إليه، وهو المقصود بهذه السورة^(١)، والله تعالى سميع لاستعاذته، عليمٌ بما يستعيذُ منه، والسمعُ هنا المرادُ به سَمْعُ الإجابة لا السمع العام، فهو مثل قوله: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». وقول الخليل **رَبِّ لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴿٣٩﴾ [إبراهيم: ٣٩]. ومَرَّةً يقرئُ بالعلم، ومَرَّةً بالبصر، لاقتضاء حال المستعيذ ذلك، فإنه يستعيذ بربه من عدوٍّ يعلم أن الله تعالى يراه، ويعلم كيده وشرِّه، فأخبر الله تعالى هذا المستعيذ أنه سميع لاستعاذته، أي: مجيب عليمٌ بكيد عدوِّه يراه ويُبصره لينبسطَ أملُ المستعيذ ويُقبَلَ قلبه على الدعاء.

وتأملُ حكمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ: (السميع العليم) في (الأعراف) و (حم السجدة)، وجاءت الاستعاذة من شرِّ الإنس الذين يؤنسُون ويروُن بالأبصار بلفظ: (السميع البصير) في سورة (حم المؤمن) فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٥٦﴾ [غافر: ٥٦]؛ لأن أفعال هؤلاء أفعال مُعَايَنَةٍ تُرى بالبصر.

وأما نزع الشيطان؛ فوساوس وخطرات يُلقِيها في القلب، يتعلّق بها العلم، فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يُرى بالبصر ويُدرَك بالرؤية، والله أعلم.

السبب الثاني: تقوى الله وحفظه عند أمره ونفيه، فمن أتقى الله تولى الله حفظه، ولم يكلِّه إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَأِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠] وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِذْهُ تَجَاهَكَ»^(١)، فمن حفظ الله حفظه الله ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف ومن يحذر؟.

السبب الثالث: الصبر على عدوه، وأن لا يقابله ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً، فما نُصِرَ على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله، ولا يستطل تأخيرُه وبغيه، فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جنذاً وقوةً للمبغى عليه المحسود، يقا تل به الباغي نفسه وهو لا يشعر، فبغيه سهامٌ يرميها من نفسه إلى نفسه، ولو رأى المبغى عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي دون آخره ومآله، وقد قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصَرَّهُ اللَّهُ

﴾ [الحج: ٦٠] فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولاً، فكيف بمن لم يستوف شيئاً من حقه؟ بل بُغِيَ عليه وهو صابر!؟ وما من الذنوب ذنبٌ أسرع عقوبةً

«١» رواه أحمد والترمذي، وصححه العلامة الألباني في صحيح، المشكاة (٥٣٠٢)، ظلال الجنة (٣١٦ - ٣١٨).

من البغي وقطيعة الرَّحِم، وقد سبقت سُنَّةُ الله: أنه لو بَغَى جَبَلٌ على جَبَلٍ جَعَلَ البَاغِيَ منهما دَكًّا.

السبب الرابع: التوكل على الله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يُطِيقُ من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حَسْبُهُ، أي: كافيه، ومن كان الله كافيَهُ وواقِيَهُ، فلا.

مطمع فيه لعدوه، ولا يضرُّه إلا أذى لا بدَّ منه؛ كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضرُّه بما يبلغُ منه مراده؛ فلا يكون أبدًا، وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاءً له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يُشَفِّى به منه.

قال بعض السلف: جعل الله -تعالى- لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ولم يقل: نُؤْتِيهِ كَذَا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله تعالى حقَّ توكلِهِ، وكادته السموات والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجاً من ذلك، وكفاه ونصره.

السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه في باله كما خطر له فلا يَلْتَفِتَ إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شرِّه، فإن هذا بمنزلة من يطلبُهُ عدُوُّه لِيُمْسِكَهُ

ويؤذيه، فإذا لم يتعرّض له ولا تماسك هو وإيَّاه، بل انعزل عنه لم يقدر عليه، فإذا تماسكا وتعلّق كل منهما بصاحبه حصل الشرُّ.

وهكذا الأرواحُ سواءً، فإذا علّق روحه به وشبّثها به، وروح الحاسد الباغي متعلّقة به يقظةً ومناماً لا يفتّر عنه، وهو: يتمنى أن يتماسك الرُّوحان ويتشبّثا، فإذا تعلّقت كلّ روح منهما بالأخرى عُدِمَ القرار ودام الشرُّ حتى: يهلك أحدهما.

فإذا جَبَذَ روحه عنه، وصانها عن الفكر فيه والتعلّق به، وأن يُخْطِرَه بباله، فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر، والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به، بقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضاً، فإن الحسد كالنار، فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضاً.

وهذا باب عظيم النفع، لا يلقاه إلا أصحابُ النفوس الشريفة والهمم العليّة، وبين الكيس الفطن وبينه حتى يذوق حلاوته وطيبه ونعيمه، كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والرُّوح اشتغاله بعدوه وتعلّق روحه به، ولا يرى شيئاً ألَمَ لروحه من ذلك، ولا يصدّق بهذا إلا النفوسُ المطمئنة: الوادعة اللّينة التي رضىت بوكالة الله لها، وعلمت أن نصره لها خيرٌ من انتصارها هي لنفسها، فوثقت بالله وسكنت إليه واطمأنت به، وعلمت أن ضمانه حقٌّ ووعدُه صدقٌ، وأنه لا أوفى بعهدِه من الله، ولا أصدق منه قِيلاً، فعلمت أن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها، أو نصر مخلوقٍ مثلها لها، ولا يقوى على هذا إلا بـ:

السبب السادس: وهو الإقبال على الله والإخلاص له وجعل محبته وترضيه والإنابة إليه في محلّ خواطر نفسه وأمانيتها، تدبّ فيها دبيب تلك الخواطر شيئاً فشيئاً حتى يقهرها

ويغمرها ويذهبها بالكلية، فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلها في محابِّ الرّبِّ والتّقرب إليه، وتملّقه وترّضيه واستعطافه وذكره، كما يذكر المحبُّ التّأمّ المحبة لمحبوبه المحسن إليه الذي قد امتلأت جوانحه من حبه، فلا يستطيع قلبه انصرافاً عن ذكره، ولا روحه انصرافاً عن محبّته، فإذا صار كذلك فكيف يرضى لنفسه أن يجعل بيت أفكاره وقلبه معموراً بالفكر في حاسده والباغي عليه، والطريق إلى الانتقام منه والتدبير عليه؟ هذا ما لا يتّسع له إلا قلبٌ خرابٌ لم تسكن فيه محبة الله وإجلاله وطلب مرضاته؛ بل إذا مسّه طيفٌ من ذلك واجتاز ببابه من خارج ناداه حرس قلبه: إياك وحِمى المَلِك، اذهب إلى بيوت الخانات التي كل من جاء حلّ فيها ونزل بها، مالك وليت السلطان الذي أقام عليه اليَزَك وأدار عليه الحرس وأحاطه بالسور.

قال تعالى حكاية عن عدوه إبليس أنه قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣] قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ [النحل: ٩٩ - ١٠٠]، وقال في حق الصديق يوسف عليه السلام: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٢٤) [يوسف: ٢٤].

فما أعظم سعادة مَنْ دخل هذا الحصن وصار داخل اليَزَك، لقد أوى إلى حصن لا خوف على مَنْ تحصّن به، ولا ضيعة على مَنْ أوى إليه، ولا مَطْمَع للعدو في الدُّنُو منه

و ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤) [الجمعة: ٤].

السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سَلَطَ عليه أعداءه، فإن الله: تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال لخير الخلق -وهم أصحاب نبيه- ﷺ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مِّصْبِيَّةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] فما سُلِّطَ على العبد مَنْ يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبدُ من ذنوبه أضعافُ ما يعلمه منها، وما ينساهُ مما عمله وعلمه أضعاف ما يذكره.

وفي الدعاء المشهور: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»، فما يحتاج العبدُ إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعافُ أضعافِ ما يعلمه، فما سُلِّطَ عليه مؤذٍ إلا بذنبٍ.

ولقي بعض السلفِ رجلٌ فأغلظَ له ونال منه، فقال له: قِفْ حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك، فدخل فسجد لله وتضرّع إليه، وتابَ وأنابَ إلى ربِّه، ثم خرج إليه فقال له: ما صنعتَ؟ فقال: تبتُ إلى الله من الذنبِ الذي سَلَطَكَ به عَلَيَّ.

وسنذكر إن شاء الله تعالى أنه ليس في الوجود شرٌّ من الذنوبِ ومُوجباتها، فإذا عُوِيَ من الذنوبِ عُوِيَ من مُوجباتها، فليس للعبد إذا بُغِيَ عليه وأُوذِيَ، وتسَلَّطَ عليه خصومه شيءٌ أنفع له من التوبة النصوح، وعلامة سعادته: أن يعكسَ فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه، فيشتغل بها وبإصلاحها وبالتوبة منها، فلا يبقى فيه فراغٌ لتدبُّر ما نزل به، بل يتولَّى هو التوبة وإصلاح عيوبه، والله يتولَّى نُصْرَتَهُ وحفظه والدفع عنه ولا بُدَّ، فما

أسعده من عبده، وما أبركها من نازلة نزلت به، وما أحسن أثرها عليه ولكن التوفيق والرشد بيد الله لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فما كلُّ أحدٍ يُوَفَّقُ لهذا، لا معرفة به، ولا إرادة له، ولا قُدْرَة عليه، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإنَّ لذلك تأثيراً عجباً في دفع البلاء، ودفع العين، وشرِّ الحاسد، ولو لم يكن في هذا إلا تجاربُ الأمم قديماً وحديثاً لكفى به، فما يكادُ العينُ والحسد والأذى يتسلَّطُ على محسنٍ متصدِّقٍ، وإن أصابه في شيءٍ ذلك كان معاملاً فيه باللطفِ والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة.

فالمحسنُ المتصدِّقُ في خفارة إحسانه وصدَّقته، عليه من الله جنةٌ واقيةٌ وحِصْنٌ حصينٌ، وبالجملة؛ فالشكرُ حارسُ النعمة من كلِّ ما يكون سبباً لزلوالها.

ومن أقوى الأسبابِ حَسَدُ الحاسدِ والعائن، فإنه لا يفتُر ولا يني ولا يبرُدُ قلبه حتى تزولَ النعمةُ عن المحسود، فحينئذ يبرُدُ أنيُّه وتنطفئُ ناره - لا أطفأها الله - فما حرس العيْدُ نعمة الله تعالى عليه بمثل شكرها، ولا عرَّضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله وهو كُفْرانُ النعمة، وهو باب إلى كُفْرانِ المنعم.

فالمحسنُ المتصدِّقُ يستخدمُ جنداً وعسكراً يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه، فمن لم يكن له جنْدٌ ولا عسكْرٌ وله عدُوٌّ فإنه يوشِكُ أن يظْفَرَ به عدُوُّه، وإن تأخرت مدَّةُ الظَّفَرِ، والله المستعان.

السبب التاسع: - وهو من أصعب الأسبابِ على النفس، وأشَقُّها عليها، ولا يوفَّقُ له إلا من عَظَّمَ حظَّه من الله - وهو: إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه،

فكلما ازداد أذى وشرًا وبغيًا وحسدًا ازدادت إليه إحسانًا وله نصيحةٌ وعليه شفقة، وما أظنك تصدق بأن هذا يكون: فضلًا عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥ ﴿وَمَا يَزْنَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٦]، وقال: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٥٤﴾ [القصص: ٥٤].

وتأمل حال النبي ﷺ الذي حكى عنه نبينا ﷺ أنه ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يسأل الدَّم عنه، ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقاماتٍ من الإحسان، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه: أحدها: عفوهم عنهم.

والثاني: استغفاره لهم.

الثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون.

الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، فقال: "اغْفِرْ لِقَوْمِي"، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي، هذا غلامي، هذا صاحبي فهبه لي.

واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس ويطيئه لها وينعمها به: اعلم أن لك ذنوبًا بينك وبين الله تخاف عواقبها وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك، ومع هذا لا

يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى ينعم عليك ويكرمك ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤملُّه، فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك، فما أولاك وأجدركَ أن تعامل به خلقه وتقابل به إساءتهم، ليعاملك الله هذه المعاملة، فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاً، فانتقم بعد ذلك أو اعفُ، وأحسن أو اترك، فكما تدين تُدان، وكما تفعل مع عباده يُفعل معك.

فمن تصوّر هذا المعنى وشغل به فكره، وإن عليه الإحسان إلى من أساء إليه، هذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعونته ومعيته الخاصة، كما قال النبي ﷺ للذي شكى إليه قرابته وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه، فقال: « لا يزال معك من الله ظهيرٌ ما دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ »، هذا مع ما يتعجلُّه من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلهم معه علي خصمه، فإن كل من سمع أنه يحسن إلى ذلك الغير وهو مُسيءٌ إليه، وجد قلبه ودعائه وهمته مع المحسن على المسيء، وذلك أمرٌ فطريٌّ فطر الله عليه عباده، فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكراً لا يعرفهم ولا يعرفونه، وألا يريدون منه إقطاعاً ولا خبزاً، هذا مع أنه لا بُدَّ له مع عدوه وحاسده من إحدى حالتين: إما أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويدل له ويبقى من أحب الناس إليه، وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه، فإنه يُذيقه بإحسانه أضعافاً ما ينال منه بانتقامه، ومن جرّب هذا عرفه حق المعرفة،

والله هو الموفق المعين، بيده الخير كله، لا إله غيره، وهو المسؤول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمنه وكرمه.

وفي الجملة؛ ففي: هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مئة منفعة للعبد عاجلة وآجلة، سنذكرها في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

السبب العاشر: - وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب - وهو: تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم.

والعلم بأن هذه آلات بمنزلة حركات الرياح، وهي بيد محرّكها وفاطرها وبارئها، ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، فهو الذي يمسّ عبده بها، وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد

سواه، قال تعالى: ﴿وَأَن يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضِرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُدْرِكَ يَخِيرَ فَلَا

رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضرّوك إلا بشيء كتبه الله عليك»، فإذا جرّد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوّه أهون عليه عن أن يخافه مع الله تعالى، بل يفرّد الله بالمخافة، وقد أمّنه منه، وخرج عن قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه، وتجرّد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلًا واشتغاله به عن غيره، فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوّه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جرّد توحيده لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولّى حفظه والدفع عنه، فإن الله

يدفع عن الذين آمنوا، فإن كان مؤمناً فالله يدفع عنه ولا بُدَّ، وبحسب إيمانه يكون دفاعُ الله عنه، فإن كَمَلَ إيمانهُ كان دفعُ الله عنه أتمَّ دفعٍ، وإن مَزَجَ مُزَجَ له، وإن كان مرّةً ومرّةً فالله له مرّةً ومرّةً، كما قال بعضُ السلف: من أقبل على الله بكُلِّيَّته أقبل الله عليه جملةً، ومن أعرض عن الله بكُلِّيَّته أعرض الله عنه جملةً، ومن كان مرّةً ومرّةً فالله له مرّةً ومرّةً.

فالتوحيد حصنُ الله الأعظم، الذي من دخله كان من الأمنين، قال بعضُ السلف: من خاف الله خافه كلُّ شيء، ومن لم يخفِ الله أخافه من كلِّ شيء.

فهذه عشرة أسباب يندفع بها شرُّ الحاسد والعائن والساحر، وليس له أنفعُ من التَّوجُّهِ إلى الله وإقباله عليه وتوكُّله عليه وثقته به وأن لا يخاف معه غيره، بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه، بل يرجوه وحده فلا يعلق قلبه بغيره، ولا يستغيثُ بسواه، ولا يرجو إلا إياه ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وُكِلَ إليه وخُذِلَ من جهته، فمن: خاف شيئاً غير الله سُلِّطَ عليه، ومن رجا شيئاً سوى الله خُذِلَ من جهته وحُرِمَ خَيْرُهُ، هذه سُنَّةُ

الله في خلقه: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٢/ ٧٦٤) - (٧٧٦).

الذكر في القرآن على عشرة أوجه

قال رحمه الله: أوجه الذكر في القرآن على عشرة أوجه:

الأوّل: الأمرُ به مُطلقاً ومقيّداً.

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان.

الثالث: تعليقُ الفلاحِ باستدامته وكثرته.

الرابع: الشّاء على أهله والإخبار بما أعدَّ الله لهم من الجنة والمغفرة.

الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه غيره.

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له.

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء.

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها.

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم.

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها، فمتى عُدته كانت كالجسد

بلا روح. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٣٩٧).

فصل في تفصيل ذلك:

١ - أمّا الأول: فكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأَصِيلًا ۚ﴾ (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملكه، ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان

بالمؤمنين رحيمًا ۚ﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذَرَيْنَاكَ فِي نَفْسِكَ

تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ۖ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وفيه قولان، أحدهما: في سرك وقلبك، والثاني: بلسانك بحيث تسمع نفسك.

٢ - وأمّا النهي عن ضده: فكقوله: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ۖ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۖ﴾ [الحشر: ١٩].

٣ - وأمّا تعليق الفلاح بالكثرة منه: فكقوله: ﴿وَإِذْ ذَرَيْنَاكَ كَثِيرًا ۖ﴾ (١٠)

[الجمعة: ١٠].

٤ - وَأَمَّا الثَّنَاءُ عَلَى أَهْلِهِ وَحُسْنُ جَزَائِهِمْ: فَكَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾

[الأحزاب: ٣٥] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً

وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٥ - وَأَمَّا خُسْرَانُ مَنْ لَهَا عَنْهُ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلَهِكُهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا

أَوْلَادَهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ٩].

٦ - وَأَمَّا جَعْلُ ذِكْرِهِ لَهُمْ جَزَاءً لِيَذْكُرَهُمْ لَهُ فَكَقَوْلِهِ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا

تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

٧ - وَأَمَّا الإِخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ

الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ

﴾ [العنكبوت: ٤٥] وَفِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالطَّاعَاتِ

كُلُّهَا: إِقَامَةُ ذِكْرِهِ فَهُوَ سِرُّ الطَّاعَاتِ وَرُوحُهَا.

الثَّانِي: أَنَّ الْمَعْنَى: أَنَّكُمْ إِذَا ذَكَّرْتُمُوهُ ذَكَّرْكُمْ فَكَانَ ذِكْرُهُ لَكُمْ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ لَهُ. فَعَلَى

هَذَا: الْمَصْدَرُ مُضَافٌ إِلَى الْفَاعِلِ، وَعَلَى الْأَوَّلِ: مُضَافٌ إِلَى الْمَذْكُورِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْمَعْنَى: وَلِذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَبْقَى مَعَهُ فَاحِشَةٌ وَمُنْكَرٌ، بَلْ إِذَا تَمَّ الذِّكْرُ:

مَحَقَّ كُلَّ خَطِيئَةٍ وَمَعْصِيَةٍ. هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ: مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ فِي الصَّلَاةِ فَائِدَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا: نَهْيُهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَالثَّانِيَةُ: اسْتِمَالُهَا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَتَضَمُّنِهَا لَهُ وَلَمَّا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ نَهْيِهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

٨ - وَأَمَّا خَتَمُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِهِ: فَكَمَا خَتَمَ بِهِ عَمَلُ الصَّيَامِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا

الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَخَتَمَ بِهِ الْحَجُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْتَسِكُكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ

ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وَخَتَمَ بِهِ الصَّلَاةُ كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَقَعُوا وَعَلَى

جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] وَخَتَمَ بِهِ الْجُمُعَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا

فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وَلِهَذَا كَانَ خَاتِمَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِذَا كَانَ آخِرَ كَلَامِ الْعَبْدِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ

٩ - وَأَمَّا اخْتِصَاصُ الذَّاكِرِينَ بِالْإِنْتِفَاعِ بِآيَاتِهِ وَهُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ وَالْعُقُولِ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الَّذِينَ

يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَقَعُوا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

١٠ - وَأَمَّا مُصَاحَبَتُهُ لِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَاقْتِرَانُهُ بِهَا وَأَنَّهُ رُوحُهَا: فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ قَرَنَهُ بِالصَّلَاةِ

كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] وَقَرَنَهُ بِالصَّيَامِ وَبِالْحَجِّ وَمَنَاسِكَهِ، بَلْ

هُوَ رُوحُ الْحَجِّ وَلُبُّهُ وَمَقْصُودُهُ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمَى الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١).

وَقَرَنَهُ بِالْجِهَادِ وَأَمَرَ بِذِكْرِهِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْأَقْرَانِ وَمُكَافَحَةِ الْأَعْدَاءِ فَقَالَ تَعَالَى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾
[الأنفال: ٤٥] وَفِي أَثَرِ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ عَبْدِي - كُلَّ عَبْدِي - الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ.

سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - يَسْتَشْهِدُ بِهِ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:
الْمُحِبُّونَ يَفْتَخِرُونَ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّونَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ، كَمَا قَالَ عَنَتْرَةُ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحُ كَانَهَا * * أَشْطَانُ بِئْرِ فِي لُبَانِ الْأَذْهَمِ
وَقَالَ الْآخَرُ:

ذَكَرْتُكَ وَالْخَطِيئُ يَخْطُرُ بَيْنَنَا * * وَقَدْ نَهَلْتُ مِنَّا الْمُتَقَفَّةُ السُّمُرُ
قَالَ آخَرُ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحُ شَوَاجِرُ * * تَحْوِي وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ وَهُوَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ الْمَحَبَّةِ. فَإِنَّ ذِكْرَ الْمُحِبِّ مَحْبُوبُهُ فِي
تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي لَا يَهُمُّ الْمَرْءُ فِيهَا غَيْرَ نَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ أَوْ أَعَزُّ مِنْهَا،
وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ الْمَحَبَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٩٦ - ٤٠٠).

(١) رواه الترمذي وغيره، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢٠٥٦)، المشكاة (٢٦٢٤)، ضعيف سنن الترمذي (١٥٤).

الأسباب الجالبة للمحبة عشرة

قال رحمه الله: في الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها وهي عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرعه. ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. فإنها توصله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال. فنصيته من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنى إلى محابه، وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها. وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديهها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبه لا محالة. ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة. فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى. وليس في التغيير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه. ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطيب ثمرات كلامهم كما يتتقى أطيب الثمر. ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مبادعة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل. فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المحبون إلى منازل المحبة. ودخلوا على الحبيب. وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة. وبالله التوفيق. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١٨).

للمحبة عشر مراتب

قال رحمه الله: في مراتب المحبة:

أولها: العلاقة، وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحجوب. قال الشاعر:

علاقة أم الوليد بعيد ما * أفنان رأسك كالثغام المخلص

الثانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوه وطلبه له.

الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إليه. بحيث لا يملكه صاحبه. كأنصباب الماء في الحذور. فاسم الصفة منها صب والفعل صبا إليه يصبو صبا، وصبابة، فعاقبوا بين المضاعف والمعتل، وجعلوا الفعل من المعتل والصفة من المضاعف. ويقال: صبا وصبوة، وصبابة. فالصبا: أصل الميل. والصبوة: فوقه، والصبابة: الميل اللازم. وأنصباب القلب بكلية.

الرابعة: الغرام وهو الحب اللازم للقلب، الذي لا يفارقه. بل يلزمه كملازمة الغريم لغريمه. ومنه سمي عذاب النار غراماً للزوميه لأهله. وعدم مفارقتيه لهم. قال تعالى: ﴿

إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۖ ﴾ [الفرقان: ٦٥].

الخامسة: الوداد وهو صفو المحبة، مراتبها عشرة وخالصها ولبها، والودود من أسماء الرب تعالى. وفيه قولان:

أحدهما: أنه المودود. قال البخاري رحمه الله في صحيحه: الودود الحبيب. والثاني: أنه الواد لعباده. أي المحب لهم. وقرنه باسمه الغفور إعلالاً بأنه يغفر الذنب، ويحب التائب منه، ويودّه. فحظ التائب: نيل المغفرة منه.

وعلى القول الأول " الودود " في معنى يكون سر الإقتران. أي اقتران " الودود بالغفور " استدعاء مودة العباد له، ومحبتهم إياه باسم الغفور.

السادسة: الشغف يقال: شغف بكذا. فهو مشغوف به. وقد شغفه المحبوب. أي وصل حبه إلى شغاف قلبه. كما قال النسوة عن امرأة العزيز: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ [يوسف: ٣٠] وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الحب المستولي على القلب، بحيث يحجبه عن غيره. قال الكلبي: حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه.

الثاني: الحب الواصل إلى داخل القلب. قال صاحب هذا القول: المعنى أحبته حتى دخل حبه شغاف قلبها، أي داخله.

الثالث: أَنَّهُ الْحُبُّ الْوَاصِلُ إِلَى غِشَاءِ الْقَلْبِ. وَالشَّغَافُ غِشَاءُ الْقَلْبِ إِذَا وَصَلَ الْحُبُّ إِلَيْهِ بَاشَرَ الْقَلْبَ. قَالَ السُّدِّيُّ: الشَّغَافُ جِلْدَةٌ رَقِيقَةٌ عَلَى الْقَلْبِ. يَقُولُ: دَخَلَهُ الْحُبُّ حَتَّى أَصَابَ الْقَلْبَ.

وَقَرَأَ بَعْضُ السَّلَفِ " شَعَفَهَا " بِالْعَيْنِ الْمُهِمْلَةِ. وَمَعْنَاهُ: ذَهَبَ الْحُبُّ بِهَا كُلَّ مَذْهَبٍ. وَبَلَغَ بِهَا أَعْلَى مَرَاتِبِهِ، وَمِنْهُ: شَعَفُ الْجِبَالِ، لِرُءُوسِهَا.

السَّابِعَةُ: الْعِشْقُ وَهُوَ الْحُبُّ الْمُفْرِطُ الَّذِي يُخَافُ عَلَى صَاحِبِهِ مِنْهُ. وَعَلَيْهِ تَأَوَّلَ إِبْرَاهِيمُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ﴿وَلَا تُحْمَلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ مُحَمَّدٌ: هُوَ الْعِشْقُ.

وَرَفَعَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما شَابٌّ وَهُوَ يَعْرِفُهُ قَدْ صَارَ كَالْخَلَالِ. فَقَالَ: مَا بِهِ؟ قَالُوا: الْعِشْقُ. فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَامَّةَ دُعَائِهِ بِعَرَفَةِ: الْإِسْتِعَاذَةَ مِنَ الْعِشْقِ. وَفِي اسْتِثْقَائِهِ قَوْلَانِ. أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مِنَ الْعِشْقَةِ - مُحَرَّكَةً - وَهِيَ نَبْتُ أَصْفَرٍ يَلْتَوِي عَلَى الشَّجَرِ، فَشَبَّ بِهِ الْعَاشِقُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ مِنَ الْإِفْرَاطِ. وَعَلَى الْقَوْلَيْنِ: فَلَا يُوصَفُ بِهِ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَا الْعَبْدُ فِي مَحَبَّةِ رَبِّهِ. وَإِنْ أَطْلَقَهُ سَكَرَانٌ مِنَ الْمَحَبَّةِ قَدْ أَفْنَاهُ الْحُبُّ عَنْ تَمْيِيزِهِ. كَانَ فِي خِفَارَةِ صِدْقِهِ وَمَحَبَّتِهِ.

الثَّامِنَةُ: التَّيِّمُ وَهُوَ التَّعَبُّدُ، وَالتَّدَلُّلُ. يُقَالُ: تَيَّمَهُ الْحُبُّ أَيَّ ذَلَّلَهُ وَعَبَّدَهُ. وَتَيَّمُ اللَّهُ: عَبْدُ اللَّهِ. وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّيِّمِ - الَّذِي هُوَ الْإِنْفِرَادُ - تَلَاقٌ فِي الْإِسْتِثْقَاقِ الْأَوْسَطِ، وَتَنَاسُبٌ فِي

الْمَعْنَى. فَإِنَّ الْمُتَيَّمَّ الْمُنْفَرِدَ بِحُبِّهِ وَشَجْوِهِ. كَانْفِرَادِ الْيَتِيمِ بِنَفْسِهِ عَنْ أَبِيهِ، وَكُلُّ مِنْهُمَا مَكْسُورٌ ذَلِيلٌ. هَذَا كَسْرُهُ يَتِيمٌ. وَهَذَا كَسْرُهُ تَيِّمٌ.

التَّاسِعَةُ: التَّعَبُّدُ وَهُوَ فَوْقَ التَّيِّمِ. فَإِنَّ الْعَبْدَ هُوَ الَّذِي قَدْ مَلَكَ الْمَحْبُوبُ رِقَّةً فَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ نَفْسِهِ أَلْبَتَّةَ. بَلْ كُلُّهُ عَبْدٌ لِمَحْبُوبِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ. وَمَنْ كَمَلَ ذَلِكَ فَقَدْ كَمَلَ مَرْتَبَتَهَا.

وَلَمَّا كَمَلَ سَيِّدٌ وَلَدَ آدَمَ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ: وَصَفَهُ اللَّهُ بِهَا فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ. مَقَامِ الْإِسْرَاءِ، كَقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] وَمَقَامِ الدَّعْوَةِ. كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ

عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] وَمَقَامِ التَّحْدِي كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] وَبِذَلِكَ اسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ عَلَى الْخَلَائِقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَكَذَلِكَ يَقُولُ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُمْ، إِذَا طَلَبُوا مِنْهُ الشَّفَاعَةَ - بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، عَبْدٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ »^(١). سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - يَقُولُ: فَحَصَلَتْ لَهُ تِلْكَ الْمَرْتَبَةُ بِتَكْمِيلِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَكَمَالِ مَغْفِرَةِ اللَّهِ لَهُ.

وَحَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ: الْحُبُّ التَّامُّ، مَعَ الذُّلِّ التَّامِّ وَالْخُضُوعِ لِلْمَحْبُوبِ. تَقُولُ الْعَرَبُ طَرِيقُ مُعَبَّدٍ أَيْ قَدْ ذَلَّلْتَهُ الْأَقْدَامُ وَسَهَّلْتَهُ.

الْعَاشِرَةُ: مَرْتَبَةُ الْخُلَّةِ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا الْخَلِيلَانِ - إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ - كَمَا صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»^(١).
وَقَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا. وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ»^(٢). وَالْحَدِيثَانِ فِي الصَّحِيحِ.
وَهُمَا يُطْلَقَانِ قَوْلَ مَنْ قَالَ: الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ. وَالْمَحَبَّةُ لِمُحَمَّدٍ.
وَالْخُلَّةُ هِيَ الْمَحَبَّةُ الَّتِي تَخَلَّلَتْ رُوحَ الْمُحِبِّ وَقَلْبُهُ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَوْضِعٌ لِعَيرِ
الْمَحْبُوبِ، كَمَا قِيلَ:

قَدْ تَخَلَّلَتْ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي * وَلِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا
وَهَذَا هُوَ السِّرُّ الَّذِي لِأَجْلِهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَمَرَ الْخَلِيلُ بِذَبْحِ وَلَدِهِ، وَثَمَرَةَ فُؤَادِهِ وَفَلَدَةَ
كَبِدِهِ. لِأَنَّهُ لَمَّا سَأَلَ الْوَلَدَ فَأَعْطِيَهُ، تَعَلَّقَتْ بِهِ شُعْبَةٌ مِنْ قَلْبِهِ. وَالْخُلَّةُ مَنْصِبٌ لَا يَقْبَلُ
الشَّرَكَةَ وَالْقِسْمَةَ. فَغَارَ الْخَلِيلُ عَلَى خَلِيلِهِ: أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ لِعَيرِهِ. فَأَمَرَهُ بِذَبْحِ
الْوَلَدِ. لِيُخْرِجَ الْمُزَاحِمَ مِنْ قَلْبِهِ.

فَلَمَّا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ عَزْمًا جَازِمًا: حَصَلَ مَقْصُودُ الْأَمْرِ. فَلَمْ يَبْقَ فِي
إِزْهَاقِ نَفْسِ الْوَلَدِ مَصْلَحَةٌ. فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ. وَفَدَاهُ بِالذَّبْحِ الْعَظِيمِ. وَقِيلَ لَهُ: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ

﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّيَّاءَ ﴿[الصفات: ١٠٤ - ١٠٥] أَيْ عَمِلْتَ عَمَلَ الْمُصَدِّقِ: ﴿إِنَّا

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ [الصفات: ٨٠] نَجْزِي مَنْ بَادَرَ إِلَى طَاعَتِنَا، فَنَقَرُ عَيْنَهُ كَمَا

﴿١﴾ رواه مسلم (٥٣٢) عن جندب رضي الله عنه.

﴿٢﴾ رواه مسلم (٢٣٨٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أَقْرَزْنَا عَيْنَكَ بِأَمِثَالٍ أَوْامِرَنَا، وَإِيقَاءِ الْوَلَدِ وَسَلَامَتِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبَتَأُ الْمُبِينُ﴾ [١٠٦] [الصفات: ١٠٦] وَهُوَ اخْتِبَارُ الْمَحْبُوبِ لِمَحَبَّةِ، وَامْتِحَانُهُ إِيَّاهُ لِيُؤْثِرَ مَرْضَاتَهُ. فَيَتِمَّ عَلَيْهِ نِعَمُهُ، فَهُوَ بَلَاءٌ مِخْنَةٌ وَمِنْحَةٌ عَلَيْهِ مَعًا. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٩).

عشر حجب بين القلب وبين الله سبحانه وتعالى

قال رسول الله: الْمُكَاشَفَةُ الصَّحِيحَةُ: عُلُومٌ يُحَدِّثُهَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، وَيُطْلِعُهَا بِهَا عَلَى أُمُورٍ تَخْفَى عَلَى غَيْرِهِ، وَقَدْ يُوَالِيهَا وَقَدْ يُمَسِّكُهَا عَنْهُ بِالْغَفْلَةِ عَنْهَا، وَيُؤَارِيهَا عَنْهُ بِالْغَيْنِ الَّذِي يَغْشَى قَلْبَهُ، وَهُوَ أَرْقُ الْحُجُبِ، أَوْ بِالْغَيْمِ، وَهُوَ أَغْلَظُ مِنْهُ أَوْ بِالرَّانِ، وَهُوَ أَشَدُّهَا.

فَالْأَوَّلُ: يَقَعُ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»^(١).

وَالثَّانِي: يَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَالثَّالِثُ: لِمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هُوَ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ يُغَطِّي الْقَلْبَ حَتَّى يَصِيرَ كَالرَّانِ عَلَيْهِ. وَالْحُجُبُ عَشْرَةٌ:

الأول: حِجَابُ التَّعْطِيلِ، وَنَقْيِ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ أَغْلَظُهَا، فَلَا يَتَهَيَّأُ لِصَاحِبِ هَذَا الْحِجَابِ أَنْ يَعْرِفَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَصِلَ إِلَيْهِ أَلْبَتَّةً إِلَّا كَمَا يَتَهَيَّأُ لِلْحَجَرِ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى فَوْقِ.

الثاني: حجاب الشرك، وهو أن يتعبد قلبه لغير الله.

الثالث: حجاب البدعة القولية، كحجاب أهل الأهواء، والمقالات الفاسدة على اختلافها.

الرابع: حجاب البدعة العملية، كحجاب أهل السلوك المبتدعين في طريقهم وسلوكلهم.

الخامس: حجاب أهل الكبائر الباطنة، كحجاب أهل الكبر والعجب والرياء والحسد، والفخر والخيلاء ونحوها.

السادس: حجاب أهل الكبائر الظاهرة، وحجابهم أرق من حجاب إخوانهم من أهل الكبائر الباطنة، مع كثرة عباداتهم وزهاداتهم واجتهاداتهم، فكبائر هؤلاء أقرب إلى التوبة من كبائر أولئك، فإنها قد صارت مقامات لهم لا يتحاشون من إظهارها وإخراجها في قوالب عبادة ومعرفة، فأهل الكبائر الظاهرة أدنى إلى السلامة منهم. وقلوبهم خير من قلوبهم.

السابع: حجاب أهل الصغائر.

الثامن: حجاب أهل الفضلات، والتوسع في المباحات.

التاسع: حجاب أهل الغفلة عن استحضار ما خلقوا له وأريد منهم، وما لله عليهم من دوام ذكره وشكره وعبوديته.

العاشر: حجاب المجتهدين السالكين، المشمرين في السير عن المقصود.

فَهَذِهِ عَشْرُ حُجُبٍ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا الشَّانِ، وَهَذِهِ الْحُجُبُ تَنْشَأُ مِنْ أَرْبَعَةِ عَنَاصِرَ: عُنْصُرُ النَّفْسِ، وَعُنْصُرُ الشَّيْطَانِ، وَعُنْصُرُ الدُّنْيَا، وَعُنْصُرُ الْهَوَى، فَلَا يُمَكِّنُ كَشْفُ هَذِهِ الْحُجُبِ مَعَ بَقَاءِ أَصُولِهَا وَعَنَاصِرِهَا فِي الْقَلْبِ أَلْبَتَّةَ.

وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ الْعَنَاصِرُ: تُفْسِدُ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ وَالْقَصْدَ وَالطَّرِيقَ بِحَسَبِ غَلَبَتِهَا وَقَلَّتِهَا، فَتَقْطَعُ طَرِيقَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالْقَصْدِ: أَنْ يَصِلَ إِلَى الْقَلْبِ، وَمَا وَصَلَ مِنْهُ إِلَى الْقَلْبِ قَطَعَتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ: أَنْ يَصِلَ إِلَى الرَّبِّ، فَبَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَبَيْنَ الْقَلْبِ مَسَافَةٌ يُسَافِرُ فِيهَا الْعَبْدُ إِلَى قَلْبِهِ لِيَرَى عَجَائِبَ مَا هُنَاكَ، وَفِي هَذِهِ الْمَسَافَةِ قُطَاعُ الطَّرِيقِ الْمَذْكُورُونَ، فَإِنْ حَارَبَهُمْ وَخَلَصَ الْعَمَلُ إِلَى قَلْبِهِ دَارَ فِيهِ، وَطَلَبَ التَّقْوَى مِنْ هُنَاكَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ دُونَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْهَى﴾ [النجم: ٤٢] فَإِذَا وَصَلَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَثَابَهُ عَلَيْهِ مَزِيدًا فِي إِيمَانِهِ وَيَقِينِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ وَعَقْلِهِ، وَجَمَّلَ بِهِ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، فَهَدَاهُ بِهِ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، وَصَرَفَ عَنْهُ بِهِ سَيِّئَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ، وَأَقَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ لِلْقَلْبِ جُنْدًا يُحَارِبُ بِهِ قُطَاعَ الطَّرِيقِ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَيُحَارِبُ الدُّنْيَا بِالزُّهْدِ فِيهَا وَإِخْرَاجِهَا مِنْ قَلْبِهِ، وَلَا يَضُرُّهُ أَنْ تَكُونَ فِي يَدِهِ وَبَيْنَتِهِ، وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنْ قُوَّةِ يَقِينِهِ بِالْآخِرَةِ، يُحَارِبُ الشَّيْطَانَ بِتَرْكِ الْإِسْتِجَابَةِ لِدَاعِي الْهَوَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْهَوَى لَا يُفَارِقُهُ، وَيُحَارِبُ الْهَوَى بِتَحْكِيمِ الْأَمْرِ الْمُطْلَقِ وَالْوُقُوفِ مَعَهُ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى لَهُ هَوَى فِيمَا يَفْعَلُهُ وَيَتْرُكُهُ، وَيُحَارِبُ النَّفْسَ بِقُوَّةِ الْإِخْلَاصِ.

هَذَا كُلُّهُ إِذَا وَجَدَ الْعَمَلُ مَنْفَذًا مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِنْ دَارَ فِيهِ وَلَمْ يَجِدْ مَنْفَذًا وَثَبَتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ، فَأَخَذَتْهُ وَصَيَّرَتْهُ جُنْدًا لَهَا، فَصَالَتْ بِهِ وَعَلَتْ وَطَغَتْ، فَتَرَاهُ أَزْهَدُ مَا يَكُونُ، وَأَعْبَدُ مَا يَكُونُ، وَأَشَدُّ اجْتِهَادًا، وَهُوَ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنِ اللَّهِ، وَأَصْحَابُ الْكِبَائِرِ أَقْرَبُ قُلُوبًا إِلَى اللَّهِ مِنْهُ، وَأَدْنَى مِنْهُ إِلَى الْإِخْلَاصِ وَالْخَلَاصِ.

فَانْظُرْ إِلَى السَّجَّادِ الْعَبَادِ الرَّاهِدِ الَّذِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ، كَيْفَ أَوْرَثَهُ طُغْيَانُ عَمَلِهِ أَنْ أَنْكَرَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَوْرَثَ أَصْحَابَهُ احْتِقَارَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى سَلَّوْا عَلَيْهِمْ سُيُوفَهُمْ، وَاسْتَبَاحُوا دِمَاءَهُمْ.

وَانْظُرْ إِلَى الشَّرِيبِ السَّكِرِ الَّذِي كَانَ كَثِيرًا مَا يُؤْتَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَيَحْدُثُهُ عَلَى الشَّرَابِ، كَيْفَ قَامَتْ بِهِ قُوَّةُ إِيْمَانِهِ وَيَقِينِهِ، وَمَحَبَّتِهِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَوَاضُعِهِ وَأَنْكِسَارِهِ لِلَّهِ حَتَّى نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ لَعْنِهِ.

فَظَهَرَ بِهَذَا: أَنَّ طُغْيَانَ الْمَعَاصِي أَسْلَمَ عَاقِبَةً مِنْ طُغْيَانِ الطَّاعَاتِ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَوْحَى إِلَى مُوسَى ﷺ: يَا مُوسَى، أَنْذِرِ الصَّدِيقِينَ، فَإِنِّي لَا أَضْعُ عَدْلِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَذَّبْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَظْلِمَهُ، وَبَشِّرِ الْخَطَائِينَ، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاطَمُنِي ذَنْبٌ أَنْ أَغْفِرَهُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢١٣).

وجوه معاني ألفاظ القرآن عشرة

قال ﷺ: الوجوه التي تنقسم إليها معاني ألفاظ القرآن عشرة أقسام:

القسم الأول: تعريفه سبحانه نفسه لعباده بأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله وأفعاله وأنه واحد لا شريك له وما يتبع ذلك.

القسم الثاني: ما استشهد به على ذلك من آيات قدرته وآثار حكمته فيما خلق وذراً في العالم الأعلى والأسفل من أنواع بريته وأصناف خليقته محتجا به على من ألحد في أسمائه وتوحيده وعطله عن صفات كماله وعن أفعاله وكذلك البراهين العقلية التي أقامها على ذلك والأمثال المضروبة والأقيسة العقلية التي تقدمت الإشارة إلى الشيء اليسير منها.

القسم الثالث: ما اشتمل عليه بدء الخلق وإنشاؤه ومادته وابتداعه له وسبق بعضه على بعض وعدد أيام التخليق وخلق آدم وإسجاد الملائكة وشأن إبليس وتمرده وعصيانه وما يتبع ذلك

القسم الرابع: ذكر المعاد والنشأة الأخرى وكيفيته وصورته وإحالة الخلق فيه من حال إلى حال وإعادتهم خلقا جديدا.

القسم الخامس: ذكر أحوالهم في معادهم وانقسامهم إلى شقي وسعيد ومسرور بمنقلبه ومثبور به وما يتبع ذلك.

القسم السادس: ذكر القرون الماضية والأمم الخالية وما جرى عليهم وذكر أحوالهم مع أنبيائهم وما نزل بأهل العناد والتكذيب منهم من المثلات وما حل بهم من العقوبات ليكون ما جرت عليه أحوال الماضين عبرة للمعاندين فيحذروا سلوك سبيلهم في التكذيب والعصيان.

القسم السابع: الأمثال التي ضربها لهم والمواعظ التي وعظهم بها ينبههم بها على قدر الدنيا وقصر مدتها وآفاقها ليزهدوا فيها ويتركوا الإخلاص إليها ويرغبوا فيما أعد لهم في الآخرة من نعيمها المقيم وخيرها الدائم.

القسم الثامن: ما تضمنه من الأمر والنهي والتحليل والتحريم وبيان ما فيه طاعته ومعصيته وما يحبه من الأعمال والأقوال والأخلاق وما يكرهه ويبيغضه منها وما يقرب إليه ويدني من ثوابه وما يبعد منه ويدني من عقابه وقسم هذا القسم إلى فروض فرضها وحدود حدها وزواجر زجر عنها وأخلاق وشيم رغب فيها.

القسم التاسع: ما عرفهم إياه من شأن عدوهم ومدخله عليهم ومكايده لهم وما يريد به بهم وعرفهم إياه من طريق التحصن منه والاحتراز من بلوغ كيده منهم وما يتداركون به ما أصيبوا به في معركة الحرب بينهم وبينه وما يتبع ذلك.

القسم العاشر: ما يختص بالسفير بينه وبين عباده عن أوامره ونواهيه وما اختصه به من الإباحة والتحريم وذكر حقوقه على أمته وما يتعلق بذلك.

فهذه عشرة أقسام عليها مدار القرآن. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٦٩٠).

الصبر على البلاء ينشأ من أسباب عشرة

قال ﷺ: والصبر على البلاء ينشأ من أسباب عديدة:

أحدها: شهود جزائها وثوابها.

الثاني: شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها.

الثالث: شهود القدر السابق الجارى بها، وأنها مقدرة في أم الكتاب قبل أن يخلق فلا بد منها، فجزعه لا يزيده إلا بلاءً.

الرابع: شهوده حق الله عليه في تلك البلوى، وواجهه فيها الصبر بلا خلاف بين الأمة، أو الصبر والرضا على أحد القولين، فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى، فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه.

الخامس: شهود ترتبها عليه بذنبه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠]، فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة، فيشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة. قال على بن أبي طالب: ما نزل بلاءٌ إلا بذنب، ولا رفع بلاءٌ إلا بتوبة.

السادس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأن العبودية تقتضى رضاه بما رضى له به سيده ومولاه، فإن لم يوف قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدى الحق.

السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواءٌ نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به، فليصبر على تجرعه، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلاً.

الثامن: أن يعلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره. قال الله تعالى: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال الله تعالى: ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩]

[النساء: ١٩] وفي مثل هذا القائل:

لعلّ عتبك محمود عواقبه * * وربما صحت الأجسام بالعلل
التاسع: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره
وتبتليه، فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ فإن ثبت
اصطفاه واجتباؤه وخلع عليه خلع الإكرام وألبسه ملابس الفضل وجعل أوليائه وحزبه
خدماً له وعوناً له، وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طرد وصفع قفاه وأقصى
وتضاعفت عليه المصيبة، وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها، ولكن سيعلم بعد
ذلك بأن المصيبة في حقه صارت مصائب، كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقه صارت
نعماً عديدة.

وما بين هاتين المنزلتين المتباينتين إلا صبر ساعة، وتشجيع القلب في تلك الساعة.
والمصيبة لا بد أن تقلع عن هذا وهذا، ولكن تقلع عن هذا بأنواع الكرامات والخيرات،
وعن الآخر بالحرمان والخذلان، لأن ذلك تقدير العزيز العليم، وفضل الله يؤتيه من
يشاء والله ذو الفضل العظيم.

العاشر: أن يعلم أن الله يربى عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج
منه عبوديته في جميع الأحوال. فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف
الأحوال، وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به
وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته. فلا ريب أن
الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأما

إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبت على البلاء والعافية.

فالابتلاء كير العبد محل إيمانه: فإما أن يخرج تبراً أحمر، وإما أن يخرج زغلاً غصاً، وإما أن يخرج فيه مادتان ذهبية ونحاسية، فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه، ويبقى ذهباً خالصاً.

فلو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية لشغل قلبه بشكره ولسانه، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وكيف لا يشكر من قيض له ما يستخرج خبثه ونحاسه وصيره تبراً خالصاً يصلح لمجاورته والنظر إليه في داره؟.

فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبر على البلاء، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر.

فنسأل الله أن يسترنا بعافيته، ولا يفضحنا بابتلائه بمنه وكرمه. طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص):

(٢٧٦).

عشر من منافع غص البصر

قال رسول الله ﷺ: وفي غص البصر عدة منافع:

أحدها: أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومآله، فليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامره، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

الثانية: أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم - الذي لعل فيه هلاكه - إلى قلبه.

الثالثة: أَنَّهُ يُورِثُ الْقَلْبَ أَنْسًا بِاللَّهِ وَجَمْعِيَّةً عَلَيْهِ، فَإِنَّ إِطْلَاقَ الْبَصَرِ يُفَرِّقُ الْقَلْبَ وَيُشَتِّتُهُ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ اللَّهِ، وَلَيْسَ عَلَى الْقَلْبِ شَيْءٌ أَضَرُّ مِنْ إِطْلَاقِ الْبَصَرِ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الْوَحْشَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ.

الرابعة: أَنَّهُ يَقْوِي الْقَلْبَ وَيُفْرِحُهُ، كَمَا أَنَّ إِطْلَاقَ الْبَصَرِ يُضْعِفُهُ وَيُحْزِنُهُ.

الخامسة: أَنَّهُ يُكْسِبُ الْقَلْبَ نُورًا، كَمَا أَنَّ إِطْلَاقَهُ يُلْبِسُهُ ظُلْمَةً، وَلِهَذَا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ

آيَةَ النُّورِ عُقِيبَ الْأَمْرِ بِغَضِّ الْبَصَرِ، فَقَالَ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَنْبَصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا

فُرُوجَهُمْ﴾ [سُورَةُ النُّورِ: ٣٠].

ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ ذَلِكَ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾

[سُورَةُ النُّورِ: ٣٥].

أَيُّ مِثْلُ نُورِهِ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي امْتَثَلَ أَوْامِرَهُ وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيَهُ، وَإِذَا اسْتَنَارَ الْقَلْبُ أَقْبَلَتْ وَفُودُ الْخَيْرَاتِ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا أَظْلَمَ أَقْبَلَتْ سَحَابُ الْبَلَاءِ وَالشَّرِّ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَمَا شِئْتَ مِنْ بَدْعٍ وَضَلَالَةٍ، وَاتَّبَاعِ هَوًى، وَاجْتِنَابِ هُدًى، وَإِعْرَاضٍ عَنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ، وَاشْتِغَالٍ بِأَسْبَابِ الشَّقَاوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكْشِفُهُ لَهُ النُّورُ الَّذِي فِي الْقَلْبِ، فَإِذَا نَفَذَ ذَلِكَ النُّورُ بَقِي صَاحِبُهُ كَالْأَعْمَى الَّذِي يَجُوسُ فِي حَنَادِسِ الظَّلَامِ.

السادسة: أَنَّهُ يُورِثُ فِرَاسَةً صَادِقَةً يُمَيِّزُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ،

وَكَانَ شُجَاعُ الْكِرْمَانِيِّ يَقُولُ: مَنْ عَمَرَ ظَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَبَاطِنَهُ بِدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ، وَغَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشُّبُهَاتِ، وَاعْتَدَى بِالْحَلَالِ، لَمْ تُخْطِئْ لَهُ فِرَاسَةٌ وَكَانَ شُجَاعًا لَا تُخْطِئُ لَهُ فِرَاسَةٌ.

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْزِي الْعَبْدَ عَلَى عَمَلِهِ بِمَا هُوَ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ لِلَّهِ شَيْئًا عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ، فَإِذَا غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، عَوَّضَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُطْلَقَ نُورَ بَصِيرَتِهِ، عَوَّضًا عَنْ حَبْسِ بَصَرِهِ لِلَّهِ، وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ بَابَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَالْمَعْرِفَةِ وَالْفِرَاسَةِ الصَّادِقَةِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي إِنَّمَا تُنَالُ بِبَصِيرَةٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ [سُورَةُ الْحَجَرِ: ٢٧].

فَوَصَفَهُمْ بِالسَّكَرَةِ الَّتِي هِيَ فَسَادُ الْعَقْلِ، وَالْعَمَهُ الَّذِي هُوَ فَسَادُ الْبَصِيرَةِ، فَالتَّعَلُّقُ بِالصُّورِ يُوجِبُ فَسَادَ الْعَقْلِ، وَعَمَهُ الْبَصِيرَةِ، وَسُكْرُ الْقَلْبِ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:
سُكْرَانُ سُكْرٍ هَوَى وَسُكْرٌ مُدَامَةٌ * وَمَتَّى إِفَاقَةٌ مَنْ بِهِ سُكْرَانٌ
وَقَالَ الْآخَرُ:

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ * الْعِشْقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمَجَانِينِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى * كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
الْعِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ * وَإِنَّمَا يُضْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ
السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُورِثُ الْقَلْبَ ثَبَاتًا وَشَجَاعَةً وَقُوَّةً، فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ سُلْطَانِ النَّصْرَةِ وَالْحُجَّةِ، وَسُلْطَانِ الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ، كَمَا فِي الْأَثَرِ: الَّذِي يُخَالِفُ هَوَاهُ، يَفِرُّ الشَّيْطَانَ مِنْ ظِلِّهِ.

وَصِدُّ هَذَا تَجِدُ فِي الْمُتَّبِعِ لَهُوَاهُ - مِنْ ذُلِّ النَّفْسِ وَوَضَاعَتِهَا وَمَهَانَتِهَا وَخَسَّتِهَا وَحَقَارَتِهَا - مَا جَعَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِيمَنْ عَصَاهُ.

كَمَا قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَادِينُ، إِنْ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ فِي رِقَابِهِمْ، أَبِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذَلَّ مَنْ عَصَاهُ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعِزَّ قَرِينَ طَاعَتِهِ، وَالذُّلَّ قَرِينَ مَعْصِيَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ

الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سُورَةُ الْمُتَافِقُونَ: ٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سُورَةُ آلِ

عِمْرَانَ: ١٣٩].

وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ١٠].

أَيُّ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلْيَطْلُبْهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَفِي دُعَاءِ الْقُنُوتِ: «إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ»^١ وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فَقَدْ

وَالَاهُ فِيمَا أَطَاعَهُ فِيهِ، وَلَهُ مِنَ الْعِزِّ بِحَسَبِ طَاعَتِهِ، وَمَنْ عَصَاهُ فَقَدْ عَادَاهُ فِيمَا عَصَاهُ فِيهِ،

وَلَهُ مِنَ الذُّلِّ بِحَسَبِ مَعْصِيَتِهِ.

الثَّامِنُ: أَنَّهُ يُسَدِّلُ عَلَى الشَّيْطَانِ مَدْخَلَهُ مِنَ الْقَلْبِ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ مَعَ النَّظَرَةِ وَيَنْفُذُ مَعَهَا

إِلَى الْقَلْبِ أَسْرَعَ مِنْ نُفُوذِ الْهَوَاءِ فِي الْمَكَانِ الْخَالِي، فَيَمَثِّلُ لَهُ صُورَةَ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ

وَيُزَيِّنُهَا، وَيَجْعَلُهَا صَنْمًا يَعْكُفُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ ثُمَّ يَعِدُّهُ وَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُوقِدُ عَلَى الْقَلْبِ نَارَ

الشَّهْوَةِ، وَيُلْقِي عَلَيْهَا حَطَبَ الْمَعَاصِي الَّتِي لَمْ يَكُنْ يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا بِدُونِ تِلْكَ الصُّورَةِ،

فَيَصِيرُ الْقَلْبُ فِي اللَّهَبِ.

فَمِنْ ذَلِكَ اللَّهَبِ تِلْكَ الْأَنْفَاسُ الَّتِي يَجِدُ فِيهَا وَهَجَ النَّارِ، وَتِلْكَ الزَّفَرَاتُ وَالْحَرَقَاتُ، فَإِنَّ الْقَلْبَ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ النَّيْرَانُ بِكُلِّ جَانِبٍ، فَهُوَ فِي وَسْطِهَا كَالشَّاةِ فِي وَسْطِ التَّنُورِ، وَلِهَذَا كَانَتْ عُقُوبَةُ أَصْحَابِ الشَّهَوَاتِ لِلصُّورِ الْمُحَرَّمَةِ: أَنْ جُعِلَ لَهُمْ فِي الْبَرْزَخِ تَنُورٌ مِنَ النَّارِ، وَأُودِعَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِيهِ إِلَى يَوْمِ حَشْرِ أَجْسَادِهِمْ، كَمَا أَرَاهَا اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ.

التاسعة: أَنَّهُ يُفَرِّغُ الْقَلْبَ لِلْفِكْرَةِ فِي مَصَالِحِهِ وَالْإِشْتَغَالِ بِهَا، وَإِطْلَاقَ الْبَصَرِ يُنْسِيهِ ذَلِكَ وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَيَنْفَرِطُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَيَقَعُ فِي اتِّبَاعِ هَوَاهُ وَفِي الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

وَإِطْلَاقُ النَّظَرِ يُوجِبُ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ بِحَسَبِهِ.

العاشرة: أَنَّ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ مَنَقْذًا وَطَرِيقًا يُوجِبُ انْتِقَالَ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، وَأَنْ يَصْلَحَ بِصَلَاحِهِ، وَيُفْسَدَ بِفَسَادِهِ، فَإِذَا فُسِدَ الْقَلْبُ؛ فُسِدَ النَّظَرُ، وَإِذَا فُسِدَ النَّظَرُ؛ فُسِدَ الْقَلْبُ، وَكَذَلِكَ فِي جَانِبِ الصَّلَاحِ، فَإِذَا خَرِبَتِ الْعَيْنُ وَفُسِدَتْ؛ خَرِبَ الْقَلْبُ وَفُسِدَ، وَصَارَ كَالْمَزْبَلَةِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ النَّجَاسَاتِ وَالْقَاذُورَاتِ وَالْأَوْسَاحِ، فَلَا يَصْلُحُ لِسُكْنَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ وَالسُّرُورِ بِقُرْبِهِ فِيهِ، وَإِنَّمَا يَسْكُنُ فِيهِ أَضْدَادُ ذَلِكَ. **الداء والدواء (ص: ١٧٨).**

وقال رحمه الله: وفي غرض البصر عدة فوائد:

أحدها: تخليص القلب من ألم الحسرة فإن من أطلق نظره دامت حسرته فأضر شيء على القلب إرسال البصر فإنه يريه ما يشد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه وذلك غاية

ألمه وعذابه قال الأصمعي رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة فجعلت أنظر إليها وأملاً عيني من محاسنها فقالت لي يا هذا ما شأنك قلت وما عليك من النظر فأنشأت تقول:

وَكُنْتُ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا * لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبْتُكَ الْمَنَاطِرُ
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ * عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية فإن لم تقتله جرحته وهي بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس فإن لم يحرقه كله أحرقت بعضه كما قيل:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ * وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ
كَمْ نَظْرَةٌ بَلَغَتْ فِي قَلْبٍ صَاحِبَهَا * كَمَبْلَغِ السَّهْمِ بَيْنَ الْقَوْسِ وَالْوَتَرِ
وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا طَرْفٍ يُقَلِّبُهُ * فِي أَعْيُنِ الْعَيْنِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
يُسَرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ * لَا مَرَحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

والناظر يرمي من نظره بسهام غرضها قلبه وهو لا يشعر فهو إنما يرمي قلبه ولي من أبيات:

يَا رَامِيًا بِسِهَامِ اللَّحْظِ مُجْتَهِدًا * أَنْتَ الْقَتِيلُ بِمَا تَرْمِي فَلَا تُصِبِ
يَا بَاعِثَ الطَّرْفِ يَرْتَادُ الشِّفَاءَ لَهُ * أَحْسِ رَسُولَكَ لَا يَأْتِيكَ بِالْعَطَبِ

الفائدة الثانية: أنه يورث القلب نورا وإشراقا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح كما

أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه ولهذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية

النور في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عقيب قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ

يَغْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ وجاء الحديث مطابقا لهذا حتى كأنه مشتق منه وهو قوله: «النظرة

سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه نورا». الحديث.

الفائدة الثالثة: أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته وإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرأة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي والنظر بمنزلة التنفس فيها فإذا أطلق العبد نظرة تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه فطمست نورها كما قيل:

مرآة قلبك لا تريك صلاحه * والنفس فيها دائماً تنفس

وقال شجاع الكرمانى رحمه الله: من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات وأكل من الحلال لم تخطيء فراسته وكان شجاع لا تخطيء له فراسة والله سبحانه وتعالى يجزى العبد على عمله بما هو من جنسه فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله سبحانه وتعالى إطلاق نور بصيرته فلما حبس بصره لله أطلق الله نور بصيرته ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته.

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه ويسهل عليه أسبابه وذلك بسبب نور القلب فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات وانكشفت له بسرعة ونفذ من بعضها إلى بعض ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم وانسد عليه باب العلم وطرقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة وفي الأثر إن الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله ولهذا يوجد في المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن أثر هواه على رضاه قال الحسن إنهم وإن هملجت بهم البغال طقطقت بهم البراذين إن ذل المعصية لفي قلوبهم

أبى الله إلا أن يذل من عصاه وقال بعض الشيوخ الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه وفيه قسط ونصيب من فعل من عاداه بمعاصيه وفي دعاء القنوت: « إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ».

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سرورا وفرحة وانشراحا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه وأيضا فإنه لما كف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمانة بالسوء أعاضه الله سبحانه مسرة ولذة أكمل منها كما قال بعضهم والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحا وسرورا ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما وهاهنا يمتاز العقل من الهوى.

الفائدة السابعة: أنه يخلص القلب من أسر الشهوة فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه فهو كما قيل: طليق برأي العين وهو أسير.

ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب وصار:

كعصفورة في كف طفل يسومها * * حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

الفائدة الثامنة: أنه يسد عنه بابا من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقععة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى هتك الحجاب تجرأ على المحظور ولم تقف نفسه منه عند غاية، فإن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها؛ وذلك أن لذتها في الشيء الجديد، فصاحب الطارف لا يقنعه التلبد وإن كان أحسن

منه منظرا وأطيب مخبرا، فغض البصر يسد عنه هذا الباب الذي عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه.

الفائدة التاسعة: أنه يقوي عقله ويزيده ويثبته فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره قال الشاعر:

بو أعقل الناس من لم يرتكب سببا * حتى يفكر ما تجني عواقبه

الفائدة العاشرة: أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة ويوقع في سكرة العشق كما قال الله تعالى عن عشاق الصور: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] فالنظرة كأس من خمر والعشق هو سكر ذلك الشراب وسكر العشق أعظم من سكر الخمر فإن سكران الخمر يفيق وسكران العشق قلما يفيق إلا وهو في عسكر الأموات كما قيل:

سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى إفاقتك من به سكران

وفوائد غص البصر وآفات إرساله أضعاف أضعاف ما ذكرنا وإنما نبهنا عليه تنبيها ولا سيما النظر إلى من لم يجعل الله سبيلا إلى قضاء الوطر منه شرعا كالمردان الحسان فإن إطلاق النظر إليهم السم الناقع والداء العضال. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٩٧-١٠٤).

عشرة أشياء تمنع من التأثر بالعلم والانتفاع به

قال رحمه الله: إن العلم بِكُونِ الشَّيْءِ سَبَبٌ لِمَصْلَحَةِ الْعَبْدِ وَلِذَاتِهِ وَسُرُورِهِ قَدْ يَتَخَلَّفُ

عَنْهُ عَمَلُهُ بِمُقْتَضَاهُ لِأَسْبَابٍ عَدِيدَةٍ:

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: ضَعْفُ مَعْرِفَتِهِ بِذَلِكَ.

السَّبَبُ الثَّانِي: عَدَمُ الْأَهْلِيَّةِ وَقَدْ تَكُونُ مَعْرِفَتُهُ بِهِ تَامَّةً لَكِنْ يَكُونُ مَشْرُوطًا بِزَكَاةِ

الْمَحَلِّ وَقَبُولِهِ لِلتَّزْكِيَةِ فَإِذَا كَانَ الْمَحَلُّ غَيْرَ زَكِيٍّ وَلَا قَابِلًا لِلتَّزْكِيَةِ كَانَ كَالْأَرْضِ الصَّلْدَةِ الَّتِي لَا تَخَالَطُهَا الْمَاءُ فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ النَّبَاتُ مِنْهَا لِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهَا وَقَبُولِهَا فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ قَاسِيًا حَجْرِيًّا لَا يَقْبَلُ تَزْكِيَةً وَلَا تُؤْثِرُ فِيهِ النَّصَائِحُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِكُلِّ عِلْمٍ يُعَلِّمُهُ كَمَا لَا تَنْبُتُ الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ وَلَوْ أَصَابَهَا كُلُّ مَطَرٍ وَبَذَرَ فِيهَا كُلُّ بَذَرٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي هَذَا الصَّنْفِ مِنَ النَّاسِ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا

الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۖ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ

وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِنَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١١١]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا

يُؤْمِنُونَ ۖ﴾ [يونس: ١٠١] وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ قَاسِيًا غَلِيظًا جَافِيًا لَا يَعْمَلُ فِيهِ الْعِلْمُ شَيْئًا وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ مَرِيضًا مَهِينًا مَائِيًّا لَا صَلَابَةَ فِيهِ وَلَا قُوَّةَ وَلَا عَزِيمَةَ لَمْ يُؤْثِرْ فِيهِ الْعِلْمُ.

السَّبَبُ الثَّالِثُ: قِيَامُ مَانِعٍ وَهُوَ إِمَّا حَسَدٌ أَوْ كِبَرٌ، وَذَلِكَ مَانِعٌ إِبْلِيسَ مِنَ الْإِنْقِيَادِ لِلْأَمْرِ

وَهُوَ دَاءُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، وَبِهِ تَخَلَّفَ الْإِيمَانُ عَنِ الْيَهُودِ الَّذِينَ

شاهدوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وعرفوا صِحَّةَ نبوته وَمَنْ جرى مجراهم، وَهُوَ الَّذِي منع عبد الله بن أبي من الإيمان، وَبِهِ تخلف الإيمان عَنْ أَبِي جهل وَسَائِرِ الْمُشْرِكِينَ فإنهم لم يَكُونُوا يرتابون فِي صدقه وَأَنْ الْحَقَّ مَعَهُ؛ لَكِنْ حملهم الْكِبَرُ والحسد على الْكُفْرِ، وَبِهِ تخلف الإيمان عَنْ أُمِيَّةٍ واضرابه مِمَّنْ كَانَ عِنْدَهُ علم بنبوة مُحَمَّدٍ ﷺ.

السَّبَبُ الرَّابِعُ: مَانَعُ الرِّيَاسَةِ وَالْمَلِكِ وَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِصَاحِبِهِ حَسَدٌ وَلَا تَكْبَرٌ عَنِ الانْقِيَادِ لِلْحَقِّ، لَكِنْ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَجْتَمَعَ لَهُ الانْقِيَادُ وَمَلِكُهُ وَرِيَاسَتُهُ فَيُضِنَ بِمَلِكِهِ وَرِيَاسَتِهِ كَحَالِ هِرْقُلَ واضرابه مِنْ مُلُوكِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ عَلِمُوا نبوته وَصدقه وَاقْرَؤا بِهَا بَاطِنًا وَاحْبَبُوا الدُّخُولَ فِي دِينِهِ، لَكِنْ خَافُوا عَلَى مَلِكِهِمْ وَهَذَا دَاءُ أَرْبَابِ الْمَلِكِ وَالْوَلَايَةِ وَالرِّيَاسَةِ وَقَلَّ مِنْ نَجَا مِنْهُ إِلَّا مَنْ عصم الله وَهُوَ دَاءُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿أَنْزِلْ لَنَا آيَةً﴾ **وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ** ﴿٤٧﴾ [المؤمنون: ٤٧] أَنْفُوا أَنْ يُؤْمِنُوا وَيَتَّبِعُوا مُوسَى وَهَارُونَ وَيَنْقَادُوا لَهُمَا وَبَنُو إِسْرَآئِيلَ عبيد لَهُمْ، وَلِهَذَا قِيلَ أَنْ فِرْعَوْنُ لَمَّا أَرَادَ مُتَابَعَةَ مُوسَى وَتَصَدِيقَهُ شَاوَرَ هَامَانَ وَزِيرَهُ فَقَالَ: بَيْنَا أَنْتَ إِلَهٌ تَعْبُدُ تَصِيرُ عِبَادًا تَعْبُدُ غَيْرَكَ فَأَبَى الْعُبُودِيَّةَ وَاخْتَارَ الرِّيَاسَةَ وَالْإِلَهِيَّةَ الْمُحَالَّ.

السَّبَبُ الْخَامِسُ: مَانَعُ الشَّهْوَةِ وَالْمَالِ وَهُوَ الَّذِي منع كثيرا من أهل الكتاب من الإيمان خوفاً من بطلان مأكَلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمُ الَّتِي تَصِيرُ إِلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَقَدْ كَانَتْ كِفَارُ قُرَيْشٍ يَصْدُونَ الرَّجُلَ عَنِ الْإِيمَانِ بِحَسَبِ شَهْوَتِهِ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَكَانُوا يَقُولُونَ لِمَنْ يَحِبُّ الزَّيْنَةَ أَنْ مُحَمَّدًا يَحْرِمُ الزَّيْنَةَ وَيَحْرِمُ الْخَمْرَ وَبِهِ صَدُوا الْأَعْشَى الشَّاعِرَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَقَدْ فَاوَضْتَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْإِسْلَامِ وَصَحَّحْتَهُ فَكَانَ آخِرَ مَا كَلَمَنِي بِهِ

أحدهم أنا لا أترك الخمر وأشربها أمنا فإذا أسلمت حلتم بيني وبينها وجلدتموني على شربها.

وَقَالَ آخِرُ مَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ مَا قُلْتُ لَهُ: لِي أَقَارِبُ أَرْبَابَ أَمْوَالٍ وَإِنِّي إِنْ أَسْلَمْتُ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ وَأَنَا أَوْمِلُ أَنْ أُرْتَهَمَ أَوْ كَمَا قَالَ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا الْقَدْرَ فِي نَفُوسِ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنَ الْكُفَّارِ فَتَتَفَقَّ قُوَّةُ دَاعِي الشَّهْوَةِ وَالْمَالِ وَضَعْفُ دَاعِي الْإِيمَانِ فَيَجِيبُ دَاعِي الشَّهْوَةِ وَالْمَالِ وَيَقُولُ لَا أَرْغَبُ بِنَفْسِي عَنْ آبَائِي وَسُلْفِي.

السَّبَبُ السَّادِسُ: محبة الأهل والأقارب والعشيرة يرى أنه إذا أتبع الحق وخالفهم أبعدوه وطرده عَنَّهُمْ وأخرجوه من بين أظهرهم وهذا سبب بقاء خلف كثير على الكفر بين قومهم وأهاليهم وعشائرهم.

السَّبَبُ السَّابِعُ: محبة الدار والوطن وإن لم يكن له بها عشيرة ولا أقارب لكن يرى أن في متابعة الرسول خروجه عن داره ووطنه إلى دار الغربة والنوى فيضن بوطنه.

السَّبَبُ الثَّامِنُ: تخيل أن في الإسلام ومتابعة الرسول ﷺ إزراء وطعنا منه على آبائه وأجداده وذما لهم وهذا هو الذي منع أبا طالب وأمثاله عن إسلام استعظموا آباءهم وأجدادهم أن يشهدوا عليهم بالكفر والضلال وأن يختاروا خلاف ما اختار أولئك لأنفسهم ورأوا أنهم إن أسلموا سفهوا أحلام أولئك وضللوا عقولهم ورموهم باقبح القبائح وهو الكفر والشرك.

وَلِهَذَا قَالَ أَعْدَاءُ اللَّهِ لِأَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْمَوْتِ تَرُغِبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَكَانَ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ بِهِ هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَدْعِهِ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَّا مِنْ هَذَا الْبَابِ لَعَلَّهُمْ

بتعظيمه أباه عبد المطلب وأنه إنما حاز الفخر والشرف به فكيف يأتي أمرا يلزم منه غاية تنقيصه وذمه، وَلِهَذَا قَالَ: لَوْلَا أَنْ تَكُونَ مَسَبَّةً عَلَى بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ لَا قَرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ أَوْ كَمَا قَالَ، وَهَذَا شَعْرُهُ يُصْرَحُ فِيهِ بِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ وَتَحَقَّقَ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصَدَقَهُ كَقَوْلِهِ: وَلَقَدْ عَلِمْتُ بَانَ دِينَ مُحَمَّدٍ * * * مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِّيَّةِ دِينَا لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسَبَّةٍ * * * لَوْ جَدْنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا وَفِي قَصِيدَتِهِ اللَّامِيَّةُ:

فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَكُونَ مَسَبَّةً * * * تَجِرُ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالِهِ * * * مِنَ الدَّهْرِ جَدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنْ ابْتِنَالَا مَكْذَبٍ * * * لَدِينَا وَلَا يَعْنِي بِقَوْلٍ إِلَّا بَاطِلٌ وَالْمَسَبَّةُ الَّتِي زَعَمَ أَنَّهَا تَجِرُ عَلَى أَشْيَاخِهِ شَهَادَتُهُ عَلَيْهِمُ بِالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ وَتَسْفِيهِ الْأَحْلَامِ وَتَضْلِيلِ الْعُقُولِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي مَنَعَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ تَيْقِنِهِ.

السَّبَبُ الثَّاسِعُ: مُتَابَعَةُ مَنْ يَعَادِيهِ مِنَ النَّاسِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَسَبْقُهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِهِ وَتَخْصِصِهِ وَقَرْبِهِ مِنْهُ وَهَذَا الْقَدْرُ مَنَعَ كَثِيرًا مِنْ إِتِّبَاعِ الْهَدْيِ، يَكُونُ لِلرَّجُلِ عَدُوٌّ وَيَبْغِضُ مَكَانَهُ وَلَا يَحِبُّ أَرْضًا يَمْشِي عَلَيْهَا وَيَقْصِدُ مُخَالَفَتَهُ وَمُنَاقَضَتَهُ فَيَرَاهُ قَدْ اتَّبَعَ الْحَقَّ فَيَحْمِلُهُ قَصْدَ مُنَاقَضَتِهِ وَمَعَادَاتِهِ عَلَى مَعَادَاةِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ وَإِنْ كَانَ لَا عَدَاوَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَهَذَا كَمَا جَرَى لِلْيَهُودِ مَعَ الْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَعْدَائِهِمْ وَكَانُوا يَتَوَاعَدُونَهُمْ بِخُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْهُمْ يَتَبَعُونَهُ وَيَقَاتِلُونَهُمْ مَعَهُ فَلَمَّا بَدَرَهُمْ إِلَيْهِ الْأَنْصَارُ وَأَسْلَمُوا حَمَلَهُمْ مَعَادَاتِهِمْ عَلَى الْبَقَاءِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَيَهُودِيَّتِهِمْ.

السَّبَبُ العَاشِرُ: مَانَعِ الْأَلْفَ وَالْعَادَةَ وَالْمُنْشَأَ، فَإِنَّ الْعَادَةَ قَدْ تَقْوَى حَتَّى تَغْلِبَ حَكْمَ الطَّبِيعَةِ، وَلِهَذَا قِيلَ هِيَ طَبِيعَةٌ ثَانِيَّةٌ، فِيرَبِي الرَّجُلَ عَلَى الْمَقَالَةِ وَيُنْشَأُ عَلَيْهَا صَغِيرًا فَيَتَرَبَّى قَلْبُهُ وَنَفْسُهُ عَلَيْهَا كَمَا يَتَرَبَّى لَحْمُهُ وَعَظْمُهُ عَلَى الْغَذَاءِ الْمُعْتَادِ وَلَا يَعْقِلُ نَفْسُهُ إِلَّا عَلَيْهَا، ثُمَّ يَأْتِيهِ الْعِلْمُ وَهَلَةٌ وَاحِدَةٌ يُرِيدُ إِزَالَتَهَا وَإِخْرَاجَهَا مِنْ قَلْبِهِ وَأَنْ يَسْكُنَ مَوْضِعَهَا فَيَعْسِرُ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالَ وَيَصْعَبُ عَلَيْهِ الزَّوَالُ.

وَهَذَا السَّبَبُ وَإِنْ كَانَ أَوْعَفَ الْأَسْبَابِ مَعْنَى فَهُوَ أَغْلِبُهَا عَلَى الْأُمَمِ وَأَرْبَابِ الْمَقَالَاتِ وَالنَّحْلِ، لَيْسَ مَعَ أَكْثَرِهِمْ بَلْ جَمِيعِهِمْ إِلَّا مَا عَسَى أَنْ يَشُدَّ الْإِعَادَةَ وَمُرَبِّي تَرْبِيَّ عَلَيْهِ طِفْلًا لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا وَلَا يَحْسُنُ بِهِ فَدَيْنُ الْعَوَايِدِ هُوَ الْغَالِبُ عَلَى أَكْثَرِ النَّاسِ، فَالانتقال عنه كالانتقال عن الطبيعة إلى طبيعة ثانية.

فصلوات الله وسلامه على أنبيائه ورُسُلِهِ، خُصُوصًا عَلَى خَاتَمِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ مُحَمَّدًا، كَيْفَ غَيْرُوا عَوَائِدَ الْأُمَمِ الْبَاطِلَةِ وَنَقَلُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ حَتَّى اسْتَحْدَثُوا بِهِ طَبِيعَةً ثَانِيَّةً، خَرَجُوا بِهَا عَنْ عَادَتِهِمْ وَطَبِيعَتِهِمْ الْفَاسِدَةِ، وَلَا يَعْلَمُ مَشَقَّةَ هَذَا عَلَى النَّفُوسِ إِلَّا مَنْ زَاوَلَ نَقْلَ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَنْ دِينِهِ وَمَقَالَتِهِ إِلَى الْحَقِّ، فَجَزَى اللَّهُ الْمُرْسِلِينَ أَفْضَلَ مَا جَزَى بِهِ أَحَدًا مِنْ

العالمين. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٩٦).

ذم الله تعالى الذي آتاه العلم ولم يعمل به من عشرة أوجه

قال رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا

فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ

وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴿

[الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦] فَهَذَا مِثْلُ عَالَمِ السُّوءِ الَّذِي يَعْمَلُ بِخِلَافِ عِلْمِهِ وَتَأْمُلُ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ ذِمَّةٍ وَذَلِكَ مِنْ وَجْهِهِ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ ضَلَّ بَعْدَ الْعِلْمِ وَاخْتَارَ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ عَمْدًا وَلَا جَهْلًا.

وَتَانِيهَا: أَنَّهُ فَارَقَ الْإِيمَانَ مُفَارَقَةً مِنْ لَا يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا فَإِنَّهُ انْسَلَخَ مِنَ الْآيَاتِ بِالْجُمْلَةِ كَمَا تَنْسَلَخُ الْحَيَّةُ مِنْ قَشْرِهَا وَلَوْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَنْسَلَخِ مِنْهَا.

وَتَالِثُهَا: أَنَّ الشَّيْطَانَ أَدْرَكَهُ وَلَحِقَهُ بِحَيْثُ ظَفَرَ بِهِ وَافْتَرَسَهُ وَلِهَذَا قَالَ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ وَلَمْ يَقِلْ تَبِعَهُ فَإِنْ فِي مَعْنَى أَتْبَعَهُ أَدْرَكَهُ وَلَحِقَهُ وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ تَبِعَهُ لَفْظًا وَمَعْنَى.

وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ غَوِيَ بَعْدَ الرُّشْدِ وَالْغِيِّ الضَّلَالِ فِي الْعِلْمِ وَالْقَصْدِ وَهُوَ أَخْصُ بِفَسَادِ الْقَصْدِ وَالْعَمَلِ كَمَا أَنَّ الضَّلَالَةَ أَخْصُ بِفَسَادِ الْعِلْمِ وَالْإِعْتِقَادِ فَإِذَا أَفْرَدَ أَحَدُهُمَا دَخَلَ فِيهِ الْآخَرُ وَإِنْ اقْتَرْنَا فَالْفَرْقُ مَا ذَكَرَ.

وْخَامِسُهَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَرْفَعَهُ بِالْعِلْمِ فَكَانَ سَبَبَ هَلَاكِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْفَعْ بِهِ فَصَارَ وَبَالَآ عَلَيْهِ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا كَانَ خَيْرًا لَهُ وَأَخْفَ لِعَذَابِهِ.

وَسَادِسُهَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ خَسَةِ هِمَّتِهِ وَأَنَّهُ اخْتَارَ الْأَسْفَلَ الْأَدْنَى عَلَى الْأَشْرَفِ الْأَعْلَى:

وَسَابِعُهَا: أَنَّ اخْتِيَارَهُ لِلْأَدْنَى لَمْ يَكُنْ عَنْ خَاطِرٍ وَحَدِيثِ نَفْسٍ وَلَكِنَّهُ كَانَ عَنْ إِخْلَادٍ إِلَى الْأَرْضِ وَمِيلٍ بِكَلْبَتِهِ إِلَى مَا هُنَاكَ وَأَصْلُ الْإِخْلَادِ اللَّزُّومُ عَلَى الدَّوَامِ كَأَنَّهُ قِيلَ لَزِمِ الْمِيلَ إِلَى الْأَرْضِ وَمِنْ هَذَا يُقَالُ أَخْلَدَ فُلَانٌ بِالْمَكَانِ إِذَا لَزِمَ الْإِقَامَةَ بِهِ قَالَ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ:

بأبناء حي من قبائل مالك * * وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا
وعبر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض لأن الدنيا هي الأرض وما فيها وما
يستخرج منها من الزينة والمتاع.

وثامنها: أنه رغب عن هداه واتبع هواه فجعل هواه إماماً له يقتدي به ويتبعه:

وتاسعها: أنه شبهه بالكلب الذي هو أخس الحيوانات همة وأسقطها نفساً وأبخلها
وأشدّها كلباً ولهذا سمي كلباً.

وعاشرها: أنه شبه لهثه على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدائها وحرصه على
تحصيلها بلهث الكلب في حالتي تركه والحمل عليه بالطرد، وهكذا هذا إن ترك فهو
لهثان على الدنيا وإن وعظ وزجر فهو كذلك فاللهث لا يفارقه في كل حال كلهث
الكلب.

قال ابن قتيبة **رحمته الله:** كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه
يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال الرّي وحال العطش فضربه الله مثلاً لهذا
الكافر فقال إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته
على حاله لهث وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب وإنما وقع بالكلب اللاهث وذلك أخس
ما يكون وأشنعه. **الفوائد (ص: ١٠١).**

عشرة أشياء لا يواخذ الله بها المكلف

قال رحمته الله: إن الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفاً ودلالة على ما في نفوسهم،
فإذا أراد أحدكم من الآخر شيئاً عرفه بمُراده وما في نفسه بلفظه، ورَتَّبَ على تلك
الإرادات والمقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما

فِي النَّفُوسِ مِنْ غَيْرِ دَلَالَةٍ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ، وَلَا عَلَى مُجَرَّدِ أَلْفَاظٍ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِهَا لَمْ يُرِدْ مَعَانِيَهَا وَلَمْ يُحِطْ بِهَا عِلْمًا، بَلْ تَجَاوَزَ لِلأُمَّةِ عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تُكَلِّمَ بِهِ، وَتَجَاوَزَ لَهَا عَمَّا تَكَلَّمَتْ بِهِ مُخْطِئَةً أَوْ نَاسِيَةً أَوْ مُكْرَهَةً أَوْ غَيْرَ عَالِمَةٍ بِهِ إِذَا لَمْ تَكُنْ مُرِيدَةً لِمَعْنَى مَا تَكَلَّمَتْ بِهِ أَوْ قَاصِدَةً إِلَيْهِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ الْقَصْدُ وَالدَّلَالَةُ الْقَوْلِيَّةُ أَوْ الْفِعْلِيَّةُ تَرْتَبَ الْحُكْمُ. هَذِهِ قَاعِدَةُ الشَّرِيعَةِ، وَهِيَ مِنْ مُقْتَضِيَّاتِ عَدْلِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، فَإِنَّ خَوَاطِرَ الْقُلُوبِ وَإِرَادَةَ النَّفُوسِ لَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْإِخْتِيَارِ، فَلَوْ تَرْتَبَتْ عَلَيْهَا الْأَحْكَامُ لَكَانَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ حَرَجٍ وَمَشَقَّةٍ عَلَى الْأُمَّةِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتُهُ تَأْتِي ذَلِكَ، وَالْغَلَطُ وَالنَّسْيَانُ وَالسَّهْوُ وَسَبْقُ اللِّسَانِ بِمَا لَا يُرِيدُهُ الْعَبْدُ بَلْ يُرِيدُ خِلَافَهُ وَالتَّكَلُّمُ بِهِ مُكْرَهًا وَغَيْرَ عَارِفٍ لِمُقْتَضَاهُ مِنْ لَوَازِمِ الْبَشَرِيَّةِ لَا يَكَادُ يَنْفَكُ الْإِنْسَانُ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ؛ فَلَوْ رَتَّبَ عَلَيْهِ الْحُكْمَ لَحَرَجَتْ الْأُمَّةُ وَأَصَابَهَا غَايَةُ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ؛ فَرَفَعَ عَنْهَا الْمُؤَاخَذَةَ بِذَلِكَ كُلِّهِ حَتَّى الْخَطَأُ فِي اللَّفْظِ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ وَالْغَضَبِ وَالسُّكْرِ كَمَا تَقَدَّمَتْ شَوَاهِدُهُ، وَكَذَلِكَ الْخَطَأُ، وَالنَّسْيَانُ، وَالْإِكْرَاهُ، وَالْجَهْلُ بِالْمَعْنَى، وَسَبْقُ اللِّسَانِ بِمَا لَمْ يُرِدْهُ، وَالتَّكَلُّمُ فِي الْإِغْلَاقِ، وَلَغْوُ الْيَمِينِ؛ فَهَذِهِ عَشْرَةُ أَشْيَاءَ لَا يُؤَاخِذُ اللَّهُ بِهَا عَبْدَهُ بِالتَّكَلُّمِ فِي حَالٍ مِنْهَا؛ لِعَدَمِ قَصْدِهِ وَعَقْدِ قَلْبِهِ الَّذِي يُؤَاخِذُهُ بِهِ.

أَمَّا الْخَطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ فَكَأَمَّا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ حَدِيثُ: «فَرَحَ الرَّبِّ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ وَقَوْلِ الرَّجُلِ: أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»^(١).

(١) يشير إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في البخاري (٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧).

وَأَمَّا الْخَطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ فَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ [يونس: ١١] قَالَ السَّلَفُ: هُوَ دُعَاءُ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ حَالِ الْغَضَبِ، لَوْ أَجَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْلِكَ الدَّاعِي وَمَنْ دَعَى عَلَيْهِ، فَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ، وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ: الْإِعْلَاقُ الَّذِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وَقُوعِ الطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ فِيهِ هُوَ الْغَضَبُ. وَهَذَا كَمَا قَالُوهُ؛ فَإِنَّ لِلْغَضَبِ سُكْرًا كَسُكْرِ الْخَمْرِ أَوْ أَشَدَّ.

وَأَمَّا السُّكْرَانُ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] فَلَمْ يُرْتَبْ عَلَى كَلَامِ السُّكْرَانِ حُكْمًا حَتَّى يَكُونَ عَالِمًا بِمَا يَقُولُ؛ وَلِذَلِكَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يُشَكِّكُ الْمُقَرَّبَ بِالزَّنَا لِيَعْلَمَ هَلْ هُوَ عَالِمٌ بِمَا يَقُولُ أَوْ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا يَقُولُ، وَلَمْ يُؤَاخِذْ حَمْزَةً بِقَوْلِهِ فِي حَالِ السُّكْرِ: هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدُ لِأَبِي وَلَمْ يَكْفُرْ مَنْ قَرَأَ فِي حَالِ سُكْرِهِ فِي الصَّلَاةِ: أَعْبُدْ مَا تَعْبُدُونَ، وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ.

وَأَمَّا الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «قَدْ فَعَلْتَ» وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا أَسْكَرَ هُوَا عَلَيْهِ».

«١» أخرجه مسلم برقم (٢٠٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

«٢» رواه ابن ماجه وغيره، وصححه العلامة الألباني في المشكاة (٦٢٨٤)، والإرواء (٨٢) عن أبي ذر رضي الله عنه.

وَأَمَّا الْمُكْرَهُ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ

مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وَالْإِكْرَاهُ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الْإِغْلَاقِ.

وَأَمَّا اللَّغْوُ فَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤَاخَذَةَ بِهِ حَتَّى يَحْصَلَ عَقْدُ الْقَلْبِ.

وَأَمَّا سَبْقُ اللِّسَانِ بِمَا لَمْ يُرِدْهُ الْمُتَكَلِّمُ فَهُوَ دَائِرٌ بَيْنَ الْخَطَا فِي اللَّفْظِ وَالْخَطَا فِي الْقَصْدِ؛ فَهُوَ أَوْلَى أَنْ لَا يُؤَاخَذَ بِهِ مِنْ لَغْوِ الْيَمِينِ، وَقَدْ نَصَّ الْأِئِمَّةُ عَلَى مَسَائِلَ مِنْ ذَلِكَ تَقَدَّمَ ذِكْرُ بَعْضِهَا. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣ / ٨٧).

عشرة أشياء يفعلها كثير من الموسوسين بعد البول

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن هذا ما يفعله كثير من الموسوسين بعد البول وهو عشرة أشياء:

السَّلتُ، والتَّتر.

والنَّحْنَحَة.

والمشى.

والقفز.

والحَبْل.

والتفقد.

والوجور.

والحشو.

والعصابة.

والدَّرَجَة.

أما السلت: فيسلته من أصله إلى رأسه، والنحنة: ليستخرج الفضلة، وكذلك القفز: يرتفع عن الأرض شيئاً ثم يجلس بسرعة، والحبل: يتخذ بعضهم حبلاً يتعلق به حتى يكاد يرتفع، ثم ينخرط منه حتى يقعد، والتفقد: يمسك الذكر ثم ينظر في المخرج هل بقي فيه شيء أم لا. والوجور: يمسكه ثم يفتح الثقب ويصب فيه الماء: والحشو: يكون معه ميل وقطن يحشوه به كما يحشو الدمل بعد فتحها. والعصابة: يعصبه بخرقه، والدرجة يصعد في سلم قليلاً ثم ينزل بسرعة، والمشي: يمشي خطوات ثم يعيد الاستجمار. قال شيخنا: وذلك كله وسواس وبدعة، فراجعته في السلت والنتر فلم يره، وقال: لم يصح الحديث، قال: والبول كاللبن في الضرع إن تركته قر وإن حلبته در. وقال: ومن اعتاد ذلك ابتلي منه بما عوفى منه من لها عنه.

وقال: ولو كان هذا سنة لكان أولى الناس به رسول الله ﷺ وأصحابه. إغاثة اللفهان من مصاد

الشیطان (١/ ١٤٣). اهـ

وقال رحمه الله: وَكَانَ يَسْتَنْجِي وَيَسْتَجْمِرُ بِشِمَالِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ شَيْئاً مِمَّا يَصْنَعُهُ الْمُبْتَلُونَ بِالْوَسْوَاسِ مِنْ نَتْرِ الذَّكْرِ، وَالنَّحْنَحَةِ، وَالْقَفْزِ، وَمَسْكِ الْحَبْلِ، وَطُلُوعِ الدَّرَجِ، وَحَشْوِ الْقُطْنِ فِي الْإِخْلِيلِ، وَصَبِّ الْمَاءِ فِيهِ وَتَفْقُّدِهِ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ بَدْعِ أَهْلِ الْوَسْوَاسِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٦٦).

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها

قال رحمه الله: عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها:

علم لا يعمل به.

وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء.

ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامع في الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة.

وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به.

وبدن معطل من طاعته وخدمته.

ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامثال أوامره.

ووقت معطل عن استدراك فارطه أو اغتنام بر وقربة.

وفكر يجول فيما لا ينفع.

وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك.

وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله، وهو أسبر في قبضته، ولا يملك لنفسه حذرا ولا

نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان، هما أصل كل إضاعة:

إضاعة القلب، وإضاعة الوقت، وإضاعة القلب من إثارة الدنيا على الآخرة وإضاعة الوقت من طول الأمل فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل والصلاح كله في

إتباع الهدى والاستعداد للقاء والله المستعان. (الفوائد (ص: ١١١).

إبطال قول: «إن الذبيح هو إسحاق» من عشرة أوجه

قال رَحِمَهُ اللهُ: عند قول النصارى: أن الله سبحانه وتعالى قال لإبراهيم عليه السلام: «اذبح ولدك بكر، ووحيدك إسحاق»، زيادة منهم في لفظ التوراة. وهى باطلة قطعاً من عشرة أوجه:

أحدها: أن بكره ووحیده هو إسماعيل باتفاق الملل الثلاث. فالجمع بين كونه مأمور بذبح بكره وتعيينه بإسحاق جمع بين النقيضين.

الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم أن ينقل هاجر وابنها إسماعيل عن سارة، ويسكنها في بركة مكة، لثلاثين سنة. فأمر بإبعاد السرية وولدها عنها، حفظاً لقلبها، ودفعاً لأذى الغيرة عنها. فكيف يأمر سبحانه وتعالى بعد هذا بذبح ابن سارة وإبقاء ابن السرية؟ فهذا مما لا تقتضيه الحكمة.

الثالث: أن قصة الذبح كانت بمكة قطعاً، ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقربان بمكة، تذكيراً للأمة بما كان من قصة أبيهم إبراهيم مع ولده.

الرابع: أن الله سبحانه وبشر سارة أم إسحاق: ﴿يَاسْحَقُ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ (٧١) [هود: ٧١]. فبشرها بهما جميعاً، فكيف يأمر بعد ذلك بذبح إسحاق، وقد بشر أبويه بولد ولده؟.

الخامس: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه لله تعالى، وإقدام إبراهيم على ذبحه، وفرغ من قصته، قال بعدها: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٢)

فشكر الله تعالى له استسلامه لأمره، وبذل ولده له، وجعل من إثابته على ذلك: أن آتاه إسحق. فنجى إسماعيل من الذبح، وزاده عليه إسحق.

السادس: أن إبراهيم - صلوات الله تعالى وسلامه عليه - سأل ربه الولد. فأجاب الله دعاءه، وبشره، فلما بلغ معه السعى أمره بذبحه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ

﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ٩٩-١٠١].

فهذا دليل على أن هذا الولد إنما بشر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولدا، وهذا المبشر به هو المأمور بذبحه قطعاً بنص القرآن.

وأما إسحق فإنما بشر به من غير دعوة منه، بل على كبر السن، وكون مثله لا يولد له، وإنما كانت البشارة به لامرأته سارة، ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوَاسِيَ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٦٩-٧٣].

فتأمل سياق هذه البشارة وتلك، تجدهما بشارتين، متفاوتتين، مخرج إحداهما غير مخرج الأخرى.

والبشارة الأولى كانت له. والثانية كانت لها.

والبشارة الأولى هي التي أمر بذبح من بشر به فيها، دون الثانية.

السابع: أن إبراهيم عليه السلام لم يقدم بإسحاق إلى مكة البتة، ولم يفرق بينه وبين أمه. وكيف يأمره الله تعالى أن يذهب بابن امرأته، فيذبحه بموضع ضرته في بلدها، ويدع ابن ضرته؟.

الثامن: أن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم خليلاً. والخلة تتضمن أن يكون قلبه كله متعلقاً بربه، ليس فيه شعبة لغيره. فلما سأله الولد، وهبه إسماعيل. فتعلق به شعبة من قلبه. فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له، ليست لغيره من الخلق. فامتحنه بذبح ولده. فلما أقدم على الامتثال. خلصت له تلك الخلة، وتمحضت لله وحده. فنسخ الأمر بالذبح، لحصول المقصود وهو العزم، وتوطين النفس على الامتثال.

ومن المعلوم: أن هذا إنما يكون في أول الأولاد، لا في آخرها. فلما حصل هذا المقصود من الولد الأول لم يحتج في الولد الآخر إلى مثله. فإنه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لأمر بذبحه. كما أمر بذبح الأول. فلو كان المأمور بذبحه هو الولد الآخر لكان قد أقره في الأول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة. ثم أمره بما يزيل المزاحم بعد ذلك. وهذا خلاف مقتضى الحكمة فتأمل.

التاسع: أن إبراهيم عليه السلام إنما رزق إسحاق عليه السلام على الكبر، وإسماعيل عليه السلام رزقه في عنفوانه وقوته. والعادة أن القلب أعلق بأول الأولاد، وهو إليه أميل وله أحب، بخلاف من يرزقه على الكبر. ومحل الولد بعد الكبر كمحل الشهوة للمرأة.

العاشر: أن النبي ﷺ كان يفتخر بقوله: «أَنَا ابْنُ الذِّبْحَيْنِ»^(١). يعنى أباه عبد الله، وجده

إسماعيل. قال الإمام الألباني في السلسلة الضعيفة (١ / ٥٠٠) لا أصل له بهذا اللفظ.

والمقصود: أن هذه اللفظة مما زادوها في التوراة.

ونحن نذكر السبب الموجب لتغيير ما غير منها، والحق أحق ما اتبع، فلا تغلوا غلو

المستهينين لها، المتمسخرين بها، بل معاذ الله من ذلك.

ولا نقول: إنها باقية كما أنزلت من كل وجه، كالقرآن. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (٢ / ٣٥٥).

الخارجون عن طاعة الرسل ﷺ يتقلبون في عشر ظلمات

قال رسول الله ﷺ: الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ الرُّسُلِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - وَمُتَابِعَتِهِمْ

يَتَقَلَّبُونَ فِي عَشْرِ ظُلُمَاتٍ:

ظُلْمَةُ الطَّعْنِ.

وظُلْمَةُ الْجَهْلِ.

وظُلْمَةُ الْهَوَى.

وظُلْمَةُ الْقَوْلِ.

وظُلْمَةُ الْعَمَلِ.

وظُلْمَةُ الْمُدْخَلِ.

وظُلْمَةُ الْمُخْرَجِ.

وظُلْمَةُ الْقَبْرِ.

«١» قال الإمام الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١ / ٥٠٠) لا أصل له بهذا اللفظ.

وظُلْمَةُ الْقِيَامَةِ.

وظُلْمَةُ دَارِ الْقَرَارِ.

فَالظُّلْمَةُ لَازِمَةٌ لَهُمْ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثِ.

وَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي عَشْرَةِ أَنْوَارٍ، وَلِهَذِهِ الْأُمَّةُ وَنَبِيِّهَا مِنَ النُّورِ مَا لَيْسَ لِأُمَّةٍ غَيْرِهَا، وَلَا لِنَبِيِّ غَيْرِهِ، فَإِنَّ لِكُلِّ "نَبِيٍّ" مِنْهُمْ نُورَيْنِ، وَلِنَبِيِّهَا ﷺ تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ نُورٌ تَامٌ، كَذَلِكَ صِفَتُهُ وَصِفَةُ أُمَّتِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ

وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨] وَفِي قَوْلِهِ:

﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ إِعْلَامٌ بِأَن تَصَرَّفَهُمْ وَتَقَلُّبَهُمُ الَّذِي يَنْفَعُهُمْ إِنَّمَا هُوَ النُّورُ، وَأَنَّ مَشْيَهُمْ بِغَيْرِ النُّورِ غَيْرٌ مُجْدٍ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَافِعٌ لَهُمْ بَلْ ضَرَرُهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ. اجتماع الجيوش الإسلامية (٢ / ٤٣).

أسباب القيء عشرة

قال رحمه الله: أسباب القيء عشرة:

أَحَدُهَا: غَلَبَةُ الْمِرَّةِ الصَّفَرَاءِ، وَطَفُوهَا عَلَى رَأْسِ الْمِعْدَةِ، فَتَطْلُبُ الصُّعُودَ.

الثَّانِي: مِنْ غَلَبَةِ بُلْغَمٍ لَزِجٍ قَدْ تَحَرَّكَ فِي الْمِعْدَةِ، وَاحْتِاجٌ إِلَى الْخُرُوجِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مِنْ ضَعْفِ الْمِعْدَةِ فِي ذَاتِهَا، فَلَا تَهْضُمُ الطَّعَامَ، فَتَقْدِفُهُ إِلَى جِهَةِ فَوْقَ.

الرَّابِعُ: أَنْ يَخْلِطَهَا خَلْطٌ رَدِيءٌ يَنْصَبُ إِلَيْهَا، فَيَسِيءُ هَضْمَهَا، وَيُضْعِفُ فِعْلَهَا.

الخَامِسُ: أَنْ يَكُونَ مِنْ زِيَادَةِ الْمَأْكُولِ أَوْ الْمَشْرُوبِ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي تَحْتَمِلُهُ الْمِعْدَةُ، فَتَعْجِزُ

عَنْ إِمْسَاكِهِ، فَتَطْلُبُ دَفْعَهُ وَقَدْفَهُ.

السادس: أَنْ يَكُونَ مِنْ عَدَمِ مُوَافَقَةِ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ لَهَا، وَكَرَاهَتِهَا لَهُ، فَتَطْلُبُ دَفْعَهُ وَقَذْفَهُ.

السابع: أَنْ يَحْصُلَ فِيهَا مَا يُثَوِّرُ الطَّعَامَ بِكَيْفِيَّتِهِ وَطَبِيعَتِهِ، فَتَقْذِفُ بِهِ.

الثامن: الْقَرْفُ، وَهُوَ مُوجِبُ غَثَايَ النَّفْسِ وَتَهْوُّعِهَا.

التاسع: مِنَ الْأَعْرَاضِ النَّفْسَانِيَّةِ، كَالْهَمِّ الشَّدِيدِ، وَالْغَمِّ، وَالْحُزَنِ، وَغَلَبَةِ اشْتِغَالِ الطَّبِيعَةِ وَالْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ بِهِ، وَاهْتِمَامِهَا بِوُرُودِهِ عَنْ تَدْيِيرِ الْبَدَنِ، وَإِصْلَاحِ الْغِذَاءِ، وَإِنْصَاحِهِ، وَهَضْمِهِ، فَتَقْذِفُهُ الْمِعْدَةُ، وَقَدْ يَكُونُ لِأَجْلِ تَحْرُكِ الْأَخْلَاطِ عِنْدَ تَجَبُّطِ النَّفْسِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ يَنْفَعِلُ عَنْ صَاحِبِهِ، وَيُؤَثِّرُ فِي كَيْفِيَّتِهِ.

العاشر: نَقْلُ الطَّبِيعَةِ بِأَنْ يَرَى مَنْ يَتَقَيًّا، فَيَغْلِبُهُ هُوَ الْقِيءُ مِنْ غَيْرِ اسْتِدْعَاءٍ، فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ نَقَّالَةٌ. الطب النبوي (ص: ٩٦).

تعتبر جودة الماء من عشر طرق

قال رسول الله: الْمَاءُ: مَادَّةُ الْحَيَاةِ، وَسَيِّدُ الشَّرَابِ، وَأَحَدُ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، بَلْ رُكْنُهُ الْأَصْلِيُّ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ خُلِقَتْ مِنْ بُخَارِهِ، وَالْأَرْضُ مِنْ زَبَدِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ: هَلْ يَغْدُو، أَوْ يُنْفَذُ الْغِذَاءُ فَقَطْ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ، وَذَكَرْنَا الْقَوْلَ الرَّاجِحَ وَدَلِيلَهُ.

وَهُوَ بَارِدٌ رَطْبٌ، يَقْمَعُ الْحَرَارَةَ، وَيَحْفَظُ عَلَى الْبَدَنِ رُطُوبَاتِهِ، وَيُرَدُّ عَلَيْهِ بَدَلُ مَا تَحَلَّلَ مِنْهُ، وَيَرَقُّ الْغِذَاءُ وَيُنْفَذُ فِي الْعُرُوقِ.

وَتُعْتَبَرُ جَوْدَةُ الْمَاءِ مِنْ عَشْرَةِ طُرُقٍ:

أحدها: مِنْ لَوْنِهِ بِأَنْ يَكُونَ صَافِيًا.

الثاني: مِنْ رَائِحَتِهِ بِأَنْ لَا تَكُونَ لَهُ رَائِحَةُ الْبَتَّةِ.

الثالث: مِنْ طَعْمِهِ بِأَنْ يَكُونَ عَذْبَ الطَّعْمِ حُلُوهُ، كَمَاءِ النَّيْلِ وَالْفُرَاتِ.

الرابع: مِنْ وَزْنِهِ بِأَنْ يَكُونَ خَفِيفًا رَقِيقَ الْقَوَامِ.

الخامس: مِنْ مَجْرَاهُ، بِأَنْ يَكُونَ طَيِّبَ الْمَجْرَى وَالْمَسْلَكِ.

السادس: مِنْ مَنَبَعِهِ بِأَنْ يَكُونَ بَعِيدَ الْمَنَبَعِ.

السابع: مِنْ بُرُوزِهِ لِلشَّمْسِ وَالرَّيْحِ،! بِأَنْ لَا يَكُونَ مُخْتَفِيًا تَحْتَ الْأَرْضِ، فَلَا تَتِمَّكُنُ

الشَّمْسُ وَالرَّيْحُ مِنْ قُصَارَتِهِ

الثامن: مِنْ حَرَكَتِهِ بِأَنْ يَكُونَ سَرِيعَ الْجَرِيِّ وَالْحَرَكََةِ.

التاسع: مِنْ كَثَرَتِهِ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ كَثْرَةٌ يَدْفَعُ الْفَضَالَاتِ الْمُخَالِطَةَ لَهُ.

العاشر: مِنْ مَصَبِّهِ بِأَنْ يَكُونَ آخِذًا مِنَ الشَّامَالِ إِلَى الْجَنُوبِ، أَوْ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى

الْمَشْرِقِ.

وَإِذَا اعْتَبَرْتَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ. لَمْ تَجِدْهَا بِكَمَالِهَا إِلَّا فِي الْأَنْهَارِ الْأَرْبَعَةِ:

النَّيْلِ، وَالْفُرَاتِ، وَسَيْحُونِ، وَجَيْحُونِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم: «سَيْحَانُ،

وَجَيْحَانُ، وَالنَّيْلُ، وَالْفُرَاتُ، كُلُّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ»^(١).

وَتُعْتَبَرُ خِفَةُ الْمَاءِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ، أَحَدُهَا: سُرْعَةُ قَبُولِهِ لِلْحَرِّ وَالْبَرْدِ. قَالَ أَبُقْرَاطُ: الْمَاءُ الَّذِي يَسْخُنُ سَرِيعًا، وَيَبْرُدُ سَرِيعًا أَخَفُ الْمِيَاهِ. الثَّانِي: بِالْمِيزَانِ، الثَّلَاثُ: أَنْ تُبَلَّ قُطْعَتَانِ مُتَسَاوِيَتَا الْوِزْنِ بِمَاءَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، ثُمَّ يُجَفَّفَا بِالْعَا، ثُمَّ تُوزَنَا، فَإَيُّهُمَا كَانَتْ أَخَفَّ، فَمَاؤُهَا كَذَلِكَ. الطب النبوي (ص: ٢٩٥).

عشرة أوجه تدل على بطلان وجود الخضر الآن

قال رحمه الله: قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: وَمَا أَبْعَدُ فِيهِمْ مَنْ يُثْبِتُ وُجُودَ الْخَضِرِ وَيَنْسَى مَا فِي طَيِّ إِثْبَاتِهِ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنْ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ. أَمَّا الدَّلِيلُ مِنَ الْمَعْقُولِ فَمِنْ عَشْرَةِ أَوْجِهٍ: **أحدها:** أَنَّ الَّذِي أَثْبَتَ حَيَاتَهُ يَقُولُ إِنَّهُ وَلَدَ آدَمَ لِصُلْبِهِ وَهَذَا فَاسِدٌ لَوْجِهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ يَكُونُ عُمُرُهُ الْآنَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ فِيمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِ يُوْحَنَّا الْمُرَّخِ وَمِثْلُ هَذَا بَعِيدٌ فِي الْعَادَاتِ أَنْ يَقَعَ فِي حَقِّ الْبَشَرِ.

والثاني: أَنَّهُ لَوْ كَانَ وَلَدَهُ لِصُلْبِهِ أَوْ الرَّابِعِ مِنْ وَلَدٍ وَلَدَهُ - كَمَا زَعَمُوا - وَإِنَّهُ كَانَ وَزِيرَ ذِي الْقُرَيْنِ فَإِنَّ تِلْكَ الْخَلْقَةَ لَكُنَتْ عَلَى خِلْقَتِنَا بُلٌّ مُفْرِطٌ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ.

فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ»^(١) وَمَا ذَكَرَ أَحَدٌ مِمَّنْ رَأَى الْخَضِرَ أَنَّهُ رَأَاهُ عَلَى خَلْقَةٍ عَظِيمَةٍ وَهُوَ مِنْ أَقْدَمِ النَّاسِ.

الوجه الثالث: أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْخَضِرُ قَبْلَ نُوحٍ لَرَكِبَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ وَلَمْ يَنْقَلِ هَذَا أَحَدٌ.

الوجه الرابع: أَنَّهُ قَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ نُوحًا لَمَّا نَزَلَ مِنَ السَّفِينَةِ مَاتَ مَنْ كَانَ مَعَهُ ثُمَّ مَاتَ نَسْلُهُمْ وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ نَسْلِ نُوحٍ وَالِدَلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] وَهَذَا يُطِلُّ قَوْلَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ كَانَ قَبْلَ نُوحٍ.

والوجه الخامس: أَنَّ هَذَا لَوْ كَانَ صَحِيحًا أَنَّ بَشَرًا مِنْ بَنِي آدَمَ يَعِيشُ مِنْ حِينَ يُوَلَّدُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَمَوْلَدُهُ قَبْلَ نُوحٍ لَكَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ وَكَانَ خَبْرُهُ فِي الْقُرْآنِ مَذْكُورًا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ لَّأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْ أَحْيَاهُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا وَجَعَلَهُ آيَةً فَكَيْفَ بَمَنْ أَحْيَاهُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مَا أَلْقَى هَذَا بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا شَيْطَانٌ.

والوجه السادس: أَنَّ الْقَوْلَ بِحَيَاةِ الْخَضِرِ قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِلا عِلْمٍ وَذَلِكَ حَرَامٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ.

أَمَّا الْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَّةُ فَظَاهِرَةٌ، وَأَمَّا الْأُولَى فَإِنَّ حَيَاتَهُ لَوْ كَانَتْ ثَابِتَةً لَدَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ أَوْ السُّنَّةُ أَوْ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ فَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى فَأَيُّنَ فِيهِ حَيَاةُ الْخَضِرِ وَهَذِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَيُّنَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ بَوَاحٍ وَهَؤُلَاءِ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ هَلْ أَجْمَعُوا عَلَى حَيَاتِهِ.

الوجه السابع: أَنَّ غَايَةَ مَا يَتَمَسَّكُ بِهِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى حَيَاتِهِ حِكَايَاتُ مَنْقُولَةٍ يَخْبِرُ الرَّجُلَ بِهَا أَنَّهُ رَأَى الْخَضِرَ فَيَا لِلْعَجَبِ هَلْ لِلْخَضِرِ عَلَامَةٌ يَعْرِفُهَا بِهَا مَنْ رَأَاهُ وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَغْتَرُّ بِقَوْلِهِ أَنَا الْخَضِرُ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَصَدِيقُ قَائِلٍ ذَلِكَ بِلا بُرْهَانٍ مِنَ اللَّهِ فَأَيُّنَ لِلرَّائِي أَنَّ الْمُخْبِرَ لَهُ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ؟

الوجه الثامن: أَنَّ الْخَضِرَ فَارَقَ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ كَلِيمَ الرَّحْمَنِ وَلَمْ يُصَاحِبْهُ وَقَالَ لَهُ: ﴿هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [الكهف: ٧٨] فَكَيْفَ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِمُفَارَقَتِهِ لِمِثْلِ مُوسَى ثُمَّ يَجْتَمِعُ بِجَهْلَةِ الْعِبَادِ الْخَارِجِينَ عَنِ الشَّرِيعَةِ الَّذِينَ لَا يَحْضُرُونَ جُمُعَةً وَلَا جَمَاعَةً وَلَا مَجْلِسَ عِلْمٍ وَلَا يَعْرِفُونَ مِنَ الشَّرِيعَةِ شَيْئًا؟ وَكُلُّ مَنْهُمْ يَقُولُ قَالَ الْخَضِرُ وَجَاءَنِي الْخَضِرُ وَأَوْصَانِي الْخَضِرُ!

فيا عجبا له! يفارق كليم الله تعالى وَيَدُورُ عَلَى صُحْبَةِ الْجُهَّالِ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَتَوَضَّأُ وَلَا كَيْفَ يُصَلِّي؟!

الوجه التاسع: أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْمِعَةً عَلَى أَنَّ الَّذِي يَقُولُ: أَنَا الْخَضِرُ، لَوْ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ وَلَمْ يَحْتَجْ بِهِ فِي الدِّينِ إِلَّا أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا بَايَعَهُ أَوْ يَقُولُ هَذَا الْجَاهِلُ إِنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِ وَفِي هَذَا مِنَ الْكُفْرِ مَا فِيهِ.

الوجه العاشر: أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ جِهَادُهُ الْكُفَّارَ وَرِبَاطُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَقَامُهُ فِي الصَّفِّ سَاعَةً وَحُضُورُهُ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَتَعْلِيمُهُ الْعِلْمَ أَفْضَلُ لَهُ بِكَثِيرٍ مِنْ سِيَاحَتِهِ بَيْنَ الْوُحُوشِ فِي الْقَفَارِ وَالْفَلَوَاتِ وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ أَعْظَمِ الطَّعْنِ عَلَيْهِ وَالْعَيْبِ لَهُ؟. النار المنيف في الصحيح والضعيف (ص: ٧٣).

للمجنون عشرة أسماء

قال رَحِمَهُ اللهُ: فائدة يقال:

مجنونٌ.

ومغبونٌ.

ومهروعٌ.

خفقوعٌ.

ومعتوهٌ.

وممتوهٌ.

وممتةٌ.

ومسوسٌ.

وبه لم.

ومصابٌ في عقله.

فهذه عشرة ألقابٍ. وأما مخروعٌ فصَحَّفَهَا العامَّة من مهروع. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٤/ ١٦٢٦).

عشر حقائق لا تتعلق إلا بمعدوم

قال رَحِمَهُ اللهُ: عشر حقائق لا تتعلق إلا بمعدوم:

الشرط. وجزاؤه.

والأمر. والنهي.

والدعاء.

والوعد. والوعيد.

والترجي . والتمني .

والإباحة .

بدائع الفوائد (٤ / ٢١٤) .

يفترق المصدر واسم الفاعل في عشرة أحكام

قال رحمه الله: فائدة: يشترك المصدر واسم الفاعل في عملها عمل الفعل، ويفترقان في

عشرة أحكام:

الأول: أن اسم الفاعل يتحمل ضميراً مستتراً، نحو: "هذا ضاربٌ زيداً"، والمصدر لا يتحملُهُ. فإذا قلت: "يُعْجِبُنِي أَكْلُ الْحُبْزِ" لم يكن في "أَكَلَ" ضميراً، فقليل: لأنه ليس بمشتقٍّ، والضمير إنما يحمله المشتقاتُ.

الحكم الثاني: أن المصدر يعمل بمعنى المضي والحال والاستقبال، لأنه أصل الفعل، واسم الفاعل يختص عمله بما إذا كان في معنى الحال أو الاستقبال؛ لأنه يتحملُهُ لشبهه بالفعل المضارع الذي لا يكون إلا لأحدهما.

الثالث: أن المصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول، كما يُسلَّطُ الفعلُ عليهما، واسمُ الفاعل لا يضاف إلى الفاعل لاستحالة إضافته إلى نفسه.

الرابع: أن اسم الفاعل يعمل فيما قبله، والمصدر لا يعمل فيما قبله. وسرُّ الفرق أن المصدر في تقدير "أن" والفعل، فمعمولُهُ من صِلَتِهِ، فلا يتقدَّمُ عليه، بخلاف اسم الفاعل.

الخامس: أن إضافة اسم الفاعل لا يُفيد التعريف إلا إذا كان بمعنى المضي، وإضافة المصدر تُفيد التعريف مطلقاً.

السادس: أن الألف واللام إذا دخلت على اسم الفاعل كانت موصولة، وإذا دخلت على المصدر لم تكن موصولة، ومن الفرق عَوْدُ الضمير عليها من اسم الفاعل دون المصدر.

السابع: أن المصدر ينعقد منه ومن معموله كلام تام، لا يفتقر إلى شيء قبله، نحو: "ضَرْبًا زَيْدًا" واسم الفاعل لا ينعقد منه ومن معموله كلام تام حتى يعتمد على شيء قبله، نحو: "هذا ضاربٌ زَيْدًا" و"جَاءَنِي مُكْرِمٌ عَمْرًا".

الثامن: أن جهة عمل المصدر كونه أصلاً للفعل، وجهة عمل اسم الفاعل كونه فرعاً على الفعل.

التاسع: أن إضافة المصدر لا يمنع من نصبه بمفعوله، وإضافة اسم الفاعل تمنع من نصبه بمفعوله، إلا أن يتعدى فعله إلى أكثر من واحد، فيتصب حينئذٍ ماعدا المفعول الأول.

العاشر: أن الألف واللام إذا دخلت على المصدر أذهبت عمله، فـ "لَمْ أَكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعًا" شاذٌّ نادرٌ، وإذا دخلت على اسم الفاعل قَوَّتْ عمله، ولهذا لا يعمل بمعنى المضي، فإن اقترنت به الألف واللام عمل، تقول: "هذا الضاربُ زَيْدًا أَمْسَ" وسرُّ الفرق أن الألف واللام فيه موصولة، تقوي جانب الفعلية فيه، بخلافها في المصدر. بدائع الفوائد ط عالم

الحياء على عشرة أقسام

قال رحمه الله: وَقَدْ قَسَمَ الْحَيَاءُ عَلَى عَشْرَةِ أَوْجُهٍ:

حَيَاءُ جَنَائَةٍ. وَحَيَاءُ تَقْصِيرٍ. وَحَيَاءُ إِجْلَالٍ. وَحَيَاءُ كَرَمٍ. وَحَيَاءُ حِشْمَةٍ. وَحَيَاءُ اسْتِصْغَارٍ
لِلنَّفْسِ وَاحْتِقَارٍ لَهَا. وَحَيَاءُ مَحَبَّةٍ. وَحَيَاءُ عُبودِيَّةٍ. وَحَيَاءُ شَرَفٍ وَعِزَّةٍ. وَحَيَاءُ الْمُسْتَحْيِي
مِنْ نَفْسِهِ.

فَأَمَّا حَيَاءُ الْجَنَائَةِ: فَمِنْهُ حَيَاءُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا فَرَّ هَارِبًا فِي الْجَنَّةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
«أَفْرَارًا مَنِي يَا آدَمُ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ. بَلْ حَيَاءٌ مِنْكَ».

وَحَيَاءُ التَّقْصِيرِ: كَحَيَاءِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ قَالُوا: سُبْحَانَكَ! مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ.

وَحَيَاءُ الْإِجْلَالِ: هُوَ حَيَاءُ الْمَعْرِفَةِ. وَعَلَى حَسَبِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ يَكُونُ حَيَاؤُهُ مِنْهُ.
وَحَيَاءُ الْكَرَمِ: كَحَيَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دَعَاهُمْ إِلَى وَلِيمَةٍ زَيْنَبَ، وَطَوَّلُوا
الْجُلُوسَ عِنْدَهُ. فَقَامَ وَاسْتَحْيَا أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: انْصَرِفُوا.

وَحَيَاءُ الْحِشْمَةِ: كَحَيَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَذْيِ
لِمَكَانِ ابْنَتِهِ مِنْهُ.

وَحَيَاءُ الْإِسْتِخْقَارِ وَاسْتِصْغَارِ النَّفْسِ: كَحَيَاءِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ يَسْأَلُهُ
حَوَائِجَهُ، اخْتِقَارًا لِشَأْنِ نَفْسِهِ، وَاسْتِصْغَارًا لَهَا. وَفِي أَثَرِ إِسْرَائِيلِي: «إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّهُ لَتُعَرِّضُ لِي الْحَاجَةَ مِنَ الدُّنْيَا. فَأَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَكَ هِيَ يَا رَبِّ.
فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: سَلْنِي حَتَّى مِلَحَ عَجِيَّتِكَ. وَعَلَفَ شَاتِكَ».

وَقَدْ يَكُونُ لِهَذَا النُّوعِ سَبَبَانِ:

أَحَدُهُمَا: اسْتِحْقَارُ السَّائِلِ نَفْسَهُ. وَاسْتِعْظَامُ ذُنُوبِهِ وَخَطَايَاهُ. الثَّانِي: اسْتِعْظَامُ مَسْئُولِهِ.
وَأَمَّا حَيَاءُ الْمَحَبَّةِ: فَهُوَ حَيَاءُ الْمُحِبِّ مِنْ مَحْبُوبِهِ، حَتَّى إِنَّهُ إِذَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِهِ فِي غَيْبَتِهِ
هَاجَ الْحَيَاءُ مِنْ قَلْبِهِ، وَأَحْسَسَ بِهِ فِي وَجْهِهِ. وَلَا يَذَرِي مَا سَبَّبَهُ. وَكَذَلِكَ يَعْزِضُ لِلْمُحِبِّ
عِنْدَ مُلَاقَاتِهِ مَحْبُوبِهِ وَمُفَاجَأَتِهِ لَهُ رَوْعَةٌ شَدِيدَةٌ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَمَالُ رَائِعٍ. وَسَبَبُ هَذَا
الْحَيَاءِ وَالرَّوْعَةِ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ لِلْمَحَبَّةِ سُلْطَانًا قَاهِرًا لِلْقَلْبِ أَعْظَمَ
مِنْ سُلْطَانِ مَنْ يَقْهَرُ الْبَدَنَ. فَإِنَّ مَنْ يَقْهَرُ قَلْبَكَ وَرُوحَكَ إِلَى مَنْ يَقْهَرُ بَدَنَكَ؟ وَلِذَلِكَ
تَعَجَّبَتِ الْمُلُوكُ وَالْجَبَابِرَةُ مِنْ قَهَرِهِمْ لِلْخَلْقِ وَقَهَرِ الْمَحْبُوبِ لَهُمْ، وَذَلَّلَهُمْ لَهُ. فَإِذَا فَاجَأَ
الْمَحْبُوبُ مُحِبَّهُ. وَرَأَاهُ بَغْتَةً: أَحَسَّ الْقَلْبُ بِهُجُومِ سُلْطَانِهِ عَلَيْهِ. فَاعْتَرَاهُ رَوْعَةٌ وَخَوْفٌ.
وَسَأَلْنَا يَوْمًا شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؟ فَذَكَرْتُ أَنَا
هَذَا الْجَوَابَ. فَتَبَسَّمَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا.

وَأَمَّا الْحَيَاءُ الَّذِي يَعْتَرِيهِ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ - كَأَمْتِهِ وَرُوحَتِهِ - فَسَبَبُهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ
- أَنَّ هَذَا السُّلْطَانَ لَمَّا زَالَ خَوْفُهُ عَنِ الْقَلْبِ بَقِيَتْ هَيْبَتُهُ وَاحْتِشَامُهُ. فَتَوَلَّى مِنْهَا الْحَيَاءُ.
وَأَمَّا حُصُولُ ذَلِكَ لَهُ فِي غَيْبَةِ الْمَحْبُوبِ: فَظَاهِرٌ. لِاسْتِيْلَائِهِ عَلَى قَلْبِهِ. فَوَهْمُهُ يُغَالِطُهُ عَلَيْهِ
وَيُكَابِرُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مَعَهُ.

وَأَمَّا حَيَاءُ الْعِبُودِيَّةِ: فَهُوَ حَيَاءٌ مُمْتَرِجٌ مِنْ مَحَبَّةٍ وَخَوْفٍ، وَمُشَاهِدَةٌ عَدَمِ صَلَاحِ عِبُودِيَّتِهِ
لِمَعْبُودِهِ، وَأَنَّ قَدْرَهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْهَا. فَعِبُودِيَّتُهُ لَهُ تُوجِبُ اسْتِحْيَاءَهُ مِنْهُ لَا مَحَالَةَ.

وَأَمَّا حَيَاءُ الشَّرَفِ وَالْعِزَّةِ: فَحَيَاءُ النَّفْسِ الْعَظِيمَةِ الْكَبِيرَةِ إِذَا صَدَرَ مِنْهَا مَا هُوَ دُونَ قَدْرِهَا مِنْ بَذْلِ أَوْ عَطَاءٍ وَإِحْسَانٍ. فَإِنَّهُ يَسْتَحْيِي مَعَ بَذْلِهِ حَيَاءُ شَرَفِ نَفْسٍ وَعِزَّةٍ. وَهَذَا لَهُ سَبَبَانِ.

أَحَدُهُمَا هَذَا. وَالثَّانِي: اسْتِحْيَاؤُهُ مِنَ الْآخِذِ، حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ الْآخِذُ السَّائِلُ. حَتَّى إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْكَرَمِ لَا تُطَاوِعُهُ نَفْسُهُ بِمُوجَّهَتِهِ لِمَنْ يُعْطِيهِ حَيَاءً مِنْهُ. وَهَذَا يَدْخُلُ فِي حَيَاءِ التَّلَوُّمِ. لِأَنَّهُ يَسْتَحْيِي مِنْ خَجَلَةِ الْآخِذِ.

وَأَمَّا حَيَاءُ الْمَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ: فَهُوَ حَيَاءُ النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ الْعَزِيزَةِ الرَّفِيعَةِ مِنْ رِضَاهَا لِنَفْسِهَا بِالنَّقْصِ، وَقَنَاعَتِهَا بِالذُّونِ. فَيَجِدُ نَفْسَهُ مُسْتَحْيَاً مِنْ نَفْسِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ لَهُ نَفْسَيْنِ، يَسْتَحْيِي بِأَحَدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى. وَهَذَا أَكْمَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الْحَيَاءِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اسْتَحْيَى مِنْ نَفْسِهِ. فَهُوَ بِأَنْ يَسْتَحْيِي مِنْ غَيْرِهِ أَجْدَرُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٥٠).

ادعاء يهود خيبر إسقاط الجزية عنهم ورد ذلك من عشرة أوجه

قال رحمه الله: وَهَذِهِ الشُّبْهَةُ هِيَ الَّتِي أَوْقَعَتْ عِنْدَ الْيَهُودِ أَنَّ أَهْلَ خَيْبَرَ لَا جِزْيَةَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُمْ مَخْصُوصُونَ بِذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ الْيَهُودِ، ثُمَّ أَكَّدُوا أَمْرَهَا بِأَنْ زَوَّروا كِتَابًا فِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْقَطَ عَنْهُمْ الْكُلْفَ وَالسُّخْرَ وَالْجِزْيَةَ وَوَضَعُوا فِيهِ شَهَادَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَغَيْرِهِمَا، وَهَذَا الْكِتَابُ كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ عَشْرَةِ أَوْجُهٍ: **مِنْهَا:** أَنَّ أَحَدًا مِنَ عُلَمَاءِ النُّقْلِ وَالسِّيَرِ وَالْمَغَازِي لَمْ يَذْكُرْ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ أَلْبَتَّةَ مَعَ عِنَايَتِهِمْ بِضَبْطِ مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ.

الثَّانِي: أَنَّ الْجِزْيَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ فَحِينَ صَالَحَ أَهْلَ خَيْبَرَ لَمْ تَكُنِ الْجِزْيَةُ نَزَلَتْ حَتَّى يَضَعَهَا عَنْهُمْ.

الثالث: أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ بَعْدُ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ بَعْدَ خَيْرٍ.

الرابع: أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ تُوْفِّيَ عَامَ الْخَنْدَقِ قَبْلَ فَتْحِ خَيْرٍ.

الخامس: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَهْلِ خَيْرٍ كُفْلٌ وَلَا سُخْرٌ حَتَّى تَوْضَعَ عَنْهُمْ.

السادس: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِأَهْلِ خَيْرٍ مِنَ الْحُرْمَةِ وَرِعَايَةِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ مَا يَقْتَضِي وَضْعَ الْجِزْيَةِ عَنْهُمْ، وَقَدْ كَانُوا مِنْ أَشَدِّ الْكُفَّارِ عِدَاوَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَأَيُّ خَيْرٍ حَصَلَ بِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَوْضَعَ عَنْهُمْ الْجِزْيَةَ دُونَ سَائِرِ الْكُفَّارِ؟

السابع: أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي أَظْهَرُوهُ ادَّعَوْا أَنَّهُ بِخَطِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَذَا كَذِبٌ قَطْعًا وَعِدَاوَةٌ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْيَهُودِ مَعْرُوفَةٌ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ " مَرْحَبًا " الْيَهُودِيَّ وَأَتَّخَنَ فِي الْيَهُودِ يَوْمَ خَيْرٍ حَتَّى كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ.

الثامن: أَنَّ هَذَا لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ رِوَايَةِ الْيَهُودِ وَهُمْ الْقَوْمُ الْبُهْتُ، أَكْذَبُ الْخُلُقِ عَلَى اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَكَيْفَ يُصَدِّقُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يُخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى؟ !

التاسع: أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَوْ كَانَ صَحِيحًا لَأُظْهِرُوهُ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَفِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَفِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ وَالرَّشِيدِ، وَكَانَ أَيْمَةُ الْإِسْلَامِ يَسْتَنْوَنَهُمْ مِمَّنْ تَوْضَعُ عَنْهُمْ الْجِزْيَةُ أَوْ لَذَكَرَ ذَلِكَ فَقِيهٌ وَاحِدٌ مِنْ فَقْهَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَجُوزُ عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ تُجْمَعَ عَلَى مُخَالَفَةِ سُنَّةِ نَبِيِّهَا، وَكَيْفَ يَكُونُ بِأَيْدِي أَعْدَاءِ اللَّهِ كِتَابٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا يَحْتَجُّونَ بِهِ كُلِّ وَقْتٍ عَلَى مَنْ يَأْخُذُ الْجِزْيَةَ مِنْهُمْ، وَلَا يَذْكُرُهُ عَالِمٌ وَاحِدٌ مِنْ عُلَمَاءِ

السَّلَفِ؟ وَإِنْ اغْتَرَّ بِهِ بَعْضُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالسَّيْرِ وَالْمَنْقُولِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، شَنَّ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَيَبْنُوا خَطَأَهُ وَحَذَّرُوا مِنْ سَقَطَتِهِ.

الْعَاشِرُ: أَنَّ أئِمَّةَ الْحَدِيثِ وَالنَّقْلِ يَشْهَدُونَ بِبُطْلَانِ هَذَا الْكِتَابِ، وَأَنَّهُ زُورٌ مُفْتَعَلٌ وَكَذِبٌ مُخْتَلَقٌ، وَلَمَّا أَظْهَرَهُ الْيَهُودُ بَعْدَ الْأَرْبَعِ مِائَةِ عَلَى عَهْدِ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ ابْنُ الْمُسْلِمَةِ فَأَوْقَفَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ الْحَافِظُ: هَذَا الْكِتَابُ زُورٌ فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ: مِنْ أَيْنَ هَذَا؟ فَقَالَ: فِيهِ شَهَادَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَسَعْدُ مَاتَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ قَبْلَ خَيْرٍ، وَمُعَاوِيَةُ أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَخَيْرٌ كَانَتْ سَنَةَ سَبْعٍ. فَأَعْجَبَ ذَلِكَ الْوَزِيرَ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَأْخُذِ الْجِزْيَةَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ لِأَنَّ آيَةَ الْجِزْيَةِ نَزَلَتْ بَعْدَ عَامِ تَبُوكَ، وَكَانَتْ عِبَادُ الْأَصْنَامِ مِنَ الْعَرَبِ كُلُّهُمْ قَدْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مِمَّنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ وَمِنَ النَّصَارَى وَمِنَ الْمَجُوسِ.

أحكام أهل الذمة (١/ ٩١).

الجنيتين الأوليين أفضل من الآخرين من عشرة أوجه

قال رسول الله ﷺ: والسياق يدل على تفضيل الجنيتين الأوليين من عشرة أوجه:

أحدها: قوله: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ٤٨﴾ وفيه قولان أحدهما أنه جمع فنن وهو الغصن والثاني أنه جمع فن وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثاني قوله: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ٥٠﴾ وفي الآخرين فيهما عينان نضاختان والنضاخة هي الفوارة والجارية السارحة وهي أحسن من الفوارة فإنها تضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِكْهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (٥٢) وفي الآخرين: ﴿ فِيهِمَا فِكْهَةٌ وَنَخْلٌ

وَرَمَانٌ ﴾ (٦٨) ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان فقالت: طائفة الزوجان الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب وهو متمتع به كما متمتع باليابس وفيه نظر لا يخفى وقالت: طائفة الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب وقالت: طائفة نوعان ولم تزد والظاهر والله أعلم أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم.

الرابع: أنه قال: ﴿ مُتَكِبِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّانِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها وفي الآخرين قال: ﴿ مُتَكِبِينَ عَلَى رَفْرِفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (٧٦) وفسر الرفرف بالمحابس والبسط وفسر بالفرش وفسر بالمحابس فوقها وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين.

الخامس: أنه قال: ﴿ وَحَيَّ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (٥٤) أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤوا ولم يذكر ذلك في الآخرين.

السادس: أنه قال: ﴿ فِيْهِنَّ قَصِرَتْ اَلْطَّرَفُ ﴾ أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهم لهن وذلك يتضمن قصرهن أطرافهن أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن وقال في الآخرين: ﴿ حُرٌّ مَّقْصُورَاتٌ فِي

اَلْخِيَامِ ﴾ (٧٢) ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامن: أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأوليين: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (٦٠) وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزءا لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (٦٢) والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهري فإن قيل فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه قيل لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما فإن قيل فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان قيل هذا فيه قولان للمفسرين ورجح القول الثاني بوجهين أحدهما من جهة النقل والثاني من جهة المعنى فأما الذي من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ قال: «هما بستانان في رياض الجنة» وأما الذي من جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر والثانية جزاء اجتناب المحارم.

فإن قيل فكيف قال في ذكر النساء: ﴿فِيهَا﴾ في الموضوعين، ولما ذكر غيرهن قال: ﴿فِيهَا﴾ قيل لما ذكر الفرش قال بعدها: ﴿فِيهَا خَيْرٌ حَسَنٌ﴾ ﴿٧٠﴾ ثم أعاده في الجنتين الآخرين بهذا اللفظ؛ ليتشاكل اللفظ والمعنى، والله أعلم. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ط العلمية (ص: ٧١).

مراتب الجود عشرة

قال رحمه الله: فَصُلِّ مَرَاتِبُ الْجُودِ: وَالْجُودُ عَشْرُ مَرَاتِبَ:

إِحْدَاهَا: الْجُودُ بِالنَّفْسِ. وَهُوَ أَعْلَى مَرَاتِبِهِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

يَجُودُ بِالنَّفْسِ، إِذْ صَنَّ الْبُخِيلُ بِهَا * وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

الثَّانِيَةُ: الْجُودُ بِالرِّيَاسَةِ. وَهُوَ ثَانِي مَرَاتِبِ الْجُودِ. فَيَحْمِلُ الْجَوَادُ جُودَهُ عَلَى امْتِنَانِ رِيَاسَتِهِ، وَالْجُودُ بِهَا. وَالْإِيثارُ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِ الْمُتَمَسِّسِ.

الثَّالِثَةُ: الْجُودُ بِرَاحَتِهِ وَرَفَاهِيَّتِهِ، وَإِجْمَامِ نَفْسِهِ. فَيَجُودُ بِهَا تَعَبًا وَكَدًّا فِي مَصْلَحَةِ غَيْرِهِ. وَمِنْ هَذَا جُودُ الْإِنْسَانِ بِنَوْمِهِ وَلَذَّتِهِ لِمُسَامِرِهِ، كَمَا قِيلَ:

مُتِمِّمٌ بِالنَّدَى، لَوْ قَالَ سَائِلُهُ * هَبْ لِي جَمِيعَ كَرَى عَيْنِكَ، لَمْ يَنْمِ

الرَّابِعَةُ: الْجُودُ بِالْعِلْمِ وَبَذْلِهِ. وَهُوَ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْجُودِ. وَالْجُودُ بِهِ أَفْضَلُ مِنَ الْجُودِ بِالْمَالِ. لِأَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مِنَ الْمَالِ.

وَالنَّاسُ فِي الْجُودِ بِهِ عَلَى مَرَاتِبٍ مُتَفَاوِتَةٍ. وَقَدْ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ وَتَقْدِيرُهُ النَّافِذُ: أَنْ لَا يَنْفَعَ بِهِ بَخِيلًا أَبَدًا.

وَمِنْ الْجُودِ بِهِ: أَنْ تَبْذُلَهُ لِمَنْ يَسْأَلُكَ عَنْهُ، بَلْ تَطْرُحْهُ عَلَيْهِ طَرْحًا.

وَمِنَ الْجُودِ بِالْعِلْمِ: أَنَّ السَّائِلَ إِذَا سَأَلَكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ: اسْتَقْصَيْتَ لَهُ جَوَابَهَا جَوَابًا شَافِيًا، لَا يَكُونُ جَوَابُكَ لَهُ بِقَدَرِ مَا تُدْفِعُ بِهِ الضَّرُورَةُ، كَمَا كَانَ بَعْضُهُمْ يَكْتُبُ فِي جَوَابِ الْفُتْيَا: نَعَمْ، أَوْ: لَا. مُقْتَصِرًا عَلَيْهَا.

وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - فِي ذَلِكَ أَمْرًا عَجِيبًا: كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ حُكْمِيَّةٍ، ذَكَرَ فِي جَوَابِهَا مَذَاهِبَ الْأَيِّمَةِ الْأَرْبَعَةِ، إِذَا قَدَرَ، وَمَأْخَذَ الْخِلَافِ، وَتَرْجِيحَ الْقَوْلِ الرَّاجِحِ. وَذَكَرَ مُتَعَلِّقَاتِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي رُبَّمَا تَكُونُ أَنْفَعَ لِلْسَّائِلِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ. فَيَكُونُ فَرْحُهُ بِتِلْكَ الْمُتَعَلِّقَاتِ، وَاللَّوْازِمِ: أَعْظَمَ مِنْ فَرْحِهِ بِمَسْأَلَتِهِ. وَهَذِهِ فِتَاوِيهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَيْنَ النَّاسِ. فَمَنْ أَحَبَّ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا رَأَى ذَلِكَ.

فَمِنْ جُودِ الْإِنْسَانِ بِالْعِلْمِ: أَنَّهُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى مَسْأَلَةِ السَّائِلِ. بَلْ يَذْكُرُ لَهُ نَظَائِرَهَا وَمُتَعَلِّقَهَا وَمَأْخَذَهَا، بِحَيْثُ يَشْفِيهِ وَيَكْفِيهِ.

وَقَدْ سَأَلَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمُتَوَضَّعِ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مِيتَتُهُ»^(١) فَأَجَابَهُمْ عَنْ سُؤَالِهِمْ. وَجَادَ عَلَيْهِمْ بِمَا لَعَلَّهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِلَيْهِ أَحْوَجُ مِمَّا سَأَلُوهُ عَنْهُ.

وَكَانُوا إِذَا سَأَلُوهُ عَنِ الْحُكْمِ نَبَّهَهُمْ عَلَى عِلَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ. كَمَا سَأَلُوهُ عَنْ بَيْعِ الرُّطْبِ بِالتَّمْرِ؟ فَقَالَ: «أَيُنْقَضُ الرُّطْبُ إِذَا جَفَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَلَا إِذْنٌ»^(٢) وَلَمْ يَكُنْ يَخْفَى عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَقْصَانُ الرُّطْبِ بِجَفَافِهِ، وَلَكِنْ نَبَّهَهُمْ عَلَى عِلَّةِ الْحُكْمِ.

«١» رواه أبو داود وغيره، وصححه العلامة الألباني في صحيح أبي داود (٧٦) والصحيحة (٤٨٠).

«٢» رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه العلامة الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧/ ٣٠١) والإرواء (١٣٥٢).

وَهَذَا كَثِيرٌ جَدًّا فِي أَجَوِبَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَانَ خُصُومُهُ - يَعْنِي شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - يَعْيُونَهُ بِذَلِكَ. وَيَقُولُونَ: سَأَلَهُ السَّائِلُ عَنْ طَرِيقِ مِصْرَ - مَثَلًا - فَيَذْكُرُ لَهُ مَعَهَا طَرِيقَ مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، وَخُرَاسَانَ، وَالْعِرَاقَ، وَالْهِنْدَ. وَأَيُّ حَاجَةٍ بِالسَّائِلِ إِلَى ذَلِكَ؟.

وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَيْسَ ذَلِكَ بِعَيْبٍ، وَإِنَّمَا الْعَيْبُ: الْجَهْلُ وَالْكِبَرُ. وَهَذَا مَوْضِعُ الْمَثَلِ الْمَشْهُورِ:

لَقَبُوهُ بِحَامِضٍ وَهُوَ خَلٌّ * * * مِثْلَ مَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْعُنْفُودِ

الْحَامِصَةُ: الْجُودُ بِالنَّفْعِ بِالْجَاهِ. كَالشَّفَاعَةِ وَالْمَشْيِ مَعَ الرَّجُلِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ وَنَحْوِهِ. وَذَلِكَ زَكَاةُ الْجَاهِ الْمُطَالَبُ بِهَا الْعَبْدُ. كَمَا أَنَّ التَّعْلِيمَ وَبَذَلَ الْعِلْمِ زَكَاةُ.

السَّادِسَةُ: الْجُودُ بِنَفْعِ الْبَدَنِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ. كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدُلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ: صَدَقَةٌ. وَيُعِينُ الرَّجُلُ فِي دَابَّتِهِ، فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ: صَدَقَةٌ. وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ يُمَشِّيهَا الرَّجُلُ إِلَى الصَّلَاةِ: صَدَقَةٌ. وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ: صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

السَّابِعَةُ: الْجُودُ بِالْعَرَضِ، كَجُودِ «أَبِي ضَمْضَمٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا مَالَ لِي أَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى النَّاسِ. وَقَدْ تَصَدَّقْتُ عَلَيْهِمْ بِعَرَضِي، فَمَنْ شِئْتَنِي، أَوْ قَذَفْنِي: فَهُوَ فِي حِلٍّ. فَقَالَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ يَسْتَطِيعُ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ؟.»

وَفِي هَذَا الْجُودِ مِنْ سَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَرَاحَةِ الْقَلْبِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ مُعَادَاةِ الْخَلْقِ مَا فِيهِ.

الثَّامِنَةُ: الْجُودُ بِالصَّبْرِ، وَالْإِحْتِمَالِ، وَالْإِغْضَاءِ. وَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ شَرِيفَةٌ مِنْ مَرَاتِبِهِ. وَهِيَ أَنْفَعُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الْجُودِ بِالْمَالِ، وَأَعَزُّ لَهُ وَأَنْصَرُّ، وَأَمْلَكُ لِنَفْسِهِ، وَأَشْرَفُ لَهَا. وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا النُّفُوسُ الْكِبَارُ.

فَمَنْ صَعِبَ عَلَيْهِ الْجُودُ بِمَالِهِ فَعَلَيْهِ بِهَذَا الْجُودِ. فَإِنَّهُ يَجَنِّي ثَمَرَةً عَوَاقِبِ الْحَمِيدَةِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ. وَهَذَا جُودُ الْفُتُوَّةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ

بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ [المائدة: ٤٥] وَفِي هَذَا الْجُودِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ

مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

فَذَكَرَ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَقَامَ الْعَدْلِ، وَأَذْنَ فِيهِ. وَمَقَامَ الْفَضْلِ، وَنَدَبَ إِلَيْهِ. وَمَقَامَ الظُّلْمِ، وَحَرَمَهُ.

التَّاسِعَةُ: الْجُودُ بِالْخُلُقِ وَالْبَشْرِ وَالْبُسْطَةِ. وَهُوَ فَوْقَ الْجُودِ بِالصَّبْرِ، وَالْإِحْتِمَالِ وَالْعَفْوِ. وَهُوَ الَّذِي بَلَغَ بِصَاحِبِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ. وَهُوَ أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ»^(١) وَفِي هَذَا الْجُودِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَسَارِّ، وَأَنْوَاعِ الْمَصَالِحِ مَا فِيهِ. وَالْعَبْدُ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَسَعَهُمْ بِخُلُقِهِ وَاحْتِمَالِهِ.

العاشرة: الْجُودُ بَتَرَكِهِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ عَلَيْهِمْ. فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ. وَلَا يَسْتَشْرِفُ لَهُ بِقَلْبِهِ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ بِحَالِهِ، وَلَا لِسَانِهِ. وَهَذَا الَّذِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ النَّفْسِ بِالْبَذْلِ.

فَلِسَانُ حَالِ الْقَدْرِ يَقُولُ لِلْفَقِيرِ الْجَوَادِ: وَإِنْ لَمْ أُعْطِكَ مَا تَجُودُ بِهِ عَلَى النَّاسِ، فَجُدْ عَلَيْهِمْ بِزُهْدِكَ فِي أَمْوَالِهِمْ. وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ، تُفَضِّلْ عَلَيْهِمْ، وَتُزَاحِمُهُمْ فِي الْجُودِ، وَتَنْفِرْ عَنْهُمْ بِالرَّاحَةِ.

وَلِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الْجُودِ مَزِيدٌ وَتَأْثِيرٌ خَاصٌّ فِي الْقَلْبِ وَالْحَالِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ ضَمِنَ الْمَزِيدَ لِلْجَوَادِ، وَالْإِتْلَافَ لِلْمُمْسِكِ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٧٩).

مراتب الحياة عشرة

قال رحمه الله: الْحَيَاةُ الْأُولَى حَيَاةُ الْعِلْمِ مِنْ مَوْتِ الْجَهْلِ وَهِيَ عَشْرُ مَرَاتِبَ:

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: حَيَاةُ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [٦٥] [النحل: ٦٥]، وَقَالَ فِي الْمَاءِ: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [١١] [ق: ١١]، وَقَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [٤٨] [الفرقان: ٤٨ - ٤٩] وَجَعَلَ هَذِهِ الْحَيَاةَ دَلِيلًا عَلَى الْحَيَاةِ يَوْمَ الْمَعَادِ، وَهَذِهِ حَيَاةٌ حَقِيقَةٌ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ، مُسْتَعْمَلَةٌ فِي كُلِّ لُغَةٍ، جَارِيَةٌ عَلَى الْأُسْنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ.

المرتبة الثانية: حياة النُّمُو والاعتداء. وهذه الحياة مُشتركة بين النبات والحيوان الذي

يعيش بالغذاء، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

المرتبة الثالثة: حياة الحيوان المتغذي بقدر زائد على نموه واعتدائه، وهي إحساسه وحركته، ولهذا يَأْلُمُ بؤرود الكيفيات المؤلمة عليه، ويتفرق الاتصال، ونحو ذلك، وهذه الحياة فوق حياة النبات، وهذه الحياة تقوى وتضعف في الحيوان الواحد بحسب أحواله، فحياته بعد الولادة: أكمل منها وهو جنين في بطن أمه، وحياته وهو صحيح معافى أكمل منها وهو سقيم عليل.

فنفس هذه الحياة تتفاوت تفاوتا عظيما في محالها، فحياة الحية أكمل من حياة البعوضة، ومن قال غير هذا فقد كابر الحس والعقل.

المرتبة الرابعة: حياة الحيوان الذي لا يتغذى بالطعام والشراب، كحياة الملائكة، وحياة الأرواح بعد مفارقتها لأبدانها، فإن حياتها أكمل من حياة الحيوان المتغذي، ولهذا لا يلحقها كلال ولا فتور، ولا نوم ولا إعياء، قال تعالى: ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] وكذلك الأرواح إذا تخلصت من هذه الأبدان، وتجردت: صار لها حياة أخرى أكمل من هذه إن كانت سعيدة، وإن كانت شقية كانت عاملة ناصبة في العذاب.

المرتبة الخامسة: الحياة التي أشار إليها المصنف، وهي حياة العلم من موت الجهل، فإن الجهل موت لأصحابه، كما قيل:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله * وأجسامهم قبل القبور قبور

وَأَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ * * فَلَئِنْ لَّهُمْ حَتَّى الشُّورِ نُشُورٌ
فَإِنَّ الْجَاهِلَ مَيِّتُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، وَإِنْ كَانَ حَيَّ الْبَدَنِ فَجَسَدُهُ قَبْرٌ يَمْشِي بِهِ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوْمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ
كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ﴾ ٦٩ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ [يس: ٦٩ - ٧٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ﴾ [النمل: ٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسْمَعُ أَصْحَابُ الْقُبُورِ، كَذَلِكَ لَا يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ، وَإِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ هِيَ الْحِسُّ وَالْحَرَكَةُ
وَمَلَزُومُهُمَا، فَهَذِهِ الْقُلُوبُ لَمَّا لَمْ تُحَسَّ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَلَمْ تَتَحَرَّكْ لَهُ: كَانَتْ مَيِّتَةً
حَقِيقَةً، وَلَيْسَ هَذَا تَشْبِيهَا لِمَوْتِهَا بِمَوْتِ الْبَدَنِ، بَلْ ذَلِكَ مَوْتُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ.

المرتبة السادسة: حَيَاةُ الْإِرَادَةِ وَالْهِمَّةِ. وَضَعْفُ الْإِرَادَةِ وَالطَّلَبِ: مِنْ ضَعْفِ حَيَاةِ
الْقَلْبِ، وَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أَتَمَّ حَيَاةً، كَانَتْ هِمَّتُهُ أَعْلَى وَإِرَادَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ أَقْوَى، فَإِنَّ الْإِرَادَةَ
وَالْمَحَبَّةَ تَتَّبَعُ الشُّعُورَ بِالْمُرَادِ الْمَحْبُوبِ، وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ مِنَ الْآفَةِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
طَلَبِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَضَعْفُ الطَّلَبِ، وَفُتُورُ الْهِمَّةِ إِذَا مِنْ نُقْصَانِ الشُّعُورِ وَالْإِحْسَانِ، وَإِذَا مِنْ
وُجُودِ الْآفَةِ الْمُضْعِفَةِ لِلْحَيَاةِ، فَقُوَّةُ الشُّعُورِ، وَقُوَّةُ الْإِرَادَةِ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الْحَيَاةِ، وَضَعْفُهَا
دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِهَا، وَكَمَا أَنَّ عُلُوَّ الْهِمَّةِ، وَصِدْقُ الْإِرَادَةِ وَالطَّلَبِ مِنْ كَمَالِ الْحَيَاةِ: فَهُوَ
سَبَبٌ إِلَى حُصُولِ أَكْمَلِ الْحَيَاةِ وَأَطْيَبِهَا، فَإِنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ إِنَّمَا تُنَالُ بِالْهِمَّةِ الْعَالِيَةِ،

وَالْمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ، وَالْإِرَادَةُ الْخَالِصَةُ، فَعَلَى قَدَرِ ذَلِكَ تَكُونُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، وَأَخْسُ النَّاسِ حَيَاةً أَخْسَهُمْ هِمَّةً، وَأَضْعَفُهُمْ مَحَبَّةً وَطَلَبًا، وَحَيَاةُ الْبَهَائِمِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ. كَمَا قِيلَ:

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهُوٌ وَغَفْلَةٌ * وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمٌ

وَتَكْدَحُ فِيمَا سَوْفَ تُنْكِرُ غِبَّهُ * كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ

تُسَرُّ بِمَا يَفْنَى وَتَفْرَحُ بِالْمُنَى * كَمَا غَرَّ بِاللَّذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمٌ

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ حَيَاةَ الْقَلْبِ بِالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْهِمَّةِ، وَالنَّاسُ إِذَا شَاهَدُوا ذَلِكَ مِنْ الرَّجُلِ قَالُوا: هُوَ حَيُّ الْقَلْبِ، وَحَيَاةُ الْقَلْبِ بِدَوَامِ الذِّكْرِ، وَتَرْكِ الذُّنُوبِ، كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ. رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ * وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرَكُ الذُّنُوبِ حَيَاةَ الْقُلُوبِ * وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

الْمُرْتَبَةُ السَّابِعَةُ: حَيَاةُ الْأَخْلَاقِ، وَالصِّفَاتِ الْمَحْمُودَةِ، الَّتِي هِيَ حَيَاةُ رَاسِخَةٍ لِلْمَوْصُوفِ بِهَا، فَهُوَ لَا يَتَكَلَّفُ التَّرَقِّيَ فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ، وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ، لِاقْتِضَاءِ أَخْلَاقِهِ وَصِفَاتِهِ لِذَلِكَ، بِحَيْثُ لَوْ فَارَقَهُ ذَلِكَ لَفَارَقَ مَا هُوَ مِنْ طَبِيعَتِهِ وَسَجِيَّتِهِ، فَحَيَاةُ مَنْ قَدْ طُبِعَ عَلَى الْحَيَاءِ وَالْعِفَّةِ وَالْجُودِ وَالسَّخَاءِ، وَالْمُرُوءَةِ وَالصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ وَنَحْوِهَا أَتَمُّ مِنْ حَيَاةِ مَنْ يَقْهَرُ نَفْسَهُ، وَيُغَالِبُ طَبْعَهُ، حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا بِمَنْزِلَةِ مَنْ تُعَارِضُهُ أَسْبَابُ الدَّاءِ وَهُوَ يُعَالِجُهَا وَيَقْهَرُهَا بِأَضْدَادِهَا، وَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَدْ عُوْفِيَ مِنْ ذَلِكَ. وَكُلَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ فِي صَاحِبِهَا أَكْمَلَ كَانَتْ حَيَاتُهُ أَقْوَى وَأَتَمَّ.

المرتبة الثامنة: حياة الفرح والسرور، وقرّة العين بالله، وهذه الحياة إنما تكون بعد الظفر بالمطلوب، الذي تقرّ به عين طالبيه، فلا حياة نافعة له بدونه، وحول هذه الحياة يدندن الناس كلهم، وكلهم قد أخطأ طريقها، وسلك طرقاً لا تفضي إليها، بل تقطعها عنها، إلا أقلّ القليل.

المرتبة التاسعة: حياة الأرواح بعد مفارقتها للأبدان وخلاصها من هذا السجن وضيقه، فإن من ورّائه فضاء وروحاً وريحاناً وراحة، نسبة هذه الدار إليه كنسبة بطن الأم إلى هذه الدار، أو أدنى من ذلك، قال بعض العارفين: لتكن مبادرتك إلى الخروج من الدنيا كمبادرتك إلى الخروج من السجن الضيق إلى أحبتك، والاجتماع بهم في البساتين المونقة. قال الله تعالى في هذه الحياة: ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ فَرَوْحٌ

وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩].

المرتبة العاشرة: الحياة الدائمة الباقية بعد طي هذا العالم، وذهاب الدنيا وأهلها في دار الحيوان، وهي الحياة التي شمر إليها المشمرون، وسابق إليها المتسابقون، ونافس فيها المتنافسون، وهي التي أجرينا الكلام إليها، ونادت الكتب السماوية ورسل الله جميعهم عليها، وهي التي يقول من فاته الاستعداد لها: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا

﴿٩١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٩٢﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَاتِّىَ لَهُ الذِّكْرُ ﴿٩٣﴾ يَقُولُ بَلَيْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٩٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٩٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ﴿٩٦﴾ [الفجر: ٢١ - ٢٦]، وهي التي قال الله عز وجل فيها: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا

إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وَالْحَيَاةُ الْمُتَقَدِّمَةُ كَالنَّوْمِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا، وَكُلُّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِ السَّيْرِ وَمَنَازِلِهِ، وَأَحْوَالِ السَّائِرِينَ، وَعُبودِيَّتِهِمُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ فَوْسِلَةً إِلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَإِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يُدْخِلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟»^(١).

وَكَمَا قِيلَ: تَنَفَّسَتِ الْآخِرَةُ فَكَانَتِ الدُّنْيَا نَفْسًا مِنْ أَنْفَاسِهَا، فَأَصَابَ أَهْلَ السَّعَادَةِ نَفْسٌ نَعِيمُهَا، فَهُمْ عَلَى هَذَا النَّفْسِ يَعْمَلُونَ، وَأَصَابَ أَهْلَ الشَّقَاوَةِ نَفْسٌ عَذَابُهَا، فَهُمْ عَلَى ذَلِكَ النَّفْسِ يَعْمَلُونَ.

وَإِذَا كَانَتْ حَيَاةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي هَذِهِ الدَّارِ حَيَاةً طَيِّبَةً، فَمَا الظَّنُّ بِحَيَاتِهِمْ فِي الْبَرْزَخِ، وَقَدْ تَخَلَّصُوا مِنْ سِجْنِ الدُّنْيَا وَضِيقِهَا؟ فَمَا الظَّنُّ بِحَيَاتِهِمْ فِي دَارِ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَا يَزُولُ، وَهُمْ يَرَوْنَ وَجْهَ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بُكْرَةً وَعَشِيًّا وَيَسْمَعُونَ خُطَابَهُ؟ . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٤٤ - ٢٦٥).

الرد على منكري تعلق علمه تعالى بالجزئيات من عشرة أوجه

قال رحمه الله: فَصُلِّ: فِي بَيَانِ تَضَمُّنِهَا لِلرَّدِّ عَلَى مُنْكَرِي تَعَلُّقِ عِلْمِهِ تَعَالَى بِالْجُزْئِيَّاتِ وَذَلِكَ مِنْ وَجْهٍ:

أَحَدُهَا: كَمَالُ حَمْدِهِ، وَكَيْفَ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ مَنْ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الْعَالَمِ وَأَحْوَالِهِ وَتَفَاصِيلِهِ، وَلَا عَدَدَ الْأَفْلاكِ، وَلَا عَدَدَ النُّجُومِ، وَلَا مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعَصِيهِ، وَلَا مَنْ يَدْعُوهُ مِمَّنْ لَا يَدْعُوهُ؟

الثاني: أَنَّ هَذَا مُسْتَحِيلٌ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، وَأَنْ يَكُونَ رَبًّا، فَلَا بُدَّ لِلإِلَهِ الْمَعْبُودِ، وَالرَّبِّ الْمُدَبِّرِ، مِنْ أَنْ يَعْلَمَ عَابِدُهُ، وَيَعْلَمَ حَالَهُ.

الثالث: مِنْ إِبْثَاتِ رَحْمَتِهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَرْحَمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ.

الرابع: إِبْثَاتُ مَلِكِهِ، فَإِنَّ مَلِكًا لَا يَعْرِفُ أَحَدًا مِنْ رَعِيَّتِهِ الْبَتَّةَ، وَلَا شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِ مَمْلَكَتِهِ الْبَتَّةَ، لَيْسَ بِمَلِكٍ بَوَاجِهٍ مِنَ الْوُجُوهِ.

الخامس: كَوْنُهُ مُسْتَعَانًا.

السادس: كَوْنُهُ مَسْئُولًا أَنْ يَهْدِيَ سَائِلَهُ وَيُجِيبَهُ.

السابع: كَوْنُهُ هَادِيًا.

الثامن: كَوْنُهُ مُنْعِمًا.

التاسع: كَوْنُهُ غَضْبَانًا عَلَى مَنْ خَالَفَهُ.

العاشر: كَوْنُهُ مُجَازِيًا، يَدِينُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.

فَنَفِي عِلْمِهِ بِالْجُزْئِيَّاتِ مُبْطَلٌ لِذَلِكَ كُلِّهِ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٨٩).

الرد على منكري النبوات من عشرة أوجه

قال رحمه الله: فَصَلُّ فِي بَيَانِ تَضَمُّنِهَا لِلرَّدِّ عَلَى مُنْكَرِي النَّبَوَاتِ، وَذَلِكَ مِنْ وَجُوهِ:

أحدها: إِبْثَاتُ حَمْدِهِ التَّامِّ، فَإِنَّهُ يَقْتَضِي كَمَالَ حِكْمَتِهِ، وَأَنْ لَا يَخْلُقَ خَلْقَهُ عَبَثًا، وَلَا يَتْرُكُهُمْ سُدىً، لَا يُؤْمَرُونَ وَلَا يُنْهَوْنَ، وَلِذَلِكَ نَزَّ اللَّهُ نَفْسَهُ عَنْ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ أَنْ مَنْ أَنْكَرَ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ وَأَنْ يَكُونَ مَا أُنْزِلَ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُ مَا عَرَفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا عَظَمَهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، وَلَا قَدْرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ، بَلْ نَسَبَهُ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَيَأْبَاهُ حَمْدُهُ وَمَجْدُهُ.

فَمَنْ أَعْطَى الْحَمْدَ حَقَّهُ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَبَصِيرَةً اسْتَنْبَطَ مِنْهُ " أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " كَمَا يَسْتَنْبِطُ مِنْهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَعَلِمَ قَطْعًا أَنَّ تَعْطِيلَ النُّبُوتِ فِي مُنَافَاتِهِ لِلْحَمْدِ، كَتَعْطِيلِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَكَاثْبَاتِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ.

الثَّانِي: إِلَهِيَّتُهُ، وَكَوْنُهُ إِلَهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِكَوْنِهِ مَعْبُودًا مُطَاعًا، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يُعْبَدُ بِهِ وَيُطَاعُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ رُسُلِهِ.

الثَّالِثُ: كَوْنُهُ رَبًّا، فَإِنَّ الرُّبُوبِيَّةَ تَقْتَضِي أَمْرَ الْعِبَادِ وَنَهْيَهُمْ، وَجَزَاءَ مُحْسِنِهِمْ بِإِحْسَانِهِ، وَمُسِيئِهِمْ بِإِسَاءَتِهِ، هَذَا حَقِيقَةُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالرَّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ.

الرَّابِعُ: كَوْنُهُ رَحْمَانًا رَحِيمًا، فَإِنَّ مِنْ كَمَالِ رَحْمَتِهِ أَنْ يُعَرِّفَ عِبَادَهُ نَفْسَهُ وَصِفَاتِهِ وَيَدُلَّهُمْ عَلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ، وَيُبَاعِدُهُمْ مِنْهُ، وَيُثَبِّتُهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، وَيَجْزِيَهُمْ بِالْحُسْنَى، وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالرَّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ، فَكَانَتْ رَحْمَتُهُ مُقْتَضِيَةً لَهَا.

الْحَامِسُ: مُلْكُهُ، فَإِنَّ الْمُلْكَ يَقْتَضِي التَّصَرُّفَ بِالْقَوْلِ، كَمَا أَنَّ الْمُلْكَ يَقْتَضِي التَّصَرُّفَ بِالْفِعْلِ، فَالْمُلْكُ هُوَ الْمُتَصَرَّفُ بِأَمْرِهِ وَقَوْلِهِ، فَتَنْفُذُ أَوَامِرِهِ وَمَرَاسِمِهِ حَيْثُ شَاءَ، وَالْمَالِكُ هُوَ الْمُتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ بِفِعْلِهِ، وَاللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْمُلْكُ، فَهُوَ الْمُتَصَرَّفُ فِي خَلْقِهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

وَتَصَرُّفُهُ بِقَوْلِهِ نَوْعَانِ: تَصَرَّفُ بِكَلِمَاتِهِ الْكَوْنِيَّةِ، وَتَصَرَّفُ بِكَلِمَاتِهِ الدِّينِيَّةِ، وَكَمَالُ الْمُلْكِ بِهِمَا.

فَإِذَا سَأَلَ الرُّسُلَ مُوجِبُ كَمَالِ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهَذَا هُوَ الْمُلْكُ الْمَعْقُولُ فِي فِطْرِ النَّاسِ وَعُقُولِهِمْ، فَكُلُّ مَلِكٍ لَا تَكُونُ لَهُ رُسُلٌ يَتَّبِعُهُمْ فِي أَقْطَارِ مَمْلَكَتِهِ فَلَيْسَ بِمَلِكٍ.

وَبِهَذِهِ الطَّرِيقِ يُعَلِّمُ وَجُودَ مَلَائِكَتِهِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ بِهِمْ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ بِمُلْكِهِ، فَإِنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ.

السادس: " ثُبُوتُ يَوْمِ " الدِّينِ وَهُوَ يَوْمُ الْجَزَاءِ الَّذِي يَدِينُ اللَّهُ فِيهِ الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ خَيْرًا وَشَرًّا، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ ثُبُوتِ الرِّسَالَةِ وَالنَّبُوَّةِ، وَقِيَامِ الْحُجَّةِ الَّتِي بِسَبَبِهَا يُدَانَ الْمُطِيعُ وَالْعَاصِي.

السابع: كَوْنُهُ مَعْبُودًا، فَإِنَّهُ لَا يُعْبَدُ إِلَّا بِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَلَا سَبِيلَ لِلخَلْقِ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ رُسُلِهِ، فَإِنْكَارُ رُسُلِهِ إِنْكَارٌ لِكَوْنِهِ مَعْبُودًا.

الثامن: كَوْنُهُ هَادِيًا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَهُوَ أَقْرَبُ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى الْمَطْلُوبِ، فَإِنَّ الْخَطَّ الْمُسْتَقِيمَ: هُوَ أَقْرَبُ خَطٍّ مُوَصِّلٍ بَيْنَ نَقْطَتَيْنِ، وَذَلِكَ لَا يُعَلِّمُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الرُّسُلِ، فَتَوَقُّفُهُ عَلَى الرُّسُلِ ضَرُورِيٌّ، أَعْظَمُ مِنْ تَوَقُّفِ الطَّرِيقِ الْحِسِّيِّ عَلَى سَلَامَةِ الْحَوَاسِ.

التاسع: كَوْنُهُ مُنْعِمًا عَلَى أَهْلِ الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ: فَإِنَّ إِنْعَامَهُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا تَمَّ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ، وَجَعْلِهِمْ قَابِلِينَ لِلرِّسَالَةِ، مُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِهِ، وَبِذَلِكَ ذَكَرَهُمْ مَتَّهَ عَلَيْهِمْ وَإِنْعَامَهُ فِي كِتَابِهِ.

العاشر: انْقِسَامُ خَلْقِهِ إِلَى مُنْعَمٍ عَلَيْهِمْ، وَمَغْضُوبٍ عَلَيْهِمْ، وَضَالِّينَ، فَإِنَّ هَذَا الْانْقِسَامَ ضَرُورِيٌّ بِحَسَبِ انْقِسَامِهِمْ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَالْعَمَلِ بِهِ إِلَى عَالِمٍ بِهِ، عَامِلٍ بِمُوجِبِهِ، وَهُمْ أَهْلُ النِّعْمَةِ، وَعَالِمٍ بِهِ مُعَانِدٍ لَهُ، وَهُمْ أَهْلُ الْغَضَبِ، وَجَاهِلٍ بِهِ وَهُمْ الضَّالُّونَ، هَذَا الْانْقِسَامُ إِنَّمَا نَشَأَ بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ، فَلَوْلَا الرُّسُلُ لَكَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، فَانْقَسَمَتْهُمْ إِلَى هَذِهِ

الْأَقْسَامِ مُسْتَحِيلٌ بِدُونِ الرِّسَالَةِ، وَهَذَا الْإِنْقِسَامُ ضَرُورِيٌّ بِحَسَبِ الْوَاقِعِ، فَالرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ.

وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ وَالَّتِي قَبْلَهَا بَيَانُ تَضَمُّنِهَا لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْمَعَادَ الْجُسْمَانِيَّ، وَقِيَامَةَ الْأَبْدَانِ، وَعَرَفْتَ اقْتِضَاءَهَا ضَرُورَةَ لِبُثُوتِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ بِهِ وَلَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَهُوَ مُقْتَضَى الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَنَفْيُهُ نَفْيٌ لِهَمَّا. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٩٠).

عشر مراتب من اجتمعت له حصلت له الهداية

قال رحمه الله: ثُمَّ يَشْهَدُ مِنْ " اِهْدِنَا " عَشْرَ مَرَاتِبَ، إِذَا اجْتَمَعَتْ حَصَلَتْ لَهُ الْهِدَايَةُ.

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: هِدَايَةُ الْعِلْمِ وَالْيَقَانِ، فَيَجْعَلُهُ عَالِمًا بِالْحَقِّ مُدْرِكًا لَهُ.

الثَّانِيَّةُ: أَنْ يُقَدِّرَهُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ بِنَفْسِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَجْعَلَهُ مُرِيدًا لَهُ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يَجْعَلَهُ فَاعِلًا لَهُ.

الْخَامِسَةُ: أَنْ يُثَبِّتَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَسْتَمِرَّ بِهِ عَلَيْهِ.

السَّادِسَةُ: أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ الْمَوَانِعَ وَالْعَوَارِضَ الْمُضَادَّةَ لَهُ.

السَّابِعَةُ: أَنْ يَهْدِيَهُ فِي الطَّرِيقِ نَفْسَهَا هِدَايَةً خَاصَّةً، أَخَصَّ مِنَ الْأُولَى، فَإِنَّ الْأُولَى

هِدَايَةٌ إِلَى الطَّرِيقِ إِجْمَالًا، وَهَذِهِ هِدَايَةٌ فِيهَا وَفِي مَنَازِلِهَا تَفْصِيلًا.

الثَّامِنَةُ: أَنْ يُشْهَدَهُ الْمَقْصُودَ فِي الطَّرِيقِ، وَيُثَبِّتَهُ عَلَيْهِ، فَيَكُونَ مُطَالِعًا لَهُ فِي سِيرِهِ، مُلْتَفِتًا

إِلَيْهِ، غَيْرُ مُحْتَجَبٍ بِالْوَسِيلَةِ عَنْهُ.

التَّاسِعَةُ: أَنْ يُشْهَدَهُ فَقَرَهُ وَضَرُورَتَهُ إِلَى هَذِهِ الْهِدَايَةِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ.

الْعَاشِرَةُ: أَنْ يُشْهَدَ الطَّرِيقَيْنِ الْمُنْحَرِفَيْنِ عَنْ طَرِيقِهَا، وَهُمَا طَرِيقُ أَهْلِ الْغَضَبِ، الَّذِينَ عَدَلُوا عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ قَصْداً وَعِنَاداً، وَطَرِيقُ أَهْلِ الضَّلَالِ الَّذِينَ عَدَلُوا عَنْهَا جَهْلاً وَضَلَالاً، ثُمَّ يَشْهَدُ جَمْعُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ عَلَيْهِ جَمِيعُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَاتِّبَاعِهِمْ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

فَهَذَا هُوَ الْجَمْعُ الَّذِي عَلَيْهِ رُسُلُ اللَّهِ وَاتِّبَاعُهُمْ، فَمَنْ حَصَلَ لَهُ هَذَا الْجَمْعُ، فَقَدْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤٧٢).

عشر من ثمار الرجاء

قال رحمه الله: من ثمار الرجاء:

مِنْهَا: إِظْهَارُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْفَاقَةِ، وَالْحَاجَةِ إِلَى مَا يَرْجُوهُ مِنْ رَبِّهِ، وَيَسْتَشْرِفُهُ مِنْ إِحْسَانِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يُؤَمِّلُوهُ وَيَرْجُوهُ. وَيَسْأَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ؛ لِأَنَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْجَوَادُّ، أَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ أُعْطِيَ. وَأَحَبُّ مَا إِلَى الْجَوَادِ أَنْ يُرْجَى وَيُؤَمَّلَ وَيُسْأَلَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(١) وَالسَّائِلُ رَاجٍ وَطَالِبٌ. فَمَنْ لَمْ يَرْجُ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ.

فَهَذِهِ فَائِدَةٌ أُخْرَى مِنْ فَوَائِدِ الرَّجَاءِ. وَهِيَ التَّخَلُّصُ بِهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني.

ومنها: أَنَّ الرَّجَاءَ حَادٍ يَحْدُو بِهِ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ. وَيُطِيبُ لَهُ الْمَسِيرَ. وَيَحْتُمُّ عَلَيْهِ. وَيَبْعَثُهُ عَلَى مُلَازِمَتِهِ. فَلَوْلَا الرَّجَاءُ لَمَا سَارَ أَحَدٌ. فَإِنَّ الْخَوْفَ وَحْدَهُ لَا يَحْرِكُ الْعَبْدَ. وَإِنَّمَا يُحْرِكُهُ الْحُبُّ. وَيُزْعِجُهُ الْخَوْفُ. وَيَحْدُوهُ الرَّجَاءُ.

ومنها: أَنَّ الرَّجَاءَ يَطْرَحُهُ عَلَى عَتَبَةِ الْمَحَبَّةِ، وَيُلْقِيهِ فِي دَهْلِيزِهَا. فَإِنَّهُ كُلَّمَا اشْتَدَّ رَجَاؤُهُ وَحَصَلَ لَهُ مَا يَرْجُوهُ أَزْدَادَ حُبًّا لِلَّهِ تَعَالَى، وَشُكْرًا لَهُ، وَرِضًا بِهِ وَعَنْهُ.

ومنها: أَنَّهُ يَبْعَثُهُ عَلَى أَعْلَى الْمَقَامَاتِ. وَهُوَ مَقَامُ الشُّكْرِ، الَّذِي هُوَ خُلَاصَةُ الْعُبُودِيَّةِ. فَإِنَّهُ إِذَا حَصَلَ لَهُ مَرْجُوُّهُ كَانَ أَدْعَى لِشُكْرِهِ.

ومنها: أَنَّهُ يُوجِبُ لَهُ الْمَزِيدَ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَمَعَانِيهَا، وَالتَّعَلُّقِ بِهَا. فَإِنَّ الرَّاجِيَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، مُتَعَبِّدٌ بِهَا، دَاعٍ بِهَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْطَلَ دُعَاؤُهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مَا يَدْعُو بِهَا الدَّاعِي. فَالْقَدْحُ فِي مَقَامِ الرَّجَاءِ تَعْطِيلُ لِعُبُودِيَّةِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَتَعْطِيلُ لِلدَّعَاءِ بِهَا.

ومنها: أَنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَنْفَكُ عَنِ الرَّجَاءِ - كَمَا تَقَدَّمَ - فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَمُدُّ الْآخَرَ وَيَقْوِيهِ.

ومنها: أَنَّ الْخَوْفَ مُسْتَلَزِمٌ لِلرَّجَاءِ. وَالرَّجَاءُ مُسْتَلَزِمٌ لِلْخَوْفِ. فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ. وَكُلُّ خَائِفٍ رَاجٍ. وَلَا جُلَّ هَذَا حَسَنَ وَقُوعِ الرَّجَاءِ فِي مَوْضِعٍ يَحْسُنُ فِيهِ وَقُوعُ الْخَوْفِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: الْمَعْنَى مَا لَكُمْ لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً؟ قَالُوا: وَالرَّجَاءُ بِمَعْنَى الْخَوْفِ.

والتَّحْقِيقُ أَنَّهُ مُلَازِمٌ لَهُ. فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ مِنْ فَوَاتِ مَرْجُوِّهِ. وَالْخَوْفُ بِلا رَجَاءٍ يَأْسٌ وَقُنُوطٌ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجناتية: ١٤]

قَالُوا فِي تَفْسِيرِهَا: لَا يَخَافُونَ وَقَائِعَ اللَّهِ بِهِمْ، كَوَقَائِعِهِ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَجَاءِ رَبِّهِ، فَأَعْطَاهُ مَا رَجَاهُ، كَانَ ذَلِكَ أَلْطَفَ مَوْقِعًا، وَأَحْلَى عِنْدَ الْعَبْدِ. وَأَبْلَغَ مِنْ حُصُولِ مَا لَمْ يَرْجُهُ. وَهَذَا أَحَدُ الْأَسْبَابِ وَالْحِكَمِ فِي جَعْلِ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ فِي هَذِهِ الدَّارِ. فَعَلَى قَدْرِ رَجَائِهِمْ وَخَوْفِهِمْ يَكُونُ فَرْحُهُمْ فِي الْقِيَامَةِ بِحُصُولِ مَرْجُوِّهِمْ وَانْدِفَاعِ مُخَوِّفِهِمْ.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرِيدُ مِنْ عَبْدِهِ تَكْمِيلَ مَرَاتِبِ عِبُودِيَّتِهِ مِنَ الذُّلِّ وَالْإِنْكَسَارِ، وَالتَّوَكُّلِ وَالِاسْتِعَانَةِ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، وَالرِّضَا وَالْإِنَابَةَ وَغَيْرَهَا. وَلِهَذَا قَدَّرَ عَلَيْهِ الذَّنْبَ وَابْتَلَاهُ بِهِ، لِتَكْمُلَ مَرَاتِبُ عِبُودِيَّتِهِ بِالتَّوْبَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَحَبِّ عِبُودِيَّاتِ عَبْدِهِ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ تَكْمِيلُهَا بِالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ فِي الرَّجَاءِ - مِنَ الْإِنْتِظَارِ وَالتَّرْقُبِ وَالتَّوَقُّعِ لِفَضْلِ اللَّهِ - مَا يُوجِبُ تَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِذِكْرِهِ وَدَوَامِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِ بِمُلَاحَظَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَتَنَقُّلِ الْقَلْبِ فِي رِيَاضِهَا الْأَنْبِيَّةِ، وَأَخْذِهِ بِنَصِيئِهِ مِنْ كُلِّ اسْمٍ وَصِفَةٍ - كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ - فَإِذَا فَنَى عَنْ ذَلِكَ وَعَابَ عَنْهُ، فَاتَهُ حَظُّهُ وَنَصِيئُهُ مِنْ مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

إِلَى فَوَائِدَ أُخْرَى كَثِيرَةٍ. يُطَالِعُهَا مَنْ أَحْسَنَ تَأَمُّلَهُ وَتَفَكَّرَهُ فِي اسْتِخْرَاجِهَا. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٥٠).

عشر طرق إلى حفظ الخواطر

قال رحمه الله: قاعدة: في ذكر طريق يوصل إلى الاستقامة في الأحوال والأقوال والأعمال، وهى شيئان:

أحدهما: حراسة الخواطر وحفظها، والحذر من إهمالها والاسترسال معها، فإن أصل الفساد كله من قبلها يجيء؛ لأنها هى بذر الشيطان، والنفس فى أرض القلب، فإذا تمكن بذرها تعاها الشيطان بسقيه مرة بعد أخرى حتى تصير إرادات، ثم يسقيها حتى تكون عزائم، ثم لا يزال بها حتى تثمر الأعمال.

ولا ريب أن دفع الخواطر أيسر من دفع الإرادات والعزائم، فيجد العبد نفسه عاجزاً أو كالعاجز عن دفعها بعد أن صارت إرادة جازمة، وهو المفرط إذا لم يدفعها وهى خاطر ضعيف، كمن تهاون بشرارة من نار وقعت فى حطب يابس، فلما تمكنت منه عجز عن إطفائها، فإن قلت: فما الطريق إلى حفظ الخواطر؟

قلت: أسباب عدة:

أحدها: العلم الجازم باطلاع الرب تعالى ونظره إلى قلبك وعلمه بتفصيل خواطرك.

الثانى: حياؤك منه.

الثالث: إجلالك له أن يرى مثل تلك الخواطر فى بيته الذى خلقه لمعرفته ومحبته.

الرابع: خوفك منه أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

الخامس: إثارك له أن تساكُن قلبك غير محبته.

السادس: خشيتك أن تتولد تلك الخواطر يستعر شرارها فتأكل ما فى القلب من

الإيمان ومحبة الله فتذهب به جملة وأنت لا تشعر.

السابع: أن تعلم أن تلك الخواطر بمنزلة الحب الذي يلقي للطائر ليصاد به، فاعلم أن كل خاطر منها فهو حبة في فخ منصوب لصيدك وأنت لا تشعر.

الثامن: أن تعلم أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر الإيمان ودواعي المحبة والإنابة أصلاً، بل هي ضدها من كل وجه، وما اجتمعا في قلب إلا وغلب أحدهما صاحبه وأخرجه واستوطن مكانه فما الظن بقلب غلبت خواطر النفس والشيطان فيه خواطر الإيمان والمعرفة والمحبة فأخرجتها واستوطنت مكانها، لكن لو كان للقلب حياة لشعر بألم ذلك وأحس بمصابه.

التاسع: أن يعلم أن تلك الخواطر بحر من بحور الخيال لا ساحل له، فإذا دخل القلب في غمراته غرق فيه وتاه في ظلماته فيطلب الخلاص منه فلا يجد إليه سبيلاً، فقلب تملكه الخواطر بعيد من الفلاح معذب مشغول بما لا يفيد.

العاشر: أن تلك الخواطر هي وادي الحمقى وأمانى الجاهلين، فلا تثمر لصاحبها إلا الندامة والخزي، وإذا غلبت على القلب أورثته الوسوس وعزلته عن سلطانها وأفسدت عليه رعيته وألقت في الأسر الطويل كما أن هذا معلوم في الخواطر النفسانية فهكذا الخواطر الإيمانية الرحمانية هي أصل الخير كله.

فإن أرض القلب إذا بذر فيها خواطر الإيمان والخشية والمحبة والإنابة والتصديق بالوعد ورجاء الثواب، وسقيت مرة بعد مرة، وتعاهد صاحبها بحفظها ومراعاتها والقيام عليها، أثمرت له كل فعل جميل، وملأت قلبه من الخيرات، واستعملت جوارحه في الطاعات، واستقر بها الملك في سلطانه واستقامت له رعيته.

ولهذا لما تحققت طائفة من السالكين ذلك عملت على حفظ الخواطر، وكان ذلك هو سيرها وجل عملها وهذا نافع لصاحبه بشرطين: أحدهما: أن لا يترك به واجباً، ولا سنة، الثاني: أن لا يجعل مجرد حفظها هو المقصود بل لا يتم ذلك إلا بأن يجعل موضعها خواطر الإيمان والمحبة والإنابة والتوكل والخشية فيفرغ قلبه من تلك الخواطر ويعمره بأضدادها، وإلا فمتى عمل على تفريغها منها معاً كان خاسراً، فلا بد من التفطن لهذا. طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٧٥).

عشر من حيل التحليل

قال رحمه الله: فالشيطان وحزبه قد أغروا بإيقاع الطلاق، والتفريق بين المرء وزوجه، وكثيراً ما يندم المطلق، ولا يصبر عن امرأته، ولا تطاوعه نفسه أن يصبر عنها إلى أن تتزوج زواج رغبة تبقى فيه مع الزوج إلى أن يموت عنها أو يفارقها إذا قضى منها وطره، ولا بد له من المرأة، فيهرع إلى التحليل وهو حيلة من عشر حيل نصبوها للناس:

إحداها: التحيل على عدم وقوع الطلاق، وهو نوعان، تحيل على عدم وقوعه مع صحة النكاح بالتسريح، فيأمرونه أن يقول لها: إذا طلقتك، أو إذا وقع عليك طلاقى، فأنت طالق قبله ثلاثاً، فلا يمكن أن يقع عليها الطلاق بعد هذا، لا مطلقاً ولا مقيداً عن المسرحين، فسدوا باب الطلاق وجعلوا المرأة كالغل في عنق الزوج، لا سبيل له إلى طلاقها أبداً.

الحيلة الثانية: التحيل على عدم وقوع الطلاق، يكون النكاح فاسداً، فلا يقع فيه الطلاق، ويتحيلون لبيان فساده من وجوه:

منها: أن عدالة الولي شرط في صحته، فإذا كان في الولي ما يقدر في عدالته، فالنكاح باطل، فلا يقع فيه الطلاق، والقوادح كثيرة، فلا تكاد تفتش فيمن شئت إلا وجدت فيه قادحاً.

ومنها: أن عدالة الشهود شرط، والشاهد يفسق بجلوسه على مقعد حرير، أو استناده إلى مسند حرير، أو جلوسه تحت حركة حرير، أو تجمره بمجمرة فضة، ونحو ذلك، مما لا يكاد يخلو البيت منه وقت العقد ونحو ذلك.

فيا للعجب، يكون الوطء حلالاً، والنسب لاحقاً، والنكاح صحيحاً حتى يقع الطلاق، فحينئذ يطلب وجوه إفساده.

الحيلة الثالثة: التحيل بالمخالعة، حتى يفعل المحلوف عليه، فإذا فعله تزوجها بعقد جديد.

الحيلة الرابعة: إذا وقع الفأس في الرأس، وحنث، ولا بد، اشترى غلاماً دون البلوغ وزوجه بها وأمرها أن تمكنه من إيلاج الحشفة هناك، فإذا فعل وهبها إياه فانفسخ نكاحها بملكه فتعتد وترد إلى المطلق، فإن عجزوا عن ذلك وآعوزهم انتقلوا إلى:

الحيلة الخامسة: وهي استكراء التيس الملعون المستعار لينزوا عليها ويحلها بزعمه، فهذه خمس حيل للخاصة.

وأما جهال العامة فلما رأوا أن المقصود التحيل على ردها إلى المطلق بأي طريق اتفق. قالوا: المقصود هو الرجوع، والحيلة مقصودة لغيرها، وأعيان الحيل ليست مقصودة، فاستنبطوا لهم خمس حيل أخرى.

إحداها: أن يأمرُوا المحلل بأن يطأها برجله، فيطأها، وهي قاعدة أو مضطجعة برجله ثم يخرج، ورأوا أن الوطء بالرجل أسهل عليهم وأقل مفسدة من الوطء بالآلة. فإنه إذا كان كلاهما غير مقصود، فما كان أقل فساداً كان أقرب إلى المقصود.

الحيلة الثانية: أن تكون حاملاً فتلد ذكراً، وكأنهم قاسوا الذكر الذي شقها خارجاً على الذكر الذي يشقها داخلاً، وهذا من جنس قياس التيسر الملعون على الزوج المقصود.

الحيلة الثالثة: أن يصب المحلل عليها دهناً يشربه جسدها ولا يطؤها، وكأنهم قاسوا تشرب جسدها للدهن وسريانه فيه على شربه للنطفة وسريانه فيه.

الحيلة الرابعة: السفر عنها أو سفرها عنه، فإذا قدم ظن أن ذلك كاف عن الزوج، ولا أدري من أين ألقى إليهم الشيطان ذلك، وكأنهم ظنوا أنهم قد التقوا من الآن، وأن السفر قطع حكم ما مضى رأساً.

الحيلة الخامسة: أن يجتمعا على عرفات، فإذا وقف بها على الجبل لم يحتاج بعد ذلك إلى زوج آخر عندهم، وقد سئلنا نحن وغيرنا عن ذلك وسمعناه منهم. **إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان (١/ ٢٨١).**

عشرة أسباب تمحق أثر الذنوب

قال رسول الله ﷺ: كَفَعَلِ إِخْوَانِهِمْ مِنْ الْخَوَارِجِ حِينَ رَدُّوا النَّصُوصَ الصَّحِيحَةَ الْمُحْكَمَةَ فِي مَوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَحَبَّتِهِمْ وَإِنْ ارْتَكَبُوا بَعْضَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَقَعُ مُكْفَرَةً:

بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ:

وَالِاسْتِغْفَارِ.

وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ.

وَالْمَصَائِبِ الْمُكْفَرَةِ.

وَدُعَاءِ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ مَوْتِهِمْ.

وَبِالْإِمْتِحَانِ فِي الْبَرَزَخِ.

وَفِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ.

وَبِشَفَاعَةِ مَنْ يَأْذُنُ اللَّهُ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ.

وَبِبَصْدُقِ التَّوْحِيدِ.

وَبِرَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ.

فَهَذِهِ عَشْرَةُ أَسْبَابٍ تَمْحَقُ أَثَرَ الذُّنُوبِ، فَإِنْ عَجَزَتْ هَذِهِ الْأَسْبَابُ عَنْهَا فَلَا بُدَّ مِنْ دُخُولِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا. **إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢١٨).** وانظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٤١).

الصبر عن المعصية ينشأ من أسباب عشرة

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: الصبر عن المعصية ينشأ من أسباب عديدة:

أحدها: علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها، وأن الله إنما حرَّمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنيا والرذائل، كما يحمي الوالد الشفيق ولده عما يضره. وهذا السبب يحمل العاقل على تركها ولو لم يعلق عليها وعيد بالعذاب.

السبب الثاني: الحياء من الله سبحانه، فإن العبد متى علم بنظره إليه ومقامه عليه وأنه بمرأى منه ومسمع - وكان حيًّا حيًّا - استحي من ربه أن يتعرض لمساخطه.

السبب الثالث: مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك، فإن الذنوب تزيل النعم ولا بد، فما أذنب عبد ذنبًا إلا زالت عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب وراجع رجعت

إليه أو مثلها، وإن أصر لم ترجع إليه، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة حتى تسلب النعم كلها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وأعظم النعم الإيمان، وذنوب الزنا والسرقة وشرب الخمر وانتهاج النهية يزيلها ويسلبها.

وقال بعض السلف: أذنبت ذنباً فحرمت قيام الليل سنة. وقال آخر: أذنبت ذنباً فحرمت فهم القرآن. وفي مثل هذا قيل:

إذا كنت في نعمة فارعها * * فإن المعاصي تزيل النعم
وبالجملة فإن المعاصي نار النعم تأكلها كما تأكل النار الحطب، عياداً بالله من زوال نعمته وتحويل عافيته.

السبب الرابع: خوف الله وخشية عقابه. وهذا إنما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده والإيمان به وبكتابه وبرسوله. وهذا السبب يقوى بالعلم واليقين ويضعف بضعفهما. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال بعض السلف: كفى بخشية الله علماً وبالاغترار بالله جهلاً.

السبب الخامس: محبة الله سبحانه وهي أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه. فإن المحب لمن يحب مطيع، وكلما قوى سلطان المحبة في القلب كان اقتضاؤه للطاعة وترك المخالفة أقوى، وإنما تصدر المعصية والمخالفة من ضعف المحبة وسلطانها وفرق بين من يحمله على ترك معصية سيده خوفاً من سوطه وعقوبته، وبين من يحمله على ذلك حبه لسيده، وفي هذا قال عمر: "نعم العبد صهيبي، لو لم

يخف الله لم يعصه " يعنى أنه لو لم يخف من الله لكان فى قلبه من محبة الله وإجلاله ما يمنعه من معصيته.

فالمحب الصادق عليه رقيب من محبوبه يرعى قلبه وجوارحه، وعلامة صدق المحبة شهود هذا الرقيب ودوامه.

وهنا لطيفة يجب التنبه لها، وهى أن المحبة المجردة لا توجب هذا الأثر ما لم تقترن بإجلال المحبوب وتعظيمه، فإذا قارنها بالإجلال والتعظيم أوجبت هذا الحياء والطاعة، وإلا فالمحبة الخالية عنهما إنما توجب نوع أنس وانبساط وتذكر واشتياق، ولهذا يتخلف عنها أثرها وموجبها، ويفتش العبد قلبه فى نوع محبة الله، ولكن لا تحمله على ترك معاصيه. وسبب ذلك تجردها عن الإجلال والتعظيم، فما عمر القلب شيء كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعظيمه، وتلك من أفضل مواهب الله لعبده أو أفضلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

السبب السادس: شرف النفس وزكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها أن تختار الأسباب التى تحطها وتضع قدرها، وتخفف منزلتها وتحقرها، وتسوى بينها وبين السفلة.

السبب السابع: قوة العلم بسوء عاقبة المعصية، وقبح أثرها والضرر الناشئ منها: من سواد الوجه، وظلمة القلب، وضيقه وغمه، وحزنه وألمه، وانحصاره، وشدة قلقه واضطرابه، وتمزق شمله. وضعفه عن مقاومة عدوه، وتعريه من زينته والحيرة فى أمره وتخلي وليه وناصره عنه، وتولى عدوه المبين له، وتوارى العلم الذى كان مستعداً له عنه، ونسيان ما كان حاصلًا له أو ضعفه ولا بد، ومرضه الذى إذا استحكم به فهو الموت

ولا بد، فإن الذنوب تميت القلوب، ومنها ذل بعد عزة، ومنها أن يصير أسيراً في يد أعدائه بعد أن كان ملكاً متصرفاً يخافه أعداؤه، ومنها أن يضع تأثيره فلا يبقى له نفوذ في رعيته ولا في الخارج فلا رعيته تطيعه إذا أمرها، ولا ينفذ في غيرهم، ومنها زوال أمنه وتبدله به مخافة، فأخوف الناس أشدهم إساءة، ومنها زوال الأُنس والاستبدال به وحشة، وكلما ازداد إساءة ازداد وحشة، ومنها زوال الرضى واستبداله بالسخط، ومنها زوال الطمأنينة بالله والسكون إليه والإيواء عنده واستبدال الطرد والبعد منه، ومنها وقوعه في بئر الحسرات، فلا يزال في حسرة دائمة كلما نال لذة نازعته نفسه إلى نظيرها إن لم يقض منها وطراً، أو إلى غيرها إن قضى وطره منها، وما يعجز عنه من ذلك أضعاف أضعاف ما يقدر عليه، وكلما اشتد نزوعه وعرف عجزه اشتدت حسرته وحزنه.

وبالجملة فآثار المعصية القبيحة أكثر من أن يحيط بها العبد علماً، وآثار الطاعة الحسنة أكثر من أن يحيط بها علماً فخير الدنيا والآخرة بحذافيره في طاعة الله، وشر الدنيا والآخرة بحذافيره في معصيته، وفي بعض الآثار يقول الله سبحانه وتعالى: من ذا الذي أطاعني فشقى بطاعتي؟ ومن ذاك الذي عصاني فسعد بمعصيتي؟

السبب الثامن: قصر الأمل، وعلمه بسرعة انتقاله، وأنه كمسافر دخل قرية وهو مزمر على الخروج منها، أو كراكب قال في ظل شجرة ثم سار وتركها. فهو لعلمه بقلته مقامه وسرعة انتقاله حريص على ترك ما يثقله حملة ويضره ولا ينفعه، حريص على الانتقال بخير ما بحضرته، فليس للعبد أنفع من قصر الأمل ولا أضر من التسويف وطول الأمل.

السبب التاسع: مجانية الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس، فإن قوة الداعى إلى المعاصى إنما تنشأ من هذه الفضلات، فإنها تطلب لها مصرفاً فيضيق عليها المباح فتتعداه إلى الحرام. ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره ولا بد.

السبب العاشر: وهو الجامع لهذه الأسباب كلها: ثبات شجرة الإيمان في القلب، فصبر العبد عن المعاصى إنما هو بحسب قوة إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أتمّ وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر، فإن من باشر قلبه الإيمان بقيام الله عليه ورؤيته له، وتحريمه لما حرم عليه، وبغضه له، ومقته لفاعله وباشر قلبه الإيمان بالثواب والعقاب والجنة والنار، وامتنع من أن لا يعمل بموجب هذا العلم.

ومن ظن أنه يقوى على ترك المخالفات والمعاصى بدون الإيمان الراسخ الثابت فقد غلط، فإذا قوى سراج الإيمان في القلب، وأضاءت جهاته كلها به، وأشرق نوره في أرجائه، سرى ذلك النور إلى الأعضاء، وانبعث إليها، فأسرعت الإجابة لداعى الإيمان، وانقادت له طائعة مذلة غير متناقلة ولا كارهة بل تفرح بدعوته حين يدعوها، كما يفرح الرجل بدعوة حبيبه المحسن إليه إلى محل كرامته. فهو كل وقت يترقب داعيه، ويتأهب لموافاته. والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. طريق الهجرتين وباب السعادتين

خطر المعصية من عشرة أوجه

قال رحمه الله: هَلِ الْمُطِيعُ الَّذِي لَمْ يَعْصِ خَيْرٌ مِنَ الْعَاصِي الَّذِي تَابَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا، أَوْ هَذَا التَّائِبُ أَفْضَلُ مِنْهُ؟ اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ.

فَطَائِفَةٌ رَجَحَتْ مَنْ لَمْ يَعْصِ عَلَى مَنْ عَصَى وَتَابَ تَوْبَةً نَصُوحًا، وَاحْتَجَّوا بِوُجُوهِ: **أَحَدُهَا:** أَنَّ أَكْمَلَ الْخَلْقِ وَأَفْضَلَهُمْ أَطْوَعُهُمْ لِلَّهِ، وَهَذَا الَّذِي لَمْ يَعْصِ أَطْوَعُ، فَيَكُونُ أَفْضَلَ.

الثاني: أَنَّ فِي زَمَنِ اشْتِغَالِ الْعَاصِي بِمَعْصِيَتِهِ يَسْبِقُهُ الْمُطِيعُ عِدَّةَ مَرَّاحِلَ إِلَى فَوْقِ، فَتَكُونُ دَرَجَتُهُ أَعْلَى مِنْ دَرَجَتِهِ، وَغَايَتُهُ أَنَّهُ إِذَا تَابَ اسْتَقْبَلَ سَيْرَهُ لِيَلْحَقَهُ، وَذَلِكَ فِي سَيْرٍ آخَرَ، فَأَتَى لَهُ بِلِحَاقِهِ؟ فَهُمَا بِمَنْزِلَةِ رَجُلَيْنِ مُشْتَرِكَيْنِ فِي الْكَسْبِ، كُلَّمَا كَسَبَ أَحَدُهُمَا شَيْئًا كَسَبَ الْآخَرُ مِثْلَهُ، فَعَمَدَ أَحَدُهُمَا إِلَى كَسْبِهِ فَأَضَاعَهُ، وَأَمْسَكَ عَنِ الْكَسْبِ الْمُسْتَأْنَفِ، وَالْآخَرُ مُجِدِّدٌ فِي الْكَسْبِ، فَإِذَا أَذْرَكَتْهُ حِمِيَّةُ الْمُنَافَسَةِ، وَعَادَ إِلَى الْكَسْبِ وَجَدَ صَاحِبَهُ قَدْ كَسَبَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ شَيْئًا كَثِيرًا، فَلَا يَكْسِبُ شَيْئًا إِلَّا كَسَبَ صَاحِبُهُ نَظِيرَهُ، فَأَتَى لَهُ بِمُسَاوَاتِهِ؟.

الثالث: أَنَّ غَايَةَ التَّوْبَةِ أَنْ تَمُحَوْ عَنْ هَذَا سَيِّئَاتِهِ، وَيَصِيرَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَعْمَلْهَا، فَيَكُونَ سَعْيُهُ فِي مُدَّةِ الْمَعْصِيَةِ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، فَأَيْنَ هَذَا السَّعْيِ مِنْ سَعْيِ مَنْ هُوَ كَاسِبٌ رَابِحٌ؟.

الرابع: أَنَّ اللَّهَ يَمُقَّتْ عَلَى مَعَاصِيهِ وَمُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ، فَبِئْسَ مُدَّةُ اشْتِغَالٍ هَذَا بِالذُّنُوبِ كَانَ حَظُّهُ الْمَقَّتْ، وَحَظُّ الْمُطِيعِ الرِّضَا، فَاللَّهُ لَمْ يَزَلْ عَنْهُ رَاضِيًا، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا خَيْرٌ مِمَّنْ كَانَ اللَّهُ رَاضِيًا عَنْهُ ثُمَّ مَقَّتْهُ، ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُ، فَإِنَّ الرِّضَا الْمُسْتَمَرَّ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي تَخَلَّلَهُ الْمَقَّتْ.

الخامس: أَنَّ الذَّنْبَ بِمَنْزِلَةِ شُرْبِ السُّمِّ، وَالتَّوْبَةُ تَرْيَافُهُ وَدَوَائُهُ، وَالطَّاعَةُ هِيَ الصِّحَّةُ وَالْعَافِيَةُ، وَصِحَّةٌ وَعَافِيَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ خَيْرٌ مِنْ صِحَّةٍ تَخْلَلَهَا مَرَضٌ وَشُرْبُ سُمٍّ أَفَاقَ مِنْهُ، وَرُبَّمَا أَدْيَا بِهِ إِلَى التَّلَفِ أَوْ الْمَرَضِ أَبَدًا.

السادس: أَنَّ الْعَاصِيَ عَلَى خَطَرٍ شَدِيدٍ، فَإِنَّهُ دَائِرٌ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، أَحَدُهَا: الْعَطَبُ وَالْهَلَاكُ بِشُرْبِ السُّمِّ.

الثَّانِي: النُّقْصَانُ مِنَ الْقُوَّةِ وَضَعْفُهَا إِنْ سَلِمَ مِنَ الْهَلَاكِ.

وَالثَّالِثُ: عَوْدُ قُوَّتِهِ إِلَيْهِ كَمَا كَانَتْ أَوْ خَيْرًا مِنْهَا بَعِيدٌ.

وَالْأَكْثَرُ إِنَّمَا هُوَ الْقِسْمَانِ الْأَوَّلَانِ، وَلَعَلَّ الثَّالِثَ نَادِرٌ جِدًّا، فَهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ ضَرَرِ السُّمِّ، وَعَلَى رَجَاءٍ مِنْ حُصُولِ الْعَافِيَةِ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَتَنَاوَلَ ذَلِكَ.

السابع: أَنَّ الْمُطِيعَ قَدْ أَحَاطَ عَلَى بُسْتَانِ طَاعَتِهِ حَائِطًا حَصِينًا لَا يَجِدُ الْأَعْدَاءَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَثَمَرَتُهُ وَزَهْرَتُهُ وَخُضْرَتُهُ وَبَهْجَتُهُ فِي زِيَادَةٍ وَنُموٍّ أَبَدًا، وَالْعَاصِي قَدْ فَتَحَ فِيهِ نَعْرًا، وَثَلَمَ فِيهِ ثُلْمَةً، وَمَكَّنَ مِنْهُ السُّرَّاقَ وَالْأَعْدَاءَ، فَدَخَلُوا فَعَاثُوا فِيهِ يَمِينًا وَشِمَالًا، أَفْسَدُوا أَغْصَانَهُ، وَخَرَبُوا حِيطَانَهُ، وَقَطَّعُوا ثَمَرَاتِهِ، وَأَحْرَقُوا فِي نَوَاحِيهِ، وَقَطَّعُوا مَاءَهُ، وَنَقَّصُوا سَقِيَّهُ، فَمَتَى يَرْجِعُ هَذَا إِلَى حَالِهِ الْأَوَّلِ؟ فَإِذَا تَدَارَكَهُ قَيْمُهُ وَلَمْ شَعْنُهُ، وَأَصْلَحَ مَا فَسَدَ مِنْهُ، وَفَتَحَ طُرُقَ مَائِهِ، وَعَمَّرَ مَا خَرِبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ إِذَا مَا أَنْ يَعُودَ كَمَا كَانَ، أَوْ أَنْقَصَ، أَوْ خَيْرًا، وَلَكِنْ لَا يَلْحَقُ بُسْتَانَ صَاحِبِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ عَلَى نَضَارَتِهِ وَحُسْنِهِ، بَلْ فِي زِيَادَةٍ وَنُموٍّ، وَتَضَاعُفِ ثَمَرَةٍ، وَكَثْرَةِ غَرَسٍ.

والثامن: أَنَّ طَمَعَ الْعَدُوِّ فِي هَذَا الْعَاصِي إِنَّمَا كَانَ لِضَعْفِ عِلْمِهِ وَضَعْفِ عَزِيمَتِهِ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى جَاهِلًا، قَالَ قَتَادَةُ: أَجْمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ جَهَالَةٌ، وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ آدَمَ: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] وَقَالَ فِي حَقِّ غَيْرِهِ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وَأَمَّا

مَنْ قَوِيَتْ عَزِيمَتُهُ، وَكَمَلَ عِلْمُهُ، وَقَوِيَ إِيمَانُهُ لَمْ يَطْمَعْ فِيهِ عَدُوُّهُ، وَكَانَ أَفْضَلَ.

التاسع: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ لَا بُدَّ أَنْ تُؤْتِرَ أَثَرًا سَيِّئًا وَلَا بُدَّ إِيمًا هَلَاكًا كُلِّيًّا، وَإِمًا خُسْرَانًا وَعِقَابًا يَعْقُبُهُ إِمَّا عَفْوٌ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا نَقْصُ دَرَجَةٍ، وَإِمَّا خُمُودُ مُصْبَاحِ الْإِيمَانِ، وَعَمَلُ النَّائِبِ فِي رَفْعِ هَذِهِ الْأَثَارِ وَالتَّكْفِيرِ، وَعَمَلُ الْمُطِيعِ فِي الزِّيَادَةِ، وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ. وَلِهَذَا كَانَ قِيَامُ اللَّيْلِ نَافِلَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً، فَإِنَّهُ يَعْمَلُ فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ، وَغَيْرُهُ يَعْمَلُ فِي تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا؟.

العاشر: أَنَّ الْمُقْبِلَ عَلَى اللَّهِ الْمُطِيعَ لَهُ يَسِيرُ بِجُمْلَةِ أَعْمَالِهِ، وَكُلَّمَا زَادَتْ طَاعَاتُهُ وَأَعْمَالُهُ اِزْدَادَ كَسْبُهُ بِهَا وَعَظُمَ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سَافَرَ فَكَسَبَ عَشْرَةَ أَضْعَافِ رَأْسِ مَالِهِ، فَسَافَرَ ثَانِيًا بِرَأْسِ مَالِهِ الْأَوَّلِ وَكَسَبَهُ، فَكَسَبَ عَشْرَةَ أَضْعَافِهِ أَيْضًا، فَسَافَرَ ثَالِثًا أَيْضًا بِهَذَا الْمَالِ كُلِّهِ، وَكَانَ رِبْحُهُ كَذَلِكَ، وَهَلُمَّ جَرًّا، فَإِذَا فُتِرَ عَنِ السَّفَرِ فِي آخِرِ أَمْرِهِ، مَرَّةً وَاحِدَةً، فَاتَهُ مِنَ الرَّبْحِ بِقَدْرِ جَمِيعِ مَا رِبَحَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْجَنِّيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ أَقْبَلَ صَادِقٌ عَلَى اللَّهِ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ لَحِظَةً وَاحِدَةً كَانَ مَا فَاتَهُ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَ، وَهُوَ صَحِيحٌ بِهَذَا الْمَعْنَى، فَإِنَّهُ قَدْ فَاتَهُ فِي مُدَّةِ الْإِعْرَاضِ رِبْحُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا، وَهُوَ أَزِيدُ

مِنَ الرَّبِّحِ الْمُتَقَدِّمِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالٌ مِّنْ أَعْرَضَ، فَكَيْفَ مَنَ عَصَى وَأَذْنَبَ؟ وَفِي هَذَا
الْوَجْهِ كِفَايَةٌ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٠٤ - ٣٠٦).

فضل التوبة من عشرة أوجه

وقال رحمه الله: وَطَائِفَةٌ رَّجَحَتِ التَّائِبَ، وَإِنْ لَمْ تُتَكَرَّرْ كَوْنُ الْأَوَّلِ أَكْثَرَ حَسَنَاتٍ مِنْهُ،
وَاحْتَجَّتْ بِوُجُوهِ:

أَحَدُهَا: أَنَّ عُبُودِيَّةَ التَّوْبَةِ مِنْ أَحَبِّ الْعُبُودِيَّاتِ إِلَى اللَّهِ، وَأَكْرَمَهَا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ
يُحِبُّ التَّوَّابِينَ، وَلَوْ لَمْ تَكُنِ التَّوْبَةُ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ لَمَا ابْتُلِيَ بِالذَّنْبِ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَيْهِ،
فَلِمَحَبَّتِهِ لِتَوْبَةِ عَبْدِهِ ابْتِلَاؤُهُ بِالذَّنْبِ الَّذِي يُوجِبُ وَقُوعَ مَحْبُوبِهِ مِنَ التَّوْبَةِ، وَزِيَادَةَ مَحَبَّتِهِ
لِعَبْدِهِ، فَإِنَّ لِلتَّائِبِينَ عِنْدَهُ مَحَبَّةً خَاصَّةً، يُوضِّحُ ذَلِكَ:

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ لِلتَّوْبَةِ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ مَنَزَلَةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهَا مِنَ الطَّاعَاتِ، وَلِهَذَا يَفْرَحُ
سُبْحَانَهُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ أَعْظَمَ فَرَحٍ يُقَدَّرُ، كَمَا مَثَّلَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفَرَحِ الْوَاحِدِ
لِرَاحِلَتِهَا الَّتِي عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فِي الْأَرْضِ الدُّوِّيَّةِ الْمُهْلِكَةِ، بَعْدَ مَا فَقَدَهَا، وَأَيْسَ مِنْ
أَسْبَابِ الْحَيَاةِ، وَلَمْ يَحِثْ هَذَا الْفَرَحُ فِي شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ سِوَى التَّوْبَةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ لِهَذَا
الْفَرَحِ تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي حَالِ التَّائِبِ وَقَلْبِهِ، وَمَزِيدُهُ لَا يُعْبَرُ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْ أَسْرَارِ تَقْدِيرِ
الذُّنُوبِ عَلَى الْعِبَادِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يَنَالُ بِالتَّوْبَةِ دَرَجَةَ الْمَحْبُوبِيَّةِ، فَيَصِيرُ حَبِيبًا لِلَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُفْتَنَ التَّوَّابَ، وَيُوضِّحُهُ:

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ عُبُودِيَّةَ التَّوْبَةِ فِيهَا مِنَ الدُّلِّ وَالْإِنْكَسَارِ، وَالْخُضُوعِ، وَالتَّمَلُّقِ لِلَّهِ،
وَالْتَذَلُّ لَهٗ، مَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَإِنْ زَادَتْ فِي الْقَدْرِ وَالْكَمِّيَّةِ
عَلَى عُبُودِيَّةِ التَّوْبَةِ، فَإِنَّ الدُّلَّ وَالْإِنْكَسَارَ رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ، وَمُخَهَا وَلُبُّهَا، يُوضِّحُهُ:

الوجه الرابع: أَنَّ حُصُولَ مَرَاتِبِ الدُّلِّ وَالْإِنْكَسَارِ لِلتَّائِبِ أَكْمَلُ مِنْهَا لِغَيْرِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ شَارَكَ مَنْ لَمْ يُذْنِبْ فِي ذُلِّ الْفَقْرِ، وَالْعُبُودِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَامْتَّازَ عَنْهُ بِإِنْكَسَارِ قَلْبِهِ كَمَا فِي الْأَثَرِ الْإِسْرَائِيلِيِّ: يَا رَبِّ أَيْنَ أَجِدُكَ؟ قَالَ: عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي، وَلِأَجْلِ هَذَا كَانَ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ لِأَنَّهُ مَقَامُ ذُلٍّ وَإِنْكَسَارٍ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ.

وَتَأَمَّلْ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَّهُ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطَعْتُمْكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَنْ تُطْعِمَهُ، أَمَا لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَنْ تَسْقِيَهُ، أَمَا لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تُعْذِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ»^(١) فَقَالَ فِي عِيَادَةِ الْمَرِيضِ "لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ" وَقَالَ فِي الْإِطْعَامِ، وَالْإِسْقَاءِ "لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي" فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْمَرِيضَ مَكْسُورُ الْقَلْبِ وَلَوْ كَانَ مَنْ كَانَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكْسِرَهُ الْمَرَضُ فَإِذَا كَانَ مُؤْمِنًا قَدْ انْكَسَرَ قَلْبُهُ بِالْمَرَضِ كَانَ اللَّهُ عِنْدَهُ.

وَهَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - هُوَ السِّرُّ فِي اسْتِجَابَةِ دَعْوَةِ الثَّلَاثَةِ: الْمَظْلُومِ، وَالْمُسَافِرِ، وَالصَّائِمِ، لِلْكَسْرِ الَّتِي فِي قَلْبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَإِنَّ غُرْبَةَ الْمُسَافِرِ وَكَسْرَتَهُ مِمَّا يَجِدُهُ الْعَبْدُ فِي نَفْسِهِ، وَكَذَلِكَ الصَّوْمُ، فَإِنَّهُ يَكْسِرُ سُورَةَ النَّفْسِ السَّبْعِيَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَيُذِلُّهَا.

وَالْقَصْدُ: أَنَّ شَمْعَةَ الْجَبْرِ وَالْفَضْلِ وَالْعَطَايَا، إِنَّمَا تَنْزِلُ فِي شَمْعِدَانِ الْإِنْكَسَارِ، وَلِلْعَاصِي التَّائِبِ مِنْ ذَلِكَ أَوْفَرُ نَصِيبٍ، يُوضِّحُهُ:

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّ الذَّنْبَ قَدْ يَكُونُ أَنْفَعُ لِلْعَبْدِ إِذَا اقْتَرَنَتْ بِهِ التَّوْبَةُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ: قَدْ يَعْمَلُ الْعَبْدُ الذَّنْبَ فَيَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيَعْمَلُ الطَّاعَةَ فَيَدْخُلُ بِهَا النَّارَ، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: يَعْمَلُ الذَّنْبَ فَلَا يَزَالُ نُصَبَ عَيْنَيْهِ، إِنْ قَامَ وَإِنْ قَعَدَ وَإِنْ مَشَى ذَكَرَ ذَنْبَهُ، فَيُحَدِّثُ لَهُ أَنْكَسَارًا، وَتَوْبَةً، وَاسْتِغْفَارًا، وَنَدَمًا، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ نَجَاتِهِ، وَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ، فَلَا تَرَالُ نُصَبَ عَيْنَيْهِ، إِنْ قَامَ وَإِنْ قَعَدَ وَإِنْ مَشَى، كُلَّمَا ذَكَرَهَا أَوْرَثَتْهُ عُجْبًا وَكِبْرًا وَمِنَةً، فَتَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ، فَيَكُونُ الذَّنْبُ مُوجِبًا لِرَتْبِ طَاعَاتٍ وَحَسَنَاتٍ، وَمُعَامَلَاتٍ قَلْبِيَّةٍ، مِنْ خَوْفِ اللَّهِ وَالْحَيَاءِ مِنْهُ، وَالْإِطْرَاقِ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْكَسَا رَأْسِهِ خَجَلًا، بَاكِيًا نَادِمًا، مُسْتَقِيلًا رَبَّهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَثَارِ أَنْفَعُ لِلْعَبْدِ مِنْ طَاعَةٍ تُوجِبُ لَهُ صَوْلَةً، وَكِبْرًا، وَازْدِرَاءً بِالنَّاسِ، وَرُؤْيَتَهُمْ بِعَيْنِ الْإِحْتِقَارِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا الذَّنْبَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَقْرَبُ إِلَى النِّجَاةِ وَالْفَوْزِ مِنْ هَذَا الْمُعْجَبِ بِطَاعَتِهِ، الصَّائِلِ بِهَا، الْمَانِّ بِهَا، وَبِحَالِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِبَادِهِ، وَإِنْ قَالَ بِلِسَانِهِ خِلَافَ ذَلِكَ، فَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، وَيَكَادُ يُعَادِي الْخَلْقَ إِذَا لَمْ يُعْظَمُوهُ وَيَرْفَعُوهُ، وَيَخْضَعُوا لَهُ، وَيَجِدُ فِي قَلْبِهِ بَغْضَةً لِمَنْ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ ذَلِكَ، وَلَوْ فَتَشَ نَفْسُهُ حَقَّ التَّفْتِيشِ لَرَأَى فِيهَا ذَلِكَ كَامِنًا، وَلِهَذَا تَرَاهُ عَاتِبًا عَلَى مَنْ لَمْ يُعْظَمْهُ وَيَعْرِفْ لَهُ حَقَّهُ، مُتَطَلِّبًا لِعَيْبِهِ فِي قَالِبِ حَمِيَّةٍ لِلَّهِ، وَغَضَبٍ لَهُ، وَإِذَا قَامَ بِمَنْ يُعْظَمُهُ وَيَحْتَرِمُهُ، وَيَخْضَعُ لَهُ مِنَ الذُّنُوبِ أَضْعَافَ مَا قَامَ بِهِذَا فَتَحَ لَهُ بَابَ الْمَعَادِيرِ

وَالرَّجَاءِ، وَأَغْمَضَ عَنْهُ عَيْنَهُ وَسَمِعَهُ، وَكَفَّ لِسَانَهُ وَقَلْبَهُ، وَقَالَ: بَابُ الْعِصْمَةِ عَنْ غَيْرِ
الْأَنْبِيَاءِ مَسْدُودٌ، وَرُبَّمَا ظَنَّ أَنَّ ذُنُوبَ مَنْ يُعَظَّمُهُ تُكَفِّرُ بِإِجْلَالِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَإِكْرَامِهِ إِيَّاهُ.

فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا الْعَبْدِ خَيْرًا أَلْقَاهُ فِي ذَنْبٍ يَكْسِرُهُ بِهِ، وَيَعْرِفُهُ قَدْرَهُ، وَيَكْفِي بِهِ عِبَادَةَ شَرِّهِ،
وَيُنَكِّسُ بِهِ رَأْسَهُ، وَيَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنْهُ دَاءَ الْعُجْبِ وَالْكِبرِ وَالْمِنَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى عِبَادِهِ، فَيَكُونُ
هَذَا الذَّنْبُ أَنْفَعَ لِهَذَا مِنْ طَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ شُرْبِ الدَّوَاءِ لِيَسْتَخْرِجَ بِهِ الدَّاءَ
الْعُضَالَ، كَمَا قِيلَ بِلِسَانِ الْحَالِ فِي قِصَّةِ آدَمَ وَخُرُوجِهِ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبِهِ:

يَا آدَمُ، لَا تَجَزَعْ مِنْ كَأْسٍ زَلَلٍ كَانَتْ سَبَبَ كَيْسِكَ، فَقَدْ اسْتَخْرِجَ بِهَا مِنْكَ دَاءٌ لَا يَصْلُحُ أَنْ
تَجَاوِرَنَا بِهِ، وَأَلْبَسَتْ بِهَا حُلَّةَ الْعُبُودِيَّةِ.

لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ * * وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَالِ

يَا آدَمُ، إِنَّمَا ابْتَلَيْتَكَ بِالذَّنْبِ لِأَنِّي أَحَبُّ أَنْ أَظْهَرَ فَضْلِي، وَجُودِي وَكَرَمِي، عَلَى مَنْ
عَصَانِي: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(١).

يَا آدَمُ، كُنْتَ تَدْخُلُ عَلَيَّ دُخُولَ الْمُلُوكِ عَلَى الْمُلُوكِ، وَالْيَوْمَ تَدْخُلُ عَلَيَّ دُخُولَ الْعَبِيدِ
عَلَى الْمُلُوكِ.

يَا آدَمُ، إِذَا عَصَمْتُكَ وَعَصَمْتُ بَنِيكَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَعَلَى مَنْ أَجُودُ بِحِلْمِي؟ وَعَلَى مَنْ
أَجُودُ بِعَفْوِي وَمَغْفِرَتِي، وَتَوْبَتِي، وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ؟.

يَا آدَمُ، لَا تَجَزَعْ مِنْ قَوْلِي لَكَ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨] فَلَكَ خَلَقْتُهَا، وَلَكِنْ أَهْبِطُ إِلَى دَارِ الْمَجَاهِدَةِ، وَابْذُرْ بِذَرِ التَّقْوَى، وَأَمْطِرْ عَلَيْكَ سَحَابَ الْجُفُونِ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْحُبُّ وَاسْتَغْلَظَ، وَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ، فَتَعَالَ فَاحْصُدْهُ.

يَا آدَمُ، مَا أَهْبَطْتُكَ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا لِتَتَوَسَّلَ إِلَيَّ فِي الصُّعُودِ، وَمَا أَخْرَجْتُكَ مِنْهَا نَفْيًا لَكَ عَنْهَا، مَا أَخْرَجْتُكَ مِنْهَا إِلَّا لِتَعُودَ.

إِنْ جَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ عَثْبٌ * * وَتَنَاءَتْ مَنَا وَمِنْكَ الدِّيَارُ

فَالْوِدَادُ الَّذِي عَهَدْتَ مُقِيمٌ * * وَالْعَنَارُ الَّذِي أَصَبْتَ جَبَّارُ

يَا آدَمُ، ذَنْبٌ تَذِلُّ بِهِ لَدَيْنَا، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ طَاعَةٍ تُدِلُّ بِهَا عَلَيْنَا.

يَا آدَمُ، أَنْيْنُ الْمُذْنِبِينَ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ تَسِيحِ الْمُدْلِينَ.

« يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ

آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ

الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا أَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً »^(١).

يُذَكِّرُ عَنْ بَعْضِ الْعِبَادِ أَنَّهُ كَانَ يَسْأَلُ رَبَّهُ فِي طَوَافِهِ بِالْبَيْتِ أَنْ يَعْصِمَهُ ثُمَّ غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ

فَنَامَ، فَسَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ: أَنْتَ تَسْأَلُنِي الْعِصْمَةَ، وَكُلُّ عِبَادِي يَسْأَلُونَنِي الْعِصْمَةَ، فَإِذَا

عَصَمْتُهُمْ فَعَلَى مَنْ أَنْفَضَلُ وَأَجُودُ بِمَغْفِرَتِي وَعَفْوِي؟ وَعَلَى مَنْ أَتُوبُ؟ وَأَيْنَ كَرَمِي

وَعَفْوِي وَمَغْفِرَتِي وَفَضْلِي؟ وَنَحْوُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ.

« ١ » رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه، وهو في الصحيحة (١٢٧) للعلامة الألباني.

يَا ابْنَ آدَمَ، إِذَا آمَنْتَ بِي وَلَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا، أَقَمْتُ حَمَلَةَ عَرْشِي وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِي وَيَسْتَغْفِرُونَ لَكَ وَأَنْتَ عَلَى فِرَاشِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ الْإِلَهِيِّ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَمَنْ عَلِمَ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أَبَالِي» ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ

لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].
يَا عَبْدِي! لَا تَعْجِزْ، فَمِنْكَ الدُّعَاءُ وَعَلَيَّ الْإِجَابَةُ، وَمِنْكَ الْإِسْتِغْفَارُ وَعَلَيَّ الْمَغْفِرَةُ، وَمِنْكَ التَّوْبَةُ وَعَلَيَّ تَبْدِيلُ سَيِّئَاتِكَ حَسَنَاتٍ "يُوضِّحُهُ:

الْوَجْهُ السَّادِسُ: وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الفرقان: ٧٠].

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبَشَارَةِ لِلتَّائِبِينَ إِذَا اقْتَرَنَ بِتَوْبَتِهِمْ إِيْمَانٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ، وَهُوَ حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَرِحَ بِشَيْءٍ قَطُّ فَرَحَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ لَمَّا أُنْزِلَتْ، وَفَرَحَهُ بِنُزُولِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿الفتح: ١ - ٢﴾.

وَاخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ هَذَا التَّبْدِيلِ، وَهَلْ هُوَ فِي الدُّنْيَا، أَوْ فِي الْآخِرَةِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَصْحَابُهُ: هُوَ تَبْدِيلُهُمْ بِقَبَائِحِ أَعْمَالِهِمْ مَحَاسِنَهَا، فَبَدَّلَهُمْ بِالشَّرِّ إِيْمَانًا، وَبِالزُّنَا عِفَّةً وَإِحْصَانًا، وَبِالْكَذِبِ صِدْقًا، وَبِالْخِيَانَةِ أَمَانَةً.

فَعَلَى هَذَا مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ صِفَاتِهِمُ الْقَبِيحَةَ، وَأَعْمَالَهُمُ السَّيِّئَةَ، بُدِّلُوا عَوَضَهَا صِفَاتٍ جَمِيلَةً، وَأَعْمَالًا صَالِحَةً، كَمَا يُبَدِّلُ الْمَرِيضُ بِالْمَرَضِ صِحَّةً، وَالْمُبْتَلَى بِبَلَاءِهِ عَافِيَةً. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَغَيْرُهُ مِنَ التَّابِعِينَ: هُوَ تَبْدِيلُ اللَّهِ سَيِّئَاتِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا بِحَسَنَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُعْطِيهِمْ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً.

وَاحتَجَّ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ بِمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ آخَرَ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ، يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَيُخَبَّأُ عَنْهُ كِبَارُهَا، فَيَقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ مُقَرَّرٌ لَا يُنْكِرُ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِهَا، فَيَقَالُ: أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمَلَهَا حَسَنَةً، فَيَقُولُ: إِنَّ لِي ذُنُوبًا مَا أَرَاهَا هَاهُنَا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ» .

فَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَكِنْ فِي الْإِسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ نَظَرٌ، فَإِنَّ هَذَا قَدْ عُدَّ بِسَيِّئَاتِهِ وَدَخَلَ بِهَا النَّارَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَأُعْطِيَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، صَدَقَهُ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ ابْتِدَاءً بِعَدَدِ ذُنُوبِهِ، وَلَيْسَ فِي هَذَا تَبْدِيلُ تِلْكَ الذُّنُوبِ بِحَسَنَاتٍ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا عُوقِبَ عَلَيْهَا كَمَا لَمْ يُعَاقَبِ التَّائِبُ، وَالْكَلامُ إِنَّمَا هُوَ فِي تَائِبٍ أُثْبِتَ لَهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَزَادَتْ حَسَنَاتُهُ، فَأَيْنَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؟

وَالنَّاسُ اسْتَقْبَلُوا هَذَا الْحَدِيثَ مُسْتَدِلِّينَ بِهِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا فِيهِ، لَكِنْ لِلْسَّلَفِ غَوْرٌ وَدِقَّةٌ فَهُمْ لَا يُدْرِكُهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ.

فَالِاسْتِدْلَالُ بِهِ صَحِيحٌ، بَعْدَ تَمْهِيدِ قَاعِدَةٍ، إِذَا عَرَفْتَ عُرْفَ لُطْفِ الْاسْتِدْلَالِ بِهِ وَدِقَّتِهِ، وَهِيَ أَنَّ الذَّنْبَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَثَرٍ، وَأَثَرُهُ يَرْتَفِعُ بِالتَّوْبَةِ تَارَةً، وَبِالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ تَارَةً، وَبِالْمَصَائِبِ الْمُكَفِّرَةِ تَارَةً، وَبِدُخُولِ النَّارِ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ أَثَرِهِ تَارَةً، وَكَذَلِكَ إِذَا اشْتَدَّ أَثَرُهُ، وَلَمْ تَقَوْ تِلْكَ الْأُمُورُ عَلَى مَحْوِهِ، فَلَا بُدَّ إِذَا مِنْ دُخُولِ النَّارِ لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَكُونُ فِيهَا ذَرَّةٌ مِنَ الْخَبِيثِ، وَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ طَابَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَإِذَا بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ خُبْثِ الذُّنُوبِ أُدْخِلَ كَبِيرَ الْإِمْتِحَانِ، لِيُخَلَّصَ ذَهَبَ إِيْمَانِهِ مِنْ خُبْثِهِ، فَيَصْلُحَ حَيْثُ لِدَارِ الْمُلْكِ.

إِذَا عُلِمَ هَذَا فَزَوَالَ مُوجِبِ الذَّنْبِ وَأَثَرُهُ **نَارَةٌ يَكُونُ** بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَهِيَ أَقْوَى الْأَسْبَابِ، وَ**نَارَةٌ يَكُونُ** بِاسْتِيفَاءِ الْحَقِّ مِنْهُ وَتَطْهِيرِهِ فِي النَّارِ، فَإِذَا تَطَهَّرَ بِالنَّارِ، وَزَالَ أَثَرُ الْوَسَخِ وَالْخَبْثِ عَنْهُ، أُعْطِيَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَإِذَا تَطَهَّرَ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَزَالَ عَنْهَا بِهَا أَثَرُ وَسَخِ الذُّنُوبِ وَخُبْثِهَا، كَانَ أَوْلَى بِأَنْ يُعْطَى مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، لِأَنَّ إِزَالََةَ التَّوْبَةِ لِهَذَا الْوَسَخِ وَالْخَبْثِ أَعْظَمُ مِنْ إِزَالََةِ النَّارِ، وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، وَإِزَالََةُ النَّارِ بَدَلٌ مِنْهَا، وَهِيَ الْأَصْلُ، فَهِيَ أَوْلَى بِالتَّبْدِيلِ مِمَّا بَعْدَ الدُّخُولِ، يُوضِّحُهُ:

الرَّوْجَةُ النَّاسِعُ: وَهُوَ أَنَّ التَّائِبَ قَدْ بُدِّلَ كُلُّ سَيِّئَةٍ بِنَدَمِهِ عَلَيْهَا حَسَنَةً، إِذْ هُوَ تَوْبَةُ تِلْكَ السَّيِّئَةِ، وَالنَّدَمُ تَوْبَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ حَسَنَةٌ، فَصَارَ كُلُّ ذَنْبٍ عَمَلَةً زَائِلًا بِالتَّوْبَةِ الَّتِي حَلَّتْ مَحَلَّهُ وَهِيَ حَسَنَةٌ، فَصَارَ لَهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ، فَتَأَمَّلْهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَلْطَفِ الْوُجُوهِ.

وَعَلَى هَذَا فَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْحَسَنَةُ مُسَاوِيَةً فِي الْقَدْرِ لِتِلْكَ السَّيِّئَةِ، وَقَدْ تَكُونُ دُونَهَا، وَقَدْ تَكُونُ فَوْقَهَا، وَهَذَا بِحَسَبِ نُصْحِ هَذِهِ التَّوْبَةِ، وَصِدْقِ التَّائِبِ فِيهَا، وَمَا يَقْتَرِنُ بِهَا مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ الَّذِي تَزِيدُ مَصْلَحَتُهُ وَنَفْعُهُ عَلَى مَفْسَدَةِ تِلْكَ السَّيِّئَةِ، وَهَذَا مِنْ أَسْرَارِ مَسَائِلِ التَّوْبَةِ وَلَطَائِفِهَا، يُوضِّحُهَا:

الوجه العاشر: أَنَّ ذَنْبَ الْعَارِفِ بِاللَّهِ وَبِأَمْرِهِ قَدْ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ حَسَنَاتٌ أَكْبَرُ مِنْهُ وَأَكْثَرُ، وَأَعْظَمُ نَفْعًا، وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عِصْمَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ مَنْ ذُلٌّ وَانْكِسَارٌ وَخَشْيَةٌ وَإِنَابَةٌ وَنَدَمٌ، وَتَدَارُكٌ بِمُرَاغَمَةِ الْعَدُوِّ بِحَسَنَةٍ أَوْ حَسَنَاتٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، حَتَّى يَقُولَ الشَّيْطَانُ: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوقِعْهُ فِيمَا أَوْقَعْتَهُ فِيهِ، وَيَنْدَمُ الشَّيْطَانُ عَلَى إِيقَاعِهِ فِي الذَّنْبِ، كَنَدَامَةِ فَاعِلِهِ عَلَى ارْتِكَابِهِ، لَكِنْ شَتَانُ مَا بَيْنَ النَّدَمَيْنِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ مُرَاغَمَةَ عَدُوِّهِ وَغَيْظَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّ هَذَا مِنَ الْعِبُودِيَّةِ مِنْ أَسْرَارِ التَّوْبَةِ، فَيَحْصُلُ مِنَ الْعَبْدِ مُرَاغَمَةُ الْعَدُوِّ بِالتَّوْبَةِ وَالتَّدَارُكِ، وَحُصُولُ مَحْبُوبِ اللَّهِ مِنَ التَّوْبَةِ، وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَالِ هُنَا، مَا يُوجِبُ جَعْلَ مَكَانِ السَّيِّئَةِ حَسَنَةً بَلْ حَسَنَاتٍ.

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] وَلَمْ يَقُلْ مَكَانَ كُلِّ وَاحِدَةٍ وَاحِدَةً فَهَذَا يَجُوزُ أَنْ يُبَدِّلَ السَّيِّئَةَ الْوَاحِدَةَ بَعْدَةَ حَسَنَاتٍ بِحَسَبِ حَالِ الْمُبَدِّلِ.

وَأَمَّا فِي الْحَدِيثِ فَإِنَّ الَّذِي عُذِبَ عَلَى ذُنُوبِهِ لَمْ يُبَدَّلْهَا فِي الدُّنْيَا بِحَسَنَاتٍ مِنَ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَتَوَابِعِهَا، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَجْعَلُ مَكَانَ السَّيِّئَةِ حَسَنَاتٍ، فَأَعْطِيَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً وَاحِدَةً، وَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ، وَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا ضَحِكَ، وَلَمْ يُبَيِّنْ مَا

يَفْعَلُ اللَّهُ بِهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ يُبَدِّلُ مَكَانَ كُلِّ صَغِيرَةٍ حَسَنَةً، وَلَكِنْ فِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ إِلَى أَنَّ هَذَا التَّبْدِيلَ يَعْمُ كِبَارَهَا وَصِغَارَهَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: قَوْلُهُ: أَخْبَرُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَهَذَا إِشْعَارٌ بِأَنَّهُ إِذَا رَأَى تَبْدِيلَ الصَّغَائِرِ ذَكَرَهَا وَطَمَعَ فِي تَبْدِيلِهَا، فَيَكُونُ تَبْدِيلُهَا أَعْظَمَ مَوْقَعًا عِنْدَهُ مِنْ تَبْدِيلِ الصَّغَائِرِ، وَهُوَ بِهِ أَشَدُّ فَرَحًا وَاعْتِبَاطًا.

وَالثَّانِي: ضَحِكُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ ذِكْرِ ذَلِكَ، وَهَذَا الضَّحِكُ مُشْعِرٌ بِالتَّعَجُّبِ مِمَّا يُفْعَلُ بِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَمَا يُقَرَّرُ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَرَّرَ عَلَيْهَا وَلَا يُسْأَلَ عَنْهَا، وَإِنَّمَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّغَائِرُ.

فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَجُودُ الْأَجُودِينَ، وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، الْبَرُّ اللَّطِيفُ، الْمُتَوَدِّدُ إِلَى عِبَادِهِ بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، وَإِيصَالِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ بِكُلِّ نَوْعٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٠٦ - ٣١٢).

مكر النسوة ليووسف عليه السلام من عشرة أوجه

قال رحمه الله: فإن قيل: فما كان مكر النسوة اللاتي مكرن به، وسمعت به امرأة العزيز، فإن الله سبحانه لم يقصه في كتابه؟.

قيل: بلى، قد أشار إليه بقوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ

نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠].

وهذا الكلام متضمن لوجوه من المكر:

أحدها: قولهن: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا ۖ

ولم يسموها باسمها، بل ذكروها بالوصف الذى ينادى عليها بقبيح فعلها، بكونها ذات بعل. فصدور الفاحشة منها أقبح من صدورها ممن لا زوج لها.

الثانى: أن زوجها عزيز مصر ورئيسها وكبيرها، وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

الثالث: أن الذى تراوده مملوك لا حر، وذلك أبلغ فى القبح.

الرابع: أنه فتاها الذى هو فى بيتها وتحت كنفها، فحكمه حكم أهل البيت، بخلاف من طلب ذلك من الأجنبى البعيد.

الخامس: أنها هى المرادة الطالبة.

السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ، حتى وصل حبها له إلى شغاف قلبها.

السابع: أن فى ضمن هذا أنه أعف منها وأبر، وأوفى، حيث كانت هى المرادة الطالبة، وهو الممتنع، عفافاً وكرماً وحياء، وهذا غاية الذم لها.

الثامن: أنهم أتين بفعل المرادة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع، حالاً واستقبالاً: وأن هذا شأنها، ولم يقلن: راودت فتاها. وفرق بين قولك: فلان أضاف ضيفاً، وفلان يقرى الضيف، ويطعم الطعام، ويحمل الكل. فإن هذا يدل على أن هذا شأنه وعادته.

التاسع: قولهن: ﴿إِنَّا لَنَرَنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

أي إنا لنستقبح منها ذلك غاية الاستقبح فنسب الاستقبح إليها. ومن شأنهن مساعدة بعضهن بعضاً على الهوى، ولا يكدن يرين ذلك قبيحاً، كما يساعد الرجال بعضهم

بعضاً على ذلك، فحيث استقبحن منها ذلك كان هذا دليلاً على أنه من أقبح الأمور، وأنه مما لا ينبغي أن تساعد عليه، ولا يحسن معاونتها عليه.

العاشر: أنهم جمعوا لها في هذا الكلام واللوم بين العشق المفرط، والطلب المفرط. فلم تقتصد في حبها، ولا في طلبها.

أما العشق فقولهن: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾.

أى وصل حبه إلى شغاف قلبها. وأما الطلب المفرط فقولهن: ﴿تُرَوِّدُ فَنَہَا﴾.

والمرادة: الطلب مرة بعد مرة، فنسبوا إلى شدة العشق، وشدة الحرص على الفاحشة. فلما سمعت بهذا المكر منهن هيأت لهن مكرًا أبلغ منه، فهيأت لهن متكأ، ثم أرسلت إليهن، فجمعتهن وخبأت يوسف عليه السلام عنهن. وقيل: إنها جملته وألبسته أحسن ما تقدر عليه، وأخرجته عليهن فجأة، فلم يرعهنَّ إلا وأحسن خلق الله وأجملهم قد طلع عليهن بغته، فراعهن ذلك المنظر البهي، وفي أيديهن مِدَى يقطعن بها ما يأكلنه فدهشن حتى قطعن أيديهن، وهن لا يشعرن. وقد قيل: إنهن أبْن أيديهن، والظاهر خلاف ذلك، وإنما تقطيعهن أيديهن: جُرْحُها وشقها بالمِدَى لدَهْشهنَّ بما رأين، فقابلت مكرهن القولى بهذا المكر الفعلى، وكانت هذه فى النساء غاية فى المكر. إغائة اللهنان من مصايد

الرد على اليهود في تكذيبهم بنبوّة محمد ﷺ من عشرة أوجه

قال **رحمّ الله**؛ عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كُنُوبٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

فهذه حجة أخرى على اليهود في تكذيبهم بمحمد ﷺ، فإنهم كانوا يحاربون جيرانهم من العرب في الجاهلية، ويستنصرون عليهم بالنبي ﷺ قبل ظهوره، فيفتح لهم ويُنصرون، فلما ظهر النبي ﷺ كفروا به، وجحدوا نبوته، فاستفتاحهم به وجحد نبوته مما لا يجتمعان، فإن كان استفتاحهم به؛ لأنه نبيٌّ كان جحد نبوته محالاً، وإن كان جحد نبوته - كما يزعمون - حقاً كان استفتاحهم به باطلاً، فإن كان استفتاحهم به حقاً فنبوته حق، وإن كان نبوته - كما يقولون - باطلاً فاستفتاحهم به باطل، وهذا مما لا جواب لأعدائه عنه البتّة، ويمكنُ تقريرها على صُورٍ عديدة:

منها: أن يقال: قد أقرتم نبوته قبل ظهوره باستفتاحكم به، فتعيّن عليكم الإقرارُ بها بعد ظهوره.

الثانية: إن يقال: كنتم تستفتحون به، وذلك إقرارٌ منكم بنبوته قبل ظهوره، استناداً إلى ما عندكم من العلم بظهوره، فلما شاهدتموه وصارَ المعلوم معيّناً بالرؤية، فالتصديق به حينئذ يكون أولى، فكفرتم به عند كمال المعرفة، وأمتتم به حين كانت غيباً لم تكمل، فأمتتم به على تقدير وجوده، وكفرتم به عند تحقق وجوده، فأَيُّ تناقض وعنادٍ أبلغ من هذا؟! .

الثالثة: أن يُقال: إيمانكم به لازمٌ لاستفتاحكم به، ووجود الملزوم بدون لازمِه محالٌ.

الرابعة: أن يُقال: استفتاحكم به هل كان عن دليل أو لا عن دليل؟ فلا بد أن يقولوا: كان عن دليل، وحينئذٍ فيجب طردُّ الدليل، والقولُ بموجبه حيث وجد، فأما أن يقال بموجبه في موضع، ويُجحدُ موجهه في موضعٍ أقوى منه، فمن أبطلِ الباطل!! .

الخامسة: أن يُقال: إن كان الاستفتاحُ به تصديقاً للنبي الذي أخبر بظهوره، وقامت البراهينُ على صدقه؛ فالإيمان به متعينٌ تصديقاً للنبي الأول أيضاً، وإن كان ترك الإيمان به قبل ظهوره تكذيباً للنبي الأول، فترك الإيمان به بعد ظهوره أشدُّ تكذيباً، فأنتم في كفركم به مكذبون للنبي الأول والثاني، وهذا من أحسن الوجوه.

السادسة: أن يُقال: إن كان الاستفتاحُ به حقاً لما ظهر على يد النبي المبشِّر به من المعجزات، فالإيمان به عند ظهوره يكون أقوى؛ لانضمام المعجزات التي ظهرت على يده، وهي تستلزم لصدقه إلى المعجزات التي ظهرت على يد النبي المُبشِّر به، فقويت أدلة الصدق وتضافرت براهينه.

السابعة: أن يُقال: أحد الأمرين لازمٌ ولا بُدُّ؛ إما خطأكم في استفتاحكم به، وإما في كفركم وتكذيبكم به، فإنهما لا يمكنُ اجتماعهما، فأيهما كان خطأ كان الآخرُ صواباً، لكن استفتاحكم به مستندٌ إلى الإيمان بالنبي الأول، فهو مستندٌ إلى حقٍّ، فتعين أن يكون كفرهم به هو الباطل، ولا يمكنُ أن يُقال: إن التكذيبَ به هو الحقُّ والاستفتاحُ به كان باطلاً، لأنه يستلزمُ تكذيبَ من أقررتُم بصدقه ولا بدَّ.

الثامنة: أن يقال: التصديق به قبل ظهوره من لوازم التصديق بالنبى الأول، والتكذيب به حينئذ كفر، فالتصديق به بعد ظهوره كذلك، وإن كان التكذيب به قبل ظهوره مستلزماً للكفر بالنبى الأول، فهو بعد ظهوره أشد استلزماً، فلا يجتمع التكذيب به والإيمان بالنبى الأول أبداً لا قبل ظهوره ولا بعده؛ أما قبل ظهوره فباعترافكم، وأما بعد ظهوره فلأن دلالة صدقه حينئذ أظهر وأقوى كما تقدّم بيانه.

التاسعة: أن يقال: الاستفتاح به تصديق وإقرار بنبوته، وتكذيبه جحد وكفر بها، والإيمان والتصديق برسالة الرجل الواحد، والتكذيب والجحد بها مستلزم للكفر ولا بد، فإنه يستلزم أحد الأمرين: إما التصديق بنبوة من ليس بنبي، وإما جحد نبوة من هو نبي، وأيهما كان فهو كفر، وقد أقرتم على أنفسكم بالكفر ولا بد، ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

الكافرين ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩].

العاشرة: تقرير الاستدلال بطريقة استسلاف المقدمات والمؤاخذه بالاعتراف؛ فيقال لهم: أستم كنتم تستفتحون به؟ فيقولون: بلى، فيقال: أليس الاستفتاح به إيمان به؟ فلا بد من الاعتراف بذلك، فيقال: أفليس ظهور من كنتم تؤمنون به قبل وجوده موجباً عليكم الإيمان به؟ فلا بد من الاعتراف أو العناد الصريح.

وليس لأعداء الله على هذه الوجوه اعتراض ألّبتة، سوى أن قالوا: هذا كله حق؛ ولكن ليس هذا الموجود بالذي كنا نستفتح به، وهذا من أعظم البهت والعناد، فإن الصفات والعلامات التي فيه طابقت ما كان عندهم مطابقة المعلوم لعلمه، فإنكار أن يكون هو،

إنما يكون جَحْدًا للحقِّ وإنكاراً له باللسان، والقلبُ يعرفُ، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا

جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

فأغنى عن هذه الوجوه والتقريرات كلها قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا

كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩]، والمادة الحقُّ يمكنُ إبرازها

في الصُّور المتعدِّدة، وفي أيِّ قالبٍ أفرغتْ وصورةُ أُبرزتْ ظهرتْ صحيحة، وهذا شأنُ

موادِّ براهين القرآن في أيِّ صورةٍ أبرزتها ظهرتْ في غايةِ الصَّحَّةِ والبيان، فالحمدُ لله المانِّ

بالهدى على عباده المؤمنين. بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٤ / ١٥٦٢).

تكلمت النملة بعشرة أنواع من الخطاب

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَكْفِي فِي فُطْنِهَا مَا نَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ مِنْ قَوْلِهَا لَجَمَاعَةِ النَّمْلِ

وَقَدْ رَأَتْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَجُنُودَهُ: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا

يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨] فتكلمت بعشرة أنواع من

الخطاب في هذه النصيحة:

النداء.

والتنبيه.

والتَّسْمِيَّة.

والامر.

وَالنَّص.

والتحذير.

وال تخصيص.

وال تفهيم.

وال تعميم.

وال اعتذار.

فاشتملت نصيحتها مع الاختصار على هذه الأنواع العشرة ولذلك أعجب سليمان قولها وتبسم ضاحكا منه، وسال الله أن يوزعه شكر نعمته عليه لما سمع كلامها. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٤٣).

المشي عشرة أنواع

قال رحمه الله: فصل في هديه ﷺ في مشيه وحده ومع أصحابه.

كَانَ إِذَا مَشَى **تَكْفَأَ تَكْفُؤًا**، وَكَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ مِشْيَةً وَأَحْسَنَهَا وَأَسْكَنَهَا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطَوَّى لَهُ، وَإِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرٍ» ^١ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَشَى تَكْفَأَ تَكْفُؤًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ» ^٢.

وَقَالَ مَرَّةً «إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ» قُلْتُ: **وَالْتَقَلَّعَ** الارتفاع من الأرض بجملته كحال المنحط من الصَّبَب، وَهِيَ مِشْيَةُ أُولِي الْعِزِّ وَالْهَمَّةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَهِيَ أَعْدَلُ الْمِشْيَاتِ وَأَرْوَاحُهَا

«١» رواه الترمذي، وضعفه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٢٦/٩) وضعيف سنن الترمذي (٣٦٤٨).

«٢» رواه الترمذي وصححه العلامة الألباني في صحيح الترمذي (٣٦٣٧) ومختصر الشمايل (٤).

لِلْأَعْضَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنْ مِشْيَةِ الْهُوجِ وَالْمَهَانَةِ وَالتَّمَاوُتِ، فَإِنَّ الْمَاشِيَ إِمَّا أَنْ يَتِمَّawتَ فِي مِشْيِهِ وَيَمْشِيَ قِطْعَةً وَاحِدَةً كَأَنَّهُ خَشْبَةٌ مَحْمُولَةٌ، وَهِيَ مِشْيَةٌ مَذْمُومَةٌ قَبِيحَةٌ، وَإِمَّا أَنْ يَمْشِيَ بِانْزِعَاجٍ وَاضْطِرَابٍ مِشْيِ الْجَمَلِ الْأُهوَجِ، وَهِيَ مِشْيَةٌ مَذْمُومَةٌ أَيْضًا، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى خِفَّةِ عَقْلِ صَاحِبِهَا، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ يُكْثِرُ الْإِلْتِفَاتِ حَالَ مِشْيِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَإِمَّا أَنْ يَمْشِيَ **هُونًا**، وَهِيَ مِشْيَةُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ كَمَا وَصَفَهُمْ بِهَا فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿ **وَعِبَادُ**

الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونًَا ﴾ [الْفُرْقَانِ: ٦٣] قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ مِنْ غَيْرِ تَكَبُّرٍ وَلَا تَمَاوُتٍ، وَهِيَ مِشْيَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ مَعَ هَذِهِ الْمِشْيَةِ كَانَ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، وَكَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطَوَّى لَهُ، حَتَّى كَانَ الْمَاشِيَ مَعَهُ يُجْهِدُ نَفْسَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَمْرَيْنِ: أَنَّ مِشْيَتَهُ لَمْ تَكُنْ مِشْيَةً بِتَمَاوُتٍ وَلَا بِمَهَانَةٍ، بَلْ مِشْيَةٌ أَعْدَلُ الْمِشْيَاتِ.

وَالْمِشْيَاتُ عَشْرَةٌ أَنْوَاعٍ: هَذِهِ الثَّلَاثَةُ مِنْهَا.

وَالرَّابِعُ: السَّعْيُ.

وَالْخَامِسُ: الرَّمْلُ، وَهُوَ أَسْرَعُ الْمَشْيِ مَعَ تَقَارُبِ الْخُطَى وَيُسَمَّى: الْخَبَبَ، وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «خَبَّ فِي طَوَافِهِ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا»^(١).

السَّادِسُ: النَّسْلَانُ، وَهُوَ الْعَدُوُّ الْخَفِيفُ الَّذِي لَا يُزْعَجُ الْمَاشِيَ وَلَا يُكْرِثُهُ. وَفِي بَعْضِ الْمَسَانِيدِ أَنَّ الْمُشَاةَ شَكُّوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَشْيِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «اسْتَعِينُوا بِالنَّسْلَانِ»^(٢).

«١» رواه البخاري (١٦٩١) ومسلم (١٢٦١).

وَالسَّابِعُ: الْخَوْزَلَى، وَهِيَ مِشْيَةُ التَّمَايِلِ، وَهِيَ مِشْيَةُ يُقَالُ: إِنَّ فِيهَا تَكْسُرًا وَتَخَنُّتًا.

وَالثَّامِنُ: الْقَهْقَرَى، وَهِيَ الْمِشْيَةُ إِلَى وَرَاءِ.

وَالتَّاسِعُ: الْجَمْزَى، وَهِيَ مِشْيَةُ يَثْبُ فِيهَا الْمَاشِي وَثْبًا.

وَالْعَاشِرُ: مِشْيَةُ التَّبَخُّرِ، وَهِيَ مِشْيَةُ أُولِي الْعُجْبِ وَالتَّكْبُرِ، وَهِيَ الَّتِي خَسَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ

بِصَاحِبِهَا لَمَّا نَظَرَ فِي عِطْفِيهِ وَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَأَعْدَلَ هَذِهِ الْمَشْيَاتِ مِشْيَةُ الْهَوْنِ وَالتَّكْفُوفِ. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٦١).

البكاء عشرة أنواع

قال رحمه الله: وَالْبُكَاءُ أُنُوعٌ.

أَحَدُهَا: بُكَاءُ الرَّحْمَةِ وَالرَّقَّةِ.

وَالثَّانِي: بُكَاءُ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ.

وَالثَّالِثُ: بُكَاءُ الْمَحَبَّةِ وَالشَّوْقِ.

وَالرَّابِعُ: بُكَاءُ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ.

وَالْخَامِسُ: بُكَاءُ الْجَزَعِ مِنْ وُرُودِ الْمُؤَلِّمِ وَعَدَمِ احْتِمَالِهِ.

وَالسَّادِسُ: بُكَاءُ الْحُزَنِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بُكَاءِ الْخَوْفِ، أَنَّ بُكَاءَ الْحُزَنِ يَكُونُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ حُصُولِ مَكْرُوهِ

أَوْ فَوَاتِ مَحْبُوبٍ، وَبُكَاءُ الْخَوْفِ يَكُونُ لَمَّا يُتَوَقَّعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ ذَلِكَ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ

بُكَاءِ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ وَبُكَاءِ الْحُزَنِ، أَنَّ دَمْعَةَ السُّرُورِ بَارِدَةٌ وَالْقَلْبُ فَرِحَانٌ، وَدَمْعَةُ الْحُزَنِ

حَارَّةٌ وَالْقَلْبُ حَزِينٌ، وَلِهَذَا يُقَالُ لِمَا يُفْرَحُ بِهِ: هُوَ قُرَّةُ عَيْنٍ، وَأَقَرَّ اللَّهُ بِهِ عَيْنَهُ، وَلِمَا يُحْزَنُ: هُوَ سَخِينَةُ الْعَيْنِ، وَأَسْخَنَ اللَّهُ عَيْنَهُ بِهِ.

وَالسَّابِعُ: بُكَاءُ الْخَوَرِ وَالضَّعْفِ.

وَالثَّامِنُ: بُكَاءُ النَّفَاقِ، وَهُوَ أَنْ تَدْمَعَ الْعَيْنُ وَالْقَلْبُ قَاسٍ، فَيُظْهِرُ صَاحِبَهُ الْخُشُوعَ وَهُوَ مِنْ أَقْسَى النَّاسِ قَلْبًا.

وَالتَّاسِعُ: الْبُكَاءُ الْمُسْتَعَارُ وَالْمُسْتَأْجَرُ عَلَيْهِ، كَبُكَاءِ النَّائِحَةِ بِالْأُجْرَةِ، فَإِنَّهَا كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: تَبِعُ عِبْرَتَهَا وَتَبْكِي شَجْوَ غَيْرِهَا.

وَالْعَاشِرُ: بُكَاءُ الْمَوَافَقَةِ، وَهُوَ أَنْ يَرَى الرَّجُلُ النَّاسَ يَبْكُونَ لِأَمْرٍ وَرَدَ عَلَيْهِمْ فَيَبْكِي مَعَهُمْ، وَلَا يَدْرِي لِأَيِّ شَيْءٍ يَبْكُونَ، وَلَكِنْ يَرَاهُمْ يَبْكُونَ فَيَبْكِي.

وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دَمْعًا بَلَا صَوْتٍ فَهُوَ بُكْيٌ - مَقْصُورٌ - وَمَا كَانَ مَعَهُ صَوْتٌ فَهُوَ بُكَاءٌ - مَمْدُودٌ - عَلَى بِنَاءِ الْأَصْوَاتِ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا * * وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

وَمَا كَانَ مِنْهُ مُسْتَدْعَى مُتَكَلِّفًا فَهُوَ التَّبَاكِي، وَهُوَ نَوْعَانِ: مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ، فَالْمَحْمُودُ

أَنْ يُسْتَجَلَبَ لِرِقَّةِ الْقَلْبِ وَلِخَشْيَةِ اللَّهِ لَا لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ. وَالْمَذْمُومُ أَنْ يُجْتَلَبَ لِأَجْلِ

الْخَلْقِ، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنهما لِلنَّبِيِّ صلی الله علیه وسلم وَقَدْ رَأَى بَيْكِي هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ فِي شَأْنِ

أَسَارَى بَدْرٍ: «أَخْبَرَنِي مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ

تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «^(١)»، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ابْكُوا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٧٧).

الأشياء التي يؤدي انحباسها ومدافعتها عشرة

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي يُؤْذِي انْحِبَاسُهَا وَمُدَافَعَتُهَا عَشْرَةٌ:

الدَّمُّ إِذَا هَاجَ.

وَالْمَنِيُّ إِذَا تَبَيَّغَ.

وَالْبَوْلُ.

وَالْغَائِطُ.

وَالرَّيْحُ.

وَالْقَيْءُ.

وَالْعَطَاسُ.

وَالنَّوْمُ.

وَالْجُوعُ.

وَالْعَطَشُ.

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْعَشْرَةِ يُوجِبُ حَبْسَهُ دَاءً مِنَ الْأَدْوَاءِ بِحَسْبِهِ.

وَقَدْ نَبَّهَ سُبْحَانَهُ بِاسْتِفْرَاحِ أَذْنَاهَا، وَهُوَ الْبُخَارُ الْمُحْتَقِنُ فِي الرَّأْسِ عَلَى اسْتِفْرَاحِ مَا هُوَ

أَصْعَبُ مِنْهُ، كَمَا هِيَ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ التَّنْبِيهُ بِالْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى. زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٦).

عشرة أمور إذا راعاها المجمع انتفع به

قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وَأَنْفَعُ مَا يَكُونُ - أي الجماع - إِذَا صَادَفَ:

شَهْوَةٌ صَادِقَةٌ.

مِنْ صُورَةٍ جَمِيلَةٍ.

حَدِيثَةُ السَّنِّ.

حَالًا.

مَعَ سِنِّ الشُّبُوبَةِ.

وَحَرَارَةِ الْمَزَاجِ وَرُطُوبَتِهِ.

وَبُعْدِ الْعَهْدِ بِهِ.

وَحَلَاءِ الْقَلْبِ مِنَ الشَّوَاغِلِ النَّفْسَانِيَّةِ.

وَلَمْ يُفْرِطْ فِيهِ.

وَلَمْ يُقَارِنْهُ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ مَعَهُ مِنْ امْتِلَاءٍ مُفْرِطٍ، أَوْ حَوَاءٍ، أَوْ اسْتِفْرَاحٍ، أَوْ رِيَاضَةٍ تَامَّةٍ، أَوْ حَرٍّ مُفْرِطٍ، أَوْ بَرْدٍ مُفْرِطٍ.

فَإِذَا رَاعَى فِيهِ هَذِهِ الْأُمُورَ الْعَشْرَةَ، انْتَفَعَ بِهِ جِدًّا، وَأَيُّهَا فَقَدْ فَقَدَ حَصَلَ لَهُ مِنَ الضَّرْرِ بِحَسْبِهِ، وَإِنْ فَقَدَتْ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا، فَهُوَ الْهَلَاكُ الْمَعْجَلُّ. (الطب النبوي (ص: ٣١٣).



مَرْحَمَةُ اللَّهِ وَتَوَفِّيهِ

فهرس

- ٥..... مقدمة الشيخ الفاضل / أبي عبد الله فيصل الحاشدي:.....
 ٦..... مقدمة شيخنا الفاضل / أبي عاصم عبد الله بن محمد الدبعي:.....
 ٧..... المقدمة:.....
 ١٠..... [١] - الفوائد الثنائية:.....

- ١٠..... (١) التوحيد الذي دعت إليه الرسل نوعان:.....
 ١٢..... (٢) كفر الجحود نوعان:.....
 ١٢..... (٣) الشرك نوعان:.....
 ١٣..... (٤) نجاسة الشرك نوعان:.....
 ١٣..... (٥) زرع النفاق ينبت على ساقيتين:.....
 ١٤..... (٦) المنافقون صنفان:.....
 ١٦..... (٧) لأهل البدع طريقتان في رد السنن:.....
 ١٦..... (٨) الفسوق في كتاب الله نوعان:.....
 ١٧..... (٩) العبودية نوعان:.....
 ١٨..... (١٠) دفع القدر بالقدر نوعان:.....
 ١٩..... (١١) الاستغفار نوعان:.....
 ٢١..... (١٢) المحرمات نوعان:.....
 ٢٢..... (١٣) العِظَة نوعان:.....
 ٢٢..... (١٤) الاعتصام نوعان:.....
 ٢٣..... (١٥) الاعتصام بالله نوعان:.....
 ٢٤..... (١٦) الذي يخلص العبد من رضاه بعمله أمران:.....
 ٢٥..... (١٧) الجهل نوعان:.....

- (١٨) التسليم نوعان: ٢٦
- (١٩) اختيار الرب تعالى لعبده نوعان: ٢٦
- (٢٠) المعية نوعان: ٢٧
- (٢١) الغلو نوعان: ٢٨
- (٢٢) الغيرة نوعان: ٢٨
- (٢٣) الافتخار نوعان: ٢٩
- (٢٤) القلب يعرض له حالتان: ٢٩
- (٢٥) المحب له حالتان: ٣٠
- (٢٦) النظر إلى العورات قسمان: ٣١
- (٢٧) الحقوق نوعان: ٣١
- (٢٨) المعرضون عن الهدى والحق نوعان: ٣٢
- (٢٩) النعم نوعان: ٣٣
- (٣٠) الكيد والمخادعة نوعان: ٣٣
- (٣١) كيد الله تعالى على ضريين: ٣٤
- (٣٢) حل السحر عن المسحور نوعان: ٣٥
- (٣٣) السُّكْر نوعان: ٣٥
- (٣٤) مرض القلب نوعان: ٣٦
- (٣٥) محاسبة النفس نوعان: ٣٦
- (٣٦) النعيم المستول عنه نوعان: ٣٨
- (٣٧) الحيل نوعان: ٣٩
- (٣٨) الفتنة نوعان: ٣٩
- (٣٩) أصل كل شر أمران: ٤٢
- (٤٠) خلو الله لعبده وذنبه لمعنيين: ٤٢
- (٤١) أصل الذنوب نوعان: ٤٣
- (٤٢) عقوبات الذنوب نوعان: ٤٣
- (٤٣) وقاية السيئات نوعان: ٤٤

- ٤٤) لي النصوص نوعان:..... ٤٤
- ٤٥) حبوط الأعمال نوعان:..... ٤٥
- ٤٦) الإنسان في النظر والمناظرة على قسمين:..... ٤٥
- ٤٧) السؤال نوعان:..... ٤٦
- ٤٨) طب الأبدان نوعان:..... ٤٧
- ٤٩) الدواء كله في شيئين:..... ٤٧
- ٥٠) للنوم فائدتان:..... ٤٨
- ٥١) الجماع الضار نوعان:..... ٤٨
- ٥٢) الطلاق على ضربين:..... ٤٩
- ٥٣) المطلقة نوعان:..... ٤٩
- ٥٤) الولاية على الطفل نوعان:..... ٥٠
- ٥٥) السياسة نوعان:..... ٥١
- ٥٦) نوعان من الفقه لا بد للحاكم معرفتهما:..... ٥١
- ٥٧) التوكل على الله نوعان:..... ٥١
- ٥٨) معرفة الله سبحانه وتعالى نوعان:..... ٥٢
- ٥٩) السخاء نوعان:..... ٥٣
- ٦٠) اللغو نوعان:..... ٥٤
- ٦١) ظلم النفس نوعان:..... ٥٤
- ٦٢) الشكوى نوعان:..... ٥٤
- ٦٣) الأذن على قسمين:..... ٥٥
- ٦٤) المحبوب قسمان:..... ٥٥
- ٦٥) الجهل قسمان:..... ٥٦
- ٦٦) علماء الأمة على ضربين:..... ٥٦
- ٦٧) تشبيه العالم بالقمر دون الشمس لفائدتين:..... ٥٨
- ٦٨) السعادة والشقاوة ترجع إلى أمرين:..... ٥٨
- ٦٩) كمال الإنسان بأمرين:..... ٥٩

- (٧٠) النفس يراد منها شيئان:..... ٥٩
- (٧١) طريقان يوصلان إلى الإستقامة:..... ٦٠
- (٧٢) للإيثار علامتان:..... ٦١
- (٧٣) الناس قسمان:..... ٦٢
- (٧٤) جماع أهل الزكاة صنفان:..... ٦٢
- (٧٥) الرشوة ضربان:..... ٦٣
- (٧٦) الإلتفات إلى الأسباب ضربان:..... ٦٣
- (٧٧) الجمال على قسمين:..... ٦٤
- (٧٨) المقدور يكتنفه أمران:..... ٦٥
- (٧٩) أمران بهما تتم سعادة العبد وفلاحه:..... ٦٦
- (٨٠) ركب الله سبحانه في الإنسان نفسين:..... ٦٧
- (٨١) ما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان:..... ٦٧
- (٨٢) الهدى والفلاح لمن اتبع القرآن، والضلال والشقاء لمن أعرض عنه:..... ٦٨
- (٨٣) مواضع السجدة في القرآن نوعان:..... ٦٩
- (٨٤) من آثر رضا الله فلا بد له من أمرين:..... ٧٠
- (٨٥) ملائكة الخوف من الله، والاستقامة على دينه، أمران:..... ٧١
- (٨٦) أمران بهما يُجلب النافع، ويُدفع الضار:..... ٧١
- (٨٧) عقوبتان لمن رد الحق، وتهاون بالأمر إذا حضر:..... ٧٢
- (٨٨) الناس في أمر الله على قسمين:..... ٧٢
- (٨٩) الناس عند إرسال الرسل إليهم على أمرين:..... ٧٣
- (٩٠) للعبد حالتان:..... ٧٤
- (٩١) أمران من فقدتهما لم ينتفع بنفسه:..... ٧٥
- (٩٢) العشق مركب من أمرين:..... ٧٦
- (٩٣) ساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما:..... ٧٦
- (٩٤) في إضلاله سبحانه وتعالى لمن يستحق حكمتان:..... ٧٦
- (٩٥) قصر الأمل بناؤه على أمرين:..... ٧٧

- ٩٦ التبتل يجمع أمرين:..... ٧٧
- ٩٧ لا بد للسان إلى ربه سبحانه وتعالى من أمرين:..... ٧٨
- ٩٨ في اللسان آفتان عظيمتان:..... ٧٨
- ٩٩ للنبي ﷺ حوضان:..... ٧٩
- ١٠٠ التواضع المحمود على نوعين:..... ٧٩
- ١٠١ المضاف إلى الله سبحانه وتعالى نوعان:..... ٨٠
- ١٠٢ للروح في هذا العالم نشأتان:..... ٨١
- ١٠٣ للعبد بين يدي الله موقفان:..... ٨١
- ١٠٤ الفتن التي تعرض على القلوب على قسمين:..... ٨١
- ١٠٥ الضلال له سببان:..... ٨٢
- ١٠٦ لبكاء الصبي عند ولادته سببان:..... ٨٢
- ١٠٧ وجهان، لتكفير صيام عاشوراء سنة وعرفة سنتين:..... ٨٣
- [٢]. الفوائد الثلاثية:..... ٨٥
- ١٠٨ أركان السير إلى الله ثلاثة:..... ٨٥
- ١٠٩ من أحب شيئاً غير الله عذب به ثلاث مرات:..... ٨٦
- ١١٠ محب الدنيا لا ينفك من ثلاث:..... ٨٦
- ١١١ العقوبات الشرعية ثلاثة أنواع:..... ٨٧
- ١١٢ الذنوب وما يترتب عليها ثلاثة أقسام:..... ٨٨
- ١١٣ ثلاثة أنهار لأهل الذنوب يتطهرون بها في الدنيا:..... ٨٨
- ١١٤ الخوف من العقوبة ينشأ من ثلاثة أمور:..... ٨٩
- ١١٥ الكفارات على ثلاثة أنواع:..... ٩٠
- ١١٦ التعطيل على ثلاثة أقسام:..... ٩١
- ١١٧ ثلاثة أصول، تقطع شجرة الشرك من القلب:..... ٩١
- ١١٨ ثلاثة أمور أوقع عباد القبور في الإفتان بها:..... ٩٢
- ١١٩ زيارة الموحدين للقبور مقصودها ثلاثة أشياء:..... ٩٤
- ١٢٠ لو كان مع الله إله آخر، لترتب عليه أحد ثلاثة أمور:..... ٩٥

- ٩٦..... (١٢١) الأصول التي اتفقت عليها جميع الرسل ثلاثة:
- ٩٦..... (١٢٢) مراتب إحصاء أسماء الله تعالى ثلاثة:
- ٩٧..... (١٢٣) النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:
- ٩٨..... (١٢٤) مراتب اليقين ثلاثة:
- ٩٩..... (١٢٥) لذات الدنيا ثلاثة أنواع:
- ١٠٠..... (١٢٦) عشق النساء على ثلاثة أقسام:
- ١٠١..... (١٢٧) الناس في العشق على ثلاثة أقسام:
- ١٠٢..... (١٢٨) أقسام عدة النساء في الشرع ثلاثة:
- ١٠٣..... (١٢٩) الناس ثلاثة:
- ١٠٤..... (١٣٠) دخول الناس النار من ثلاثة أبواب:
- ١٠٤..... (١٣١) الناس في تحويل القبلة إلى ثلاثة أصناف:
- ١٠٥..... (١٣٢) يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف:
- ١٠٦..... (١٣٣) الناس في أقدار الله ثلاثة مراتب:
- ١٠٦..... (١٣٤) مراتب الناس في المقدور على ثلاثة:
- ١٠٧..... (١٣٥) الناس في الآيات المتلوة والمشهودة على ثلاثة:
- ١٠٨..... (١٣٦) ثلاثة أنواع من المدح متضمنة في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾
- ١٠٨..... (١٣٧) قواعد طب الأبدان ثلاثة:
- ١١٠..... (١٣٨) مراتب الغذاء ثلاثة:
- ١١١..... (١٣٩) علاجه ﷺ للمرض ثلاثة أنواع:
- ١١١..... (١٤٠) دم الطمث ينقسم ثلاثة أقسام من حيث التصريف:
- ١١١..... (١٤١) أحل الله ثلاثة أصناف من النساء:
- ١١٢..... (١٤٢) الملابس ثلاثة أقسام:
- ١١٢..... (١٤٣) حلق الرأس ثلاثة أنواع:
- ١١٣..... (١٤٤) نوم النهار ثلاثة:
- ١١٣..... (١٤٥) الفروسية تظهر في ثلاثة أشياء:
- ١١٤..... (١٤٦) الفزعات ثلاثة:

- ١١٤..... (١٤٧) أصول الخطايا ثلاثة:
- ١١٥..... (١٤٨) أصول الشفاء ثلاثة:
- ١١٥..... (١٤٩) الأصول التي انبنى عليها سعادة العبد ثلاثة:
- ١١٦..... (١٥٠) الشكوى على ثلاث مراتب:
- ١١٧..... (١٥١) الطرق الموصلة إلى الله تعالى ثلاث:
- ١١٧..... (١٥٢) أطلب قلبك في ثلاثة مواطن:
- ١١٧..... (١٥٣) العلائق ثلاث:
- ١١٨..... (١٥٤) دواوين الظلم عند الله ثلاثة:
- ١١٩..... (١٥٥) يخرج للعبد يوم القيامة ثلاثة دواوين:
- ١١٩..... (١٥٦) القلوب ثلاثة:
- ١٢١..... (١٥٧) للقلب ثلاث صفات:
- ١٢١..... (١٥٨) القلوب في هذه الولادة على ثلاثة أقسام:
- ١٢٢..... (١٥٩) الصلاة من الله بمعنى الرحمة، باطل من ثلاثة أوجه:
- ١٢٢..... (١٦٠) مقامات رد السلام ثلاثة:
- ١٢٣..... (١٦١) العباد ثلاثة أقسام:
- ١٢٣..... (١٦٢) ثلاثة من الصحابة جمعوا بين كونهم أنصارا ومهاجرين:
- ١٢٤..... (١٦٣) ما جاءت به الرسل مع العقل ثلاثة أقسام:
- ١٢٤..... (١٦٤) الدعاء على ثلاثة أقسام:
- ١٢٥..... (١٦٥) الأريكة لا تكون إلا بثلاثة أشياء:
- ١٢٥..... (١٦٦) اعظم كرامة للعبد ثلاثة أشياء:
- ١٢٦..... (١٦٧) صاحب اللب لا طريق للشيطان عليه إلا من ثلاث جهات:
- ١٢٧..... (١٦٨) مداخل الشيطان من الإنسان ثلاثة:
- ١٢٧..... (١٦٩) أقسام اللذات ثلاثة:
- ١٢٨..... (١٧٠) المحبة ثلاثة أقسام:
- ١٢٩..... (١٧١) الغيرة التي يحبها الله ثلاثة أنواع:
- ١٢٩..... (١٧٢) الرغبة ثلاثة أقسام:

- ١٧٣) الاتكاء على ثلاثة أنواع:..... ١٣٠
- ١٧٤) صلاته ﷺ بالليل على ثلاثة أنواع:..... ١٣٠
- ١٧٥) للبدن ثلاثة أحوال:..... ١٣١
- ١٧٦) ثلاث من آفات سوء التدبير في الطعام:..... ١٣٢
- ١٧٧) أقسام التترك ثلاثة:..... ١٣٢
- ١٧٨) ثلاثة أمور تسهل على العبد الزهد في هذه الدنيا:..... ١٣٣
- ١٧٩) المحبة المشتركة ثلاثة أنواع:..... ١٣٤
- ١٨٠) الأخلاق على ثلاثة أقسام:..... ١٣٥
- ١٨١) غلظ الكفر الموجب لغلظ العذاب يكون من ثلاثة أوجه:..... ١٣٦
- ١٨٢) باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال:..... ١٣٧
- ١٨٣) الكمال الإنساني في ثلاثة أمور:..... ١٣٨
- ١٨٤) النعم ثلاث:..... ١٣٠
- ١٨٥) رءوس النعم ثلاثة:..... ١٤٠
- ١٨٦) الغضب على ثلاثة أقسام:..... ١٤٠
- ١٨٧) للعبد ثلاثة أحوال:..... ١٤٠
- ١٨٨) الشح والحرص ثلاثة أقسام:..... ١٤١
- ١٨٩) أسماء الله سبحانه وتعالى على ثلاثة أقسام:..... ١٤٢
- ١٩٠) أعلام التسليم ثلاثة:..... ١٤٣
- ١٩١) المسموعات على ثلاثة أضرب:..... ١٤٣
- ١٩٢) الرجاء ثلاثة أنواع:..... ١٤٥
- ١٩٣) أركان الرجاء ثلاثة:..... ١٤٥
- ١٩٤) أركان الشكر ثلاثة:..... ١٤٥
- ١٩٥) أركان الحكمة ثلاثة:..... ١٤٦
- ١٩٦) مراتب العلم والعمل ثلاثة:..... ١٤٧
- ١٩٧) العلماء ثلاثة:..... ١٤٧
- ١٩٨) للصبر ثلاث مراتب من استكملها فقد استكمل الصبر:..... ١٤٨

- ١٩٩) الصبر على ثلاثة أنواع:..... ١٤٨
- ٢٠٠) ثلاثة أشياء تبعث المتلبس بها على الصبر في البلاء:..... ١٤٩
- ٢٠١) الصبر بعد الفراغ من العمل على ثلاثة أقسام:..... ١٥٠
- ٢٠٢) وعد الله الصابرين بثلاثة أشياء:..... ١٥١
- ٢٠٣) البصيرة على ثلاث درجات:..... ١٥١
- ٢٠٤) الأدب على ثلاثة أنواع:..... ١٥٢
- ٢٠٥) الحلاوة في ثلاثة أشياء:..... ١٥٣
- ٢٠٦) الذكر ثلاثة أنواع:..... ١٥٣
- ٢٠٧) الفراسة ثلاثة أنواع:..... ١٥٤
- ٢٠٨) قلوب المؤمنين تشتمل على ثلاثة معان:..... ١٥٦
- ٢٠٩) الغربة ثلاثة أنواع:..... ١٥٧
- ٢١٠) الفرق بين الصفة والنعمة من وجوه ثلاثة:..... ١٥٩
- ٢١١) الفرق بين بول الصبي والصبية من ثلاثة أوجه:..... ١٦١
- ٢١٢) السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:..... ١٦١
- ٢١٣) الحيل على ثلاثة أنواع:..... ١٦٢
- ٢١٤) حال المفتي مع المستفتي على ثلاثة أوجه:..... ١٦٢
- ٢١٥) النفوس في الهمم ثلاثة:..... ١٦٤
- ٢١٦) النفوس ثلاثة:..... ١٦٤
- ٢١٧) محاسبة النفس بعد العمل على ثلاثة أنواع:..... ١٦٥
- ٢١٨) في النفس ثلاثة دواع متجاذبة:..... ١٦٥
- ٢١٩) النفس لها ثلاثة أحوال:..... ١٦٦
- ٢٢٠) الجيران ثلاثة:..... ١٦٧
- ٢٢١) للدعاء مع البلاء ثلاث مقامات:..... ١٦٨
- ٢٢٢) من شروط الدعاء المستجاب ثلاثة:..... ١٦٨
- ٢٢٣) عجبت من ثلاث:..... ١٦٨
- ٢٢٤) أصل الأخلاق المذمومة ثلاثة:..... ١٦٩

- ٢٢٥) تجتنى ثمرة الفكرة بثلاثة أشياء:..... ١٦٩
- ٢٢٦) القواعد الثلاث الضرورية في كل ملّة:..... ١٧٠
- ٢٢٧) مراتب الإيثار ثلاثة:..... ١٧٢
- ٢٢٨) ثلاث فوائد من فوائد تجنب القبائح:..... ١٧٤
- ٢٢٩) أهل العهد ثلاثة أصناف:..... ١٧٥
- ٢٣٠) ينقسم الكلام من حيث التأويل وعدمه إلى ثلاثة أقسام:..... ١٧٥
- ٢٣١) الناس في الخلق والتدبير على ثلاثة أقسام:..... ١٧٧
- ٢٣٢) مراتب الدعوة على أقسام ثلاثة:..... ١٧٨
- ٢٣٣) السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة:..... ١٧٩
- ٢٣٤) جمال الصورة والهيئة على ثلاثة أنواع:..... ١٨٠
- ٢٣٥) ذكر الله سبحانه وتعالى الإنزال على ثلاث درجات:..... ١٨١
- ٢٣٦) جعل الله سبحانه وتعالى الدور ثلاثة:..... ١٨٣
- ٢٣٧) لغض البصر عن المحارم ثلاث فوائد عظام:..... ١٨٥
- ٢٣٨) للضحك ثلاثة أسباب:..... ١٨٨
- ٢٣٩) أسباب الخير ثلاثة:..... ١٨٨
- ٢٤٠) تكمل الحياة بثلاثة أشياء:..... ١٨٩
- ٢٤١) مرجع أسماء الله الحسنى إلى ثلاثة:..... ١٩٠
- ٢٤٢) لا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء:..... ١٩٠
- ٢٤٣) فراسة المتفرس تتعلق بثلاثة أشياء:..... ١٩١
- ٢٤٤) للحسد ثلاث مراتب:..... ١٩١
- ٢٤٥) الصدق في ثلاثة:..... ١٩٣

[٣] - الفوائد الرباعية:..... ١٩٤

- ٢٤٦) محاسبة النفس قبل الفعل على أربعة مقامات:..... ١٩٤
- ٢٤٧) الفروسية أربعة أنواع:..... ١٩٥
- ٢٤٨) أركان الرمي أربعة:..... ١٩٦
- ٢٤٩) للشجاعة أربع علامات:..... ١٩٦

- ٢٥٠) مراتب الجهاد أربعة:..... ١٩٧
- ٢٥١) أركان الكفر أربعة:..... ١٩٨
- ٢٥٢) الدراهم أربعة أنواع:..... ١٩٩
- ٢٥٣) أجل الأفكار أربعة:..... ٢٠٠
- ٢٥٤) للهداية أربع مراتب:..... ٢٠٢
- ٢٥٥) أربع من علامات المؤمنين:..... ٢٠٣
- ٢٥٦) أمهات مطالب السائلين أربعة:..... ٢٠٤
- ٢٥٧) الأموال التي يأخذها القضاة أربعة أقسام:..... ٢٠٥
- ٢٥٨) الناس في بذل الأسباب على أربعة أقسام:..... ٢٠٦
- ٢٥٩) أربعة أنفس ولد كل منهم مائة ولد:..... ٢٠٨
- ٢٦٠) الآلات المأمور بمباشرتها من البدن لها أربعة أحوال:..... ٢٠٨
- ٢٦١) الحقوق المالية الواجبة لله تعالى أربعة أقسام:..... ٢١٠
- ٢٦٢) العتب على أربع أمور:..... ٢١١
- ٢٦٣) للأنفس أربع دور:..... ٢١٣
- ٢٦٤) للعبد أربع نشآت:..... ٢١٣
- ٢٦٥) خلق هذا النوع الإنساني على أربعة أضرب:..... ٢١٤
- ٢٦٦) الناس أربعة أقسام:..... ٢١٥
- ٢٦٧) رُباعات في المرأة:..... ٢١٥
- ٢٦٨) كمال الإيمان في أربعة أمور:..... ٢١٦
- ٢٦٩) داعي الحب من المحب أربعة أشياء:..... ٢١٧
- ٢٧٠) الركعة الثانية كالأولى إلا في أربعة أشياء:..... ٢١٨
- ٢٧١) مؤذني النبي ﷺ أربعة:..... ٢١٨
- ٢٧٢) أسفار النبي ﷺ على أربعة أقسام:..... ٢٢٤
- ٢٧٣) قصد اللفظ وعدمه على مراتب أربع:..... ٢١٩
- ٢٧٤) الطلاق من حيث الحل والحرمة على أربعة أوجه:..... ٢١٩
- ٢٧٥) جهات ثبوت النسب أربعة:..... ٢٢٠

- ٢٧٦) يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء:..... ٢٢١
- ٢٧٧) لا يقوم صلاح العبد إلا بأربعة أمور:..... ٢٢٢
- ٢٧٨) تظهر صدق محبة المحب لله تعالى في أربعة مواطن:..... ٢٢٣
- ٢٧٩) قيام الحجة مبنية على أربعة أصول:..... ٢٢٦
- ٢٨٠) الصفة متى قامت بموصوفٍ لزمها أربعة أمور:..... ٢٢٩
- ٢٨١) الأسباب مع مسبباتها على أربعة أنواع:..... ٢٢٩
- ٢٨٢) حسن الخلق يقوم على أربعة أركان:..... ٢٣٠
- ٢٨٣) ذهاب الإسلام من أربعة:..... ٢٣٣
- ٢٨٤) الحجب التي بين القلب وبين الله عز وجل تنشأ من أربعة عناصر:..... ٢٣٣
- ٢٨٥) إنكار المنكر على أربع درجات:..... ٢٣٤
- ٢٨٦) القلوب أربعة:..... ٢٣٥
- ٢٨٧) لا بد للقلب من أربعة أمور في سيره إلى الله تعالى:..... ٢٣٥
- ٢٨٨) صلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بأربعة أمور:..... ٢٣٧
- ٢٨٩) الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام:..... ٢٣٨
- ٢٩٠) يجمع التوبة أربعة أشياء:..... ٢٣٩
- ٢٩١) البعد من الله على مراتب أربعة:..... ٢٣٩
- ٢٩٢) جمال الله سبحانه وتعالى على أربع مراتب:..... ٢٤٠
- ٢٩٣) ذل العبودية على أربع مراتب:..... ٢٤٠
- ٢٩٤) القضاء والقدر على أربع مراتب:..... ٢٤١
- ٢٩٥) الناس في الرضا بالقضاء على مراتب أربعة:..... ٢٤٢
- ٢٩٦) الصبر على السراء من أربعة أوجه:..... ٢٤٣
- ٢٩٧) الصبر على أربعة أضرب:..... ٢٤٤
- ٢٩٨) الناس في الصبر والبذل على أربع طبقات:..... ٢٤٥
- ٢٩٩) مراتب الوجود أربعة:..... ٢٤٥
- ٣٠٠) الناس في العلم والعزيمة على أربعة أضرب:..... ٢٤٧
- ٣٠١) الناس مع الدنيا على أربعة أقسام:..... ٢٤٩

- ٣٠٢) الخطرات تدور على أربعة أقسام:..... ٢٥٠
- ٣٠٣) لا بد لصرف اللفظ عن ظاهره من أربعة أمور:..... ٢٥١
- ٣٠٤) العاقل لا يغفل عن أربع ساعات:..... ٢٥١
- ٣٠٥) لا يتم أمر هذا الجهاد إلا بهذه الأمور الأربعة:..... ٢٥٢
- ٣٠٦) الناس في معرفة السبيل على أقسام أربعة:..... ٢٥٢
- ٣٠٧) للمخبتين أربع علامات:..... ٢٥٥
- ٣٠٨) ذروة الإيمان أربع:..... ٢٥٥
- ٣٠٩) الناس في قدرة الله وحكمته على طوائف أربعة:..... ٢٥٦
- ٣١٠) للعبد أربع مقامات في المصائب التي لا صنع له فيها:..... ٢٥٩
- ٣١١) اختص الله آدم عليه السلام على غيره بأربع أشياء:..... ٢٦٠
- ٣١٢) أربع مقامات في إقامة الحجة:..... ٢٦١
- ٣١٣) الدين كله يقوم على أربع قواعد:..... ٢٦١
- ٣١٤) السؤال على أربع مراتب:..... ٢٦٢
- ٣١٥) أربع فوائد في زيادة « لا » بين المعطوف والمعطوف عليه:..... ٢٦٢
- ٣١٦) الألف واللام إذا دخلت على اسم السلام تضمنت أربع فوائد:..... ٢٦٤
- ٣١٧) لا بد للمتكلم في مقام التفاضل من أربعة أمور:..... ٢٦٤
- ٣١٨) للشهادة أربع مراتب:..... ٢٦٥
- ٣١٩) التصوير والتخليق على أربع مراتب:..... ٢٦٦
- ٣٢٠) من عارض الشرع بالعقل فإنه ينتهي أمره إلى أحد أمور أربعة:..... ٢٦٧
- ٣٢١) الذين قالوا إن الله يتكلم بصوت أربع فرق:..... ٢٦٧
- ٣٢٢) تضمنت سورة الفلق الاستعاذة من أمور أربعة:..... ٢٦٨
- ٣٢٣) أركان التابعين أربعة:..... ٢٦٨
- ٣٢٤) مراتب الكمال أربعة:..... ٢٦٩
- ٣٢٥) أربعة أوجه لاختصاص النعمة بالحادث بالشكر دون الدائمة:..... ٢٧٠
- ٣٢٦) الناس في العلم مع الحلم على أربعة أقسام:..... ٢٧١
- ٣٢٧) الأسباب الجالبة للتأويل أربعة:..... ٢٧١

- ٣٢٨) لتكرار السؤال أربع من فوائد:..... ٢٧٢
- ٣٢٩) أربع حكم في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة:..... ٢٧٣
- ٣٣٠) خلق الإنسان على أربعة أطوار:..... ٢٧٤
- ٣٣١) أربعة أشياء تهدم البدن:..... ٢٧٤
- ٣٣٢) وأربعة تفرح:..... ٢٧٥
- ٣٣٣) أربعة تقوي الجسم:..... ٢٧٥
- ٣٣٤) أربعة تبيس الوجه:..... ٢٧٦
- ٣٣٥) أربعة تزيد في ماء الوجه وبهجته:..... ٢٧٦
- ٣٣٦) أربعة تجلب البغضاء والمقت:..... ٢٧٦
- ٣٣٧) أربعة تجلب الرزق:..... ٢٧٧
- ٣٣٨) أربعة تمنع الرزق:..... ٢٧٧
- ٣٣٩) أربعة تضر بالفهم والذهن:..... ٢٧٧
- ٣٤٠) أربعة تزيد في الفهم:..... ٢٧٨
- ٣٤١) أربعة أشياء تمرض الجسم:..... ٢٧٨
- ٣٤٢) أربعة تقوي البدن:..... ٢٧٩
- ٣٤٣) أربعة توهن البدن:..... ٢٧٩
- ٣٤٤) أربعة توهن البصر:..... ٢٨٠
- ٣٤٥) أربعة تقوي البصر:..... ٢٨٠
- ٣٤٦) أربعة تظلم البصر:..... ٢٨١
- ٣٤٧) أربعة تزيد في الجماع:..... ٢٨١
- ٣٤٨) أربعة تزيد في العقل:..... ٢٨١
- ٣٤٩) للمرض أربعة أحوال:..... ٢٨٢
- ٣٥٠) المرض يدور على أربعة أشياء:..... ٢٨٢
- ٣٥١) جعل سبحانه في المعدة أربع قوى:..... ٢٨٢
- ٣٥٢) إذا اجتمع في الطعام أربعاً فقد كمل:..... ٢٨٣
- ٣٥٣) أربع آفات للشرب قائماً:..... ٢٨٣

- ٣٥٤) أسباب الفطر أربعة:..... ٢٨٤
- ٣٥٥) القزعة أربعة أنواع:..... ٢٨٥
- ٣٥٦) حلق الرأس أربعة أقسام:..... ٢٨٥
- ٢٨٧) [٤]. الفوائد الخماسية:..... ٢٨٧
- ٣٥٧) الكفر الأكبر على خمسة أنواع:..... ٢٨٧
- ٣٥٨) الناس في الصلاة على مراتب خمسة:..... ٢٨٩
- ٣٥٩) مراتب الشجاعة والشجاعة خمسة:..... ٢٩٠
- ٣٦٠) خمسة أشياء تبتنى عليها قبة النصر:..... ٢٩١
- ٣٦١) للصبر خمس مراتب:..... ٢٩٢
- ٣٦٢) للدعوة خمس مراتب:..... ٢٩٣
- ٣٦٣) ذَكَرَ اللهُ تعالى الصدق في القرآن في خمسة أشياء:..... ٢٩٣
- ٣٦٤) المرأة على النصف من الرجل في خمسة أشياء:..... ٢٩٤
- ٣٦٥) لا تكون الطريق صراطا حتى تتضمن خمسة أمور:..... ٢٩٥
- ٣٦٦) صاحب البصيرة إذا وقع في الخطيئة فله نظر إلى خمسة أمور:..... ٢٩٦
- ٣٦٧) القضايا لا تخلو من خمسة أنواع:..... ٢٩٧
- ٣٦٨) سعادة العبد وكمال لذته ونعيمه موقوف على خمس مقامات:..... ٢٩٨
- ٣٦٩) لوازم المحبة خمسة:..... ٢٩٨
- ٣٧٠) التدبر والتفكير يثمر خمسة أمور:..... ٣٠٠
- ٣٧١) بعث الله نبيه ﷺ إلى أهل الأرض وهم على خمسة أصناف:..... ٣٠١
- ٣٧٢) انقسم الناس في نصوص الوحي إلى خمسة أقسام:..... ٣٠٢
- ٣٧٣) أعلى الفكر وأجله ما كان لله وهو على أنواع خمسة:..... ٣٠٤
- ٣٧٤) جمع أهل الكتاب بين التحريف والكتمان من خمسة أوجه:..... ٣٠٦
- ٣٧٥) هجر القرآن على خمسة أنواع:..... ٣٠٧
- ٣٧٦) للشهقة التي تعرض عند سماع القرآن خمسة أسباب:..... ٣٠٧
- ٣٧٧) الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:..... ٣٠٨
- ٣٧٨) في إجابة المؤذن خمس سنن عن رسول الله ﷺ:..... ٣٠٩

- ٣٧٩ حسن الخلق يقوم على أركان خمسة:..... ٣١٠
- ٣٨٠ إحياء الأرض بعد موتها دليل على أمور خمسة:..... ٣١١
- ٣٨١ للمطر خمسة رياح:..... ٣١٢
- ٣٨٢ أصحاب الرأي والقياس وقعوا في الخطأ من خمسة أوجه:..... ٣١٣
- ٣٨٣ الحجب عن الله تعالى خمسة:..... ٣١٤
- ٣٨٤ من عارض النصوص بالعقل لزمه لازم من خمسة أمور:..... ٣١٤
- ٣٨٥ يلزم ذات الجنب الحقيقي خمسة أعراض:..... ٣١٥
- ٣٨٦ الوصلات في الكلام التي يتوصل بها إلى غيرها خمسة أقسام:..... ٣١٥
- ٣٨٧ النعت مع المنعوت على أقسام خمسة:..... ٣١٧
- ٣٨٨ كلمة: «استطاع»: فيها خمس لغات:..... ٣١٨
- ٣٨٩ عاتب الله تعالى نبيه في خمسة مواضع من كتابه:..... ٣١٩
- ٣٩٠ الذكر على خمسة أنواع:..... ٣٢٠
- ٣٩١ الزهد خمسة أقسام:..... ٣٢١
- ٣٩٢ كانت له ﷺ خمسة أرماح:..... ٣٢٢
- ٣٩٣ مجموع ما حفظ عنه ﷺ من سهوه في الصلاة في خمسة مواضع:..... ٣٢٢
- ٣٩٤ الفرق بين النفقة والكفارة من خمسة أوجه:..... ٣٢٦
- ٣٩٥ الذل خمسة أنواع:..... ٣٢٦
- ٣٩٦ خمسة من المعارف بها يحصل كمال القوة العلمية:..... ٣٢٧
- ٣٩٧ انقسم الناس في القدر والأمر إلى خمسة أقسام:..... ٣٢٨
- ٣٩٨ مفسدات القلب خمسة:..... ٣٢٩
- ٣٩٩ جعل الله تعالى الحواس خمساً في مقابلة المحسوسات الخمس:..... ٣٣١
- ٤٠٠ للحب خمس مراتب:..... ٣٣٢
- ٤٠١ شُبِّه قاتل النفس الواحدة بقاتل الناس جميعاً من خمسة أوجه:..... ٣٣٤
- ٤٠٢ الدليل على حشر الوحوش وجوه خمسة:..... ٣٣٦
- ٤٠٣ خمس خصال ينبغي أن يتحلى بها المفتي:..... ٣٣٧

- (٤٠٤) غلط في عَمَرِ النبي ﷺ خمس طوائف:..... ٣٣٧
- (٤٠٥) وهم في حجه ﷺ خمس طوائف:..... ٣٣٨
- (٤٠٦) غلط في إحرامه ﷺ خمس طوائف:..... ٣٣٩
- (٤٠٧) أمر النبي ﷺ صاحب الرؤيا بخمسة أشياء:..... ٣٤٠
- (٤٠٨) خمسة آداب في النهي عن الشرب من في السقاء:..... ٣٤٠
- (٤٠٩) خمس مفسد في الشرب من ثلثة القدح:..... ٣٤١
- (٤١٠) أقسام الأطباء من جهة إتلاف الأعضاء خمسة:..... ٣٤٣
- (٤١١) أصول الاستفراغ خمسة:..... ٣٤٥

[٥] ـ الفوائد السداسية:..... ٣٤٧

- (٤١٢) من تدبر القرآن عَرَفَهُ على ستة أمور:..... ٣٤٧
- (٤١٣) للعلم ستُّ مراتب:..... ٣٤٨
- (٤١٤) يُحرم المرء العلم من ستة أوجه:..... ٣٤٩
- (٤١٥) مجالسة العالم تدعوك من ست إلى ست:..... ٣٥٠
- (٤١٦) للقلب ستة مواطن يجول فيها:..... ٣٥١
- (٤١٧) للقلب الصحيح ست علامات:..... ٣٥١
- (٤١٨) شفاء القلوب في ستة أمور:..... ٣٥٢
- (٤١٩) أغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء:..... ٣٥٥
- (٤٢٠) ينحصر شر الشيطان في ستة أجناس:..... ٣٥٦
- (٤٢١) المواساة للمؤمن أنواع ستة:..... ٣٦٠
- (٤٢٢) ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع:..... ٣٦٠
- (٤٢٣) الفرق بين لام الجحود ولام كي من ستة أوجه:..... ٣٦٢
- (٤٢٤) في «إبراهيم» ست لغات:..... ٣٦٣
- (٤٢٥) الذي يجري صفةً أو خبراً على الرب تعالى على ستة أقسام:..... ٣٦٣
- (٤٢٦) لا يُشرع اشتقاق الأسماء لله عزوجل من الأفعال من ستة أوجه:..... ٣٦٤
- (٤٢٧) جعل الله سبحانه وتعالى العقوبات دائرة على ستة أصول:..... ٣٦٦

- ٤٢٨) إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد:..... ٣٧٠
- ٤٢٩) حق الله تعالى في الطاعة ستة أمور:..... ٣٧١
- ٤٣٠) ستة أنواع، عليها مدار محاب الخلق:..... ٣٧١
- ٤٣١) ألفاظ الشوق على ستة أوجه:..... ٣٧٢
- ٤٣٢) مدار العلاج على ستة أصول:..... ٣٧٣
- ٤٣٣) ذكر الله سبحانه العنب في ستة مواضع من كتابه:..... ٣٧٣
- ٤٣٤) أسباب تحرك السهم من أول خروجه إلى حين وقوعه ستة أمور:..... ٣٧٤
- ٤٣٥) الصلاة التي تقر بها العين ويستريح بها القلب هي التي تجمع ستة مشاهد:..... ٣٧٤
- ٤٣٦) ست علامات للمنافقين في صلاتهم:..... ٣٨١
- ٤٣٧) ست حيوانات نهي عن التشبه بها في الصلاة:..... ٣٨١
- ٤٣٨) لا يحصل للعبد الهدى التام المطلوب إلا بعد ستة أمور:..... ٣٨٢
- ٤٣٩) والد سالم بن أبي الجعد كان له ستة أولاد على عقائد مختلفة:..... ٣٨٤
- ٤٤٠) لا تتم للعبد لذة، وسرور، وفرح، وصلاح حال، إلا بستة أمور:..... ٣٨٤
- ٤٤١) ستة صفات للمستحقين للصدقة:..... ٣٨٧
- ٤٤٢) للعبد في حال حياته ستة مطهرات من الذنوب:..... ٣٨٨
- ٤٤٣) ستة مواضع في القرآن يجمع بين التوكل والعبادة:..... ٣٨٩
- ٤٤٤) مجال أفكار العقلاء على ستة أقسام:..... ٣٩٠
- ٤٤٥) لا يستحق اسم الزاهد حتى يزهد في ستة أشياء:..... ٣٩٠
- ٤٤٦) الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد ست درجات:..... ٣٩٢
- ٤٤٧) تُحصر الأفكار في ستة أجناس:..... ٣٩٢
- ٤٤٨) أعلم الله سبحانه وتعالى أن في قتال العدو ست فوائد:..... ٣٩٢
- ٤٤٩) ذكر الله سبحانه وتعالى ست صفات للذي يُلقى في النار:..... ٣٩٣
- ٤٥٠) ست من عقوبات الزنى:..... ٣٩٤
- ٤٥١) كانت للنبي ﷺ ست قسي:..... ٣٩٥
- ٤٥٢) تضمنت حجته ﷺ ست وقفات للدعاء:..... ٣٩٥
- ٤٥٣) كيد يوسف عليه السلام من ستة أوجه:..... ٣٩٦

- ٤٥٤ الفرق بين الشك والريب من وجوه ستة:..... ٣٩٧
- ٤٥٥ أوقات الإجابة الستة:..... ٣٩٨
- ٤٥٦ قوالب الأسماء في الستة المتبارزين:..... ٣٩٩
- ٤٥٧ الأديان ستة:..... ٤٠٠

[٦]. الفوائد السباعية:..... ٤٠١

- ٤٥٨ للشيطان سبع عقبات في اصطياذ بني الإنسان:..... ٤٠٣
- ٤٥٩ حب الدنيا مفسدا للدين من وجوه سبعة:..... ٤٠٦
- ٤٦٠ المراد بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتُغْفِرُ إِلَّا الْمُتَّهَرُونَ﴾ الصحف التي بأيدي الملائكة؛ لوجوه سبعة:..... ٤٠٩
- ٤٦١ حفظ الجوارح السبعة رأس المال:..... ٤١٠
- ٤٦٢ السبعة الذين يظلمهم الله عز وجل في ظل عرشه إنما نالوا ذلك الظل:..... ٤١١

[٧]. الفوائد الثمانية:..... ٤١٣

- ٤٦٣ ثمان فوائد في ضرب الأمثال في القرآن :..... ٤١٣
- ٤٦٤ الوحي على مراتب ثمانية:..... ٤١٣
- ٤٦٥ إبطال قول من زعم أن النهي عن الصلاة إلى القبور من أجل النجاسة :..... ٤١٥
- ٤٦٦ الجن مكلفون ومخاطبون كالإنس، من وجوه ثمانية:..... ٤١٧
- ٤٦٧ ثمانية أوجه لمفاسد عشق الصور:..... ٤١٨
- ٤٦٨ ثمان حكم في تأخر موسى عليه السلام في رمي العصا مع السحرة:..... ٤٢٠
- ٤٦٩ ثمان حكم في الأمر بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن:..... ٤٢١
- ٤٧٠ الذنوب توصل العبد إلى ثمانية أشياء استعاذ منها النبي ﷺ:..... ٤٢٤
- ٤٧١ ثمان فوائد في معرفة حال السابقين الأولين:..... ٤٢٥

[٨]. الفوائد التساعية:..... ٤٢٧

- ٤٧٢ تسعة أمور في أسباب إنشراح الصدور:..... ٤٢٧

[٩]. الفوائد العشارية:..... ٤٣٠

- ٤٧٣ فضل العلم وأهله من وجوه عشرة:..... ٤٣٠
- ٤٧٤ عشر فوائد في إخفاء الدعاء:..... ٤٣٢
- ٤٧٥ يعتصم العبد من الشيطان بعشرة أسباب:..... ٤٣٨

- ٤٧٦) للهداية العامة والخاصة عشر مراتب:..... ٤٤٨
- ٤٧٧) يندفع شرُّ الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب:..... ٤٦٠
- ٤٧٨) الذكر في القرآن على عشرة أوجه:..... ٤٧٠
- ٤٧٩) الأسباب الجالبة للمحبة عشرة:..... ٤٧٥
- ٤٨٠) للمحبة عشر مراتب:..... ٤٧٦
- ٤٨١) عشر حجب بين القلب وبين الله سبحانه وتعالى:..... ٤٨١
- ٤٨٢) وجوه معاني ألفاظ القرآن عشرة:..... ٤٨٤
- ٤٨٣) الصبر على البلاء ينشأ من أسباب عشرة:..... ٤٨٦
- ٤٨٤) عشر من منافع غض البصر:..... ٤٨٩
- ٤٨٥) عشرة أشياء تمنع من التأثر بالعلم والانتفاع به:..... ٤٩٨
- ٤٨٦) ذم الله تعالى الذي آتاه العلم ولم يعمل به من عشرة أوجه:..... ٥٠٢
- ٤٨٧) عشرة أشياء لا يؤاخذ الله بها المكلف:..... ٥٠٤
- ٤٨٨) عشرة أشياء يفعلها كثير من الموسوسين بعد البول:..... ٥٠٧
- ٤٨٩) عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها:..... ٥٠٩
- ٤٩٠) إبطال قول: «إن الذبيح هو إسحاق» من عشرة أوجه:..... ٥١٠
- ٤٩١) الخارجون عن طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام يتقلبون في عشر ظلمات:..... ٥١٣
- ٤٩٢) أسباب القياء عشرة:..... ٥١٤
- ٤٩٣) تُعتبر جودة الماء من عشر طرق:..... ٥١٥
- ٤٩٤) عشرة أوجه تدل على بطلان وجود الخضر الآن:..... ٥١٧
- ٤٩٥) للمجنون عشرة أسماء:..... ٥٢٠
- ٤٩٦) عشر حقائق لا تتعلق إلا بمعدوم:..... ٥٢٠
- ٤٩٧) يفترق المصدر واسم الفاعل في عشرة أحكام:..... ٥٢١
- ٤٩٨) الحياء على عشرة أقسام:..... ٥٢٣
- ٤٩٩) ادعاء يهود خيبر إسقاط الجزية عنهم ورد ذلك من عشرة أوجه:..... ٥٢٥
- ٥٠٠) الجنيتين الأوليين أفضل من الآخرين من عشرة أوجه:..... ٥٢٧
- ٥٠١) مراتب الجود عشرة:..... ٥٣٠

- ٥٠٢) مراتب الحياة عشرة:..... ٥٣٤
- ٥٠٣) الرد على منكري تعلق علمه تعالى بالجزئيات من عشرة أوجه:..... ٥٣٩
- ٥٠٤) الرد على منكري النبوات من عشرة أوجه:..... ٥٤٠
- ٥٠٥) عشر مراتب من اجتمعت له حصلت له الهداية:..... ٥٤٣
- ٥٠٦) عشر من ثمار الرجاء:..... ٥٤٤
- ٥٠٧) عشر طرق إلى حفظ الخواطر:..... ٥٤٧
- ٥٠٨) عشر من حيل التحليل:..... ٥٤٩
- ٥٠٩) عشرة أسباب تحقق أثر الذنوب:..... ٥٥١
- ٥١٠) الصبر عن المعصية ينشأ من أسباب عشرة:..... ٥٥٢
- ٥١١) خطر المعصية من عشرة أوجه:..... ٥٥٧
- ٥١٢) فضل التوبة من عشرة أوجه:..... ٥٦٠
- ٥١٣) مكر النسوة ليوסף عليه السلام من عشرة أوجه:..... ٥٦٩
- ٥١٤) الرد على اليهود في تكذيبهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من عشرة أوجه:..... ٥٧٢
- ٥١٥) تكلمت النملة بعشرة أنواع من الخطاب:..... ٥٧٥
- ٥١٦) المشي عشرة أنواع:..... ٥٧٦
- ٥١٧) البكاء عشرة أنواع:..... ٥٧٨
- ٥١٨) الأشياء التي يؤدي انحباسها ومدافعتها عشرة:..... ٥٨٠
- ٥١٩) عشرة أمور إذا راعاها المجامع انتفع به:..... ٥٨١
- ٥٨٢) الفهرس:.....